

ديوان السلیمانیاة

(الجزء السابع عشر)



نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومختصر

أهدي إليك - من الفؤاد - سلامي وأبثّ نجوی القلب عبر كلامي
وأسوق إعجابي احتراماً بالغاً وأعطرُ الأشواقَ بالأنغام
وأمدُّ كفاً بالمحبة والهوى وأقدّم التبييلَ عبر غرامي
أنا يا (منار الخير) أرجو رفعة للضاد ، والأعراب ، والإسلام
وأريدُ أمتنا على درب الهدى حتى تعود نغزها المتسامي
وأريد - للضاد الأصيلة - عزة بين اللغات ، رطيبة الأنغام

الطبعة الأولى

1 منار الخير



نحو شعر عربي أصيل هادف محترم جاد

ديوان السليمانيات
(الجزء السابع عشر)

منار الخير

شعر

الفقير إلى عفو ربه تعالى أبي عبد الله

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الشاعر السلفي المصري الصعيدي

راجع الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم النوبي

الطبعة الأولى

مُجمّعة من المجلات والصحف والدوريات والجرائد

ومراجعة ومصححة ومُحقّقة ومُنقّحة ومزودة

إهداء

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وبعده. فإن هذا الديوان: (منار الخير) إن هو إلا بعض أفكارى ، أضعها بين أيدي القراء على اختلاف الأذواق والفهوم والنظرات والتصورات ، أضعها بين أيديهم شاهداً على العصر والجيل ، وإنني لأعتذر أنني تناولت فيه قضايا ملحة من القضايا التي تأثرت بها ، وقد كان تأثري بهذه القضايا طريفاً إلى التعبير عن فحواها ، وتقديمها للناس في كل مكان وزمان ، وخاصة الإخوة المؤمنين الجادين والأخوات المؤمنات الزوجات أو الأخوات الجادات اللاتي هن شقائق الرجال! لعلهم يجدون فيها الذي يعينهم على فهم الحياة وطبيعة بني آدم ، خيرهم وغير الخير منهم. وآمل أن تنال إعجاب القراء والقارئات على وجه الخصوص لأن الديوان برمته وقصانده عامة رسالة إلى باحث عن الحق والحقيقة! وأرجو أن يحقق الله غايتي من إنشادها وتأليفها ، ألا وهي بيان الحق والحقيقة والله المستعان. وأهدي ديوان: (منار الخير) بصفة خاصة لأهلي وعشيرتي الأقربين. ثم أهديتها للمعتصمين والمعتصمات بالله من أهل الإيمان والتوحيد. ويجدر بي هنا أن أورد تحليلاً لصفات هؤلاء قال به الأستاذ ربيع بن هادي في محاضراته الفريدة: (الثبات على السنة) ، فقد قال ما نصه: (إن الله يأمر بالاعتصام بحبله المتين: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا * وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً * وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). وإذن فالاعتصام معناه الثبات ، اثبتوا واستمسكوا ، ويساعدكم الله على هذا الثبات على الإسلام الذي أوصانا الله أن نحفظ به ونحافظ عليه إلى الممات. يقول الله تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ). ويقول: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلًا مِّنْ عَفْوَ رَحِيمٍ). هذا ثناء من الله تبارك وتعالى على الذين استقاموا على دينه. والاستقامة هي الثبات على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، بل على ما جاء جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من عقيدة ومنهج ، فلهم منزلة عند الله تبارك وتعالى بثباتهم على هذا الدين الحق. قالوا: (ربنا الله): آمنوا بالله سبحانه وتعالى حق الإيمان بأسمائه وصفاته وربوبيته ، وأنه هو المعبود الحق فلا يعبدون سواه. - يُثْبِتُونَ لِلَّهِ الرِّبُوبِيَّةَ: وأنه هو خالق هذا الكون ومدبره ومنظمه وهو الخالق الرأق المحيي المميت إلى آخر صفات الربوبية. - وأسمائه الحسنى: اللانقة بجلاله وعظمته وربوبيته سبحانه وتعالى ، تلك التي وردت في القرآن وفي السنة ، نُؤْمِنُ بِهَا كَمَا جَاءَتْ. وهي داخلة في هذه الاستقامة. - والإيمان بأنه لا إله إلا هو: لا معبود بحق إلا هو سبحانه وتعالى ، فلا نعبد إلا إياه نُخْلِصُ لَهُ الدِّينَ سبحانه وتعالى ، نحبُّه غاية الحبِّ ، ونخافه ونخشاه غاية الخوف والخشية ، ونرجوه ونطمع فيما عنده في الدنيا والآخرة سبحانه وتعالى ، ونصلي له ونسجد ونُحْفِدُ ونزكي ونصوم ونذكر ونقرأ القرآن. كل ذلك تقرباً إليه سبحانه وتعالى. وهذه كلها من أسباب الاستقامة. ومن دلائل الاستقامة إذا نحن حافظنا على هذه الشعائر وهذه الشرائع. وهذه من الدلائل أن الله قد وفقك للاعتقاد الصحيح وللعمل الصواب ، وأنك من المستقيمين الذين يستحقون من الله سبحانه وتعالى هذا الثناء ، ويستحقون من الله هذا الوعد وهذه العناية الربانية: (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)! ومتى يكون هذا التنزل؟ عندما يحضر العبد ، عندما يوشك على مفارقة هذه الدنيا وتوديعها ، والرحلة إلى الدار الآخرة يُنَزَّلُ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ يُبَشِّرُونَهُمْ وَيُنَبِّئُونَهُمْ

ويُسَدِّدُونَهُمْ ، وَيُذْهِبُونَ عَنْهُمْ الْمَخَافَ (أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا). لا تخافوا من المستقبل: مما أمامكم ؛ فما أمامكم إلا الجنة ورضوان الله عزَّ وجلَّ. - ولا تحزنوا على ما خلفتم من المال والولد وغير ذلك. هذه بشائر تأتي الثابتين على دين الله الحق في هذا الظرف العصيب ، فهذه مرحلة خطيرة جداً ، فبعضهم قد تسوء خاتمته - والعياذ بالله - نسأل الله أن يُثَبِّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الْحَقِّ. كما جاء في الحديث (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ). متفق عليه. هذا الحديث الذي نخاف منه الخوف الشديد من نهاية المطاف وخاتمة الحياة. فلا بُدَّ لِلْعَبْدِ أَنْ يَضْرَعَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دَائِمًا أَنْ يُثَبِّتَهُ عَلَى دِينِهِ وَأَنْ يَتَوَقَّأَنَا وَهُوَ رَاضٍ عَنَّا. وفي الحديث الآخر: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ) حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَحَدَّثَتْ بِهِ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالُوا: (يَا رَسُولَ اللَّهِ كَلِمَاتٌ يَكْرَهُ الْمَوْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ (أَي لَيْسَ ذَلِكَ مَا تَهْمُونَ) ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتَ بَشَّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، فَأَحَبُّ لِقَاءِ اللَّهِ وَأَحَبُّ لِقَاءَهُ. وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حَضَرَ بِشَرِّ بَعْدَابِ اللَّهِ وَعَقُوبَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، فَكَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ). متفق عليه. فنسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا ممن يشاق إلى لِقَائِهِ وَيُحِبُّ لِقَاءَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَأَنْ يُكْرِمَنَا فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ الْعَصِيبَةِ بِحَسَنِ الْخَاتِمَةِ ، وَأَنْ يُتَحَفَّنَا بِالْبَشَائِرِ الطَّيِّبَةِ ، وَهَذَا ثَمَرَةٌ لِلثَّبَاتِ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَالِاسْتِقَامَةِ الَّتِي يَرْجِعُ الْفَضْلُ فِيهَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لَا إِلَى قَلْبِكَ وَلَا عَضَلَاتِكَ وَلَا إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا. وَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَلَطْفِهِ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَلْطِفَ بِنَا وَأَنْ يُثَبِّتَ قُلُوبَنَا عَلَى الْحَقِّ. (وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ). الْجَنَّةُ وَعِدَاةُ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَاسْتَقَامُوا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي السُّورِ الْمَكِّيَّةِ وَالْمَدِينِيَّةِ: قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا). وقال سبحانه وتعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ). فالوعد بالجنة مذكور في كثير وكثير من السور والآيات. الجنة التي كنت تُوعَد بها في القرآن وعلى لسان النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بسبب الثبات على الإسلام ، بسبب الاستقامة عليه أبشر بها. فنسأل الله أن يُثَبِّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الْهُدَى ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ الْاسْتِقَامَةَ. وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ). أَمْرٌ بِالِاسْتِقَامَةِ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ). هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَتْبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَابُوا إِلَى اللَّهِ وَأَتَابُوا إِلَيْهِ ، وَالتَّزَمُوا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ وَثَبَتُوا عَلَى دِينِهِ: أَمْرُهُم بِالِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ. وَالِاسْتِقَامَةُ هِيَ الثَّبَاتُ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ: تَلْتَزِمُ بِالْعَقِيدَةِ الَّتِي أَمَرَكَ اللَّهُ بِالتَّزَامِهَا ، تَلْتَزِمُ بِالأوامرِ كُلِّهَا ، تَلْتَزِمُ الَّتِي أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ، وَتَجْتَنِبُ النَّوَاهِيَ الَّتِي نَهَاكَ اللَّهُ عَنْهَا وَحَرَّمَهَا عَلَيْكَ. فَالقرآن فيه جوامع: الكلمة الواحدة تحتها معانٍ! وهذه الآية منها وتلك الآيات منها). هـ. والحقيقة أنني عمدت في الغالب الأعم من أشعاري إلى بيان أن المستقبل للإسلام مهما بدا من صعوبة المنطق وغش التصور واستحالة التطبيق واستبعاد القبول! إن هذا الدين لا تزيده المحن إلا صلابة في نفوس معتقيه! ولا تزيده الكوارث والعثرات إلا ثباتاً في قلوب متبعيه! ولا يزيده تضيق الطواغيت إلا رسوخاً في ضمائر من دانوا به! فليكن معلوماً وبدهياً أن نعم أن الفتنة تنفي خبثها ، كما ينفي الكير خبث الحديد! وإن الإسلام الذي كان في نفوس المؤمنين الموحدين آنذاك ، ليختلف اختلافاً جذرياً عن الإسلام

الذي ساد في عصر بني أمية أو بني العباس كما يختلف عن الإسلام اليوم! والاختلاف الذي أعني ليس في النصوص ولا الأحكام ولا الشعائر ولا الشرائع! وإنما ثبات المسلمين على دينهم! يقول الأستاذ محمد المنجد في محاضراته: (الثبات على الحق) ما نصه: (التربية الإيمانية العلمية الواعية المتدرجة عامل أساسي من عوامل الثبات. التربية الإيمانية: التي تحيي القلب والضمير بالخوف والرجاء والمحبة ، المنافية للجفاف الناتج من البعد عن نصوص القرآن والسنة ، والعكوف على أقاويل الرجال. والتربية العلمية: القائمة على الدليل الصحيح المنافية للتقليد والإمعنة الذميمة. والتربية الواعية: التي لا تعرف سبيل المجرمين ، وتدرس خطط أعداء الإسلام ، وتحيط بالواقع علماً ، وبالأحداث فهماً وتقويماً ، المنافية للانغلاق والتفوق على البيئات الصغيرة المحدودة. والتربية المتدرجة: التي تسير بالمسلم شيئاً فشيئاً ، ترتقي به في مدارج كماله بتخطيط موزون ، والمنافية للارتجال والتسرع والقفزات المحطمة. ولكي ندرك أهمية هذا العنصر من عناصر الثبات ، فلنعد إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسائل أنفسنا: ما هو مصدر ثبات صحابة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ، إبان فترة الاضطهاد؟ كيف ثبت بلال وخباب ومصعب وآل ياسر وغيرهم من المستضعفين ، وحتى كبار الصحابة في حصار الشعب وغيره؟ هل يمكن أن يكون ثباتهم بغير تربية عميقة من مشكاة النبوة ، صقلت شخصياتهم؟ لناخذ رجلاً صحابياً مثل خباب بن الأرت رضي الله عنه ، الذي كانت مولاته تحمي أسياخ الحديد حتى تحمر ، ثم تطرحه عليها عاري الظهر ، فلا يطفئها إلا ودك - أي شحم - ظهره حين يسيل عليها ، ما الذي جعله يصبر على هذا كله؟ وبلال تحت الصخرة في الرمضاء ، وسمية في الأغلال والسلاسل. وسؤال منبثق من موقف آخر في العهد المدني ، من الذي ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حنين ، لما انهزم أكثر المسلمين؟ هل هم حديثو العهد بالإسلام ومُسَلِّمَةُ الفتح الذين لم يتربوا وقتاً كافياً في مدرسة النبوة ، والذين خرج كثير منهم طلباً للغنائم؟ كلا. إن غالب من ثبت هم أولئك الصفوة المؤمنة التي تلقت قدراً عظيماً من التربية على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم. لو لم تكن هناك تربية ترى هل كان سيثبت هؤلاء؟ ولا شك أنه كلما ازدادت الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم ، كان ثباته عليه أكبر. ولهذا وسائل منها: * استشعار أن الصراط المستقيم الذي تسلكه يا أخي ، ليس جديداً عليك ، ولا وليد قرنك وزمانك ، وإنما هو طريق عتيق (وعتيق هنا صفة مدح) قد سار فيه من قبلك الأنبياء والصديقون والعلماء والشهداء والصالحون ، فتزول غربتك ، وتتبدل وحشتك أنساً ، وكابتك فرحاً وسروراً لأنك تشعر بأن أولئك كلهم أخوة لك في الطريق والمنهج. * الشعور بالاصطفاء ، قال الله عز وجل: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ}. وقال: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}. وقال: {وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ}. وكما أن الله اصطفى الأنبياء ، فللصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء ، وهو ما ورثوه من علوم الأنبياء. ماذا يكون شعورك لو أن الله خلقك جماداً ، أو دابة ، أو كافراً ملحداً ، أو داعياً إلى بدعة ، أو فاسقاً ، أو مسلماً غير داعية لإسلامه ، أو داعية في طريق متعدد الأخطاء؟ ألا ترى أن شعورك باصطفاء الله لك ، وأن جعلك داعية من أهل السنة والجماعة ، من عوامل ثباتك على منهجك وطريق. والنفس إن لم تتحرك تأسن ، وإن لم تنطلق تتعفن ، ومن أعظم مجالات انطلاق النفس: الدعوة إلى الله ، فهي وظيفة الرسل ، ومخلصة النفس من العذاب ؛ فيها تتفجر الطاقات ، وتنجز المهمات {فَلَذِكْ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ}. وليس يصح شيء يقال فيه "فلان لا يتقدم ولا يتأخر" فإن النفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية ، والإيمان يزيد وينقص. والدعوة إلى المنهج الصحيح تكون ببذل الوقت وكذ الفكر ، وسعي الجسد ، وانطلاق اللسان بحيث تصبح الدعوة هم المسلم وشغله الشاغل ، وإن هذا كله يقطع الطريق على محاولات الشيطان بالإضلال والفتنة ، زد على ذلك ما يحدث في

نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق ، والمعاندين وأهل الباطل ، وهو يسير في مشواره الدعوي ، فيرتقي إيمانه ، وتقوى أركانه. فتكون الدعوة بالإضافة لما فيها من الأجر العظيم وسيلة من وسائل الثبات ، والحماية من التراجع والتردي والتقهقر ، لأن الذي يُهاجم لا يحتاج للدفاع ، إذ هو قد تخطى هذه المرحلة ، والله مع الدعاة يثبتهم ويسدد خطاهم! والداعية كالطبيب يحارب المرض بخبرته وعلمه ، وبمحاربه في الآخرين فهو أبعد من غيره عن الوقوع فيه. وتجب لذلك ملازمة أهل الحق والخير ، تلك الطائفة التي من صفاتها ما أخبرنا به عليه الصلاة والسلام: «إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر». (حسن رواه ابن ماجة عن أنس مرفوعاً وابن أبي عاصم في كتاب السنة 127/1 وانظر السلسلة الصحيحة 1332). فالبحث عن العلماء والصالحين والدعاة المؤمنين ، والالتفاف حولهم معين كبير على الثبات. وقد حدثت في التاريخ الإسلامي فتن ثبت الله فيها المسلمين برجال. ومن ذلك: ما قاله علي بن المديني رحمه الله تعالى: "أعز الله الدين بالصدق يوم الردة ، وبأحمد يوم المحنة". وتأمل ما قاله ابن القيم رحمه الله عن دور شيخه شيخ الإسلام في التثبيت: "وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساعت بنا الظنون ، وضافت بنا الأرض أتيناها ، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا ، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة ، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، وآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها". (الوابل الصيب ص 97). وهنا تبرز الأخوة الإسلامية كمصدر أساسي للتثبيت ، فإخوانك الصالحون والقديوات والمربون هم العون لك في الطريق ، والركن الشديد الذي تأوي إليه ، فيثبتونك بما معهم من آيات الله والحكمة. الزمهم وعش في أكنافهم ، وإياك والوحدة فتتخطفك الشياطين ، فإنما يأكل الذنب من الغنم القاصية. ونحن على هذا الطريق نحتاج إلى الثبات كثيراً عند تأخر النصر ، حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها ، قال تعالى: {وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَل مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَعُفُوا ، وَمَا اسْتَكْبَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ. وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثبت أصحابه المعذبين أخبرهم بأن المستقبل للإسلام في أوقات التعذيب والمحن! فماذا قال؟ جاء في حديث خباب مرفوعاً عند البخاري: «وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذنب على غنمه». (رواه البخاري). فعرض أحاديث البشارة بأن المستقبل للإسلام على الناشئة مهم في تربيتهم على الثبات). هـ. وأشكر للشيخ الأستاذ العلامة محمد المنجد ما نفحنا به من الدرر التي لا غنى لمسلم مؤمن موحد قانت عنها! والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. والله الفضل والمنة. فليكن معلوماً أن التضييق أو ما يسمى - في لغة المتجبرين الطغاة - تجفيف المنابع لا أساس له من الصحة ولا رصيد له من الواقع! ذلك أن الفكرة أو المذهب لا يقاومه إلا فكرة مماثلة أو مذهب مناظر! ومن هنا فباستقراء التاريخ ندرك أن دين الإسلام يتناسب مع الفتن والضربات الموجعة تناسباً عكسياً! فكلما اشتدت المحن وقويت الضربات الموجعة ، كلما ازداد ذلك الدين صلابة وقوة! ذلك أنه دين الله وليس أغير من الله على دينه وأوليائه الذين اتبعوا منهاجه! والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً!

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونؤمن به إيمان الواثق به وبقدره ، ونتوب إليه توبة نصوحا ، ليس بعدها عودة إلى المعاصي أبدا ، ونتوكل عليه ، ونرجو رحمته عز وجل ، ونخشى عذابه ، إن عذابه الجد بالكفار ملحق. ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، ومن يُهِنُ الله فما له من مُكْرَم ، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ، كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون. الحمد لله بجميع محامده كلها! ما علمنا منها وما لم نعلم ، نحمده على جميع نعمه وآلائه كلها ، ما علمنا منها وما لم نعلم ، يا ربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ربنا ، سبحانك لا نحصي ثناء عليك: أنت كما أثنيت على نفسك ، يا ربنا لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضا ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنبيون حق ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمتُ وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي ، لا إله إلا أنت. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمتُ نفسي واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعا ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك والخيرُ كله في يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك. اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون: اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. أحمدهم ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شئ بعد ، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ، وأشهد أن لا إله الا الله ، وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، لا شئ قبله ولا شئ بعده. خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، يخرج الحي من الميت ، ويُخرج الميت من الحي ، ويُحيي الأرض بعد موتها ، ويرزق من يشاء بغير حساب ، لا شئ مثله ، ولا شئ قط يعجزه ، ولا إله غيره ، أوّل بلا ابتداء ، وآخر بلا انتهاء ، لا يقنى ولا يبئد ، ولا يكون إلا ما يريد ، لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام ولا يشبه الأنام ، حيّ لا يموت ، قيوم لا ينام. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه من خلقه وحبيبه ، خير نبي أرسله. أرسله الله إلى العالمين كافة ، هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، نشهد أنه بلغ رسالة ربه كاملة على خير وجه ، وأدى الأمانة بغير نقصان ، ونصح الأمة ، ومحا الظلمة على خير وجه يكون ، وأزال الله به الغمة ، وأخرج الناس بإذن ربه – تبارك وتعالى – من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور المثل والنحل والأديان إلى عدل وسماحة الاسلام ، ومن عبودية العباد إلى عبادة رب العباد تبارك وتعالى. فجزاه الله عنا خير ما يُجزى به نبي عن أمته ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد

وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين – أما بعد فالحقيقة التي ينبغي أن نسجلها هنا حول ديوان: (منار الخير) تبدأ من إعجابي باللغة العربية التي شغفت بحبي لها وتلقي بها صغيراً! وازداد ذلك الحب وذلك الشغف على الأيام! وكان حُلماً كبيراً أن أكتب ديواناً شعرياً أهديه للغة العربية ولمن يقوم على شأنها ويهتم بها! والطموحات والله أكبر بكثير من العمر! ويطاردني شعور دائم بأن العمر سينقضي ، وستعود روعي إلى خالقها ، وأنا لم أنجز الشئ الكثير من الطموحات والتطلعات والآمال! وذات يوم سوف يقرأ هذا النص عني ابن أو ابنة أو حفيد أو محب ، وساعتئذ سيدركون جميعاً ما أريد تسجيله اليوم من النصيحة الغالية التي تحث على إدراك قيمة الوقت! وتحت عنوان: (قيمة الوقت وواجب المسلم نحوه) يقول الأستاذ عادل عبد الله هندي ما نصه بتصريف يسير: (إن الزمن الذي نعيش زمن فرط فيه العقلاء في أوقاتهم ، وضيق كثير من شبابنا أعمارهم في لا شيء ، سوى الشهوات والنزوات والمُلذّات ، مع أنّ الوقت كان ولا يزال عاملاً رئيسياً في تقدّم الأمم ؛ لا سيّما في حياة الأمم التي اتخذت لها شعار: «الوقت هو الحياة». الوقت هو الحياة ، وأوقاتنا هي رأس مالنا في هذه الدنيا ، ومن فرط في وقته وعمره فقد فرط في خير كبير ، والحقيقة أنّ أيام الله تعالى تتسارع ، والأزمة تتلاحق ، فبينما كان الصالحون يتنادون: «هيا بنا نؤمن ساعة» ، نجد في زماننا وفي أغلب أوقاتنا هذه ، نجد من شياطين الإنس من يقول لصاحبه: «هيا بنا نُضَيِّع ساعة». ويتدارك الزمان عقب الزمان ، وتتسابق الأيام تلو الأيام! وتلك سنة الله في كونه ، أنّ أيام العمر تمضي سريعاً ، وقد صرنا أقرب ما يكون إلى قيام الساعة ، لا سيّما وقد أخبر المصطفى الحبيب - صلى الله عليه وسلم - بأنّ من علامات الساعة تسارع الزمان ، نسأل الله حسن الخاتمة. وقد تنوع الناس في التعامل مع الزمان ؛ فمن الناس يضيع عمره في البحث عن شهوة زائلة فانية ، ومن الناس من يضيع عمره ووقته في مجالس اللعب والهو والغيبة والنميمة ، ومن الناس من يعرف قيمة وقته فحدّد هدفه ، وقام يبذل في وقته كل ما يستطيع من عمل يحقق له هدفه ، ولو كان هدفاً دنيوياً كرجال الأعمال والتجارة! وأيضا أعداء الإسلام من الذين يدركون قيمة الوقت منهم ، فقد قاموا يحاربون الإسلام ، ويتقدمون بعلومهم لإظهار عزتهم على عزة المسلمين ، وصنف آخر يعرف قيمة الوقت فقام يعمل عملاً صالحاً يلقي الله به يوم القيامة. ولقد اهتم الإسلام بالوقت وبيّن أهميته ، وذلك من خلال آيات من القرآن وأحاديث من السنة ، كما جاءت كثير من العبادات لتنظيم وقت المسلم ، وذلك على النحو التالي: * أولاً: الوقت نعمة من نعم الله على عباده ، يقول الله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ) ، ويقول أكرم الأكرمين: (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) ، ويروي لنا البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله: «نِعْمَتَانِ مَغْبُوتٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» ، فالخاسر في وقته إنما هو مغبون كالذي يبيع سلعته بأقل مما تستحق ، أو يشتريها بأكثر مما تستحق. وليس يتحسر أهل الجنة على شيء ، إلا على ساعة مرّت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها. * ثانياً: القسم بالوقت في القرآن الكريم ، والعظيم إذا أقسم بشيء ، دلّ على عظمته وضرورة العناية به ، قال تعالى: (والفجر) ، وقال أيضاً: (والعصر) ، وقال بعض العلماء: في إقسامه - سبحانه - بالعصر تنبيه لعباده المؤمنين على المحافظة على الوقت ، وأن نصيبك أيها الإنسان من هذه الحياة هو هذا الوقت وهذا الزمن ، فتشغله بهذه الأربع ، وإلا كنت من الخاسرين ، وأقسم سبحانه بالليل والنهار فقال: (والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلّى) ، وقال عز وجل: (والضحى ، والليل إذا سجى). هذا هو الزمن ، وهذا هو الوقت! في كل جزء من أجزائه ، وفي كل ساعة من ساعاته ، وفي كل لحظة من لحظاته ، فيه وظيفة عبادة يتعبد الناس فيها إلى الله جل وعلا ، فمنها وظيفة يجتمع الناس فيها ، ومنها وظيفة تختلف بحسب قدرات الناس

ومنازلهم ودرجاتهم وعلمهم ومكانتهم. * ثالثاً: الوقت له صفاته وسماته ، والتي منها: أنه ينقضي سريعاً ولا يعود إذا ذهب ، كما أنه لا يباع ولا يشتري ، وهو أنفس ما يملكه الإنسان ، وهو سكن الإنسان في نومه ويقظته. ولذا ينبغي الاهتمام بشأنه ، وعدم التراخي في استغلاله. * رابعاً: من أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة ، قال صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ...» [رواه الترمذي في سننه ، بإسناد حسن صحيح]. * خامساً: التأكيد على ضرورة اغتنام الوقت قبل فواته ، قال عليه الصلاة والسلام: «اعْتَنِمُ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ، وقال عنه: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَأَمَّ يُخْرَجَاهُ». * سادساً: الدعوة إلى المبادرة الدائمة في استغلال الأوقات والأعمار ؛ ولقد أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالمبادرة إلى الأعمال قبل حلول العواقب ، قال صلى الله عليه وسلم: «بادرُوا بالأعمال سبعا ، هل تنتظرون إلا غنى مطغياً ، أو فقراً منسياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرمًا مفندا ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة ، فالساعة أدهى وأمر»..... وقد قيل لملك زال عنه ملكه يوماً: ما الذي سلبك ملكك؟ فردّ قائلاً: تأخيري عمل اليوم إلى الغد. وتلك حكمة كنا نراها قديماً ونحن صغار على الكراسات: "لا توجّل عمل اليوم إلى الغد". وقد أدركنا قيمتها في الكبر مع تقدم العمر! وعالم مجتهد هو ابن عقيل الحنبلي رحمه الله كان يقول: أنا أحب سف الكعك على أكل الخبز ؛ لأن سف الكعك لا يأخذ وقتاً ، وأكل الخبز أنتظر حتى أقطع وأغمس وغير ذلك فنذهب الأعمار في الأكل. وابن عقيل يقول عنه الذهبي: إنه استطاع أن يؤلف أكبر مصنف في الدنيا ، وهو كتاب (الفنون) ، أي: فنون اللغة ، وفنون التفسير ، وفنون المناظرات ، وفنون الكلام ، وفنون الفلسفة وغير ذلك ، فكل العلوم التي تتخيلها في كتاب الفنون ، فهو (800) مجلد ،... وكان ابن عقيل رحمه الله يقول: إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري. وانظر إلى نظرته إلى الوقت ، فالقضية عنده ليست قضية فضل ، فهو يرى أن تضييع الوقت حرام ، يقول: إنه لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة ، وبصري عن مطالعة ، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح على السرير ، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في الثمانين أشد مما كنت أجد وأنا في العشرين. إننا بحاجة ماسة إلى أن يتعلّم شبابنا وفتياتنا كيف يديرون أوقاتهم ، وكيف يستغلون كل لحظة في خدمة أهداف دينهم وأهداف دنياهم ، بما يخدم الأمة المسلمة ، ينبغي أن نربيهم على الهمة العالية ، والصحة النقية ، ومرافقة الصالحين إن لم يكن باللقيا ، فبالقراءة في سيرهم ، والتعلّم منهم). هـ. وعن قيمة الوقت بين الواقع المعاش والمأمول المنتظر يقول الدكتور خالد بدير ما نصه: (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُوتٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ). [البخاري] ومعنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) أَي أَنَّ الَّذِي يُوفَّقُ لِنَدْوَى قَلِيلٍ! فَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ صَحِيحاً ، وَلَا يَكُونُ مَتَفَرِّغاً لِشُغْلِهِ بِالْمَعَاشِ ، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَعْنِيّاً ، وَلَا يَكُونُ صَحِيحاً! فَإِذَا اجْتَمَعَا - الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ - فَغَلَبَ عَلَى الْإِنْسَانِ الْكَسَلُ عَنِ الطَّاعَةِ فَهُوَ الْمَغْبُوتُ ، وَالْغَيْبُ أَنَّ تَشْتَرِي بِأَضْعَافِ الثَّمَنِ ، وَأَنْ تَبِيعَ بِأَقَلِّ مِنْ ثَمَنِ الْمِثْلِ. فالحديث يشير إلى أهمية الوقت في حياة المسلم ؛ لذلك فلا بد من الحفاظ عليه وعدم تضييعه في أعمال قد تجلب لنا الشر وتبعدنا عن طريق الخير فالوقت يمضي ولا يعود مرة أخرى. إن الإنسان إذا عرف قيمة شيء ما وأهميته حرص عليه وعزّ عليه ضياعه وفواته ، وهذا شيء بديهي للغاية ، فالمسلم إذا أدرك قيمة وقته وأهميته ، كان أكثر حرصاً على حفظه واغتنامه فيما يقربه من ربه ، وها هو الإمام ابن القيم رحمه الله يبين هذه الحقيقة بقوله: (وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة ، وهو مادة

حياته الأبدية في النعيم المقيم ، ومادة معيشتة الضنك في العذاب الأليم ، وهو يمر مرَّ السحاب ، فمن كان وقته لله وبالله فهو حياته وعمره ، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته... فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأمانى الباطلة وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة ، فموت هذا خير من حياته). ويقول ابن الجوزي: (ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة في غير قرينة ، ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل ، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل). هـ. قال الحسن البصري: (يا ابن آدم ، إنما أنت أيام ، إذا ذهب يوم ذهب بعضك). وقال: (يا ابن آدم نهارك ضيفك فأحسن إليه ، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك ، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك ، وكذلك ليلتك). وقال: (الدنيا ثلاثة أيام: أما أمس فقد ذهب بما فيه ، وأما غداً فلعلك لا تدركه ، وأما اليوم فلك فاعمل فيه). لذلك كانوا لا يندمون إلا على فوات الوقت الذي لم يرفعهم درجة ، قال ابن مسعود: (ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلي ، ولم يزد فيه عملي). وقال ابن القيم: (إضاعة الوقت أشد من الموت ؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها). وقال السري بن المفلس: (إن اغتمت بما ينقص من مالك ، فابك على ما ينقص من عمرك). وإيماننا مني بما نصحننا به علماؤنا الأجلاء وسلفنا الأعراف ، رحمتُ أضرب على ذات الوتر ، فمضيت أغتمت العمر والوقت ، وأحقق فيه ولو بعض ما أصبو إليه وأتطلع! ومن هنا رحمت أحرص كل الحرص على كل ثانية من حياتي! فكان العنوان: (منار الخير) هو الرمز الذي يضمن ما أريد سرده هنا! حيث إن (منار الخير) الذي أعني هو جمعية حماية اللغة العربية التي شرفنا بالذود عن العربية لسان الضاد من خلالها وتحت قبعتها هنا في القصباء في دار غربتي! واعتبرتها (منار خير) لأن رسالتها رسالة عظيمة إذ تعنى باللغة العربية الحبيبة ، في زمان تتعرض فيه العربية للهجمات التغريبية الشرسة التي يطمح أصحابها إلى محو العربية من الوجود! والله أسأل أن يخيب مسعاهم! كما أسأله أن يقيض للسان الضاد اللغة العربية من يقوم على نشرها وتنقيتها وبسطها في الأرض بين الناس! وإذن فلا يتبادر إلى الأذهان الربط بين ديواننا الموسوم بـ (عزة الخير) وهو الجزء السادس عشر من ديوان: (السليمانيات) أو (الأعمال الكاملة) ، وبين ديواننا الموسوم بـ (منار الخير) وهو الجزء السابع عشر من ديوان: (السليمانيات)! وإنما (منار) التي أعني مستمدة من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - (لعن الله من غير منار الأرض)! والمنار هنا هو المعلم والحد! وأطلقت على جمعية حماية اللغة العربية ، لأنها تعنى باللغة العربية نشرها وحماية وبيانا ، فاستحقت كلمة: (منار)! واعتبرتها منار خير لأنها تهدف إلى حماية لغة الضاد ، التي نيل منها كثيراً في زماننا! وأكاد أجزم بأننا لم نشهد زماناً نيل من لغة الضاد فيه ، كالزمان الذي نعيش! ومن هنا فليست (منار) فتاة أحببتها ولا امرأة تولهت بها! إن المرأة التي أحببتها وتولتهت بها تزوجتها على كتاب الله وسنة رسوله! وكننتُ قد خصصتها بديوان كامل يحمل اسمها: (عزة) ، وأعني عزة بنت مصطفى بن رزق! كما خصصتها بقصائد شتى في الدواوين الأخرى! فلماذا (منار)? وإن عشق البنات والتوله بهن ومغازلتهن واللعب بهن لم أمارسه وأنا ابن أربعة عشر ، فهل أمارسه اليوم بعد سن الأربعين؟! وهذا الأمر قد علم عني ، وعرفه القاصي والداني! والراسخون في معرفتي يدركون أنني فعلاً كذلك! وهذا من فضل الله علي وعلى الناس! فله الفضل والمنة وله الثناء الجميل الحسن!

افتتاحية

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وبعد. فيعلم الله مدى الإخلاص الذي اصطبغت به قصائد هذا الديوان ومقدار الجهد الذي بذل فيه! وذلك إيماناً مني بأن الإخلاص هو الأكسير الذي يعطي لكل قول أو عمل حياته! والإخلاص مطلوب فيما يلتزمه الإنسان من الأعمال ، فهو مطلوب من العامل ، ومن المستشار والمؤتمن والموظف ، ومن المعلم والمتعلم! وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ما يترتب على طلب العلم والإخلاص فيه من النتائج الحميدة ، وما يترتب على فقده من العواقب الوخيمة بقوله صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة". رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. وروى عنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها ، فقال: "ما عملت فيها؟" قال: "قاتلت فيك حتى استشهدت" ، قال: "كذبت ؛ ولكنك قاتلت ليقال: جريء ، فقد قيل" ، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقى في النار! ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها فقال: "ما علمت؟" قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن فيك" قال: "كذبت ؛ ولكنك تعلمت ليقال: عالم وقرأت ليقال: قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسُحب وجهه حتى ألقى على النار" الحديث. ويروى أن معاوية رضي الله عنه لما بلغه هذا الحديث بكى حتى أغمى عليه ، فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله ؛ قال الله عز وجل: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} ، ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: "لا تعلموا العلم لثلاث ؛ لتماروا به السفهاء ، ولتجادلوا به الفقهاء ، أو لتصرفوا وجهة الناس إليكم ، وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله فإنه يبقى ويذهب ما سواه". والحقيقة أن الإخلاص ما كان في شئ أو عمل إلا باركه الله - سبحانه وتعالى - ، وما نزع من شئ أو عمل إلا ونزعت البركة منه! ولما كان الإخلاص بهذه المنزلة التي تقدم وصفها جاء الشرع المطهر في الحث عليه والترغيب فيه وبيان فضله في آيات كثيرة وأحاديث عديدة ، نذكر بعضها على سبيل التمثيل. فمنه قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ} ، وقوله: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنْفَاءً} ، وقوله: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ} الآية.. وقوله: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ} ، وقوله: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} ، وقوله: {قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي}. ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله لأصحابه في غزوة تبوك: "إن بالمدينة رجالاً ما سرتهم سيراً ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض" وفي رواية: "الإل شاركوكم في الأجر". متفق عليه واللفظ لمسلم ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك". متفق عليه. ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم". رواه مسلم ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله". جواباً لمن سأله عن رجل يقاتل شجاعة ويقاقل حمية ويقاقل رياء أي ذلك في سبيل الله ، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يكتسبه الإنسان في الدنيا بسبب الإخلاص إلى جانب ما أعده الله له في الآخرة من ثوبة بما ذكره صلى الله عليه وسلم من قصة الثلاثة الذين أوا إلى غار للمبيت فيه ، فاندحرت صخرة وسدت عليهم باب الغار ، ففرج الله عنهم ذلك بسبب إخلاصهم الأعمال الصالحة له سبحانه وتعالى. والشعر قولاً

وعملاً لا بد فيه من الإخلاص: لأن الكلمة إن خرجت من القلب فللقلوب تصل! ويقول الأستاذ سعد بن ضيدان السبيعي في مقالة له بعنوان: (الشعر ما له وما عليه) ما نصه: (فالشعر له عند العرب عظيم الموقع ، قال الأول منهم: (وجرح اللسان كجرح اليد). ويقال: الشعر ديوان العرب! وقد استمع الرسول - صلى الله عليه وسلم - الشعر! ففي صحيح مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: أردفت رسول الله يوماً ، فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت: نعم. قال: هيه! فأنشدته بيتاً فقال: هيه! ثم أنشدته بيتاً فقال: هيه! حتى أنشدته مائة بيت. قال الإمام القرطبي في أحكام القرآن: (وفي هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها ، إذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعاً وطبعاً ، وإنما استكثر النبي - صلى الله عليه وسلم - من شعر أمية ، لأنه كان حكيماً). وفي صحيح البخاري عن أبي بن كعب قال: (إن من الشعر حكمة). قال ابن مفلح في الآداب الشرعية: (هي هذه المواعظ والأمثال التي يتعظ بها الناس). وقد نص الإمام النووي رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم على جواز إنشاد الشعر الذي لا فحش فيه وسماعه ، شعر الجاهلية وغيره. بل قال ابن قدامة في المغني: (وليس في إباحتها الشعر خلاف ، وقد قاله الصحابة والعلماء ، والحاجة تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية ، والاستشهاد به في التفسير ، وتعرف معاني كلام الله تعالى ، وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ويستدل به أيضاً على النسب والتاريخ ، وأيام العرب). ومن المقرر لدى أهل العلم أن الشعر كالكلام ، حسنه حسن ، وقبيحه قبيح. فهو لا يُكره لذاته ، وإنما لما يتضمنه من معاني سامية حميدة فيكون مليحاً ، أو معاني سيئة قبيحة فيكون مرفوضاً مردولاً. أخرج البخاري في الأدب المفرد ، والدارقطني والطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً بلفظ: (الشعر بمنزلة الكلام ، فحسنة كحسن الكلام ، وقبيحة كقبيح الكلام) وسنده ضعيف. وقد صح من كلام عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: الشعر منه حسن ومنه قبيح ، خذ بالحسن ودع القبيح! ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعاراً منها القصيدة فيها أربعون بيتاً ودون ذلك. رواه البخاري في الأدب المفرد وسنده حسن. ونقل البيهقي في السنن الكبرى عن الشافعي رحمه الله قال: (الشعر كلام ، حسنه كحسن الكلام ، وقبيحه كقبيح الكلام! غير أنه كلام باق سائر فذلك فضله على الكلام). قال الإمام ابن عبد البر في التمهيد: (ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولي النهى ، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة ، إلا وقد قال الشعر أو تمثل به أو سمعه ، فرضي ما كان حكمة أو مباحاً ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى ، فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله). وقال ابن قدامة في المغني: (والشعر كالكلام ، حسنه كحسنة ، وقبيحه كقبيحه). وقال الإمام الذهبي في مسائل في طلب العلم وأقسامه: (الشعر كلام كالكلام ، فحسنة حسن ، وقبيحه قبيح ، والتوسع منه مباح إلا التوسع في حفظ مثل شعر أبي نواس وابن الحجاج وابن الفارض ، فإنه قال في مثله نبيك: (لأن يمتليء جوف أحدكم قبحاً حتى يريه خير له من أن يمتليء شعراً). وقال الشنقيطي في أضواء البيان: (واعلم أن التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه أن الشعر كلام ، حسنه حسن ، وقبيحه قبيح).هـ. وإذا كان ذلك كذلك ، فلقد حرصت في كل شعري على أن يوافق كتاب الله وسنة رسوله! وأبرأ من كل فكرة شعرية أو قصيدة احتوت باطلاً أو اشتملت على منكر القول وزوره! وأشير إلى أن كل خير في شعري فمن الله وحده! وكل شر وسوء وانحراف فمن نفسي وهواي وشيطاني! وأستودع الله تعالى نفسي وزوجي وولدي ومالي وشعري! فالله تعالى لا تضيع عنده الودائع!

مرارة الحقد

(لا يزال الحقد يعتمل في قلب الحقود. حتى يحترق ذلك القلب. فإذا بالحقود نار تحرق نفسها وجمرة في الدروب تلتهب لا يشعر بما نقول إلا رجل يراقب الحقود عن قرب. وفي الختام يدفع ثمن أحقاده ضياعاً! ولم يجن الحاقدون شيئاً من حقدهم سوى المرارة والحسرة! قال جبران خليل جبران: (ما أنبل القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه من أن ينشد أغنية مع القلوب الفرحة). وقال علي الطنطاوي: (فكرتُ فيما كُنْتُ أكابد من ألم الطاعة فإذا الألم قد ذهب ، وبقي الثواب! ونظرت فيما استمتعتُ به من لذّة المعصية فإذا هي قد ذهبت ، وبقي الحساب! فندمت على كل لحظة لم أجعلها طاعة). وقال آرثر شوبنهاور: (التضحية باللذّة في سبيل تجنب الألم مكسب واضح). وقال مصطفى محمود: (الرحمة أعمق مدى من الحب وأصفى وأظهر منه ، ففيها الحب ، وفيها التضحية ، وفيها إنكار الذات ، وفيها التسامح ، وفيها العطف وفيها العفو ، وفيها الكرم ، وكلنا قادرين على الحب بحكم الجبلة البشرية! وقليل منا هم القادرون على الرحمة). وقالت هيلين كيلر: (كثير من الناس لديهم فكرة خاطئة عن السعادة. لن تتحقق من خلال تلبية الرغبات ، ولكن بالتضحية من أجل هدف نبيل) ونعود للحقد وأثره في صاحبه!).

إطالة الحقد أدمت قلب صاحبها وعصبة الغل أعييت روح عائبها
فالحقد محرقّة ، والغل ملهبة والعين بعد فهذي حتف صائبها
أما الحقود ، فنار الحقد تأكله كذا الضغائن أشواك لراغبها
والحقد كأس الردى ، والخير ما حقه والدرّب مفعمة بشرى لصاحبها!
عائت حقد الورى ، حتى اكتويت به وحرقّة الحقد نيران صليت بها
إن الحقود وإن تلقاه ذا فرح يوماً سيندم إذ ما كان منتبها
فيم التباغض في الدنيا وزخرفها والمرء يوماً سيؤوى في خرابها؟
يا حاقداً ناره أعمت بصيرته وبعد قد قرحت أجفان ملهبا
أنت الضحية في أعماق جمرتها هم في الذرى ، ولكم بلوى زرائبها

جريدة الوحدة العربية: (7034) 18 من شعبان 1416هـ. والموافق 9 من يناير 1996م.

اللات والعزى

(كثيرون اليوم الذين يعتقدون أن الصنم هو قطعة الصخر أو المعدن أو التمر التي كانت تعبد قديماً ، ومادامت هذه الصورة الساذجة للأصنام قد ذهبت فتكون الأصنام قد ذهبت. والحقيقة أن الصنم هو كل ما جذب الإنسان عن دينه سواء كان حجراً ، أو قيمةً ، أو مذهباً ، أو شخصاً ، أو شعاراً ، أو أرضاً ، أو فكرة أو معياراً ، أو هوى. في مقال له عن الأصنام يقول محمد بن إسماعيل المقدم ما نصه: (وإذا تأملنا في حال الشجرة التي يبيع تحتها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيعة الرضوان فهي شجرة - بلا شك - ذات بُعد تاريخي حقيقي ، لكن خاف عمر - رضي الله تعالى عنه - من أن تكون ذريعة إلى الشرك ، فاقتلعها من جذورها ، فكيف ببوذا المعبود من دون الله؟! فبعد أن كنا نرى الأصنام من ذهب فنهدمها ونهدم فوقها الكفار ، صرنا نرى الأصنام من حجر فنرفعها لنرضي بعدها الكفار! فليعلم بالضرورة أن الإسلام هو دين التوحيد ، وأنه عدو الأصنام ، فهذا معلوم في الدين بالضرورة ، يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ). وحينما نقول: (الإسلام) فلا نقصد رسالة النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - فحسب ، وإنما الإسلام الدين الوحيد الذي نزل من السماء على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ). جاء خاتم الرسل والنبیین صلى الله عليه وسلم فنشر الله به التوحيد ، وأعلى مناره ، ودك به حصون الشرك ومحي أثره. ثم إن الإسلام ازداد غربة يوماً بعد يوم إلى أن صارت قطعيات الدين وقطعيات التوحيد محل نقاش وسؤال عند كثير من الجهلة ، مصداق قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ). ونقول ما قاله بعض العلماء الأفاضل: لا يشك صبيان أهل التوحيد وأطفالهم في أن مثل هذا العمل من أعظم القربات وأجل الطاعات ، وهو ما بعثت له الأنبياء وأرسلت الرسل وما كنا نظن أن يأتي زمان نحتاج فيه إلى أن نثبت بالأدلة أن هدم الأوثان والأصنام وأوكار الشرك من أعظم واجبات الدين ، ولكننا في زمن أتى بالعجائب). هـ. جزى الله خيراً كثيراً الأستاذ محمد بن إسماعيل على هذا التحليل التاريخي المتتبع للأصنام والشرك وموقف الإسلام والمسلمين من ممارسات المشركين!). وطبعاً كان ذلك منه في معرض الدفاع عن المؤمنين الذين هدموا تمثال بوذا في أفغانستان.)

(اللات والعزى) على رأس الهدى و(مناة) ممدت بالمعاداة الیـدا

و(البعث) يأكل قوت كل معارض و(إساف) يشرب من دماء من اهتدى

و(يعبوب) توشح سيفه وهناك (ناناة) تزين المشهدا

وقريش في صلف الضلالة والفسو ق استعبدت (هبلأ) على طول المدى

والحب عاتٍ يا قريش ومُجهدٌ ومُكالفٌ ، والقلب يحددوه الردى
و(يغوثٌ) في جُرش وخلقٌ حوله و(يعوقٌ) في همدان ها هو قد بدا
و(سُواعٌ) فوق رُهاط مغمور الجوى وهناك (نسرٌ) عند حِمير قد غدا
وهناك (ذو الكعبات) في سِنَدادَ قد غشاه عطر الورد - دهرأ - والندى
أما الهُدى فضحية مظلومة هو ما تطاول لحظة ، هو ما اعتدى
وقريشُ تأكل بالداغاية قوتها في خسةٍ ، في الحق قربان الفدى
قد عادت الأصنام تجتاح الدنا وكذلك العباد تجتزر الهُدى
وعلى رعود الخير قومٌ كالدمى ما بين مفتون غدا متهودا
ومضيقٌ عمراً بكل نقيصةٍ وتراه في سواق الحياة مشردا
لكنما عمر الحياة دقيقة ودموع عينك لن تعيد (المسجدا)
تبكي عليه ولم تُصل ، ولم تصم وركعت للأصنام ، كنت المرشدا
وحثا الترابَ على جبين محمدٍ حنقاً (أبو لهب) ولم يك سيدا
ورجال (أحمد) سوف يُنصر جمعهم يوماً ويهزم ربك المتبدا
لكنها سُننُ المليك تحوظنا تمضي على قدر ، ولن تترددا

جريدة الوحدة العربية: (7014) في 22 من رجب 1416 هـ والموافق 14 من ديسمبر 1996م.

ليالي العاشقين

(أساء كثيرون الظن بهذه القصيدة. فظنوها تصف العاشقين على منهج الجاهلية المعاصرة. التي العشق عندها اصطيد أي امرأة تعن للصيد. يلهون بها كوجبة طعام بدراهم معدودة فقط ، ثم يمضى كل منهم لشأنه ، والأمر خلاف ذلك. إننى عندما نشرتها لأول مرة فى جريدة (الوحدة العربية) لمست ذلك الشئ عند بعض القراء خاصة ممن هم على هامش معرفتي فلا أنا بالذي أعرفهم جيداً ولا هم بالذين يعرفونني عن كتب. يقول الأستاذ يحيى بن موسى الزهراني متحدثاً عن الليل في التصور الإسلامي ما نصه: (إن ممن الله على عباده لا تحصى ، ونعمه عليهم لا تستقصى ، وإن من مننه وآياته ، ومن نعمه وأعطياته ، أن جعل النوم سباتاً للناس ، وجعله لهم خير سكنٍ ولباس. يقول الملك المنان ، في معرض الامتنان: وجعلنا نومكم سباتاً * وجعلنا الليل لباساً) ، ويقول في فضل الإنعام ، في سورة الأنعام: (وجعل الليل سكناً) ، ليل تهدأ به الأنفاس ، وتسكن فيه الأعضاء والحواس ، وتحصل فيه الراحة والإيناس ، جعل الله الليل برحمته وفضله وقت منام وهدوء عام! قال الله المتفضل ، في شأن التفضل: (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون). كان الليل في زمن مضى ، وذهب وانقضى ، ميدان سبق ، ومطية تنافس ومضمار صدق ، لا ترى فيه إلا مصلياً ، أو ساجداً أو باكياً ، أو مستغفراً أو داعياً ، وكان السلف رحمهم الله تعالى يرونه أعظم مطية ، إلى الجنة العلية ، أما اليوم فقد أصبح الليل وقتاً للتهريب ، وزماناً لفعل الفواحش والتخريب ، وحلبة لاقتراف الكبانر ، واقتراف الجرائم ، وتعدّ لحدود الله تعالى ، اليوم أضحى الليل لدى كثير من الناس ، لحظات طيش ، وظلال عيش ، وأصبح السهر اليوم في الأعم الأغلب منبعاً للعار ، وإيذاءً للجار ، صار السهر اليوم مجعماً للأخطار ، وطريقاً للمهالك والمضار ، ومسرحاً للأعمال الخبيثة ، والأفعال القبيحة ، والليالي الحمراء ، لأصحاب الوجوه الغبراء ، في الليل تعرض الأفلام الخليعة ، والبرامج المريعة ، والحركات الفظيعة ، مشحونة بخطوات الشيطان ونزغاته وأحلامه وترهاته ، مدفوعة بأفكاره وحزبه ، وأوهامه وجنده ، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) ، وقال تعالى: (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً * يدهم ويمنيهم وما يدهم الشيطان إلا غروراً * أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً) ، فالخير في شباب الأمة مأمول ، والبر في قلوبهم مأهول ، وهنا تبرز أهمية الدعوة والدعاة ، لانتشال بقايا الفطرة السليمة ، وإنقاذ ما تبقى من الكرامة والغيرة ، وهنا نحتاج إلى التربية الصحيحة السوية ، حتى يعود الناس إلى رشدهم ، ويراجعوا فطرتهم ودينهم ، قال تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ، نعم يا عباد الله ، إن حقيقة الفطرة أن تميل النفس إلى الحق ، ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها ، وعيب أعيبها ، قال - صلى الله عليه وسلم -: (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. أخرجه أبو داود وغيره). هـ. إن قصيدة (ليالي العاشقين) تصف ليل الصالحين وتحببه إلى النفوس. وتنهال على ليل الفاسقين بأسواطها ، وتقبحه لكل نفس تميل إليه. ألا وإن العشق الذي أعني هو عشق كل تكليف شرعى رباني نبوى حنيفي أمرنا به. وليس العشق قط عشق النساء أو الغلمان (معاذ الله). وليس عشق الله وعشق رسوله كما يذهب إلى ذلك أهل التصوف أو الروافض الخبيثاء. الله عز وجل يُحب ويَعبد ، ونبيه (صلى الله عليه وسلم) يحب ويطاع ويتبع ويتخذ قدوة. أما العشق فكلًا. الليل دليل الصالحين. يأنسون فيه بمناجاة ربهم. وغيرهم يجعل من الليل مستودعاً للشراب والضياع والابتذال ، فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون. تحول الليل من ليل العبادة والطاعة وقراءة القرآن والدعاء ، إلى ليل المجون والسفول والفسوق والانحطاط والتردي! ونسأل الله تعالى العافية والسلامة. وأظن الأمر الآن قد وضح من أننا نقصد ليل الصالحين وإحياءه بذكر الله والصلاة! ولسنا نقصد ليل الفاسدين الطالحين! الذين لا أقول

يحيون ليلهم بمعصية الله! بل يميّتون ليلهم بمعصية الله إن صح التعبير! إنني أتحدث عن عاشقي العبادة ومحبيها! ومن عشق العبادة لم يستثقل تكاليفها أبداً!

عَجَّتْ بِأَسْرَى الْهَوَى دَهْرًا وَبِالْهَمَلِ وَالْقَوْمِ فِي مَوْقِفٍ مُزْرٍ وَفِي سَفَلِ
لَا تَسْخَرِي مَنْ يِرَاعِي ، إِنْنِي أَرْقُ وَالنَّفْسِ فِي مَأْزِقِ عَاتٍ ، وَفِي خَجَلِ
كُلِّ انْطِلَاقِ تَهْمِ كَأَسْنٍ وَغَانِيَةِ وَالْعُمْرُ يَمْضِي ، وَلَيْلِ الْقَوْمِ فِي جَدَلِ
إِنَّ الشَّبَابَ الَّذِي أُوْدِعْتُمْ قَلْقًا وَكَيْفَ الْمَشِيبَ الَّذِي يَأْتِي عَلَى عَجَلٍ؟
هَذِهِ اللَّيَالِي حِيَاضٌ ذَاتُ مَطَهْرَةٍ بِالْأَمْسِ كَانَتْ لَكُمْ وَضَاحَةُ السَّبِيلِ
فَالْحَقُّ رَائِدُهَا ، وَالْخَيْرُ غَايَتُهَا وَالْعِلْمُ دِينُهَا الْمَتَّبِعُ وَالْعَمَلُ
وَاللَّيْلُ مَسْتَوْدَعٌ لِلْأَجْرِ ، فَانْتَبِهُوا لَا تَفْسُدُوا لِيَكُمُ بِالرَّاحِ وَالْخَطْلِ
مَنْ قَالَ: حُرٌّ أَنَا ، وَاللَّيْلُ مَلْحَمَتِي أَوْسَعَتْهُ بِالْهُدَى لَوْمَاءٌ وَبِالْمَثَلِ
الَّذِينَ يَا قَوْمَنَا خَيْرٌ لِمَا تَمَسُّ وَالسَّلَامُ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ دَرَبِ ذِي الْغَيْلِ
بِالَّذِينَ يَحْيَا الْوَرَى ، وَالْكَوْنُ فِي أَلْقِ وَالْعَشَقُ مُدْخَرٌ فِي الْقَلْبِ لِلْأَهْلِ
وَالْقَوْمِ قَدْ جَرَّبُوا كَأْسَاءً وَغَانِيَةَ لَمْ تَغْنَمْهُمْ هَذِهِ أَوْ تَلَكْ عَنْ زَلِّ
وَاللَّيْلُ لَوْ تَعَلَّمُوا يَرْنُو لَكُمْ عَجَلًا كَمَا تَمَلَّأُوا جَنْحَهُ بِالْجِدِّ لَا الْكَسْلِ

الوحدة العربية: (7006) 13 من رجب 1416هـ. 5 من ديسمبر 1995م.

حلاوة الصبر

(روى البخارى ومسلم من حديث أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى (رضى الله عنه): أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأعطاهم ، ثم سألوه ، فأعطاهم ، حتى نفذ ما عنده ، فقال لهم حين أنفق كل شئى بيده: (ما يكن عندي من خير ، فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خير وأوسع من الصبر) ، وروى مسلم من حديث أبي مالك الأشعري (رضى الله عنه): أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله تملآن (تملأ) ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها). وربما لو تعرفنا على معنى الصبر والتصبر والمصابرة في لغة العرب لأعانا ذلك على تصور حقيقته! وبمراجعة اللسان والمصباح والمختار توصلت إلى أن الصَّبْرُ نقيض الجَزَعِ ، من باب صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا فهو صَابِرٌ وَصَبَّارٌ وَصَبِيرٌ وَصَبُورٌ وَالْأُنثَى صَبُورٌ أَيْضًا بغير هاء وجمعه صُبْرٌ. وأصل الصَّبْرِ الحَبْسُ وكل من حَبَسَ شَيْئًا فقد صَبَرَهُ ، والصبر: حبس النفس عن الجزع. ومعنى الصبر اصطلاحاً : الصبر هو حبس النفس عن محارم الله ، وحبسها على فرائضه ، وحبسها عن التسخط والشكاية لأقدار . وقيل هو: (ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله إلهى الله .) وقيل الصبر: (حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع ، أو عما يقتضيان حبسها عنه! والفرق بين الصبر ، والتصبر ، والاصطبار ، والمصابرة ، والاحتمال يكون بحسب حال العبد في نفسه وحاله مع غيره :- فإن حبس نفسه ومنعها عن إجابة داعي ما لا يحسن ؛ إن كان خلقاً له وملكة سمي صبراً . وإن كان بتكلف وتمرن وتجرع لمرارته سمي تصبراً . كما يدل عليه هذا البناء لغةً ، فإنه موضوع للتكلف كالتحلم والتشجع والتكرم والتحمل ونحوها ، وإذا تكلفه العبد واستدعاه صار سجية له. كما في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (ومن يتصبر يصبره الله). وكذلك العبد يتكلف التعفف حتى يصير التعفف له سجية ، كذلك سائر الأخلاق . وأما الاصطبار فهو أبلغ من التصبر فإنه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب ، فالتصبر مبدأ الاصطبار ، كما أن التكسب مقدمة الاكتساب ، فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطباراً . وأما المصابرة فهي مقاومة الخصم في ميدان الصبر: فإنها مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين كالمشائمة والمضاربة ، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). فأمرهم بالصبر ، وهو حال الصابر في نفسه والمصابرة وهي حالة في الصبر مع خصمه والمرابطة ، وهي الثبات واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة ، فقد يصبر العبد ولا يصابر ، وقد يصابر ولا يرباط ، وقد يصبر ويصابر ويرباط من غير تعبد بالتقوى ، فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى ، وأن الفلاح موقوف عليها فقال: (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). وإذن فالكتابة عن الصبر: ذلك الخلق الجميل تبعث في النفس الطمانينة والأنس والبهجة. (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب!) هكذا أثنى الله تعالى على أيوب - عليه السلام - والذي ضرب به المثل في الصبر. وأصبح أيوب آية في الصبر. ويعجبني مثلٌ يجري على السنة العامة مجرى الهواء. ألا وهو: (الصبر مفتاح الفرج)! ودائماً أحتاج إليه كدواء لمعضلاتي وشكاتي. وذات يوم كانت هذه القصيدة! تلك التي جاءت لترجم خلجات مشاعرية ظلت تختلج في صدر صاحبها وتعمل في فؤاده ، وتناجي روحه ، وبياتت على الأوراق شعراً يترنم به! وكنا نستمع قول أهلينا ونحن صغار من أن الصبر مفتاح الفرج ، وأن للصبر حلاوة يستعذبها الصابرون! فلما كبرنا أدركنا أن الأهل كانوا على صواب! حيث يكاد الصبر يلتحق

بك طاعة لله تعالى! وأن الذي لا يصبر لا يصبره الله! وأن الصابرين يدركون بالصبر ما لا يدرك سواهم.)

الصبر مفتاح الفرج إذ فيه ينزاح الحرج

كم صابر في محنة في صبره تقضى الجوع!

فالصبر زين كل به بالصبر لن تلحق الخمج

ما إن تصبرت ارتقبت مخبوء غيب ينفرج

اسمع كلامي ، واصبر طبر فالصبر محمد الأرج

سدذوق قارب ، واغذ في وقت الضحى ، ثم الدلج

واصبر تنل أسامي الفنى فالصبر ميعاد الفرج

وامشى الهوينى ، لا تكن غرأ تمادى في العرج

واصبر على كيد الورى إن عن حق أو خمج

أو جن ليلى في الأذى أو كساد - للفسد - الهمج

أو طال - بالنفس - الأسى لا تنفع ل ، أو تنزعج

إن طال إظلام اللظى فالصبر فجر من بلج

حتى متى تبكي الجوى يا قلب في هذا العوج؟

واصبر ، وإن عز العزا لا تكترث ، أو ترتعج

والصبر فواح الشذى والصابر - بالشعر - اندمج

والشعر في عز العنا مثل التداوي بالحدج
الشعر ديو وأن الهوى فاكتب على بحر الهزج
هذي مفاعلين إن أكمل ، ولا تخش الثبيج
إن ثمار بيوت ، أو قلا أو ضج شطر من بعج
كانت قوافيك الدوا في عالم يهوى الخاج
فأهدأ ، وجانب ما ترى واحذر مغبات الهوج
واصبر ، وصابر ، واصطبر أنت المعاني للأبج
والحق عند الملتقى يجتأخ أصنام العوج
نفديه بالدينا ، وبالألأ موال ، حتى بالمهج
بالصبر ينزاح البلا! بالصبر ينفك الزعج
أنى لجمع ضائع في كل هزل قد ولج
أنى له من نصرة؟ يا قلب صه! لا تختلج
كم قلت للقلب: اصطبر فالصبر مفتاح الفرج!

الوحدة العربية: (6963). يوم 21 من جمادى الأولى 1416هـ. الموافق 5 / 10 / 1995م

الجفاف

(إن الجفاف الذي أعني هو نضوب الحياة من الخلان الذين كانوا يملأونها أيام اليسر والفرج. إن أصحاباً هذا شأنهم ، ليسوا يستحقون هذا الشرف العظيم ، ولكن يبقى الأُنس بهم على ما هم عليه شيئاً يصبو القلب إليه. ينشد فيهم الكمال يوماً ما ، والصاحب الحقيقي والصديق الحقيقي هو الذي يكون مع محبه وصديقه على الحاليتين (الحلوة والمرّة) ، كما قد سمعت غير مرة من العامة. وأسأل: هل العيب عيب هؤلاء الأصدقاء والأصحاب في تخليهم وخذلانهم المُقيت المستهجن؟ أم العيب عيبي أنا في الاختيار إذ لم أحسن اختيار أصحابي هؤلاء؟ والحق أنه قد يكون الاحتمال الثاني هو العيب. إنها حياة كئيبة تلك التي يحيها مخلوق صاحب مبادئ إن هو عدم الأحياب والخلان. وإنه الجفاف يأكل من سروره وحبوره يوماً بعد يوم. وعلى المرء ساعتها أن يقوم نفسه قبل أن ينظر إلى اعوجاج الآخرين وانحرافهم. قال الأستاذ أحمد المتوكل واصفاً شوق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أحبائه وشوقهم إليه ما نصه: (لقد أحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محبة زائدة عظيمة من استجاب لدعوته واتبع نهجه وصحبته في حياته ، وأحب إخوانه من أمته الذين يأتون من بعده واشتاق إليهم قبل أن يشتاقوا إليه ، وتمنى اللقاء بهم. ولقد شهد بفضل رسول الله - عليه الصلاة والسلام - كلُّ من رآه ممن لم تكن على عينيه غشاوة ، وأحبه كلُّ من عرف هديه وسنته وسيرته ، ممن لم يكن على قلبه كينٌ وأحبه أصحابه حباً جماً ، حتى إنهم كانوا لا يملُّون من مجالسته والتحدث معه والسماع منه والأخذ عنه والجهاد معه ، وكانوا إذا غابوا عنه قليلاً سرعان ما يحثُّون لرؤيته ويهرعون إلى النظر إلى وجهه الأنور الأغر ، ومحياه الأزهر ، ووجد من أمته من يجيء بعده بعدة قرون يؤمن به ويصدقه ولم يره ، ويسلم بكل ما جاء به ، ويهيج الشوق إلى رؤية وجهه الشريف ، والتمتع بطلعته البهية. والشوق في اللغة مأخوذ من ميل النفس إلى شئٍ بعينه! قال ابن منظور رحمه الله: الشوق والاشتياق نزاع النفس إلى الشيء ، والجمع أشواق. والشوق حركة الهوى. فالشوق إذن هو: التطلع إلى رؤية المحبوب إذا هاجت النفس إليه واستوحشته وتشوفت إليه ورغبت فيه بشدة. والقرن الفاضل من هذه الأمة هو قرن الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم. ويجيء من بعدهم سابقون مقربون ، وأولياء ربانيون ، وشهداء وصالحون ، وعلماء مربون ناصحون ، وقائمون لله بالقسط من خيار أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم - لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، رغم بُعد الزمان وطول العهد ، وهؤلاء حنَّ إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واشتاق لرؤيتهم واعتبرهم إخواناً له ، وتمنى اللقاء بهم ، وبشرهم بأنه سيسبقهم إلى حوضه وينتظرهم هناك ليسبقهم منه. وكان صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ذات يوم يزورون المقبرة فقال لهم: وددت أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟! قال: بل أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: رأيت لو أن رجلاً له خيل غرٌّ مُحَجَّلَةٌ بين ظهري خيل دهمٍ بهمٍ ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: فإنهم يأتون غرّاً مُحَجَّلِينَ من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض. ففي هذا الحديث المبشر أخبر الحبيب الأعظم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أن له في آخر الزمان إخواناً من بعده ، ليسوا أنبياء لأن النبوة به خُتِمَت ، وليس فيها نفي لأخوة الصحابة لرسول الله ، ولكن الرسول ذكَّر مرتبتهم الزائدة بالصحبة ، فهؤلاء إخوة صحابة ، والذين لم يأتوا بعد ، إخوة ليسوا بصحابة ، ولكن لهم فضل بما آمنوا به ولم يروه ، وبالتعلق القلبي والمحبة الخالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والافتداء الكامل ، والشوق الزائد المتوقع ، والإيمان المتجدد ، ولهم فضل بما صبروا على غربة الإسلام ، وعلى شدة وكيد أعداء الإسلام على أهل الإيمان. ناس أخيار يأتون من بعده صلى الله عليه وسلم ، أنزلهم منزلة الإخوان ، في مرتبة تحاذي مرتبة الصحابة وتقاربها ، هم ناس يحبون الله ورسوله المحبة المزوجة التي هي بمثابة الجناحين لمن

أَهْلَهُ اللهُ لِلتَّحْلِيْقِ فِي ذَلِكَ الْأَفْقِ). وَمِنْ هُنَا تَحَدَّثْتُ عَنْ اسْتِيَاقِ الْخَلِيْلِ لِخَلِيْلِهِ! وَالصَّحْبَةُ الْإِيْمَانِيَّةُ وَالْأَخُوَّةُ التَّوْحِيدِيَّةُ لَا تَعْدَلُ أَبْدَأُ! وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنْ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَسِعَ دَائِرَةُ الصَّحْبَةِ: رَبُّكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ!

أَيَّامُنْ شَاقَّةَ الْإِلْفِ قَلَاكَ الْكُلَّ ، لَا النَّصْفِ
وَرَا حَاتٍ رَفَقَةَ الْأَمْسِ وَضَاعَتْ رَقَّةَ الْحَرْفِ
وَطَالَتْ غَرِيْبَةَ الْيَوْمِ وَقَدْ أَلْقَيْتَ مِنْ جَرْفِ
وَذُو الْأَحْقَادِ فِي فَرْخٍ! حَلَالٌ لِلشَّامِتِ الْعَزْفِ
وَدَمَعُ الشُّهُمِ فِي الْكَرْبِ وَبِاتِ الْكَيْدِ فِي الرَّشْفِ
تَخْلَى صَاحِبُ الْعَهْدِ وَخَانِ الصَّحْبَةِ الْإِلْفِ
وَكَمْ حَقَّقَتْ مِنْ كَمْ! وَلَمَّا تَعْرِفَ الْكَيْفِ!
فَضَاعَ الْكَيْفُ وَالْكَفُّ فَلَا تَكْثُرْ مِنْ الْأَفِ!
وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي الْأَمْرِ لَمَّا أَضْجَرْتَ بِالْقَصْفِ
وَمَا عَوْقِبَتْ بِاللُّومِ وَلَا أَهْمَتْ بِالْقَذْفِ
وَلَا أَوْذِيَتْ فِي دَارِ وَلَمْ يَسْقُطْ لَكُمْ سَقْفِ
وَمَا أَضْرَاكَ مِنْ ظَلَمٍ وَلَا عَانِيَتْ مِنْ حَيْفِ
وَلَكِنْ عَشَتْ فِي هَزْنِ خَرَقَتْ هَيْدِي وَالْعَرْفِ
وَتَأْتِي تَرْجِرُ الصَّحْبِ وَتَشْكُو الْعَطْفِ وَالصَّرْفِ

ولم يصـدقك مـن خـلـ وصار الوعد في خالف
وهذا عندهم طبع وكما ان الأمر ركـ الظرف
وما في الأمر من هزلـ ولكن كما هـ حتـ فـ
علائقـ بالهوى - الكيـذـ وأودى - بالهنا - الخسـفـ
وأمسى الخـذلـ في صـفـ وبئس الجمع مـن صـفـ!
شـيـاطينٌ تـلـيـ الـنـفـسـ وكـلـ يـحـمـلـ السـيـفـ
ودقـوا سـدة البيـتـ وبئس القـوم مـن ضـيـفـ!
وقد كانوا لنا الأهلـ وكانوا مثلما الطيفـ
وصاروا مشـفر الغـبـنـ وباتوا مـورد الضـعـفـ
ولا حـسـنى ، ولا حـسـنـ ولا تقـوى ، ولا عطـفـ
ولا حـسـبـان للـمـوتـ ولا عـتـبـى ، ولا خـوفـ
ولا رـجـعـى عـن الهـزلـ ولا مـعـنى ، ولا لـطـفـ
بأيـديهم تـرى الـرمـحـ وربـي يـحصـذ الكـفـ
حليـفـ يـزرع الشـوكـ وجـاف يـقطـع السـعـفـ
وثـان يـقتـل الطـفـلـ وجـان يـرقـ الكـهـفـ

وبـاغِ يَبْقَى رُ اللّـيـلِ نْ وعـادِ يَخْمِ شُ النـزْفِ
 إلـى أنْ غـادرَ العـمـرُ ومـاءَ العـيـشِ قـدْ جـفِ
 وغـابَ الخـالُ والعـمُّ وعقـلُ المـرءِ قـدْ جـفِ
 وبـومِ الغـابِ فـي البـيـتِ وطـيـرُ الرـوهمِ قـدْ دـفِ
 وأعـداً تـلـى الجـؤ: عـدوّ يـضـربُ الـذُفِ
 وثـانَ يـكـشـفُ السـرُّ ويؤذـمـي جـفـه الطـرْفِ
 وطـاغِ يهـتـكُ السـتـرُ ألقـوتـا تـمـن خـا ف!
 وغـالَ يـذبحُ الفـجـرُ وقـد أودى بـه الطـرْفِ
 وسـاحاتٌ بـهـا الجـورُ مـن الأـعـداءِ بـالألفِ
 إلـى أنْ أهـدرَ الحـقُّ وصـاغَ الغـدرُ قـدْ طـفِ
 وبـاتِ الغـرُ فـي سـعدِ ونـارٌ تحـرقُ العـفِ
 جـفـافٌ فـي ضـحى النـفسِ وعـن إـفـلاسـها شـفِ
 فـعـيـبٌ أنْ تـرى الغـيـرُ وتـنـسى ذـاتـها كـيـفِ؟
 أينـسى نـفسـه المـرءُ؟ ألا هـذا هـو السـخـفِ!

الوحدة العربية: (6954). يوم 10 من جمادى الآخرة 1416هـ. يوم 4 / 10 / 1995 م.

الشمس والظل والدموع

(إنها شمس الحياة والمستقبل ، يعرقلها ظل الماضي بما حواه من محن وإحن ، وأفراح وأتراح ، وألحان وأشجان ، فتكون الدموع تعبيراً عن الإفراط والتفريط في جنب الله ، والمرء بين شمس الحاضر وظل الماضي. ودموع العين حائرة كل الحيرة! يقول الأستاذ علي مصطفى الدنف واصفاً اختلال الموازين في مقال يحمل ذات العنوان ما نصه: (ها هو جبلة ابن الأيهم جاء مسلماً وهو ملك من ملوك العرب ، رحب به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من باب (أنزلوا الناس منازلهم) ، وفي أثناء الطواف بينما كان يطوف جبلة فإذ بأعرابي من فزارة يدوس طرف رداءه دون قصد ، فانخلع الرداء من على كتف الملك ، فالتفت نحو الأعرابي ، وضربه ضربة على أنفه فهشمه ، ثم ذهب الأعرابي لأمير المؤمنين عمر شاكياً الملك ، فاستدعى عمر جبلة وقال له: أصحيح ما ادعى هذا الجريح ، قال جبلة: نعم ، أنا لست ممن ينكر شيئاً ، أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيدي أنا ملك! عندها غضب عمر وقال له: أرض الفتى ، لا بد من إرضائه ، ما زال ظفرك عالقا بدمانه أو ليهشمن الآن أنفك. فصعق جبلة وقال: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ هو سوقة - يعني إنسان من عامة الشعب لا يساوي شيئاً - وأنا عرشٌ وتاج هذا من عامة الناس! كيف ترضى أن يخز النجم أرضاً! قال له عمر: هذه نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها وأقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً. قال جبلة: كان وهماً ما جرى في خلدي إنني عندك أقوى وأعز! أنا مرتد إن أكرهتني ، قال عمر: عنق المرتد بالسيف تحز عالم نبيه كل صدع فيه بشبا السيف يداوى ، وأعز الناس بالعبد الصعلوك تساوى. بتحقيق هذه الموازين استطاع الرعيل الأول من الصحابة أن يسودوا الأمم ويخرجوها من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، تخيل تأمل تفكر. لو كانت هذه الحادثة في زمن انقلاب الموازين هذا كيف ستكون النتيجة؟! هـ.

الحقُّ دُمْعَةٌ وَّ كَرِيمَةٌ وَالْخَيْرُ مَحَبَّةٌ وَبِزِيَّةٍ

تَبْكِي الْعَيُونَ عَلَى الْوَفَا حَتَّى تَوَرَّمَتِ الْوَجْوَه

وَالْحَبِّ شَمْسٌ فِي الدِّنَا تَهْدِي الْأَنْبَاءَ ، فَلَا تَتَوَه

فَابْذَلْ عَلَى الْأَيَّامِ خَيْرٌ رَكَّ ، وَاحْتَسَبْ يَا ذَا الْوَجِيه

وَأَمَّهُدْ لِنَفْسِكَ إِنْ دَنَى يَا النَّاسَ تَكْتَسُخُ الْفَقِيه

لَا تَحْقِدَنَّ عَلَى الْأَنْبَاءِ مَاحِيظَةٌ فَالْحَقُّ دُتِيه

لَا تَحْرَمَنَّ نَفْسَ طَبَا عَةَ رَبِّهَا ، وَكُنْ الْفَكِيه

والمرء يوماً سوف يمر حل لا محالة عن أخيه
 وكذلك يرحل عن أقبا ربه ، وحتى عن أبيه
 والظل يبقى ما بقي أصحابه ، فهو الشبيه
 حتى إذا ماتوا ، تخلوا على الظل حتى عن بنيه
 والخير يبقى في الوري وكذا حماقات السفيه
 والناس تجتر السفا هة ، ذلك الطبع الكريه
 ثم الوفاء فضائع وعليه دمع لا يفوه
 والدمع مفظور الجوى عند الأنعام ، ولا تعيه
 وكذا الوئام فميتت والجيل - بالبلوى - يتيه
 يسعى يفش عن ردا من حر شمسهم يقيه
 ويظل يلتمس الهدى بين الوري كيمائيره
 لكنمما جيل تغل ذى بالحرام ، ويحتويه
 والقوت شر ، والهوى! والفسق نازتتريه
 كيف السبيل ولا ظلال سوى اللظى حول الوجوه؟!

الوحدة العربية: (6997). غرة رجب 1416هـ. الموافق 23 من نوفمبر 1995م

رسالة إلى ولدي

(ما أجمل أن يعيش الشاعر ليعبر عن آلام وآمال الآخرين. إن هذا الشعور يكسب شعره العاطفة الصادقة والصدق الفني العظيم. تغيب ذلك الولد عن أمه إلى حين ، فراحت تكتب له أول رسالة ، عادت بالذاكرة إلى الوراء منذ كان ذلك الولد حملاً فجنينا فوليداً فطفلاً فشاباً ، فماذا قالت؟ ورحت أصور بقلمتي رسالتها إلى ولدها بكل صدق شعري وبكل شعر صادق. يقول الأستاذ أحمد الفراخ في وصف نعمة الأبناء ما نصه بتصريف: (عندما يتزوج الإنسان يسأل الله من فضله أن يرزقه ذرية صالحة ، (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم) أي من الولد ، وإذا ما رزقه الولد وقابل الفضل بالشكر فإنه يكون قد تلقى أمانة عظيمة تستوجب الحفظ التام والتبليغ الأمين ، تلقى ذرية مسلمة صافية فطرتها مؤمنة نقية. قال صلى الله عليه وسلم: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، على الوالد والوالدة أن يحافظا على سلامة فطرة ولدهما ، وإلا سيسألان عنها في آخرتهما. وفي الحديث الشريف: كفى بالمرء كذباً أن يُضيع مَنْ يَعُول. وأكبر ضياع هو ضياع أمانة الأمانة ، أمانة الدين لأمانة الأبناء ، بالدين للأبناء تستقيم شؤون دنياهم وأمور آخرتهم ، ومن غش أبناءه في الدين ، فقد قطع رحمه ، وعق أبناءه ، وضيع أمانته ، حتى ولو أدركوا من الدنيا ما أدركوا. إذ ما قيمة السمعة والجاه والمال واللقب إذا كان مقطوعاً عن الله؟ ما الجدوى من دنيا بلا آخرة ، عاجل بلا أجل؟ تقليص التربية القرآنية النبوية في الناشئة أو تهميشها أو تسطيحها خيانة وغش وتحريف ، وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: من غش فليس منا. وأي غش أكبر من الغش في تربية الولد وبذل الوُسع في أداء أمانته على أحسن وجه يرضي الله تعالى الذي قال في مُحكم تنزيله: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها). فعلى الوالد أن يستقبل أمانة ولده بحسن التلقي وحسن الأداء والتبليغ والحفظ ، بدءاً من حُسن اختيار الأم من نسلٍ طيب (المنبت الحسن وتجنب المنبت السوء) ، بمال طيب (مكتسب من حلال) ، بنية طيبة (لتحقيق الاستخلاف ودفع آلام الشهوة) بسعي طيب (اتباع المشروع واجتناب الممنوع) ، والطيبون للطيبات. قال الله تعالى: مَنْ عَمِلْ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وهو مؤمن هذا هو الشرط المشروط في أمانة الولد ، حيث مع تعدد السعي وكثرة الحركة يحتاج الولد إلى من ينمي فيه خصال الإيمان وشعبه. وأول مكلف بذلك هو الوالد والوالدة. بشرط الإيمان ، والأمانة من الإيمان ، حيث قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، وبشرط الجدوى والفاعلية يكون لكثرتنا العددية معنى وقيمة ووزن بين الأمم. تكثير نوعي قوي ، لا غثنائي عالة على أمة متسكعة متسولة ، فمن الغناء والغافلين شكا سيدنا نوح عليه السلام (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا).هـ.

سلام عليك أيها مـوئلي وتهنئة الحـبب يا منهلـي

إليك أرف أريج المُنـي وأهدى إليك سـنا مشـعلي

وأبذل روحي ، ولي غايـة أحبـك في الله يا مـوئلي

ولست بأسسفة أنني أغص بمكتوبي الأول
فإني أعاني فراق الفتى وأحيا بقلب به مثقل
وما كنت أدري سعي النوى لقد غاب عن دارنا بليلي
وقد مزقتني صروف الجوى وبات فؤادي كما المرجل
يفور - بداخله - ماؤه ويضحك خلف الثرى المسدل
فعدت بذاكرتي للورا تذكرت حملاً برى أكلني
ويوم تكورت بين الحشا وأثقلت جسمي ، وكنت الخلي
وعانيت في الحمل كل العنا تمنيت أني لم أحمل
كان الجبال على هامتي وكراً حملتك يا معقلي
وطال على النفس هذا الشقا ودمعي - على الخد - كالنوفل
حملتك تسعاً ، وكانت لظي وكانت أمر من الحنظل
وكم ذا تقيأت ما ذقتُه! وكم ذا تصلبت كالجنودل!
وكم ذا تجرعت نار الردى! وكم ذا سهرت ، ولا نوم لي!
وفت الحشاشة مني الصدى بلبيت بعيش الأسى المعضل
ذابت ذبول ورود الهوى وشج العذاب سنا الكريل

وهبت على القلب ريح الصبا وودعت أحلام صبح جلي
وودعت أيضاً خيوط الكرى وقد طال ليلي ، ولم ينجل
وصرت ربيبة مُرّ الأسى ولما يغذلي - بكربي - ولي
وساءلت نفسي ، وغيم الروى عن الغيب ماذا يخبئ لي؟
صبيّ هنالك ، أو غادة؟ أفاطمة - في القضا - أم علي؟
شقي - ببطني ، تُرى - أم تقي؟ وأعملت فكري ، ولم أكسل
وناجيت ربي بعذب الدعا بأن يُتحف النفس بالأكمل
كمال الخليفة تقوى الذي له الخلق والأمر ربي العلي
ومرّت شهوري ، وكلّى رجا بأن يتحقق لي مأملي
وجاء المخاض الذي رجّني كسيفٍ رهيب المضا مقصل
تعتّرت ، حتى رجوت الردى وغذبتُ فيك ، ولم تسأل
ولما خرجت إلينا انتهى عذابي ، وبنت بقدر علي
تذكرت أمي وأحوالها وكيف المعاناة في الأول؟
فقد كنت أول من أنجبت! ضجرت ، وأمّي لم تفعل
ولكن تقوّت بإيمانها بليلى عتيّ الدجى أليلى

لذآك أآارَ الإلهة التي اسـ تعاذتُ به في الردى المرسل
لك الله أمني ، وإنني العزأ لك الله في اليسر والمعضل
بني الحبيب ، وآنيت لنا! كبرت ، وشرفت لي منزلي
مع الصأب تخرج مثل الصفا وبعءُ تعودون كالأشـبـل
لطيف ، ظريف ، كريم الصوى وقد نيل منك ، ولم تجهل
وعبرت أنك ذو حاجةٍ حلمت على الغر ، لم تذهل
وإن نيل دينك كنت اللظى يرد المظالم بالمنصل
ولما ترعرعت بين الصوى بذلت لك الخير ، لم أبخل
وجادت يمني على فارسي وعطر حياتي حبي الجلي
فأعلمتُك الدين شرع الهدى وآنبتُك الهزل من أرعل
وآنبتُك السوء في نشأة بعزلك عن صأبة العذل
وأعلمتُك الذكر نبغ التقى ودرج الهداية ذاك الجلى
وسنة خيـر بني آدم سلام عليه من الأول
زرعت بقلبك حب الإبا وبغض الجهالة والردل
وأصلت فيك العلا والحيأ وحب الشهامة والأنبل

رأيت بعينيك حُسن الدنيا وحولت شأناك للأفضل
وجعت لتشبع يا غايتي وذا ديدن الأمة الأرملة
كذلك استدنت ، ولم أدخر لأنني علمت بأنك لي
لذلك أريدك سيف الهدى وأبيض دك حشا المعذل
فإن الحنيفة في مازق وأسند الحنيفة لم تنزل
إلى حلبة الطحن نحو الوغى فكيف بما حل لم تُشغل؟
ولكنها شغلت بالخنا وضاع الرجالات في الأهزل
وما هزها الكيد ، أو رجها فأنت الغضنفر ، يا موئلي
إذا ما طمحت إلى نصرها ستنصر بالهدى والأنصّل
فإني ادخرتك للملئة بمنزلنا الخالسد الأول
وحتى أراك حذاك المنى وبوركمت من رجل مكمّل
سلامي إليك ، وكلني رجبا بأنني أراك بخير رجلي

الوحدة العربية: (6961). يوم 18 من جمادى الأولى 1416هـ. الموافق 12 من أكتوبر 1995 م

الجدور

(ما أحلى أن يحلل الشاعر ما يدور حوله من الأحداث ، ويرجع كل ما حدث إلى الأسباب المؤدية إليه . إن مثل هذا يجعل الشاعر على دراية شبيهة كاملة بتوقع ما تؤول إليه الأحداث. يقول ابن القيم في (الفوائد ص 193): (مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري في الخواطر والأفكار ، فإنها توجب على التصورات ، والتصورات تدعو إلى الإرادات . والإرادات تفتضى وقوع الفعل ، وكثرة تكراره تقضي العادة ، فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار ، وفسادها بفساد هذه الخواطر وتلك الأفكار ، فصلاح الخواطر بأن تكون مراقبة لوليها وإلهها ، صاعدة إليه دائرة على مرضاته ومحبهه ، فإنه سبحانه به كل صلاح ، ومن عنده كل هدى ومن توفيقه كل رشد ، ومن توليه لعبده كل حفظ ، ومن توليه عنه وإعراضه كل ضلال وشقاء ، فيظهر العبد بكل خير وهدى ورشد بقدر إثبات عين فكرته في آله ونعمه ، وتوحيده وطرق معرفته وطرق عبوديته ، وإنزاله إياه حاضراً معه مشاهداً له ناظراً إليه رقيباً عليه مطلعاً على خواطره وإرادته وهمته).هـ. يقول الأستاذ خالد سعود البليهد متحدثاً عن الابتلاء ما نصه: (إن من السنن الكونية ووقوع البلاء على المخلوقين اختباراً لهم ، وتمحيصاً لذنوبهم وتمييزاً بين الصادق والكاذب منهم قال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ). وقال: (وَنَبْلُوَكُمْ بِالْخَيْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ). وقال: (ألم * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ). وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط). رواه الترمذي وقال حديث حسن. وأكمل الناس إيماناً أشدهم ابتلاء ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمتل فالأمتل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلماً اشتد به بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة. أخرجه الإمام أحمد وغيره. وفوائد الابتلاء: • تكفير الذنوب ومحو السيئات. • رفع الدرجة والمنزلة في الآخرة. • الشعور بالتفريط في حق الله واتهام النفس ولومها. • فتح باب التوبة والذل والانتكاس بين يدي الله. • تقوية صلة العبد بربه. • تذكر أهل الشقاء والمحرومين والإحساس بالآمهم. • قوة الإيمان بقضاء الله وقدره واليقين بأنه لا ينفذ ولا يضر إلا الله. • تذكر المآل وإبصار الدنيا على حقيقتها. والناس حين نزول البلاء ثلاثة أقسام: الأول: محروم من الخير يقابل البلاء بالتسخط وسوء الظن بالله واتهام القدر. الثاني: موفق يقابل البلاء بالصبر وحسن الظن بالله. الثالث: راض يقابل البلاء بالرضا والشكر وهو أمر زائد على الصبر. والمؤمن كل أمره خير فهو في نعمة وعافية في جميع أحواله قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). رواه مسلم. واقتضت حكمة الله اختصاص المؤمن غالباً بنزول البلاء تعجيباً لعقوبته في الدنيا أو رفعاً لمنزلته! أما الكافر والمنافق فيُعافى ويصرف عنه البلاء. وتؤخر عقوبته في الآخرة. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد). رواه مسلم. والبلاء له صور كثيرة: بلاء في الأهل وفي المال وفي الولد وفي الدين ، وأعظمها ما يبتلى به العبد في دينه. وقد جُمع للنبي كثير من أنواع البلاء فابتلى في أهله وماله ، وولده ، ودينه فصبر واحتسب وأحسن الظن بربه ورضي بحكمه وامتنل الشرع ولم يتجاوز حدوده فصار بحق قدوة يحتذي به لكل مبتلى).هـ. إنى أكتب (الجدور) لأشير إلى ذات المعنى الذى أشار إليه ابن القيم إن البدأ من ذات الإنسان. ومن بعد ذلك تأتى النتائج فوق رأسه: إن خير فخير وإن شر فشر. (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال). فالأعمال كالنبات تستمد قوام حياتها من الجدور. فهذه الجدور إن كانت صالحة أمدت بالحياة

والعكس بالعكس. (إن لكل نتيجة مقدمات أدت إليها ، ويوم يبدأ الإنسان بالنتيجة ليصل إلى المقدمات فلن يصل إلى شيء ، بل يبدأ من المقدمات ليصل إلى النتيجة).

لقد نـاعـت بأفرعها الـورودُ وبتات الجـذر يكويـه الصـدودُ
وبتات القـوم في حال كـئيب وعـانى - من رزايـاه - الـوجود
ومجـدّ ضـاع ، لم نـحـزن عـليه وأذـهب رـيـحنا - فينا - القـعود
وأضـلنا الـورى ، كنا زيوفـاً وأقـصـتنا - عن الحـق - النـقـود
تفتـحت الـدنا - يومـاً - عـلينا - وإننا - للشـيـاطين - الجـنـود
وأخـرجت البـسـيطة كل خـير وقـوت الخـمر يأكلـه العـبيد
خمدنا في الـدروب ، وما نهضنا وفـرق شـمنا هـذا الخـمـود
صددنا الـناس عن خـير وجـلى فـأودى - بالجـهابـذة - الصـدود
وقد كنا أسـاتذة البرايـا! كـبيراً - بيننا - كان الـوليـد
وكننا سـادة الأكـوان يومـاً! وإننا - في الـورى - حقاً أسـود
صنـعنا مجـدنا - بالـدين - صدقاً وتـشـهد بالـذي قـلت الشـهود
تلوننا الـذكر لم نرهب عـدواً لنا - بالـحق - صدع لا يـحيد
وقد قـدنا الـورى زمناً طـويلاً ولـيس بـسيدٍ مـن لا يقـود
ولم تُفـقأ لنا - في الحـق - عـينٌ وكيف يقـض مضـجعنا ونـيد؟

وسُننا ، لم نكن يوماً عبداً ولم تقصف شهماً رعود
وأدبنا الأنام بما لدينا من القرآن نتلو ، بل نسود
وخلف الظهر ألقينا الأمانى لنا - في الجد - إخلص شديد
وأسال ما دهانا اليوم حقاً وقد عبدت شخصاً ، بل لحدود
ونجم للحنيفة قد قلنا وأمسينا يغشينا الشـرود
جذور الوهم ماذا يا صديقي؟ أعرقل سيرنا الجهل البليد؟
أصول الجذر بددها هزالاً وعانت من تخاذلنا العهد
وتهننا من تلكنا خزايا وفلت بأسنا هذه الحدود
فلا الأخلاق ترضى ما فعلنا ولا يرضى - عن الوزر - الحميد
وأفصحننا كثيراً عن مُرادٍ ولم تبلغ - يميناً - ما نريد
جذور الوهم أعمتنا ، فضغنا وليس لضائع أبداً صعود
ونضرب في حضيض التيه عمداً وفي الأوحال مُرغيتِ الخدود

الوحدة العربية: (6982) الإثنين 13 من جمادى الآخرة 1416هـ. 6 / 11 / 1995م.

حيرة وغيره

(ظللت أعاتب الشعر في جلسة مغلقة دامت ساعتين ، ثم خرجت بهذه القصيدة. ذلك أنه عندما يعدم الإنسان الصديق المؤتمن الوفي تكون الحيرة التي تعقبها الغيرة.)

لأنني غيورٌ تحتـويـني مصائبـي وأبكي ، وقد تصغي إليّ غياهي
على حوبتي بابي تغلق يومه أصفي فوادي من جميع الشوائب
إلى الله أشكو ما أعاني من الأذى ونفسي تقاسي من بريق الجواذب
ولم أدر عن أمر الصديق خيانة! تخلى صديقي فاغتنى الوهم صاحبي
وقد كنت فوق العين والرأس فترة! فأصبحت تحت الترب ، تزوى مناقبي
وقد كنت في قومي الشهاب وشمسهم وأصبحت عبئاً في عتيق الخرائب
أغار على شمس الحنيفة ، نالها على غرة أبناؤها بالمحاطب
وصارت جموع ، بل وباتت بغدرها ذنابٌ وأكلابٌ وبعضُ عقارب
وعمّت ديار القوم أكبرُ فتنةٍ وغاب الهدى ، وازداد جسر النوائب
فيا شعر: هل غيرُ المدامع حيلة؟ وإن بُحت لي فاحذر عتيّ مذهبـي
ويا شعر ، قومي في تردٍ وخيبةٍ وبالأمس كانوا كالنجوم الثواقب
لقد حرتُ في أمري ، وحارت مدامعي وقد غرت للإنسان ، ثارت تجاربي

ولكن غيورٌ في قطيع مُعبّدٍ وتجرفه في الناس شتى الرغائب
وقد حارني أمرُ القطيعِ وسائسٍ وليلى وأوهامٍ وقبيحِ معائب
وحتى متى يا شعر نازٍ ولوعةٍ ويلتاع في شعري رطيبُ الكواكب؟
وحتى متى يا شعر حيفٍ وفتنةٍ وتغييب هذي في جميعِ مُحارب؟
وحتى متى يا شعرُ ليلى وقيسها وإشعالٍ نيران الإماء الكواذب؟
وحتى متى نصلى بذلة غيرنا وتطوى رُوانا في جحيم المآرب؟
وحتى متى نجتِرَ فحوى مصابنا وننسى بأننا من كرام أطياب؟
وحتى متى يا شعر تُرديك عادةً لتستنطق الأوهام بين الكواكب؟
وحتى متى يا شعر تطفو بلادةٍ ليشربها الأقوام وفوق المطالب؟
وحتى متى يا شعر يعلو مخرفٌ ويبلغ - بالتضليل - أرقى المطالب؟
وحتى متى نسعى خِلافَ عدونا نسير ، ونطوي الأرضَ حسبَ الرغائب؟
وحتى متى يجني - على الحق - أهله وهذي ، وربّي من عجيب الغرائب؟

الوحدة العربية: (6967) فى يوم 19 / 10 / 1995م الموافق 25 من جمادى الأولى 1416هـ

ترنيمة الليل

(روى البخاري ومسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (يعقد الشيطانُ على قافيه رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد ، يضرب كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطا طيب النفس. وإلا أصبح خبيث النفس كسلان). وروى مسلم من حديث جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن في الليل لساعة ، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة). وروى ابن حبان أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدّها الله لمن أطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام). وخرج بن أبي الدنيا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (أشرف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل). وروى الطبراني بإسناد جيد عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: جاء جبريل عليه السلام - إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: (يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، وأحِب من شئت فإنك مفارقه ، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس). وروى الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم). وعموماً البكاء في الليل دليل الصالحين. وهذا عندما يكفهر الحال وتزداد الخطوب. ولا تسفر التجاريب عن صباح ، ويطول ليل الصراع ، ويغيب فجر الأمل فيهرع المرء إلى ربه ، يأنس إلى مناجاته. وقد تنكر له الخلق فما هم بالذين يعرف. وكذلك الأمر عندما تتنكر الأرض ، فلا هي بالتي يعرف ، فيترنم في الليل الباسم بيثه نجواه وأشعاره!)

الليل غطته الشـجـونُ وبكتـه بالدمع اللـحـونُ

إن المنايا جـمـة والكـرب مهـتـاج الأتـين

والحـزن فـي أنـشـودتي والـوهم فـواح الـرنين

واللـحـن معـطـوبُ الجـوى والصـوت مـكـروبُ الحـنين

والليل وثـاب الخـطـا يسـعى علـى جسـر الجـبين

سـاعاته مسـعـورة تـرنـو إلـى لحـظ السـنين

أناتـه مـكـلومـة والجـرح فـيها مسـتـكين

تبكي على فقد الوفا والصدق - في الدنيا - ضنين
تأسى على طول النوى ترنيمه الليلى الحنون
والحرب عاتٍ والهوى يالوعة السر السرفين
حرب الأماني والهوى حرب التسامي والأميين
ياليل فرضاً أنني أبكي على العمر الثمين
أسى على ترنيمتي في معقل الحزن اللعين
إن الجوى قيئـارتي واللحن إصراري الحزين
والسيف يا خلـي الدوا والعزم صخر لا يلين
لكنما لا يحمـل السيـل الهزيمـل المسـتهين
ياليل من يسقط يهنـ وتمته أشواك المنون
جريت هذا في الـورى فوجدته السمت المبين
كذبتني ، صـدقتني جريت هاتيك الطعون
فيم التـداعي إنني الـ ملاح والليل السـفين؟
ثم الحنايـا أقفـرت! مجـدافنا فيهما مهين
ياليل أمـواجى علـت ورحيل كربي هل يحين

أنت الذي أججتها حتى تغطي بالشجون
لكنما الباعى ستر ميه الذرى خلف الكمين
وانظر لمن سادوا إذن ثم انتهوا فى البائدين
من عاش دوماً ظالماً للخلق تذروه المنون
حتماً سيطويه اللظى فأسف على ذاك الرهين
فالجور عاتٍ أمره والعدل كالماء المعين
يا ليل كفكف عبرتى إنى بأهاتى الطعين
وحدي أعانى حرقتنى إنى لآلامى القيرين
وحدي أدوى صرختى وحدي بأتراحى السجين
وحدي بسر داب الأسى قد كان لى يوماً عرين!
وحدي تغشانى الخطا والناس أصحاب اليمين
حتى متى يا ليل قل؟ فى صمته السر المصون
أنت السنا ، أنت الضيا يا ليل ، بل أنت الخدين
يا ليل لا تزحف على عرقوب أحلامى الرصين
دعنى - بأحلامي - هنا أحيا على العزم المتين

دعني فروحني قارببت تلوى بحلقه وومي الرززين
ترنيمه الليلى انقضت والآهه التكللى تحيين
عدن تمادي صرختي ياليل في القهر الثخين
إن انفعالات الهوى غصت بمسرات الجنون
وحدي يسأليني العمى أصلى بني ران الفتون
أبكي على ديني هنا والناس في فقه البطون
أبكي جراحات الهدى والقوم في وهج الفنون
ياليل فارحل ، إنني غلقت شيمالي واليمين
والقلب مغلول كذا ينعي سواليف القرون
كل الأماني فارقت ودعتها في الخالدين
فيم اعتلالي بالمنى؟ والأمم ر لله المتين
ما شاء ربي كأنن! ما لم يشأ أنى يكون!؟

الوحدة العربية: (6952). الإثنين 8 من جمادى الأولى 1416هـ. الموافق 2 من أكتوبر 1995م

الحمل الذبيح

(إن الحمل الغبي الغافل المستهتر الذي يترك القطيع وينطلق وحده في البرية أو الغابة دون رفيق أو رفقة عليه أن يكون مستعداً لدع الثمن غالباً من لحمه أو دمه ، شاء أم أبى إن عاجلاً أو آجلاً: يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (عليكم بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية). وإذن فالحمل الذي أعرض ونأى بجانبه زاعماً القدرة على الاستغناء عن الآخرين واهمّ الوهم الكبير. ولقد يقع ذلك بالحمل من باب الابتلاء! فرغم حرصه يبتلى (ابتلاء الإيمان ، وليس ابتلاء العقوبة الذي ينزل بعبيد الهوى)! قال الأستاذ محمد المنجد متحدثاً عن الابتلاء ما نصه: (إن كثيراً من الناس عبدّ لهواه وليس عبداً لله ، يعلن أنه عبد لله ، ولكن إذا ابتلي نقص على عقبيه (خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) ، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ). روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً ، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا حَطِينَةٌ). الابتلاء فرصة للتفكير في العيوب ، عيوب النفس وأخطاء المرحلة الماضية! لأنه إن كان عقوبة فأين الخطأ؟ والبلاء درس من دروس التوحيد والإيمان والتوكل يطلعك عملياً على حقيقة نفسك لتعلم أنك عبد ضعيف ، لا حول لك ولا قوة إلا بربك ، فتتوكل عليه حق التوكل ، وتلجأ إليه حق اللجوء ، حينها يسقط الجاه والنتية والخيلاء ، والعجب والغرور والغفلة ، وتفهم أنك مسكين يلوذ بمولاه ، وضعيف يلجأ إلى القوي العزيز سبحانه. والابتلاء يخرج العجب من النفوس ويجعلها أقرب إلى الله. قال ابن حجر: قَوْلُهُ: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) رَوَى يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ فِي زِيَادَاتِ الْمُعَازِي عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَوْمَ حُنَيْنٍ: لَنْ نُغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ الْهَزِيمَةَ. قال ابن القيم زاد المعاد: واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ، ليضع رؤوساً رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله واضعاً رأسه منحنيًا على فرسه حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعا لربه وخضوعاً لعظمته واستكانة لعزته انتهى. وقال الله تعالى: (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ). قال القاسمي: أي لينقيهم ويخلصهم من الذنوب ، ومن آفات النفوس. وأيضاً فإنه خلصهم ومحصهم من المنافقين فتميزوا منهم.....ثم ذكر حكمة أخرى وهي (ويمحق الكافرين) أي يهلكهم ، فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا ، فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم إذ جرت سنة الله تعالى إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم فيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحققهم ، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه ومحاربتهم وقتالهم والتسليط عليهم... وقد محق الله الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأصروا على الكفر جميعاً انتهى. وإظهار حقائق الناس ومعادنهم. فهناك ناس لا يُعرف فضلهم إلا في المحن. قال الفضيل بن عياض: الناس ما داموا في عافية مستورون ، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم ؛ فصار المؤمن إلى إيمانه ، وصار المنافق إلى نفاقه. وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: أَفْتَتَنَ نَاسٌ كَثِيرٌ - يَعْنِي عَقِبَ الْإِسْرَاءِ - فَجَاءَ نَاسٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّهُ صَادِقٌ. فَقَالُوا: وَتَصَدَّقَهُ بِأَنَّهُ أَتَى الشَّامَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ؟ قَالَ نَعَمْ ، إِنِّي أَصَدَّقُهُ بِأَبَعْدَ مِنْ ذَلِكَ ، أَصَدَّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ ، قَالَ: فَسَمِّيَ بِذَلِكَ الصَّدِيقِ).هـ. وإنما في هذه القصيدة أبكي حال هذا الحمل الذبيح الذي تمتد إليه الشفار بأكثر من يد وأكثر من قصد. وفيه عبرة لأمة مستهترة هجرت كتاب ربها وسنة نبيها من أجل الدنيا. وزهدت في العقيدة الحقة الناصعة التي ترفعها في الدنيا والآخرة. (الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد). ونعود للحمل البانس الغر. إنه حمل مسكين أطاحت به الشفار من كل جانب ، وتقدم غيره إلى الشفار وغرق في دمه وشمت

فيه عدوه ، لكن هذا الحمل أبى إلا أن يقاوم ويواجه. وتعذب الغايات في عيون أصحابها وهم لا ينالونها إلا بالجهد والتعب والعرق! وعود إلى الحمل الذبيح الذي أسقط في يده عندما أحاطت به سوف الغدر!)

سـيـوفُ الغـدر تنـتـظـر الذـبـيـحـا ثـجـد شـفـارها تـهـوى الجـريـحـا
إذا رُمّت الصواب ، فلا تلمها وقد بات المسن لها مليحاً
وكل فقراً ، ولا تأكل بدين أراك بدين ربك مسـتـريـحـا
ولا تقرب نعيم القوم إلا إذا كنت التقى المسـتـتـبـيـحـا
إذا الأغنام قد ضلت طريقاً فلا يس طريقك الدرب القبيحاً
وإن تبعوا رعاة في هجير فلا تكن الضحية والذبيحاً
فيا حملاً يريد العيش حرصاً ويهوى المكث منباجاً فصيحاً
تمسك بالكرام تكن كريماً لئلا تطرح الطرح الكسـيـحـا
ولا تسكن حظيرة من تعامى لكـيـلا تُصـبـح الكـم الطـريـحـا
ورزق الله أوسع من قراهم ففارق قبل أن لا تسـتـتـمـيـحـا
فإنك ما اعتديت ، وذاك علمي وفي أغنامكم كنت الصـريـحـا
ومهما طاول الثعبان بغياً فسوف يموت ، أو يبقى شـحـيـحـا
ولن تلقى من الثعبان سوماً بإذن الله ، أو تلقى فـحـيـحـا

الوحدة العربية: (6976) يوم 6 من جمادى الآخرة 1416هـ. الموافق 30\10\1995م.

سراديب القرار

(إن الذكي العبقري من الناس هو الذي لا يتسرع في اتخاذ القرار. بل يتأنى ويستشير ويضع أكثر من حل وأكثر من احتمال ، ومن هنا كانت صلاة الاستخارة ومشروعيتها لكل مسلم يريد البت في أمر ما وليس عنده فيه قرار قاطع. وعندما يكون القرار مصيرياً فيصلياً فإنه يحتاج إلى دراسة من جميع جوانبه ، ومن جميع احتمالاته ومغباته ، وما يكتنفه من مخاطر ومغامرات ، وكلنا ذلك الرجل الذي سبقت استخارته دراسة واعية مستفيضة متأنية لقرار ما في غاية الأهمية. أما المتهورون فهم الذين يقبلون على أمورهم بدون أدنى دراسة أو حتى بدون أدنى احتياطات للاحتتمالات التي قد تطرأ على النتائج المترتبة على اتخاذ القرار. ومن هنا كان للشورى - قبل اتخاذ القرار - مكانتها في الإسلام. قال ابن عطية: (والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ، فمن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب. هذا ما لا خلاف فيه. وقد مدح الله المؤمنين بقوله: وأمرهم شورى بينهم . قال أعرابي: ما غنبت قط حتى يغبن قومي ، قيل: وكيف ذلك؟ قال لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم. وقال ابن خويز مناد: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون ، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين ، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب ، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها. وكان يقال: ما ندم من استشار. وكان يقال: من أعجب برأيه ضل).هـ. روي هذا عن قتادة والربيع وابن إسحاق والشافعي. قال الشافعي: هو كقوله: (والبكر تستأمر) تطبيقاً لقلبها ، لا أنه واجب. وقال مقاتل وقاتلة والربيع: كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم: فأمر الله تعالى ، نبيه عليه السلام أن يشاورهم في الأمر: فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم ، وأطيب لنفوسهم. فإذا شاورهم عرفوا إكرامه لهم. وقال آخرون: ذلك فيما لم يأت فيه وحي. روي ذلك عن الحسن البصري والضحاك قالا: ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم ، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل ، ولتقتدي به أمته من بعده. وفي قراءة ابن عباس: وشاورهم في بعض الأمر. وإذن فمبدأ الشورى والتشاور مبدأ قرآني نبوي! ولقد أحسن القائل الفذ: (شاور صديقك في الخفي المشكل * واقبل نصيحة ناصح متفضل).هـ. جاء في مصنف أبي داوود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (المستشار مؤتمن). قال العلماء: وصفة المستشار إن كان في الأحكام أن يكون عالماً ديناً ، وقلما يكون ذلك إلا في عاقل . قال الحسن: ما كمل دين امرئ ما لم يكمل عقله. فإذا استشير من هذه صفته واجتهد في الصلاح وبذل جهده فوفعت الإشارة خطأ فلا غرامة عليه ، قاله الخطابي وغيره. والمؤمن مرآة أخيه. فلا حيرة ولا قلق. إنه إما أن يوافق ، وإما أن يفارق ، وإما أن يوافق ، وإذ لم يقبل أحدها فتكون الرابعة ، وليست في مقدوره ، وهي أن يمن عليه بالموت الخالق! وكأنه يراد له أن يجتاز سرداباً وراء سرداب للوصول إلى قرار صائب. هذا إلى أن يفتح ربه عليه باختيار موفق! والسعيد من أسعده الله تعالى بطاعته).

ألا يا فؤادي كففِ الدمعَ ثاويًا تجلِّدُ لتلقى - في الجراح - مداويًا

تماسكك فإن الكيد عذب مصائبه به يعرف المرء الحبيب المصافيا

تقابلتُ في دنيا الأنام فلم أجد لقلبي خلاً أصطفيه مدانياً
لطيف إذا عنّ القرار رأيتَه محباً أليفاً ، ناصحاً لي مناجياً
وإن زارت الأحزان بيتي وجدته يواسي ، ويدعو ، بل ويُمسي طاوياً
وإن أثقلت قلبي همومُ ظننتَه سيأتي يسري عن فؤادي مصابياً
وإن ضاقت الأرض الفسيحة زارني ليوسعها طراً ، ويبكي عذابياً
وإن جاد ربي - بالمصائب - جمّة ليفتنني كان الصديق الغواليها
وإن أمسك الناس الدراهم عن يدي لقد يبذل الخل الأريب الغواليها
وإن طالّت الأسقام بي كان مرشدي وإن خمشتني غربتي بات باكيها
ولكن قضاء الله أبقى مشرداً وظني بربي الخير يحمو البلاويها
سراديب رأيتي - في الخطوب - تُذيني كما الملح في ماء السراب مُعانيها
عقاييل ما أصبو إليه تُحيلني رموزاً ، وتذورني الهواجس عانيها
أزاهيرُ دربي ، في الهوان صحافي إذ طاولتني الريح كانت صحابيها
وربي يحب العبد يشكوله الأذى لغير القوي الحق ما كنت أويها
أجزياً إليه الكون عبداً مشتتاً يحب الهدى ، يرجو الدواء المشافياً

الوحدة العربية: (6970) في الإثنين 29 من جمادى الأولى 1416هـ. 23\10\1995م

الوجدان العقيم

(إن كل شاعر لا يعيش حقيقة واقعه ليس بشاعر. وكذلك من يتصنع إحساساً ليس له. ويعيش في دور ليس له ، إنما هو يرتدى جلباباً ليس له. الذي يصنع من ليلاه وثناً يتعبده ليل نهار ليس بشاعر ، وإن عجز نتاجه الأدبي بالإيحاءات والصور ، وإن كان له من الشعر المجلدات ، إنما الشاعر الحق الذي يربط شاعريته بواقعه ويعيش للقيم. وهذا الصنف من المستشعرين ، لا أقول الشعراء ، يذكرنا بسارقي المشاعر ، من الذين يسرقون قصائد الشعراء وينسبونها لأنفسهم! ويوماً كنتُ واحداً من الذين يكتبون القصائد ويلقونها على جدران كلية الآداب بجامعة المنصورة في ركن الأدب! فإذا بي أجد من يسرقها ، وقد كتب اسمه عليها ، وبعث بها إلى مجلة من المجلات ، أو إلى جريدة من الجرائد أو علّقها على جدار آخر في كلية أخرى! حتى ليحار القراء: هذه القصيدة لمن؟ للأول أم للثاني؟! ويقول الشيخ صالح الفوزان: (التعاليم هو ادعاء العلم: أن يدعي الإنسان العلم. وهو ليس عالماً ولم يسبق له أن تلقى العلم عن العلماء ، وإنما تلقى العلم عن الكتب والمطالعة فقط. وليس عنده قواعد علمية يبني عليها وإنما يطالع في الكتب ويمشي على فهمه وقد يكون ما يخطئ فيه أكثر مما يصيب فيه هذا هو التعالم ! وهو خطر على نفسه وخطر على الناس لأنه يتلاعب بدين الله).هـ. وللشيخ بكر أبو زيد رسالة في ذلك عن التعالم يقول في بعض سطورها: (كم رأينا نزالاً في حلان العلم ، من رائم للبروز قبل أن ينضج ، فراش قبل أن يبيري ، وتزبب قبل أن يتحصرم ، وقد قيل (البداية مزلة) ، وقيل: (من البلية تشيخ الصحفية) ، ويؤثر عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قوله: (العلم نقطة كثرتها الجاهلون) ، ولعظيم نفعها تناولها العلماء بالبيان في مؤلفات مفردة منها: (زيادة البسطة في بيان العلم نقطة) للنابلسي ، وللشيخ أحمد الجزائري. وهي بمعنى قول الغزالي: (لو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف). وما يراد بهم هنا إلا (المتعالمون) ، الذين ناموا عن العلم فما استيقظوا وبالغوا قبل أن يبلغوا ، فركبوا مطايا الخير للنشر والذين عناهم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بقوله: (فالواجب على العالمين أن لا يقولوا ، إلا من حيث علموا وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به ، وأقرب إلى السلامة له بإذن الله).هـ. وإذن فوجدان من يسرقون عقيم!)

يا صاحباً ما أجهأك! بالله مَن ذا علمك؟

هَذَا الجوى إحساسٌ مَن؟ والشعر هل أبكيه لك؟

والزيف في حبك الهوى تشكوه؟ مَن ذا حوالك؟

حتى خيال المشتكى تنعيه؟ مَن ذا مؤالك؟

تبكي دمى الملتقى والزيف بادِجاً لك

ليلاك في أحلامها تلهو فدمر أم لك

حطمَ كـفـوس الـراح فـي لـيـل كـنـيـب يـشـغـاك
مـزقُ سـنـي العـشـق إنْ ضـج النـوى ، مـا أـبـطـاك!
الـحـق فـي قـرطـاسـه وانظـر لـه فـي مـغـزلك
والخـيـر سـاج فـي الـدُنا والـهـدي يـدري سـبـاك
والعـدل نـيـلـت سـؤـوـحـه والقـوم فـي حـيـف الـحـاك
والـدار ضـاعـت والـجـمـي مـازلـت تـبـكي غـزلك
والأرض فـي أيـدي العـدا والـدُور يـأتـي أجـلك
والـكـون نـارٌ فـوقـنا مـازلـت تـرثـو وطلـاك
تـبـكي عـلى عـين المـها والنـار تـشـوي بـلبـاك
تـبـكي عـلى سـوق الـظـبا والـجـمـر يـعلـو جـدولـك
تـبـكي عـلى حـب مـضـى انـس الـهـوى مـا أكـسـاك!
تـبـكي عـلى مـعشـوقـةٍ أقـصـرُ ، وجـمـلـن عـماك
ابـك الـهُـدي ابـك الـجـمـي مـا أثـقلـاك! مـا أسـفـاك!
مـا أسـخـطـاك! مـا أحـقـرك! مـا أسـوأك! مـا أرذلـاك!

الوحدة العربية: (6971). الإثنين 30 من جمادى الأولى 1416هـ. 24 من أكتوبر 1995م

جنازة الشعر

(ربما راج لشعراء الجاهلية الأولى الغزل عفيفه وصريحه. وذلك لظروف بينية وأخرى مشاعرية وجدانية. كان كل شاعر من أرباب هذا النوع من الشعر يعيشها وقتئذ. ولكن الأمر يزداد غرابة في شعراء الجاهلية المعاصرة الضاربة الأطناب في الأرض كل الأرض اليوم. أعني بهذه العبارة أن الشعراء لو كانوا من أهل الكفر والضلال لا يذهبون هذا المذهب ولا يسيرون في هذا الطريق الذي هو طريق التحلل في الشعر والإباحية. هذا إن كانوا أصحاب قيم إنسانية يقطع النظر هنا عن الاعتقاد. ولقد قرأنا قصائد لبعض شعراء هذا النوع من أحلى الكلمات صيغت وبأعذب التصورات نقشت. فهل علم هذا الشعراء المتمسلمون الإباحيون المتحللون؟ أقول ولو كان هؤلاء الشعراء كفاراً لا يؤمنون بالله ولا بيوم الحساب. ذلك أن الشعر شعور وإحساس وعاطفة وانفعال وضمير ، قبل أن يكون كلمة وقلماً وورقة وحبراً. تقول نعيمة براندوجي في معرض حديثها عن الشعر الإباحي ما نصه: (تجمع مجمعات اللغة علي أن أصل مصطلح الغزل من «الغزل» الذي هو مصدر غزل. فقد جاء في لسان العرب ، والقاموس المحيط ، غزلت المرأة - القطن أو الصوف: أدارتها مغزلاً. فالغزل استعمال مجازي مأخوذ من هذه المادة اللغوية - أي الغزل - فكما تدبر الغازلة مغزلاً لتغزل به القطن ونحوه ، كذلك يدبر الشاعر مغزلاً فنه لاستمالة المرأة واستهوائها. وغزل بالمرأة - يغزل من باب فرح - حادتها وأفاض بذكرها. وأغزلت الظبية - صار لها غزال ، فالغزل ولد الظبية. هذه ثلاثة معان لكلمة غزل! ويوجد ارتباط وثيق بين «غزل الصوف» و«مغازلة المرأة» و«غزل الظبية». قال الزجاجي - أصل المغازلة: الإدارة والقتل. لإدارته عن أمر. ومنه سمي الغزل لاستدارته وسرعة دورانه. وبه سمي الغزل لسرعة عده ، وسميت الشمس الغزالة لاستدارتها وسرعتها. «الغزل هو اللهو مع النساء ومحادثهن ومراودتهن» ، فالمغازلة إذن ضرب من الغزل كما أثبت ابن منظور في «اللسان» ، أو كما قال ابن دريد في التغازل بأنه محادثة الفتيان في الهوي. فالغزل لا يعدو أن يكون حديثاً في الهوي ، وليس مقصوراً علي ما يقوله الرجل في حديث هواه إلي المرأة ، فهو أيضاً وسيلة المرأة الشاعرة والنساء الشواعر ، إذا أردن التودد إلي الرجل والترجمة عن مشاعرهن في مثل هذا الضرب من الأحاديث. وقد حفل الغزل بألفاظ كثيرة توافق هذه المعاني الجملة التي عرض لها الشعراء وتوافق هذه العاطفة الثائرة ، وما يتصل بها من لوعة وحرقة وأنين. ومن هذه الألفاظ: النسيب ، التشبيب ، العشق ، الحب ، الهوي ، الصبابة ، الهيام ، الشغف ، العلاقة ، اللوعة ، الوجد ، التيم ، التبل ، التذليل. وإذا شئنا أن نكشف عن معاني هذه الألفاظ ، ونعرف مدلولاتها ، فإنها لا تخرج هي وسائر ألفاظ الغزل عن معان ثلاثة: التحدث إلي المرأة ، والتودد إليها. العلاقة التي يتركها هذا الحديث ، ومدى هذه العلاقة من قوة أو ضعف آثار العلاقة ، وتعدد نواحي هذه الآثار. وإذا كان علماء اللغة يقولون إن هناك مناسبة بين اللفظ والمعنى ، فإننا نرى المناسبة بين ألفاظ الغزل ومعانيه أثر وضوحاً وبياناً. ويحسن بي في هذا المقام أن أوجه النظر إلي الملاحظات الآتية: لا صعوبة ولا تنافر في هذه الألفاظ ، ولا في الحروف التي تتألف منها. ليس في ألفاظ الغزل حرف ثقيل بالتضعيف ، أي التشديد ، وإذا وجدته في مثل متيم ، مدله ، فإن الياء حرف لين ، وتضعيفها لا يزيد ثقلها بل ليناً. فإن تضعيف اللام لا تقل فيه ولا شدة. حروف اللين ثلاثة: الألف ، والواو والياء ، وتسمية هذه الحروف باللين صادقة ، ولعلك تري أن هذه الحروف تكثر في ألفاظ الغزل. في بعض ألفاظ الغزل أو كثير منها مد قصير أو طويل. ومن ذلك مثلاً: الهوى ، الغرام ، ولعله بان لك من هذه

الملاحظة أن ألفاظ الغزل سهلة لينة تناسب معاني الغزل من رقة وذنوبة. فالمحبوب حين يتحدث إلي حبيبته نفسه لا تراه إلا عذب الحديث ، وحين يودعها لا تراه إلا هزياً يرسل نقات حبه وهو معذب معني ، بل حين تهجره وتجفوه لا تراه إلا ضارحاً متوسلاً خاضعاً متذلاً. لعلها ترضى بعد امتناع ، وتبسم بعد عبوس. إن سهولة ألفاظ الغزل وسهولة حروف هذه الألفاظ لا تناسب معاني الغزل من حيث الرقة والذنوبة فحسب ، ولكنها توافق طبيعة العربي وحبه للغزل. قال ابن دريد: واعلم أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب ، الواو ، الياء ، الهمزة. وأقل ما يستعملونه علي ألسنتهم لثقلها الظاء ثم الذال ثم التاء ثم الشين ثم القاف ثم الحاء ثم العين ثم النون ثم اللام ثم الراء ، ثم الباء ، ثم الميم. ولعلك تري أن حروف ألفاظ الغزل التي ذكرتها هي من هذه الحروف كثيرة الاستعمال علي رأي ابن دريد. ويظهر أن هذه السهولة تخطت ألفاظ الغزل إلي أسماء نساء الغزل ، فتري أمثال (دعد ، هند ، ليلى ، لبني ، سلمي عبله ، عزة وبثينة). وهي أسماء سهلة عذبة في النطق حلوة في اللسان. الغزل والتغزل ، النسب والتشبيب ، والفروق بينهما: إذا رجعنا إلي أمهات كتب اللغة وجدنا أن الغزل والنسب والتشبيب كلمات مترادفات: فإن ابن سيده يقول: إن الغزل تحديث الفتيات الجواري ، والتغزل: تكلف ذلك. والنسب: التغزل بهن في الشعر، والتشبيب مثله. والعلامة ابن منظور يقول: إن الغزل حديث الفتيان والفتيات واللهو مع النساء. ومغازلتهن: محادثتهن ومرادوتهن. والتغزل: تكلف ذلك. ونسب بالنساء ينسب نسباً ونسبياً ومنسباً: شبيب بهن في الشعر وتغزل. وشبيب بالمرأة: قال فيها الغزل والنسب. وهو يشبيب بها أي ينسب بها. ويقول الزبيدي مثل ذلك. والغزل والنسب ، ليست هاتان الكلمتان مترادفتين في المعني الأخص كما جري في عُرف الناس ، ولكن بينهما فرقاً نبه عليه قدامة فقال: إن النسب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوي به معهن ، وقد يذهب [عن] قوم موضع الفرق بين النسب والغزل ، والفرق بينهما أن الغزل هو المعني الذي اعتقده الإنسان. والتشبيب عبارة عن وصف حال المعشوق وحال الشاعر في عشقه ، ويسمونه أيضاً بالنسب أو الغزل ، ولكن المشهور بين الناس أن كل صفة أو حال يشرحونها في بداية القصائد باستثناء مدح الممدوح تعتبر تشبیباً. لا نكاد نجد - فرقاً في الاستعمال اللغوي بين كلمات الغزل ، والتشبيب ، والنسب ، فاللغويون يعرفون إحدي هذه الكلمات بالأخري ، ففي لسان العرب: تشبيب بالمرأة: قال فيها الغزل والنسب ، ونسب بالنساء: شبيب بهن في الشعر ، وتغزل ، والغزل: حديث الفتيان والفتيات ، وفي القاموس المحيط ، التشبيب: النسب بالنساء ، ونسب بالمرأة: شبيب بها في الشعر ، ومغازلة النساء: محادثتهن ، والاسم الغزل ، وفي المخصص لابن سيده: التشبيب: التغزل بالنساء في الشعر، والتشبيب مثله ، والغزل تحديث الفتيان الجواري. ووردت هذه الكلمات علي السنة الشعراء بمعني واحد أيضاً).هـ. يقول الأستاذ محمود البشبيشي المدرّس بدار العلوم ما نصه: (لست أدري ماذا ينقم القوم من الشعر؟ وهو الذي ساير الدهر قروناً طوالاً ، وماشئ كل الحضارات علي اختلافها ، واتسع للأغراض الشعرية على كثرتها ، واستقبل حكمة العرب واليونان بعزة الواثق بنفسه ، المعترّ بقوته ، فما دعاه غرض إلا لبّى ، وما أهاب به جديد إلا استجاب ، وما سمعنا أنه قعد عن حكمة المتنبي وأبي تمام ، ولا تخاذل دون مباحج الحياة وأغراضها في بغداد والأندلس ، ولا قصر يوم طلب إليه ترجمة (الإلياذة). ولا يوم دعي لنظم (قمبيز) و (كيلوباترا) ، بل ما رأينا نفر ممن حملوه ما لم يخلق لأجله فضموا به العلم ، وأطالوا به المتون ، فالشعر العربي خصب بطبيعته ، قابل للتجديد ومسايرة الزمن ، ولكن في حدود العقل والمنطق ، وفي حدود السليقة العربية ، والحضارة العربية).هـ. كيف يروّج لشاعر في أي مكان اليوم غزل عفيف أو غير عفيف ، وهو يرى الدماء

تراق ، والأعرض تنتهك ، والنفوس تزهد والحرمان تستباح؟ وأي قارئ يطيب له اليوم الغزل؟ طالعت ما كتبه أحدهم وهو المتيم العاشق الولهان ، فصعقت. وعلى المرأة أن تسأل: أياكون عاقلاً من سيكون صاحباً لي وزوجاً ثم يلهث وراء المتعة والحرام والعشق الحرام؟.هـ. أما هذا فشاعر سخر القلم للعشق الحرام والغزل الصريح فكانت جنازة للشعر ، وكنت واحداً من الذين ساروا في هذه الجنازة إلى أن ودعنا الميت المجنوز ، وأهلنا عليه التراب).

خلّ القوافي لست من أصحابها أنت الدعيّ ، فلست من أربابها

والشعر إحساس ، وبعذ صياغة ومشاعر! أدخلت من أبوابها؟

لا تعتبر شعراً هراءك ، إنما كتبت يمينك من خيال سربها

إن احتراف الشعر أسهل مهنةٍ لكنما التاريخ خلف حرابها

تبكي الوفاء؟ وما رأيتك صادقاً عجباً للهجتك التي تبكي بها!

صورت فيما قلت حال مراهق يبكي على (ليلى) وعذب رضاها

ليلاك - في رحب الفضاء - طليقة ليست تفكر في متيم حباها

أتراك ما أبصرت فيها هزلها؟ أتراك ما فكرت في أترابها؟

أتراك آخر من يتابع عشقه وسط الخطوب وفي جحيم عذابها؟

يا قيس: ما أمر المتيم هكذا! أم أن قيس الحب من أغرابها؟

أبناء يعرب كم لهم من زلةٍ يندى جبين المرء إصر مصابها!

ما بين كاتب فكرةٍ متاعيةٍ وصف الصبابة تنتشي بكعابها

وهو الكذوب ، فلا حبيب ولا هوى كلا ، ولا ماء بأي سحابها

ويظلل يخترع الحبيب وحببه أتيت يا هذا به متشابها؟
أم أنه قلمُ الخداع وحبوره؟ كسر دواتك ، كُف عن تلعبها!
واشرب مِداد الزيف إن عز الجوى إن الدواة تنن من أهدابها
كُف ادعاء الحب ، أنت مزيفٌ وهل الحبيبة تُشترى؟ كن نابها!
هل بات حباً ، أن تلفق في الهوى؟ لحساب من - لك - بات أو لحسابها؟
تعسَ القريضُ ، فكم له من مدع جفت بحور الشعر من كذابها
شيعتْ جثمان القريض بدمعةٍ والنفسُ باكية تفتقر قلبها
قد مزقتْ أوزانُ شعرك خاطري فسألتها ، ردت بدمع جوابها
متفاعن لغة مضت ، سُقيا لها متفاعن ضاعت ، وضاع شبابها
متفاعلين تشكو غياب رجالها متفاعن تبكي على أصحابها
متفاعن دفنت بقبر الشعر لم ترض الحياة على ظنين ذبابها
وكذاك قد ماتت قوافي الشعر ، لم ترض الحياة على غواء ذبابها

الوحدة العربية: (6960). الأربعاء 17 من جمادى الأولى 1416هـ. 11 من أكتوبر 1995م .

فسجرتة في التنوير

(الفتن عندما تعرض على القلب السليم الثابت ، لا يستمر إغراؤها طويلاً. بل تنقشع سريعاً. ولكن عندما يكون القلب خالياً من الحق ، وخالياً من الوعي ، وخاوياً من الخير تنتصر الفتن. وهذه أبيات من وحي غزوة تبوك ، ومن ظلال موقف كعب بن مالك رضى الله عنه! قال الأستاذ محمد المنجد متحدثاً عن الفتنة في الدين ما نصه: (إن قصار النفس الذين لا يصبرون ، طالما يبدون آهات الجزع ، ويتأوهون تأوهات المحبط ، ولذلك فإنه لا يجوز بأي حال اليأس من رحمة الله! قال الله عز وجل: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). هذا الكلام في غمرة الهزائم المتتابعة التي تلحق بمن ينتسبون إلى الإسلام ، وهذا الكلام في غمرة اشتداد أعداء الدين على أهله ، وفي غمرة ما يحيكونه من المؤامرات ، يبقى هذا المفهوم ، مفهوم الاستعلاء بالإيمان هو الذي ينبغي أن يعمر قلب المؤمن. كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى وهو يساق إلى المأمون الظالم الذي حمل الناس على الباطل ، كان ثابت الجنان ، كان مقيداً يرسف في قيوده ، ولكن نفسه الأبية بين جنبيه ، وقلبه الثابت كان ينبض بالإيمان ، والتوكل على الله عز وجل ، وكان العلم رائده ، وهو الذي كان من أسباب ثباته ، وكانت وصايا الناس من أصحابه القلة ممن يعرفهم وممن لا يعرفهم معيناً له ، فكان يقول له أحد أصحابه: يا هذا أنت اليوم رأس ، والناس يقتدون بك فوالله لنن أجب إلى خلق القرآن ليجيب خلق ، وإن لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك ستموت ، لا بد من الموت ، فاتق الله ولا تجب ، فجعل أحمد يبكي ويقول: ما شاء الله. ثم كذلك لما صار إلى الرحبة ، دخل رجل فقال للإمام أحمد بعدما سأل عنه: يا هذا ما عليك أن تقتلها هنا وتدخل الجنة ، ثم قال: أستودعك الله ومضى ، وكان أعرابياً من البادية سمع بالإمام أحمد جيء به في الطريق فعرض له بهذه الكلمات ، وكذلك كان معه غلام شاب يافع يقال له: محمد بن نوح ، كان ممن لم يجب في الفتنة ، فذلك لما أشرف على الموت قال: يا أحمد إن يقتلك الحق مت شهيداً ، وإن عشت عشت حميداً ، فقوى قلبي ، ثم مات فغسله الإمام أحمد رحمه الله ، وكفنه ، وصلى عليه ، وقال: ما رأيت أحداً على حداثة سنه ، وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح ، إنني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير ، وحتى اللصوص كان لهم من الدور في تثبيت الإمام ما كان ، فكان اللص يقول لأحمد رحمه الله في السجن: يا أحمد إنني لأصبر على الضرب وأنا على الباطل ، أفلا تثبت أنت عليه وأنت على الحق ، فكان ذلك مما يقوي عزمه ، وقيل له فيما قيل: إنه سوط أو أسواط ثم لا تدري أين تقع البقية؟ يعني عندما يغمى عليه من شدة الضرب ، فكان ذلك مما قوى عزمه). هـ. وإذن فالثبات على دين الله تعالى نعمة عظيمة وجليلة!

ألا يراعي حيي شهماً معظماً لقد كان (كعب) - بالملَمات - مفعماً

ومِن أين كانت قصة وحقيقة؟ لقد تثبت المولى فوئاداً مضمراً

تخلف (كعب) عن (تبوك) ، وظنّها ستمضي إذن ، والوحي لن يتكلما

لقد بات - من آلامه - (كعب) باكياً وهل دمع عين المرء يرجع مغمماً؟

وخمسون يوماً والخطوب تهده ومكتوب طاعوت: تقدم مكرما
سنعطيك ما ترضى به ، بل يفوقه ومن فوقه حورية كي تُنعمنا
وإني علمت الخطب أكبر يافتى قلاك الذي ما ردّ عنك التألما
فيا كعبُ والأيام تجري سقيمة فأقدمُ إلينا ، لن تكون المُلوّما
أنا فاتح كل الديار لفارس أواسي - بما طالت يداي - المُغرّما
أنا نصرُ مظلوم يُعاني جراحه فلا تفتكر في الأمر ، لن تتألما
فعدت لكعب نفسه بعدما انتهى وفي النار ألقى ما تلا متبسما
وقد قال: هذا من بلاني وفتنتي وقد كان يدري أن في الغيم أرقما
فيا أيها التنور حرق ، ولا تسل وإلا خرقتنا - في القيامة - خوّما
وسلعة ربي لا تنال بهيّن وليست تحب القوم - في الخذل - نوماً
ألا كلنا كعب ، وبعْدُ فتوبة وما بالتروي سوف نعطي التكرما
فعن غزوة كان التدني ومذنبٌ فما بالنا بالدين كلاً ، ومعلما؟!
فيا رب تب دوماً علينا ، فإننا ضعافٌ ، ولا ندري الطريق المُقوّما

الوحدة العربية: (6969). الأحد 28 من جمادى الأولى 1416هـ. يوم 22 من أكتوبر 1995م

مسيلمة الكذاب

(بعد أن أصبح الدجل طابع العصر ، رأيت أن أنقش هذه القصيدة لمسيلمة الكذاب قديماً ولأتباعه الضالين المعاصرين. حتى تكون قصيدتي بشيراً ونذيراً. فأما كونها بشيراً: أي تبشرهم بتوبة الله عليهم إن هم بادروا إلى تلك التوبة بالعمل الصالح والندم ورد المظالم. وأما كونها نذيراً: أي تنذرهم وتحذرهم من سوء الخاتمة والنهاية التي ستلحق بالأتباع. إن لمسليمة أسجاعاً مفتراة مدعاة ، وقد حاول مسيلمة الكذاب أن يضاهي القرآن تغريراً بعقول السذج من قومه ، فجاء كلامه سخيلاً ، وأنا بعد ذلك نورد من أسجاعه ما عثرنا عليه ليتبين القارئ هذا المنتبئ ومبلغ علمه: - (وَاللَّيْلِ الدَّامِسُ ، وَالذَّنْبُ الْهَامِسُ ، مَا قَطَعْتَ أَسَدًا مِنْ رَطْبٍ وَلَا يَابِسَ). (لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْخُبَلَى ، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسَمَةً تَسْعَى ، مِنْ بَيْنِ صِفَاقٍ وَحَشَا) ، (إن بني تميم قوم طهر لقاح ، لا مكروه عليهم ولا إتاوة ، نجاورهم ما حيننا بإحسان ، نمنعهم من كل إنسان ، فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن) ، (وَالْفَيْلُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَيْلُ ، لَهُ زُلُومٌ طَوِيلٌ) ، (وَالْمُبْدَرَاتِ زَرْعًا ، وَالْحَاصِدَاتِ حَصْدًا ، وَالذَّارِيَاتِ قَمْحًا ، وَالطَّاحِنَاتِ طَحْنًا ، وَالْخَابِرَاتِ خَبْرًا ، وَالشَّارِدَاتِ ثَرْدًا ، وَاللَّاقِمَاتِ لَقْمًا ، إِهَالَةً وَسَمْنَا ، لَقَدْ فَضَّلْتُمْ عَلَى أَهْلِ الْوَبْرِ ، وَمَا سَبَقَكُمْ أَهْلُ الْمَدَرِ ، رَفِيقَكُمْ فَاْمَنْعُوهُ ، وَالْمُعْتَرَّ فَاوُوهُ ، وَالنَّاعِي فَاوَسُوهُ) ، (يَا ضِفْدَعُ بَنَتِ الضَّفْدَعِيِّنَ ، نَقِي كَمْ تَنْفِيْنِ ، لَا الْمَاءُ تُكَدِّرِيْنِ ، وَلَا الشَّارِبُ تَمْنَعِيْنِ ، رَأْسُكَ فِي الْمَاءِ وَذَنْبُكَ فِي الطَّيْنِ). وقوله كذلك: (إننا أعطيناك التفاح ، فصل لربك وارتاح ، إن شانك هو العجل النطاح). (وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - أن عمرو بن العاص - قبل إسلامه - قابل مسيلمة الكذاب فسأله مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذا الحين؟ فقال له عمرو: لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال: وما هي؟ قال: أنزل عليه: {وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}. قال: ففكر مسيلمة ساعة ، ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل عليّ مثلها. فقال له عمرو: وما هو؟ قال مسيلمة: (يَا وَيْرُ يَا وَيْرُ ، إِنَّمَا أَنْتِ أَدْنَانِ وَصَدْرٌ ، وَسَائِرُكَ حَقْرٌ نَقْرٌ). ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال عمرو: والله إنك لتعلم أي أعلم إنك لتكذب. قال أبو بكر الباقلاني رحمه الله: فأما كلام مسيلمة الكذاب وما زعم أنه قرآن فهو أخس من أن ننشغل به وأسخف من أن نفكر فيه ، وإنما نقلنا منه طرفاً ليتعجب القارئ وليتبصر الناظر ، فإنه على سخافته قد أضل ، وعلى ركاكته قد أزل ، وميدان الجهل واسع. إن مسيلمة الأمس كان واضحاً مسفراً. ولذا كان أقل خطراً على الحق ، وأما مسيلمة اليوم فيدعي أنه على الحق. إن مسيلمة الكذاب الأول قد مات ، ولكن أحفاده لا يزالون إلى اليوم ينالون من الإسلام والقرآن والنبى - صلى الله عليه وسلم - فقاتل الله الأول وقاتل أحفاده المعاصرين. ووالله سينالهم ما نال مسيلمة الأمس في الدنيا والآخرة!)

مسيلمة الأمس ، أنت الخلل ، وأنت الضلال ، وأنت الخطل

زرعت الأذى في طريق الورى وحرفت ديناً بشتى الحيل

دعوت الجميع إلى ما ترى وأغررتهم بالمصير الأجل

ورحمت تشـوه نور الهـدى وترمي - على الحق - شوك الجدل
وتأكل خبـلاً بزأ بتحريفه وتحثو - على النور - رمل الفشل
ومـن مـج زيفـك ذبـحتـه بسـكين غـدر الـذراع الأشـل
ومـن رد ظلمـك قطـعتـه ومـن قال: لا ، قلت أنت: أجل
وتضرب في التيه ، لست ترى سوى صوتك المسـتريب الأذل
رويدك إن الجـراح اكتـوت وما عاد جـرحُ بها يندمل
وفي رحم الحق سيفُ اللظى وفي زورق الخير نور الأمل
وفي مركب الآه تغريـدة تزيل الأسى من طريق البطل
وفي دمعـة الطفـل وهـج السنـا وفي زورق الخير نور الأمل
وفي صرخة الليل ترنيمـة ستودي بكل العنا والعـل
وبين الضلوع انفعال الهـدى وبين الحنايا رشـاد الأول
وعبر العويل ستلقى الردى وأيامُ ربك فينا دول
فلا تنكأ الجرح يـا عابثاً فقد ساقك الكفر نحو الخبل
وأمثالك اليوم ملء الدنا وفوق الهضاب ، وتحت الجبل
أكـاذيبهم في قراطيسهم وأعلى الضلالات سب الرسل

ولا يســـــــــــــــــتحون ورب الســـــــــــــــــما وفي ساحة الزيف غاب الخجل
وفي الدرب مجوا كؤوس الهوى فواعجباً يا لكم من نحل!
كلامٌ كثيرٌ ملأتم به رؤوس الـــــــــــــــــورى ثم لا ، لا عمل
فهلأ رجعتم إلى رُشدكم وتبتم إذن عن فعال السفل؟
سحرتم بهذا الهراء الـــــــــــــــــورى فسادت جموعٌ ، وسادت سبل
مسيلمة اليوم خذ عبرة من الأمس واعقل ، ولا تنفعل
وخف لجة الكرب عند اللقاء ومن شدة النار ، يامرتحل
ولن ينفع الزور أصحابه ولن ينفع الظالمين الختل
قصيد (ثمامة) في سيرة يراجع فيه السفيه العجل
أيا (ابن أثال) نثرت الضيا ولكن مسيلمة مختبل
ووحشي هذا سيروي الظما ويتحفنا بالحسام الوجمل
أيا ابن حرب ، ضراز مضي بسيف الكنوب رقيع الدغل
فروا الفؤاد بحصد العدا وكفف دماء الشهيد البطل

الوحدة العربية: (6962). السبت 20 من جمادى الأولى 1416هـ. يوم 14 من أكتوبر 1995م

رطوبة الحياة

(إن لهذه الحياة غاية. فإذا فقدت الحياة غايتها ، أصبحت عبثاً. وكذلك تصير القيم عند الناس وقتها لا اعتبار لها ولا وزن. يزهد الناس في القيم إلى حد بعيد ، ومُحالٌ أن يعيش مخلوق صاحب قيم ويتنازل عن قيمه ومبادئه ، وتراه يعيش عيشاً كريماً أبداً ، ألا وإن غاية الحياة هي عبادة الله تعالى ، والكفر بكل الطواغيت والأوثان والأصنام والأرباب والآلهة والمعبودات الباطلة. يقول الأستاذ محمد بن صالح المنجد في مادة الابتلاء ما نصه: (البلاء عندما يطلق نكرة في سياق العموم ، يشمل كل أنواع البلاء ، فيشمل الابتلاء بالسراء والضراء ، ويشمل الابتلاء بالحروب والفتن والاضطرابات ، ويشمل الابتلاء بتولي المسؤوليات ، كما يشمل الابتلاء بكثرة الفرق والبدع والضلالات ، وكثرة الشهوات والفجور ، وانتشار الفساد في الأرض ، ونحو ذلك. وليس البلاء مقصوراً على المرض أو الفقر أو نحو ذلك ، قال تعالى: (وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ) ، قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة نبتليكم بها ، وبالخير وهو الرخاء والسعة العافية ففتنكم به انتهى من تفسير الطبري. وقال ابن كثير رحمه الله: أَي: نَحْتَبِرُكُمْ بِالْمَصَائِبِ تَارَةً ، وَبِالنَّعْمِ أُخْرَى ، لِنَنْظُرَ مَنْ يَشْكُرُ وَمَنْ يَكْفُرُ ، وَمَنْ يَصْبِرُ وَمَنْ يَقْنَطُ ، كَمَا قَالَ عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (وَنَبَلُوكُمْ) يَقُولُ: نَبْتَلِيكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ، بِالشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ ، وَالصَّحَّةِ وَالسَّقَمِ ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرَ ، وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَالطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ وَالْهُدَى وَالضَّلَالَ. انتهى من تفسير ابن كثير.هـ.)

- ما قيمة العُمر يمضي في دُجُنات الحياة؟* *والناس خلف الأمانى الدعج أسراب الشياة؟
- كم ذا تساوى دموعى وسط تهويل الغفاه؟* *والخطب عاتٍ وحرف الحر ممزوق الشفاه؟
- والجرح في قلب حر يشتكى نل الجباه؟* *والحق صعبٌ ، وأهل الحق باتوا كالعنابة
- يستصرخون الأمانى في دهاليز الرعاة* *ما قيمة الحق يُزوى تحت أقدام العتاه؟
- ما قيمة القسط يُرمى في دواوين القضاة؟* *ما قيمة الصدق قد لا كتبه أفواه الوشاه؟
- ما قيمة الخير مأسوراً بأغلال الدعاة؟* *وإذا بقينا نمني جيلنا ، كنا الحداة؟
- لا شئ في دهرنا يُردى أباطيل الغزاة* *والعيش مُرٌ وحتف المرء في طوق النجاة

الوحدة العربية:(7012). 20 من رجب 1416هـ. الموافق 12 من ديسمبر1995م

القمر الذابل

(ألم تروا كيف خلق ربك سبع سماوات طباقاً؟ وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) ، (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) ، (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) ، (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح). وإذن فليس القمر معتماً ، وليست هذه الأرض كوكباً كما يزعم أصحاب الهيئة من أهل الضلال. إن ذبول القمر معناه ذبول الحياة ، ولكنها فترة مرحلية ليس إلا. وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع. وعلق الأستاذ جَمَاز الجَمَاز على هذا الحديث بقوله: (إن ابتلاء العبد المؤمن ، دليل على محبة الله له ، فالبلاء دائماً دليل خير ، وليس نذير شر ، ومن الابتلاء نقص الأنفس ، كموت الوالدين أو أحدهما ، أو الأخ أو الأخت أو الولد ، ومنه ، نقص الأموال ، كالفقر والخسارة في التجارة ، ومنه نقص الثمرات وقلة الأرزاق ، ومنه الإصابة بالأمراض والهموم أو الغموم ، ومنه مفارقة الأهل والأحباب والبعد عنهم ، ومنه التضيق على الإنسان في دينه ، فتعرض لمن يستهزئ به أو ينال من عرضه أو يعتدي عليه بالضرب ، أو ما هو أكبر من ذلك كالحبس أو الطرد أو الإقالة من الوظيفة ، وغير ذلك ، والناس في هذا مراتب ، فأكملهم إيماناً أعظمهم بلاءً وأقلهم إيماناً أخفهم بلاءً. وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ، ابتلي على حسب دينه ، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون. ولا ينبغي لمن ابتلي أن يجزع أو يسخط ، بل عليه الصبر والاحتساب ، فهو مثاب من حيث لا يشعر ، وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن عظم الجزاء من عظم البلاء ، ولهذا كان السلف إذا لم يصابوا بشيء ، وكانوا في نعمة وعافية ، داخلهم الشك أنهم ليسوا على حق. والإيمان بقضاء الله وقدره من خير وشر ، ركن من أركان الإيمان ، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بذلك. واعلم أن الله لا يخلق شراً محضاً ، فالشر إذا وقع ففيه مصلحة ومنفعة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. والصبر على أقدار الله المؤلمة واجب ، ويأثم الإنسان إذا لم يصبر ، كما لو تسخط بقول محرم أو فعل محرم ، والرضا بالمقضي والمقدور المؤلم سنة). هـ. فأنشدت للقمر أقول:

كيف نور البدر أغفى ثم بات الخوف كهفاً؟

ففي دجاجير المعاني صار كل الشعر حرفاً

والمنى يطالب ثوباً والجوى ينشد جرفاً

والسنا أضحى خيالاً في ظلام الحال أغفى

والمنايا حويل جيل يسأل الأيام منفى

والأماماني حائرات تعصف الأوهام عصفا
آه والدرب عسيز ثم عين الحق لهفي
تنزوي في صحن وجهه هل ضياء العين يخفي
ومداد الحق دمع فباق كل الحبر وصفا
ليس ما أكتب سحرأ لا ، ولا شـ عراً مقفا
خلف ما أكتب قصدي عسل - هـ ذا - مصفي
ففي ثايهاه مُرادى عشته جرحاً وصرفا
عقدي الثالث ولي وعسى الرابع أوفى
تجمع الأمال حولى عقدي الرابع صفا
وأراه يحتويني (نوخ) قد عمر ألفا
إن عمر المرء ولي عن جراحى اليوم شفا
إنني البائل عمري ففى ضباب يختفى
لست من يرضى بعمر منه قد ضيعت نصفا
ففى متاهاتٍ ، وهزل إن موتى مَدَّ كفا
غير أنى فى ظنوني راحلٌ أمعننت حتفا

ثم جرحني في فـوادي يثق بـ الآلام نـزفـا
وكن أن العمـر سـحب ترعد الإحساس قصفاً
وتفـل الـنفس فـلاً وتـرج القلب بـ خوفـا
وكن أن الـدار نـار تجعل الـأحزان سـقفـا
وكن أن الصـحـب أسـد تحمـل التـهـديـد سـيفـا
طـال لـيـل الـظـلـم حـقـاً فـمـتـى الـمـظـلـم وـمـ يـشـفـى؟
مـن جـراحـات سـيـاط بـيـد الجـلـاد عـسـفا
ومـتـى البـدر بـأرضـى يـبعـث الأتـوار عـزفـا؟
ومـتـى يـمـضـى أنـس أصـبحوا الأـسـوأ خـلفـا؟
ثم يعلـو النـور فـيها ويهـادى الحـق قـطفـا
ثم لا يعلـو وهـ ظـلم قـد كـفانـا الـيـوم ضـعفا
وكفـاهـمـا يـعـتـاني وكفـاهـمـا الآن خـسـفا
آه مـا أحـلـاك حـلمـاً باهـتـمـاً تنـكـأ طـرفـا!
سـوف لـن أسـأل يـومـاً كـيـف نـور البـدر دـفا؟

الوحدة العربية: (6949). 4 من جمادى الأولى 1416هـ. الموافق 28 من سبتمبر 1995م.

الوصية الخالدة

(مهما حاول المرء أن يقتنع نفسه بالرضا عن نفسه فما هو. وإن جد واجتهد في تحقيق ذلك فما هو بمستطيع! وإن لوم النفس دائم الطرق على سندان الضمير. وقد طالبتنا شريعة رب الأرض والسماء تبارك وتعالى بالمحافظة على الضرورات الخمس! قال ابن أمير الحاج: ويقدم حفظ الدين من الضروريات على ما عداه عند المعارضة لأنه المقصود الأعظم ، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ، وغيره مقصود من أجله ، ولأن ثمرته أكمل الثمرات وهي نيل السعادة الأبدية في جوار رب العالمين ، ثم يقدم حفظ النفس على حفظ النسب والعقل والمال لتضمنه المصالح الدينية لأنها إنما تحصل بالعبادات ، وحصولها موقوف على بقاء النفس ، ثم يقدم حفظ النسب لأنه لبقاء نفس الولد إذ بتحريم الزنا لا يحصل اختلاط النسب ، فينسب إلى شخص واحد فيهتم بتربيته وحفظ نفسه ، وإلا أهمل فتفوت نفسه لعدم قدرته على حفظها ، ثم يقدم حفظ العقل على حفظ المال لفوات النفس بفواته حتى إن الإنسان بفواته يلتحق بالحيوانات ويسقط عنه التكليف ، ومن ثمة وجب بتفويته ما وجب بتفويت النفس وهي الدية الكاملة ، ثم حفظ المال. قال الشاطبي: فقد انفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل ، وعلمها عند الأمة كالضروري ، ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه ، بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد. قال عبد الله قادري: وقد سمي صلى الله عليه وسلم الاعتداء على هذه الأمور موبقاً أي مهلكاً ، ولا يكون مهلكاً إلا إذا كان حفظ الأمر المعتدى عليه ضرورة من ضرورات الحياة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات). وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه) فبايعناه على ذلك. والوضوح مع النفس أنقى من الغموض. وجوهر النفس القلب. وهو المضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله ، بما في ذلك النفس ، وإن فسدت فسد الجسد كله. بما في ذلك النفس. والحياة من أجل القيم أعلى حياة.)

حَقَّقِ التَّوْحِيدَ أَغْلَى الْقِيَمِ مَا لَا تَكُن فِي حَقِّكَ الْمُنْهَزِمَا

أَنْتِ فِي الْآفَاقِ نَجْمٌ ظَاهِرٌ أَنْتِ أَحْرَى أَنْ تَبِيدَ الْأَلْمَا

أَنْتِ فِي الدُّنْيَا كَبِيرٌ أَبْدَأَ أَنْتِ نَبْرَاسٌ يَنْجِي الْقِمْمَا

أَنْتِ مِثْلَ الْحَقِّ عَالِ أَلْقَى جِيَاكَ السَّامِي سَيَعْلُو الْأَمْمَا

حطموا آهاتِك الحرى سُدى ثم باتوا يزرعون السأما
أعلموا سيف اللظى في دعةٍ أحرقوا الآمال ، شجوا القلما
أوغروا صدر الفتى في خلسةٍ ثم راحوا يذبحون الذمما
شوهوا الأحلام في مهد الصبا فاعتراها الضيْم ، صارت رمما
خربوا الإنسان من داخله بددوا الإحساس ، داسوا الخُرما
أشربوه الجبن في أوصاله دمّروا الرأس به والقدا
كباوا الأقدام منه ، والنهي فجّروا فوق اللهب الخمما
إن - في المقدر - إنساناً لكم يزرع العزم ، ويؤجى السدما
مؤمنٌ بالله يرجو نصره استوى خلقاً وذوقاً ودمما
حدّثوا عنه الدنا إن جهلت إنكم لم تعرفوا محترما
صدقوني ، لا تزيّدوا ألمي إفككم هذا يزيّد السقما
ثم - في المقدر - جيلٌ قادمٌ يرقب النصر ، ويسعى قدماً
إنني لا أكتب اللغز إن إنمما اللغز سرابٌ ودَمى
وكذا الألفاظ لا تكتبني إن - للألفاظ - قوماً شُبما

الوحدة العربية: (6972). غرة جمادى الآخرة 1416هـ. الموافق 25 من أكتوبر 1995م.

جمال الطفولة

(إن الطفولة كلها جمال فى جمال ، وكم تغنى الشعراء بها ، وكل من لا يحس بطفولته وبأريجها الجميل البديع ، فهو بليد الطبع ليس يحس بالعدوبة ولا يأنس بالحب ، ولا يميل إلى ما يميل إليه الإنسان. ويرى الدكتور عبد الفتاح إدريس أن علي الوالدين الحنو علي أولادهما ورحمتهم ، وروي عن ابن عمر أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا ، كما أوجب عليهما أن يقتربا من أطفالهما وأن يدخلتا عالمهما وأن يلها معاهما! فقد روي عن معاوية أن رسول الله قال: من كان له صبي فليتصابي له! وما كان يفعله رسول الله مع سبطيه خير مثال لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الوالدين وأولادهما ، فقد كان صلي الله عليه وسلم يمكنهما من الصعود علي ظهره ، ولا يقوم من سجوده حتي ينزلا خشية أن يؤذيهما ، وكان يحمل أمامة بنت ابنته زينب في الصلاة ويضعها حين سجوده ، ثم يعاود حملها في قيامه وهذا يقوم بإشعار الطفل بالأمن والحب مما يكون له أثره في تنشئته نشأة سوية).هـ.

إن الطفولة موعدٌ في خاطري ونضارة تسري بكل مشاعري
وطلاوة تخطو على قلم الهوى وعدوبة تلهو بكل محاورى
إنى لكل برعيم مترقّبٌ أدعو والإله له بدمع حادر
وأراه منى بضعة طهريّة ترجو الحياة بكل عز ثائر
هو غيث أمته ، ونور حياتها هو سيفها أبداً بكل مخاطر
آمالها منشودة في جياحه حيث الأعادي كالحسام الباتر
قد أجهزت - حقاً - على خيراتها حتام ينقذها ثبات مغامر
وقد اتقى المولى ، وسلل حسامه وانساب كالحسام المصيب الجازر
إن الحياة طفولة زهريّة ختمت رواها بالمشيب الزاهر

الوحدة العربية: (6804). 7 من ذو القعدة 1416هـ. الموافق 7 من ابريل 1995م

أريج الذكريات

(كتب الأوزاعي إلى أخ له: (أما بعد ، فقد أحيط بك من كل جانب ، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة فاحذر الله والمقام بين يديه وأن يكون آخر عهدك به ، والسلام). كتب بعض السلف إلى أخ له يقول له: يا أخي ! يخيل لك أنك مقيم ، بل أنت دائب السير ، تساق مع ذلك سوقاً حثيثاً ، الموت متوجه إليك ، والدنيا تطوى من ورائك ، وما مضى من عمرك فليس بكار عليك إلى يوم التغابن . قال بعض الحكماء: (من كانت الأيام والليالي مطاياها سارت به وإن لم يسر). إن لكل إنسان نظرة للحياة تنبثق من نظرتة واعتقاده. وكل منا غريب على أرض هذه الدنيا ويوماً سوف يرحل ويودعها وتبقى الذكريات بأريجها العذب! والتاريخ حافل بأريج الذكريات. قال الشيخ محمد بن عثيمين: (الدنيا ليست دار مقر ، بل هي دار ممر ، سريع راحته لا يفتر ليلاً ولا نهاراً ، فالمسافر ربما ينزل منزلاً فيستريح ، ولكن مسافر الدنيا لا ينزل وهو دائماً في سفر كل لحظة فإنك تقطع بها شوطاً من هذه الدنيا لتتقرب من الآخرة ، فما ظنكم بسفر لا يفتأ صاحبه يمشي ويسير أليس ينتهي بسرعة؟ بلى ولهذا قال الله سبحانه وتعالى (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضَاحِيًا). وقال الفضيل بن عياض: (المؤمن في الدنيا مهموم حزين ، ومن كان في الدنيا كذلك فلا هم له إلا التزود بما ينفعه عند العود إلى وطنه ، فلا ينافس أهل البلد الذي هو غريب بينهم في عزهم ولا يجزع من الذل عندهم). وقال الحسن البصري: (المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها للناس حال وله حال). وقال ابن بطال: لما كان الغريب قليل الانبساط إلى الناس بل هو مستوحش منهم إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه مستأنس به فهو ذليل في نفسه خائف وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره إلا بقوته عليه وتخفيفه من الأثقال. هـ. عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرٌ سَبِيلٍ! وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. قال الطيبي: شبه في هذا الحديث الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ولا مسكن يسكنه. ثم ترقى وأضرب عنه إلى عابر السبيل لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد. شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقطاع طريق ، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يسكن لمحة ، ثم عقبه بقوله إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح. (وعد نفسك في أهل القبور)! والمعنى استمر سائراً ولا تغتر ، فإنك إن قصرت انقطعت وهلكت في تلك الأودية). هـ. فما أقسى الغربة المشفوعة بالابتلاء.)

غريبٌ زاده الحمـدُ وقد أودى به الزهـدُ

ويبكي فرقة الخـيل ويشكو حرقـة البـعد

يعاني من أسى الحـزن ويرجو لحظة السـعد

يحب الخيـر ، والبـر وما من خير به بُد

غريبٌ يبذل النفس عُغ عطاءٌ ماله حـد
 أتى للبلذل ، لا غيرُ يريد النصر من غد
 ولم يشبع من الزاد حياة كلها كـد
 قد استغنى عن القوم ولم يمـد لهـم يد
 وجمع يـتقن الجهـل ورهـط يـتقن الصـد
 يـرد الحـق بالسـوط ويغشـى بالظـى الخـد
 عذابٌ كله العيشن وصقـع ظـالم الحـقـد
 وأرض مالهـا جـيـلن شـديد القـصـف كالرـعد
 يـرد المـارق الفـظ ويمحـو صـولة الجـد
 ويعطـي النـفس والنـدم ويهـوى ثـورة الأـسد
 فلم يرعبه من صوت ويرجـو وضـمة اللـحـد
 ولكـن جـيـلها الـوهم شـبابٌ مـاله مجـد
 يـداري خـيبة العمـرُ يحـب الطـيش عن عمـد
 ويهـوى سـقطة الظـل كـثير الشـكل والعـد
 له - في الشهوة - السبق جـوادٌ إن رأى النهـد

ويعدوي إن رأى العُري أسيرُ الشمر والقـد
وقيسن إن رأى الطيفَ ويشدو إن رأى (هنـد)
ويحبو إن دننا العشقُ كطفـل بسات في المهـد
ويرغوو إن رأى الفلمـم لسه الأفلام كالثهد
ويشدو في دجى الفسقُ وإن الفسق للوآد
شبابٌ أكثـر السـكر وخـان العهـد والوعـد
أسيفُ الصوت إن قـال رقيعُ الفـعل كـالقرـد
غريبٌ يطرق البـاب ويدعو القوم للرشـد
يزكيهم بما كان من الأقبوال والعهـد
له - في الحق - صولاتٌ يُجيد الصـدع والـذود
وقومٌ أشهروا السيفَ وقالوا: كيف يا وغد
فـعـانـى غـربـة الهـدي وقاسى وطأة النـقـد
ونادى ربه الحق وجلى دمعة الحمـد

الوحدة العربية: (6998). الأربعاء 29 من جمادى الآخرة 1416هـ. 22 من نوفمبر 1995م

اليراع الذبيح بين الظل والحرور

(قال: الشعر من فوق الركبة وطالع. فقلت له: ألا ينفع من فوق الركبة ونازل؟ فقال: إذن تقتل الموهبة! وفي مقال للأستاذ محمود البشبيشي المدرّس بدار العلوم يتساءل فيقول: (ماذا يريد القوم؟ وأيّ غرض يرمون إليه؟ ماذا يريدون بمجمع البحور، وهو نوع لا حظ له من النغم الموسيقي، الذي هو روح الشعر، وسر تقدمه على النثر، هو لون من القول يريد أن يخدع الناس عن نفسه فلا يلبثون أن يعرفوا حقيقته، ويدركوا أنّه لا إلى الشعر ولا إلى النثر. لقد أبان لهم (الدكتور الفاضل) أن هذا بدع من القول لم تعهده اللغات الأخرى، ولم ينزل إليه شعراؤها النابهون، أمثال (شكسبير) وصاحب الشاهنامة، وعهدنا بأصحاب هذه الدعاوى، إذا أخذهم الدليل أن يتشبثوا بأهداب التجديد، ويجروا وراء الأدب الغربي، فإذا كانت حجتهم داحضة، وأسبابهم واهية، وإذا كان فحول شعراء اللغات الأخرى لم يلتفتوا إلى (مجمع البحور) فماذا عساهم يقولون؟ ما أظن الباعث لأكثر هؤلاء إلا الطموح إلى الشهرة وذيوع الصيت، يستهينون في سبيله بلغتهم، وهي مناط العظمة، وديوان المفاخر، ومظهر الكرامة والعزّة القومية، هم يحسدون الشعراء على مكانتهم! ويحاولون ألا يقصروا في كل مظاهر العظمة، فيتعلّقون بأهداب الشعر، فإذا هو نافر منهم، ويرون معاناة الشعر أمراً عسيراً على طبائعهم، شديداً على نفوسهم ويدركون أن العقبة الكؤود دون الذي يريدون، قوانين دعت إليها طبيعة الشعر كفن من فنون الموسيقى، وأقواها في نظرهم وحدة الوزن والقصيدة أو ما يعبر عنه بالبحور، فلا يهدأ لهم بال، ولا يقر لهم قرار حتى ينفروا الناس من هذه القوانين لعلمهم أن يحطموها، فتصير طريق الشعر في زعمهم واضحة معبّدة، وعند ذلك يستوي الشاعر والمنتشاعر، ويندس في زمرة الشعراء الملهمين من لا يمت إلى الشعر بسبب، وقد نسوا أن الشعر كالموسيقى والصوت الحسن لا ينفاد إلا لمطبوع عليه. رويدكم أيّها العابثون! فما أنتم ببالغي هذه الغاية! وإن تراءت لكم قريبة المزار، إنّ شعراً يفقد أهم عناصره وهي وحدة الموسيقى لجدير أن تمجه الأذان، وتنفّر منه الطباع، وما كان هذا شأنه. فلن يرقى إلى درجة الشعر الصحيح ولن يجد من النفوس إلا احتقارا، ثم لا يلبث أن يقبر في مهده. وإنه لخير مما تريدون أن يسمع الإنسان كلاماً منثوراً منسجماً لا تكلف فيه، ولا تتعب أذنه في التوفيق بين أنغام مختلفة متنافرة، لا حظ لها من الشعر، ولا روح لها من ألفة موسيقية، وإن يوماً يستحيل فيه الشعر إلى ما ذهبتم إليه لهو يوم القضاء على الشعر العربي وجناية هذا على الأجيال المستقبلية أخطر مما تتصورون. ليس يجدي ما تدعون إليه أن يتجلى على الناس في حلة الشعر وأن يحمل بين يديه قيثارته، فلن تلبث الحلة الخادعة، أن تبدو مهلهلة شتى الصور والألوان فتقذي بها الأعين، ولن تلبث القيثارة أن تظهر أوتارها المتناثرة فتحجبها الأذان. ولا يلبث ذلك المسمّى شعراً أن يبدو في حلته عظاماً نخرة، لا تقوى على الهواء فتعود رفاتا سحيقاً، فاعملوا للتجديد إن كنتم صادقين على دعائم ثابتة من القديم، وإذا يمضي أدبكم العربي المجيد في طريقه قُدماً، ويتسع لما شئتم من جديد (نافع). هـ. وأعود للموازنة الغربية العجيبة!)

موازنة صـداها مسـتحيلٌ وتفصيل الحقائق قد يطوؤ

وبيع للمبادئ في مزيد وأزهار يسـرربلها الذبول

وهدم للثوابت والمعالي وطيشن ليس تقبله العقول
وعشق للتهتك لا يبارى وكرثة نأت عنها الحول
وموهبة تسخر في الدنيا وصاحبها لشهوته قليل
نظمت قصائدي ذهباً سبيكاً وشعري العف للمأوى سبيل
ولم أرض الدنيا في قريضي ولا يرضى الخنا إلا الذليل
عفت عن الخلاعة فيه حتى تحير في طهارته الذهول
وكان علي أن ألقى المنايا وإن لقاءها شرّ وبيل
فواجهت الصعاب بكل بأس ولم يخطر - على البال - النكول
مع المتشاعرين قوى الطواغي وأموال تشيعها الطبول
وتأييد ودعم وانتصار وتشجيع نأى عنه المثيل
وليس معي سوى المولى معيناً تبارك ربنا نعم الوكيل!
وأصحاب شقيت بهم كثيراً وآفة عيشنا الخل الخذول
حروور الصدق أنفع من ظلال يقدما لي النذل العميل

أمسك عليك زوجك

(خَبَّبُوهَا عَلَى زَوْجِهَا وَفَتَنُوهُ عَنْهَا. وَهِيَ بَرِيئَانِ فَنَصَحْتَهُ! قَالَ الْأَسْتَاذُ خَالِدُ سَعُودِ الْبَلِيدِ - عَضُو الْجَمْعِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ لِلْسَّنَةِ ، تَحْتَ عُنْوَانِ: (الإفساد بين الزوجين) ما نصه: (جعل الله الزواج سَكَنًا وَأُنْسًا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، قَالَ تَعَالَى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ). وَقَدْ حَرَصَ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ عَلَى تَقْوِيَةِ أَوَاصِرِ الْمَحَبَّةِ وَدَفْعِ الْأُمُورِ الْجَالِبَةِ لِلخِلَافِ وَالْفِرَاقِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، وَقَالَ: لَا يَفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خَلْفًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَقَالَ أَيْضًا: خَيْرِكُمْ خَيْرِكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرِكُمْ لِأَهْلِي. وَمِنَ السَّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ وَقُوعِ الْمَشَاكِلِ الزَّوْجِيَّةِ فِي الْبَيْتِ الْمُسْلِمِ ، حَتَّى بَيْتِ النَّبُوَّةِ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ ذَلِكَ لِحُكْمِ رَبَّانِيَّةِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعَ مِنْهَا رَائِعًا فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْمَشَاكِلِ وَالخِلَافَاتِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ يَتِمُّثَلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا. وَالْإِفْسَادُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ جَرْمٌ عَظِيمٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ ، وَهُوَ مِنْ جِنْسِ عَمَلِ السَّاحِرِ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْرَقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ. وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَفْرَحُ بِهِ إِبْلِيسُ عِنْدَ بَعْثِهِ سَرَايَاهُ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فِي النَّاسِ فَأَقْرَبُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا زِلْتُ بِفُلَانٍ حَتَّى تَرَكَتُهُ وَهُوَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ إِبْلِيسُ لَا وَاللَّهِ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. وَيَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكَتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ. قَالَ فَيَقْرَبُهُ وَيُذْنِبُهُ (ويَلْتَزِمُهُ) وَيَقُولُ نَعَمْ أَنْتَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَالْإِفْسَادُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ لَهُ صُورٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: (1) الْمَشْيُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ بِالنَّمِيمَةِ ، وَكَلَامِ السُّوءِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ. (2) تَخْبِيْبُ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا وَإِغَارُ صَدْرِهَا بِذِكْرِ مَسَاوِيهِ ، أَوْ تَحْرِيطِهَا عَلَى الْخُلْعِ وَالطَّلَاقِ أَوْ الْمَطَالِبَةِ بِمَا لَا يَحِقُّ لَهَا ، أَوْ نُشُوزِهَا وَالخُرُوجِ عَنْ طَاعَتِهِ. (3) إِفْسَادُ الرَّجُلِ عَلَى زَوْجَتِهِ: بِذِكْرِ مَسَاوِيهِ وَسُوءِ أَخْلَاقِهَا ، أَوْ ذَمِّ أَهْلِهَا وَتَحْرِيطِهَا عَلَى فِرَاقِهَا. (4) أَمْرُ الْوَالِدِ وَلَدِهِ بِطَّلَاقِ زَوْجَتِهِ مِنْ غَيْرِ دَاعٍ شَرْعِيٍّ ، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْوَالِدِ عَدَمُ طَاعَتِهِ فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَفِيهِ ظَلَمٌ لِلزَّوْجَةِ وَسَأَلَ رَجُلٌ الْإِمَامَ أَحْمَدَ: إِنْ أَبِي يَأْمُرُنِي أَنْ أَطْلُقَ امْرَأَتِي؟ قَالَ: لَا تَطْلُقْهَا! قَالَ: أَلَيْسَ عَمْرُ ابْنِهِ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَطْلُقَ امْرَأَتَهُ؟ قَالَ: حَتَّى يَكُونَ أَبُوكَ مِثْلَ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فَيَمْنُ تَأْمُرُهُ أُمُّهُ بِطَّلَاقِ امْرَأَتِهِ؟ قَالَ: لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَطْلُقَهَا ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَبْرِهَهَا! وَليْسَ طَلْقُ امْرَأَتِهِ مِنْ بَرِّهَا. (5) اشْتِرَاطُ الزَّوْجَةِ طَلْقَ صُرْتِهَا سِوَاءَ مَنْ ذَلِكَ عِنْدَ إِبْرَامَ الْعَقْلِ أَمْ بَعْدَ زَوَاجِهَا ، فَيُحْرَمُ عَلَى كِلْتَا الزَّوْجَتَيْنِ طَلْبُ فِرَاقِ الْأُخْرَى لِأَنَّهُ مِنَ الظُّلْمِ ، وَسُوءِ ظَنِّ بِاللَّهِ ، وَضَعْفِ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَقَدْ نَهَى عَنْهُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَسْأَلِ الْمَرْأَةَ طَلْقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إِنْثَانِهَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ. (6) تَخْبِيْبُ رَجُلٍ أَعْجَبِيٍّ امْرَأَةً مَتَزَوَّجَةً وَإِقْنَاعَهَا بِطَلْبِ الطَّلَاقِ مِنْ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ! فَإِذَا حَصَلَ الطَّلَاقُ تَزَوَّجَهَا ، فَيُحْرَمُ ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ الزَّوْجُ الْأَوَّلُ ظَالِمًا لَهَا ، وَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ إِلَى فِسَادِ عَقْدِهِ مَعَامَلَةً لَهُ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ. (7) تَدْخُلُ أَعْجَبِيٍّ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَقْتُ النِّزَاعِ ، وَالسَّعْيِ فِي الطَّلَاقِ. هـ. وَأَنَا أَنْتَهَزُهَا فُرْصَةً وَأَطْلُبُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ عَاقِلٍ أَنْ يُوَاجِهَ التَّخْبِيْبَ بِالْإِمْسَاكِ! وَأَنْ يَفُوتَ الْفُرْصَةَ عَلَى الْمُخْبِيْبِينَ الْمَاكِرِينَ الْمَفْسِدِينَ! وَلِيَتَّقِ اللَّهُ كُلَّ مَخْبَبٍ مَفْسِدٍ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ لِأَنَّ الْحَقَّ لَا يَمُوتُ أَبَدًا!)

اليوم تنتحُرُ الكُـرُوبُ الْمُـجَلِّـةُ وتبـوءُ - بِالْبُلُوِّ الشُّكُوكُ - الْمُعْضَلَةُ

ويُـرَدُّ حَقُّ ظَالِمٍ عِبْثًا بِهـ أَيـدٍ - بِأَحْقَادِ النِّفَوسِ - مُضَلَّلَةُ

ويعود - للمهضوم - جُـل كرامةٍ كانت ترفرفُ ، كالرياح المُرسلة
يا أيها المظلوم أمسك زوجة
بين الذي اختلقوه والتقوى مَدَى والله ما - بين القرانن - مِن صلة
معذورة هذي لَمَّا اجترح الغشا وهي الضحية ، إن دهنتنا القنبلة
عبثت بفطنتها وسأوسُ من لغا حتى غدتُ بجنى الهواجس مُثقلة
وتبدلت تبعا لَذا أحوالها وأنتك في غل الزيوف مُسلسلة
وحقوقها غيضا لَاعتى غاصب فمتى يُرجع غاصبٌ ما ليس له؟
ضحكوا عليها بالأكاذيب انطلتُ بسراب حق ، ما لها من أمثلة
حتى استكانت للأحاجي صاغها أشقى الأقارب في سراديب البلاء
هذي ورببي يا أخَيّ ضحية فارق بها ، وأعدُ حساب المسألة
أخذتُ بلهجة من يكيل لها الجوى والمسرحية ياللييب مفصلة
لا تسأل المأخوذ ما أودى به يا صاح أقصر عن توالي الأسئلة
فاعقل ، وأجمل ، واستفق ، ودع الخطا واضم إليك الزوج ، وامح المهزلة
إن الأمور عليك ما التبست ، فكن فطن السريرة في قضاك المعدلة

لا أعرف يا بني

(مثله في ذلك مثل كثير من الآباء سافر مع أسرته للارتزاق. وفي الطائرة ذهب الوالد لحاجة ما! وعاد بعدها ليجلس في مقعد آخر أكثر راحة ، حيث رتب ذلك الأمر مع المضيفات بالطبع! فسأل أحد الصبية: أين أبي؟ فأجابت الأم: هناك في مقعد آخر. وكان ذلك في رحلة الأسرة الأولى. وشاء الله تعالى أن يموت الوالد وتعود الأسرة به مُسَجَّى في كفنه ، فسأل أحد الصبية أمه أين أبي؟ فأجابت الأم الأرملة: لا أعرف يا بني! وحول الابتلاءات وأثرها في حياة المسلمين قال محمد المنجد ما نصه: (لقد اختار الله لنبيه صلى الله عليه وسلم العيش الشديد الذي تتخلله الشدائد ، منذ صغره ليعده للمهمة العظمى التي تنتظره والتي لا يمكن أن يصبر عليها إلا أشداء الرجال ، الذين عركتهم الشدائد فصمدوا لها ، وابتلوا بالمصائب فصبروا عليها. نشأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتيماً ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى ماتت أمه أيضاً. والله سبحانه وتعالى يُذَكِّرُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله بهذا فيقول: (ألم يجدك يتيماً فأوى). فكان الله تعالى أَرَدَ إِعْدَادَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تحمل المسؤولية ومعاناة الشدائد من صغره. ومن حكم هذه الابتلاءات والشدائد أنها تذكرك بذنوبك لتتوب منها. والله عز وجل يقول: (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) ، ويقول: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ). فالبلاء فرصة للتوبة قبل أن يحل العذاب الأكبر يوم القيامة ؛ فَإِنَّ الله تعالى يقول: (وَلَنذِيقَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ، والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونقصها وما يصيب الإنسان من سوء وشر. وإذا استمرت الحياة هائلة ، فسوف يصل الإنسان إلى مرحلة الغرور والكبر ويظن نفسه مستغنياً عن الله ، فمن رحمته سبحانه أن يبتي الإنسان حتى يعود إليه. والابتلاء يكشف لك حقيقة الدنيا وزيفها وأنها متاع الغرور ، وأن الحياة الصحيحة الكاملة وراء هذه الدنيا ، في حياة لا مرض فيها ولا تعب (وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) ، أما هذه الدنيا فنكد وتعب وهم: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ). والابتلاء يذكرك بفضل نعمة الله عليك بالصحة والعافية ، فَإِنَّ هذه المصيبة تشرح لك بأبلغ بيان معنى الصحة والعافية التي كنت تمتعت بهما سنين طويلة ، ولم تتذوق حلاوتهما ، ولم تقدرهما حق قدرهما. والمصائب تذكرك بالمنعم والنعم ، فتكون سبباً في شكر الله سبحانه على نعمته وحمده. والابتلاء يجدد الشوق إلى الجنة ، ولن تشاق إلى الجنة إلا إذا ذقت مرارة الدنيا ، فكيف تشاق للجنة وأنت هائي في الدنيا؟). هـ. والصبر دواء المبتلين! قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: (ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً). وقد سبق الصبر في القرآن في عدة أنواع ذكرها ابن القيم في كتابه (عدة الصابرين): أحدها: الأمر به ، كقوله: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) ، وقال: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ). الثاني: النهي عما يضاده ، كقوله تعالى: (وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) ، وقوله: (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ). الثالث: تعليق الفلاح به ، كقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). فعلق الفلاح بمجموع هذه الأمور. الرابع: الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره ، كقوله: (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) ، وقوله: (إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ). الخامس: تعليق الإمامة في الدين ، به وباليقين ، قال الله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يُهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ). وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نفذ ما عنده ، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر). وقوله صلى الله عليه وسلم: (ومن يتصبر): أي يطلب توفيق الصبر من الله ؛ لأنه قال تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ). أي يأمر نفسه بالصبر ويتكلف في التحمل عن مشاقه ، وهو تعميم بعد تخصيص ؛ لأن الصبر يشتمل على صبر الطاعة والمعصية

والبلية ، أو من يتصبر عن السؤال والتطلع إلى ما في أيدي الناس بأن يتجرع مرارة ذلك ولا يشكو حاله لغير ربه. (يصبره الله): بالتشديد أي: يُسهل عليه الصبر ، فتكون الجمل مؤكدات. ويؤيد إرادة معنى العموم قوله: (وما أعطي أحد من عطاء): أي شيئاً ، (أوسع): أي أشرح للصدر ، (من الصبر): وذلك لأن مقام الصبر أعلى المقامات).

راحلٌ ، والنفس فاضت أدمعاً والفؤاد الغض أمسى مُوجعاً

وعذاب الروح أعتى والأسى وبكاء الدمع غشى المدمعاً

راحلٌ ، والموتُ حقٌ والفنا ومصائبُ الموت كالأصوُعاً

كاد باع الصبر يُدمي عزمتي وغموم الصمت تكوي الأضلعاً

قالت الحال ، اصبري لا تجزعي أوشكت شمس الصبا أن تطلعاً

لست أدري يا صغيري ، فاعفني من جواب يستجيش الأدمعاً

رحل الراعي ، فبتنا عالمة ورياضُ العيش أمسيت بلقعاً

وعبيرُ البدر ولي ، يافتى ونسيم الملتقى لن يرجعاً

وضياء الكون في النعش خبا كفن الأحلام باتت الموضعاً

فوق متن الريح بتنا كلاً كل حلم باتت جمراً مفزعاً

راحلٌ ، والكون - في النعش - خبا أتظن المال هـذا مرتعاً

لا تحرك في أهـداب الشققا أسدل الأوهام كيلاً تجزعاً

لا تسائلني ، لأنني أكتوي بسؤالاتٍ تؤذي المسمعاً

لا تلمني في انفعالي ، إنني صرتُ قوتاً للمنايا أجمعاً

راحلٌ ، قد كان يحيى بيننا طالما أثيرى سراجاً مُبدعا
طالما ضم الصغير أنسه طالما أعطى يقيناً مُشبعاً
تذكر الأيام يا شبلي هنا؟ أم طواك الخطب صرت المطمعاً؟
أنت شبليّ - في سما العليا - استمى لا تكن - في الكرب هذا - ضفدعا
عطر القلب بصبر نابض وعسى حب الهوى أن يشفعا
عين فابك الزوج هذا أكثرى كان ضرغاماً يفوق الأسبعا
صديقي قلبي ، لقد كان المضا ولكل الجود كان المنبعا
بات - في الذكرى - نسيماً عابراً من مرور البرق أضحى أسرعاً
أنتم الآمال والذكرى معاً لا تكونوا - في التحدي - أضبعا
أنتم الريحان يُزكي جؤنتي عطروا الدار ، وزفوا الموقعا
كيف لا أسعى ، وأنتم خطوتي ولكم أدعو ، وأبكي في الدعا
عطروا الأجواء - هذي - بالهنا وعن الإقدام شجوا البرقعاً
واحمدوا المولى على إسلامكم نحن - بالإسلام - صرنا أرفعاً

الوحدة العربية: (6950). 6 من جمادى الأولى 1416هـ. الموافق 30 من سبتمبر 1995م

عفاف في هجير الانكسار

(إن عزة النفس الإيمانية أعظم من المال والثراء ، بل من الدنيا بأسرها. وتكون الكارثة عندما يعصف بهذه العزة هجير الانكسار ، والنصر حليف الحق ، ولكل جبار نهاية ، ولكل مظلوم مقهور يوم انتصار! يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله . ويقول أيضا: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلاً. ويقول الحسن رضي الله عنه: إنهم وإن هملجت بهم البراذين. ووطئت أعقابهم الرجال ، إن ذلّ المعاصي لا يفارق رقابهم يأبى الله إلا أن يذل من عصاه. وموقف النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي طالب: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك يأتيك في كعبتنا ونادينا فيسمعنا ما يؤدينا به فإن رأيت أن تكفه عنا فافعل ، فقال لعقيل ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم: يا عقيل التمس لي ابن عمك ، فخرج ويبحث عنه فلما وجدته ذهب به حتى انتهى إلى أبي طالب ، فقال له أبو طالب: يا ابن أخي والله ما علمت إن كنت لي لمطيعاً ، وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وناديتهم فيسمعهم ما تؤذيهم به ، فإني رأيت أن تكف عنهم. فخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره إلى السماء فقال: والله ما أنا بأقدر على أن أدع ما بعثت به من أن يشتعل أحدكم من هذه الشمس شعلةً من نارٍ. فقال أبو طالب: والله ما كذب قط ، ارجعوا راشدين. يقول الأستاذ أحمد السعدي تحت عنوان: (الحزن من منظور إسلامي) ما نصه: (هذا ولو كان الحزن مقصوداً لما استعاذ رسولنا صلى الله عليه وسلم منه في الصحيح ، فقد روى الشيخان من دعائه صلوات الله عليه: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، بل قد وصف له الدواء ، وكيف يداوي أمراً مقصوداً في الشرع ؛ ففي حديث الشيخين: إنَّ التلبينة تُجَمُّ فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن! بل علمنا صلوات ربي وتسليماته عليه دعاءً لدرئه ، ففي الحديث: (ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمّتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدلٌ فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي ، إلا أذهب الله عزي وجل همّه وأبدله مكان حزنه فرحاً ، قالوا: يا رسول الله ، ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: أجل ، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن). (رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبخاري ، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح ، غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان. فالحزن في الكتاب والسنة كالحمي ، بلاء من الله ، يكفر الذنوب للصابر والراضي عن قضاء الله كما في الحديث الصحيح: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزْنٍ حَتَّىٰ اللَّهُ يَهْمُهُ إِلَّا كَفَّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ). لكن لا يجوز استجلابه والسعي إليه ؛ لأنه مرض عارض ، يحاول به الشيطان أن يضعف المؤمن عن مشاركته في بناء الحياة وعمران الخليقة كما هو مأمور من الشارع جلّ وعلا ، ومن تتبّع السنة وجد فيها مصداق ما تقدّم من توصيف الحزن في المنظور القرآني ، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم ربط الحزن بالشيطان في حديث الشيخين ورؤيا تحزين من الشيطان كما وجدنا هذا الربط في قوله سبحانه: { إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا } . ولذا فهو مأمور بالتداوي منه كالأعراض الحسية). هـ. وموقف أم حبيبة - رضي الله عنها - مع أبي سفيان قبل إسلامه: دخل أبو سفيان على ابنته أم حبيبة رضي الله عنها فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته دونه ، فقال: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت امرؤ نجس مشرك ، فقال: يا بنية لقد

أصابك بعدي شرٌّ. قال المناوي في كتابه فيض القدير: فينبغي للعالم أن لا يشين علمه وتعليمه بالطمع ولو ممن يعلمه بنحو مال أو خدمة وإن قل ولو على صورة الهدية التي لولا اشتغاله عليه لم يهداها وقد حث الأئمة على أن لا يدنس العلم بالأطماع ولا يذل بالذهاب إلى غير أهله من أبناء الدنيا بلا ضرورة ولا إلى من يتعلمه منه وإن عظم شأنه وكبر قدره وسلطانه والحكايات عن مالك وغيره مشهورة! فعلى العالم تناول ما يحتاجه من الدنيا على الوجه المعتدل من القناعة لا الطمع وأقل درجاته أن يستقذر التعلق بالدنيا ولا يبالي بفوتها فإنه أعلم الناس بخستها وسرعة زوالها وحقارتها وكثرة عنانها وقلة غناها. وقال القرطبي: فمن كان يريد العزة لينال الفوز الأكبر ويدخل دار العزة ، فليقصد بالعزة الله سبحانه والاعتزاز به فإنه من اعتز بالبعد أدله الله ومن اعتز بالله أعزه الله. وقال أبو بكر الشبلي: (من اعتز بذى العز فذو العز له عزٌ). وقال الشافعي: (من لم تُعزّه التقوى فلا عز له). وعزة المؤمن هي حياته التي يحيها بين الأحياء!

بت لا أخشى على دمعي الجفاف في هجير النذل ، في البيد العجاف
والإباء - اليوم - صعب المرتقى في حضيب الأرض ما أقسى المطاف
والعييد البهم صاروا سادة ألهوا - في ساحة النوى - (إساف)
كفكف الدمع فوادي ، واتئذ واسكب الذكرى على ومض العفاف
إنما الأحرار ولي دهرهم وئدت يا صاح أغصان وراف
قد أرادوا العز في الدنيا ، لذا ذبحوا - في عزهم - ذبح الخراف
فانأ عن نار التردى والأسى كنت بالأمس أبيضاً لا تخاف
فلماذا - اليوم - تخشى بأسهم؟ ولماذا لم تنزل عنك الجفاف؟
كم رأيناك عزيزاً شامخاً تزرع الذكرى بأعطاف الضفاف؟
وتريد العيش عزاً خالصاً لو تظيبت بنيران الكفاف
فلماذا - اليوم - أعياك البلا؟ أين ضاعت منك أنسام لطاف؟

أيها المكبوت في نار الإبا حولك الهلكى تعالوا كالزراف
أمعنوا في الرق دهرأ ، والخنأ وتمادوا في مهاوي الانحراف
فاكسر القييد ، ودع عنك العنا وارجم الكبت بهاتيك الخفاف
وامض فذاً في ثنيات العُلا واقبر الأحلام في لحد الخلاف
إنما الدنيا سراب زائل طاب - من جنات مولانا - القطاف
ثم حور ، وزواج ممتع في جنان الله ، ما أحلى الزفاف!
لن تزف للمُداجي غادة بل ، ولن يحظى بمعسول الشغاف
إن نور الفجر منخور الهنا فاسم للعليا كما يسمو الغداف
لا تخف - يوماً - سحاباً في السما كيف يخشى الفذ إظلام الطحاف؟
واعزل من اعرضوا يا صاحبي أه لو بانيت سبيلاً للشعاف!
لاستبان الدرب من قد آمنوا ولمح الحر من فيه العلاف
هو لا يحيي الدنيا ذلها بات عبئاً فوق هامات الضعاف
ينصر المولى ، ولا يخشى الأذى ويحب العيش في عز الشظاف
لا يريد العيش ذلاً بالغنى هو - بالتقوى - سعيداً ومُعاف

وليه - في الحق - صولاتٌ سمّتْ رَغْمَ عَظْمَاتِ تَلِي اللحم نحاف
لفظ الإسرافِ ، لم يعبأ به يعشق القصعة ، لا يهوى الصحاف
ساهر الليل ، ويتلو ذِكْرَه لفظ النوم ، وقد مج اللحاف
لكن الدرب ملئ بالأذى وعمالات البرايا كالرعاف
ونفاق القوم أضحى طابعاً يملأ الأجواء ، حتى والقحاف
وغدا الظلام كتاباً فاحملاً دامع الأوراق ، حتى والغلاف
وأجداد الناس أليهتْ دوا أحسنوا - حول الطواغيت - الطواف
وغدا الحر ذليلاً بينهم واستراح الكيد ، أمسى لا يخاف
رب أنت الحق أبطل سحرهم وأذل الشرك - ربي - والجفاف

الوحدة العربية: (6946). غرة جمادى الأولى 1416هـ. 25 من نوفمبر 1995م

الإعصار

(مها كتب الكاتبون وقصد الشعراء قصاندهم متحدثين عن النبي (صلى الله عليه وسلم) فما وفوه حقه العظيم. وهذه هي أولى قصاندي عنه (صلى الله عليه وسلم) وأنا فيها أشبه بعثته - كما يتجلى من عنوان القصيدة - بالإعصار الذي ذهب بالكفر والكافرين ، والشرك والمشركين ، والأوثان والوثنيين ، والخرافة والخرافيين إلى غير رجعة. إن البعثة في تصوري تجديد لهذا الدين العظيم (الإسلام). فلقد جدد النبي (صلى الله عليه وسلم) ملة أبيه إبراهيم ودين إخوانه الأنبياء والمرسلين الذين سبقوه من لدن آدم ونوح وحتى المسيح ابن مريم - عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه - . فبعثته بعثت أمة موحدة من رقدة العدم. ليس هذا فقط بل زال الشرك والكفر ، وظهرت الأرض ، وعاد إليها التوحيد الحق. تحدث شعراء كثيرون عن ميلاد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وأتحدث عن بعثته (صلى الله عليه وسلم) ، وكلاهما حدث تاريخي هام غير الحياة والأحياء. غير أن البعثة أهم في وقعها من الميلاد. يقول الأستاذ الدكتور عادل بن علي الشدي تحت عنوان: (في رحاب السيرة النبوية) ما نصه: (أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن بعثته علامة من علامات الساعة ودليل على قرب قيامها ، حيث إنه - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين ، فلا نبي بعده. وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة ، ومنها حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين - يعني أصبعيه: السبابة والوسطى -». وهذا الحديث وغيره مما هو في معناه يدل على أن بعثته - صلى الله عليه وسلم - أول أشراط الساعة ، فهو خاتم النبيين وآخر المرسلين ولا نبي بعده ، وإنما يليه قيام الساعة ، كما يلي في الأصابع السبابة الوسطى ، كما ورد هذا التشبيه في الأحاديث الماضية. قال القرطبي - رحمه الله - وهو يتحدث عن أشراط الساعة: أولها النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه نبي آخر الزمان ، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي! وقال الحافظ ابن رجب - رحمه الله - وقد فسر قوله - صلى الله عليه وسلم : «بعثت أنا والساعة كهاتين» فقرن بين السبابة والوسطى ، بقرب زمانه من الساعة كقرب السبابة من الوسطى وبأن زمن بعثته تعقبه الساعة من غير تخلل نبي آخر بينه وبين ذلك النبي). هـ. يقول الأستاذ عبد الرحمن عبد الوهاب عن فقه المجد ما نصه: (يقول عبد الرحمن الكواكبي: إن المجد هو إحراز المرء مقام حب واحترام في القلوب وهو مطلب طبيعي شريف لكل إنسان لا يترفع عنه نبي أو زاهد. ولا ينحط عنه دنيء أو خامل. للمجد لذة روحية تقارب لذة العبادة عند الفاتين في الله ، وتعادل لذة العلم عند العلماء ، وتربو على لذة امتلاك الأرض مع ثمرها عند الأمراء ، وتزيد على لذة مفاجأة الإثراء عند الفقراء. لذا يزاحم المجد في النفوس منزلة الحياة. والحاصل أن المجد هو المجد. محبب للنفوس لا تفتأ تسعى وراءه وترقى مراقبه ، وهو ميسر في عهد العدل لكل إنسان حسب استعداده وهمته ، وينحصر تحصيله في زمن الاستبداد بمقاومة الظلم حسب الإمكان. ويستطرد الكواكبي في قضية اختيار المجد على الحياة. حيث طالما أشكل على الباحثين أي الحرصين أقوى؟ حرص الحياة أم حرص المجد؟ والحقيقة التي عول عليها المتأخرون ، أن المجد مفضل على الحياة عند النجباء والأحرار حمية ، وحب الحياة ممتاز على المجد عند الأسراء والأذلاء طبيعة ، وعند الجبناء والنساء ضرورة. يقول الإمام علي: من أمضى يومه في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد بناه أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه. وكان سعد بن عباد يقول: اللهم هب لي حمداً ومجداً ، ولا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ، اللهم لا يصلحني ولا أصلح إلا عليه). هـ. وأعود للبعثة النبوية!)

هظلت بأصقاع الدنا الأمطارُ وانفكت الأغلال والأسحارُ

وانزاح كـربّ في القلوب وغممة وتزلزل الضلال والأشـرار
ودهت مجوس الأرض أغبرُ علةٍ وغدا - بأيدي الفاتحين - سُوار
والرومُ بعدُ ، فمستباح عـزها والقيـدُ زال ، وشـردَ الكفار
والشركُ غيـل ، وسـربلت أوتـاده ورأى الهـوان ، وذاقه الفجار
وتحطمت أصـنام كل قبيلةٍ (وسـلومها) ، والـوثنُ ، والأحجار
وانهد - جبراً - بأسـ كل معرـبٍ وترنمت - لرحيـاه - الأطيـار
وتبسـمت أم القـرى وجبالها وتلاأت - من حولها - الأمصار
بُعـثَ النبي ، فيا خليفة أبشـري وليهنأ الرنبالـة الأخيـار
جاء البشـيرُ ، فحق أن تتعـطري وثقلـدي تـاج الهـدى يـادار
والنورُ أشـرق في الديار ، وعمها واجتـاح - ما غصت به - الإعصار
وأعيدَ للـدنيا التـشامخ والضـيا والرشدُ عانق نورَه الأبرار
وبكل خسـر بـاء أصـحاب الهوى واستبشـر الرهبانُ والأحبار
والعدلُ سـاد ، ورفرفت رأياثـه والظلم بـاد ، وبـادت الأوزار
والبيـتُ عمـره التـقاة تنسـكاً وتوافد العـبادُ والـزوار
وسـتـحكم الـدنيا شـريعة (أحمـد) ولتخسأ الصـلبان والأحجار

وعلى شريعة (أحمد) كل الدنيا كالأرض تحيي ميتها الأمطار
وسينصر الجبار دين (محمد) فليخسب القاتون والخمصار
والظالمون الحق أزهق ظلمهم وضلالهم ، لم ينفع الإصرار
رب السما والأرض هازم جمعهم فهو العزيز الغالب الجبار
والأمر أمر الله ، لا صدق ولا شبة هنالك ، إنها الأقدار
بعث النبي ، فيا خليفة فاخري إن انتسابك للنبي فخار
والصحب راموا جنة يوم الجزا من تحتها تتدفق الأنهار
يا ليت شعري كيف هم قهروا العدا؟ شهدت بذلك أنجد وقفار
ما بين قوم هاجروا برعيلهم إذ أحذقت بقراهم الأخطار
وهناك قوم هاجروا وتجردوا إن الألى أوا هم الأنصار
صلى المليك على النبي وآله والصحب - من خلف المؤيد - ساروا
وعقائل أزواجه خير النساء ما جن ليلاً ، واعتلاه نهار
والتابعون سبيله ورشاده ماضاء نجم ، واحتواه مدار

الوحدة العربية: (6974). 4 من جمادى الآخرة 1416هـ. الموافق 28 من أكتوبر 1995م

نسيم الشوق

(لقد كان عنوان هذه القصيدة (عطر الجوى) ، ثم غيرته بعد ذلك. إن تغيير عنوان القصيدة من (عطر الجوى) إلى (نسيم الشوق) يرجع إلى المنشد الإماراتي أحمد بو خاطر. حيث إنه أنشد هذه القصيدة من ديواني الأول (نهاية الطريق). وكان أحمد أبو خاطر قد غيّر عنوانها هكذا ، وتصرف في أبياتها ، فقدم وأخر وغيّر وبدّل بما يتناسب مع رؤيته وتصوره دون علمي أو استئذاني. وكانت الأنشودة في ألبومه: (دعني) ، كما أنه كتب على غلاف الشريط أن اسم الشاعر الذي كتب هذه القصيدة (أحمد عبد الرحيم). فجزاه الله خيراً أن اختار من شعري وأنشد ونفع الله به. أمين. ولكنني هنا أعتب عليه أشد العتاب لأن معاملة الفكر بهذه الطريقة ليست تجوز في ديننا. وكنت قد اتصلت به ولمته على ذلك ، فاعتذر وسامحته ابتغاء مرضاة الله. وحظه أنه من المنشدين الإسلاميين! ولو كان من الجاهليين (هشتك بشتك) لتمسكت بحقي مهما كلفني ذلك! ووعدني أحمد بو خاطر أن يأخذ من أشعاري وينشد ، الأمر الذي لم يف به إلى الآن! وأظنه لن يوفي به إلا أن يشاء ربي شيئاً! ذلك أن أغلب المنشدين لا يرون حقاً للشاعر الذي كتب! ولذا فمعظمهم يعمد إلى شعر التراث ، لا حياً في التراث ، بل لأن أصحاب هذا الشعر التراثي قد ماتوا منذ مئات السنين! وأنا الآن أنشر هذه القصيدة بنصها الأصلي في ديوان السليمانيات ليعرفها الناس كاملة. أعود إلى القصيدة فأقول بأن الجوى في حقيقته هو أنين القلب ونحيبه وعذابه! فكيف إذن نعنون لقصيدة بـ (عطر الجوى)؟ إن المعنى الذي أقصده هنا هو التعلم من المحن والتجارب ، واستنباط الدروس والعظات والعبر منها. إن المحن التي يمر بها الإنسان في هذه الحياة جديرة بأن تكون - بالنسبة له - مستودعاً للتجارب والعبر والدروس. وإذن فلم تمر عليّ - والله الحمد - محنة ، إلا وتوقفت عندها طويلاً ، وأمعتت فيها النظر مرات ومرات ، حتى أستلهم كل عبرة أنتفع بها ، ثم أدليها بعد ذلك لغيري من العشيّرة والأقربين والأهل ، ومن بعد أدليها إلى أهل ملتي وعقيدتي ، فهم أولى الناس بي ، وأنا أولى الناس بهم. وأسأل: هل للجوى - إذا نحن عرفناه بأنه أنين القلب - عطرٌ وأريج؟ والجواب: نعم ، إنه أريج التجربة عندما ندرسها ونتتفع بها ، ونذعن للدروس الجميلة المستقاة منها. وقصيدة (عطر الجوى) أو (نسيم الشوق) على حد تعبير أحمد بو خاطر ، إن هي إلا مجموعة نصائح أهديتها لكم ملخص. وصدقت الأخت الفاضلة: (سلسبيل شادلي) عندما قالت في صدارة (موقع قصة الإسلام): (الزمن في انسياب دائم منذ الأزل ، على مر العصور وعلى مدى الأحقاب ، وليس يستغل قيمته إلا الذي يملؤه بما ينفع ، وليس يدرك أهميته أكثر ممن ضاعت منه فرص الانتفاع به ، وهذه القيمة النادرة إن ضاعت لا تعوض ، وإن ذهبت فلن تعود. وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجل وهو يعظه: اغتتم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك. حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم. وحياتنا مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالزمن ، هذه الحياة ليست محض أيام وشهور وسنوات متتالية ، وليست مجرد مراحل عمر تتابع فقط لأن هناك زمن ، الحياة أكبر من هذا المفهوم بكثير ، الحياة مغامرات لاتنتهي ، ودروس نتلقاها يوماً بعد يوم. ولا يظفر بالنصر في تلك المغامرات ، ولا يوقن المعنى الحقيقي لتلك الدروس ، إلا الذي أعد العدة لما بعد هذه الحياة ، للموت ثم للدار الآخرة ، وما إعداد العدة إلا بالتزام كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - . لأن هذه الحياة لم تخلق لـ: لا شيء ، والحكمة منها ليست أن تكون هي غايتنا ومرتعنا ، بل أن تكون وسيلتنا لشيء أعظم

وأبقى. قال الله - تعالى - : (أفحسبتم أنما خلقتنا عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون). والحياة فيها نجاحات ، تماماً مثلما فيها إخفاقات ، فيها أفراح ، لكنها لا تخلو من الأحزان أيضاً ، هكذا هي دائماً ، لا تستقر على حال ، وموازينها ليست ثابتة ، يومٌ لنا ، و يومٌ علينا ، وهذه حكمة الله في خلقه! والحياة ، خلقت أيضاً لنسعى فيها ، بما أننا سنعيشها ، وليس هناك دليل أكبر مما حثنا عليه ديننا من السعي خلف الرزق والأخذ بالأسباب ، مع وجوب التوكل على الله - عز وجل - في كل حال. والحياة ، في خضم مغامراتها تلك ، وجب أن نستمتع فيها ، تماماً كما نستفيد ونأخذ منها لما يليها. لأن فيها الجمال أيضاً ، في الطبيعة ، في الكون ، وحتى في التفوق ، وفي النجاح).هـ. أنشد هذه القصيدة من عمق تجربتي الهينة المتواضعة على أنني كتبتها في سن (32) ، وليس هذا السن يناسب عمق التجربة في الحياة بالقدر الذي يسمح لمثلي بنصح الآخرين ، بل أنا في حاجة لمن ينصحنى ويعظني ويقدم لي تجربته! وأعتقد أنني وفيت سرقة أحمد بو خاطر لقصيدتي في قصيدة أخرى عنوانها: (القصيدة ابنتي) ودافعت عن ابنتي (عطر الجوى) كما سميتها ، أو (نسيم الشوق) كما سماها بو خاطر! فليرجع إليها هناك لإدراك موقفي الفصل!)

نسيمُ الشوق يلهو في الحنايا وحب البذل من خير السجايا
تجملُ بالعطاء تعشش كريمات وتلقى السعد في دنيا البرايا
ولا تجزع إذا لم تُعط شيناً وأحسن في الفعال وفي النوايا
وأقصر عن سؤال الناس شيناً فهذا القول من خير الوصايا
وكن - في الناس - مقدماً شجاعاً إلى العلياء ، وليس إلى الدنيا
وأرض الصالحين ، وكن لطيفاً وجود - بالمكرمات - تحز رضايا
وعطر بالنصيحة كل قول فهذا منك من أمدى العطايا
وأقلع عن مجالسة الندامى وغض الطرف عن حسن الصبايا
رخيص ذلك الحسن المعزى وأرخص منه مستور البقايا
بلاء عم دنياننا ، فظيغ! ومات السوتر من فرط البلايا

ولكن معدن التقوى أصيلٌ فلا تسلك دهباً الخزيماً
ولا تؤذ الكرام ، وكان نبياً فهذي من كريمات المزايماً
ولا يشغلك ظل عن ضياءٍ وكان جليداً إذا دنت المنايماً
وعش لعقيدة التوحيد ليثياً وضغها في فؤادك والحنايماً
وكان رجلاً على البلوى قديراً ولا تك ناشراً مُر الخفايماً
وكان فظناً إذا استودعت سراً كأن السر في دمك الخليماً
وكان متواضعاً للعلم دوماً فإن العلم والتقوى مريماً
وكان مترفعاً عن كل ذل فإن الذل من طبع المطايماً
وعش حراً لك الدنيا ذلولٌ وهذي أحرفي نعم الهدايا!
وإن روودت عن حلق فموتٌ ومرحى بالمصائب والزرايماً
وعمر المرء غال ، ثم أغلى من الدنيا رضا رب البرايماً
سرابٌ هذه الدنيا حقيراً وهذي من بديها القضايا
فلا تجعل لها في القلب حظاً وجنبها فؤادك والطوايماً
وحلق في سماء العز بدرأً وذراً النور في كل الزوايماً

الوحدة العربية: (7005). 12 من رجب 1416 هـ ، الموافق 4 من ديسمبر 1995م.

مناجاة

(ساعة يجد الإنسان أمامه الدنيا والناس لا جديد عندهم فعلاً حيا له سوى الصمت المطبق - على حين أنه في الحقيقة يحترق - يتوجه إلى خالقه ورازقه الذي هو عبد ذليل له - سبحانه - ومربوب له تبارك وتعالى ، وعندها تزول كل الهموم والكروب ، ويرتاح ضميره ، وتهدأ أعصابه ، وتسكن نفسه ، ويطيب قلبه بالفعل ، ويرى الناس ضعافاً مهزليين ، لا يملكون له من الله شيئاً بالمرّة. فيتضرع لربه - تعالى - ويدعوه لأن له في الله رجاءً كبيراً! والدعاء مخ العبادة أو هو العبادة كما صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْزِمِ فِي الدُّعَاءِ وَلَا يَقُلْ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ. قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم. وفي رواية: وَلْيُعْزِمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ. عَزَمَ الْمَسْأَلَةَ: الشَّدَّةُ فِي طَلَبِهَا ، وَالْجَزْمُ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ فِي الطَّلَبِ ، وَلَا تَغْلِيْقٌ عَلَى مَشِيئَةِ وَنَحْوِهَا ، وَقِيلَ: هُوَ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي الإِجَابَةِ قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَمَعْنَى الْحَدِيثِ: اسْتِحْبَابُ الْجَزْمِ فِي الطَّلَبِ ، وَكَرَاهَةُ التَّغْلِيْقِ عَلَى الْمَشِيئَةِ. انتهى كلامه رحمه الله ، وقال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد: (فيه خمس مسائل: الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء. والثانية: بيان العلة في ذلك. والثالثة: قوله: ليعزم المسألة. والرابعة: إعظام الرغبة. والخامسة: التعليل لهذا الأمر). وروى البيهقي وصححه الألباني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثَلَاثٌ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ ، دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الصَّانِمِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ. لَا تُرَدُّ: أَي مُسْتَجَابَةٌ ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ: أَحَدُ الْوَالِدَيْنِ. وروى مسلم وأحمد عن طارق بن شميم رضي الله عنه ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي، وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا الإِبْهَامَ، فَإِنَّ هُوَ لَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ. قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِلْقَوْمِ: مَنْ وَحَدَّ اللَّهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبُدُ مِنْ دُونِهِ ، حُرِّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وروى الترمذي والحاكم وصححه الألباني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَانِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ). قال العلامة المباركفوري في تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي. قوله: الشَّدَانِدُ جَمْعُ الشَّدِيدَةِ وَهِيَ الْحَادِثَةُ الشَّاقَّةُ ، وَالْكَرْبُ جَمْعُ الْكَرْبَةِ وَهِيَ الْعَمُّ الَّذِي يَأْخُذُ بِالنَّفْسِ ، فِي الرَّخَاءِ أَي فِي حَالَةِ الصَّحَّةِ وَالْفَرَاغِ وَالْعَافِيَةِ لِأَنَّ مِنْ شِيْمَةِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَرِيْشَ السَّهْمَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِي ، وَيَلْتَجِيَ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ الإِضْطِرَارِ. وأخرج أحمد والترمذي والحاكم عن علي رضي الله عنه أَنَّ مَكَاتِبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعْنِي ، قَالَ: أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمْنِيَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ صَبِيرٍ دَيْنًا أَدَاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.)

رباه ضاق القلبُ بالحال الشقي وتشنج الإحساسُ لم يتذوق

طعمُ الحياة عطيفة لذاته ومضى الشقاء ببسمتي وتلقي

وغرقت في بحر الضياع بشقوتي يا ليت أني - في الهوى - لم أغرق
وتعثرت قدم الهمام ، وليس من درب رطيب الوصف غض مُورق
وتمرغت - في الكرب - أحلام المني تلك التي أحببتها بتعمق
ومشاعر الإنسان بددها الجوى وعواطف المكاروب لما ترتقي
خلجات نفسي وانكسار خواطري حتى متى؟ وإلى متى الهم والشقي؟
وذبول أفكاري وذل قريحتي وبكاء قلبي وانطماس تألقي
وضياء آمالي بأعطاف النوى إنني المعنى في جحيم المأزق
لولا رجائي فيك يا رب الورى لسئمت عيشي دون أي ترفق
لكنما كف إلى الرحمن مُدّت تبتغي رفيع البلاء المُطبق
ودموع عيني في الإله بذلتها ودموع قلبي في الدجى لم ترفق
إنني الضعيف ، وأنت ربّ قادرٌ منك الثبات ، وقد دعونا فارزق
مبسوطة يذُ ربنا تعطي الورى باب المهيمن مُشرع لم يُغلق
أنا طارق باب الإله ، وليس لي غير المهيمن غوث كل مضيق
أنا لن أظايط للمصائب هامتي وبغير حبل الله لم أتعلق

الوحدة العربية: (6854). الإثنين 9 من محرم 1416 هـ. الموافق 7 من يونية 1995م.

ترانيم الأطلال!

(إن الأطلال التي أعني هي بقايا الذكريات العالقة في الذاكرة في الماضي الضارب بجذوره في أعماق الطفولة. مروراً بالشباب ، ومنتهاً إلى الكهولة من بعد الوقت المرحلي الذي أعيش والذي هو بدوره حلقة الوصل بين الشباب والشيخوخة. ولئن كانت الأطلال عند شعراء الجاهلية تعني بقايا الديار التي عفت ، وتركت على كل جزئية منها ذكريات المحبوبة. فإنها عندي الذكريات التي تواكب فترات العمر. والتي منها ما هو مفخرة ومنقبة ومأثرة. يفخر الإنسان بتذكرها وذكرها والحديث عنها شعراً ونثراً وكلاماً. ومنها بالطبع ما يستحي الإنسان من تذكره. كما أنه يخجل من ذكره للناس. إذ لا يفخر بما يسوؤه إلا قليلو الخوف من الله الجريون في الباطل والمجاهرون به. إن الذي أقدمه للقارئ في قصيدتي هذي هو ترانيم الذكريات التي رمزت لها بالأطلال. وكم هي عذبة فترة الطفولة الحانية. رجعت بذكرتي للوراء حيث الطفولة والصبا الراحل ، فكانت ترانيم الأطلال ترجمة لمشاعر وأحداث في حياة سبقت ودنيا تمكنت ، ثم نجاني الله منها؟ يقول الأستاذ مصطفى قاسم عباس عن أشواق الغربية وبكاء الديار وأطلالها ما نصه بتصريف: (لا مكان في الحياة ، بالنسبة للإنسان ، أجمل وأبهى من المكان الذي ولد فيه وترعرع ، وتغياً ظللاً وارتوى من فرات مائه ، فالمكان هو تذكر لمراتع الصبا ، وضحكات الطفولة البريئة ، وهو جزء من كيان الإنسان ، فمهما ابتعد عنه ، وشطت به الدار ، فلا بد أن تبقى أطلال بلاده في ثنايا مخيلته ، وهذا جزء يسير من الوفاء لهذه الأرض التي حملتك على ظهرها وأنت تحبو ، ثم وأنت تخطو ، ثم تمشي ، ثم بعد انتهاء الأجل تدفن فيها. فما أرفها! وكثير من الناس من ارتشف شراب الهجر والغربة ، في كؤوس من الحنين والأشواق. والكل يعلم أن طريق الهجرة وعرة المسلك ، ومليئة بالمنغصات ، ومهما بقي الإنسان في بلاد الغربية فاسمه غريب ، ولن يجد قلباً حنوناً ، بين الحجارة الصماء ، مما حدا بالكثير من الشعراء أن يتغنوا ببلادهم إذا هم اغتربوا عنها ، وأحرقت الغربية شبابهم! وتبقى ساعة الوداع مؤثرة ، والوقوف على الأطلال يرافقه البكاء ، حتى الصحابة رضي الله عنهم ، عندما هاجروا إلى المدينة - كما تذكر أمنا عائشة رضي الله عنها - تذكروا مكة وجبالها ، وخاصة أن المدينة أوبأ أرض الله من الحمى ، وقد أصابت الحمى بعض الصحابة ، وكان بلال إذا ألقى عنه الحمى اضطجع بفناء البيت ثم يرفع عقيرته. قالت عائشة - رضي الله عنها - : ثم إنني دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأخبرته ، فقال: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة ، اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها ، وانقل حمأها واجعلها بالجحفة. فغرس الله بعد ذلك حب المدينة في قلوب الصحابة ومن بعدهم أبد الدهر. وقد يحن الإنسان إلى أرض لم يرها ولم يسكنها ، ولكن قلبه تعلق بها ، أعني مكة والمدينة المنورة. كيف لا وقد جعل الله القلوب تهوي إليها؟! أما قال الله - عز وجل - في كتابه حكاية على لسان إبراهيم عليه السلام: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}. والإنسان يتشوق ويحن للوطن والأهل في ديار الغربية بجميع الأحوال ، فكيف به إذا كان أسيراً وفي ديار الغربية؟! لا بد أنه سوف يتجرع ألم النوى ، وعلقم البعد والفراق ، ولا نزال نذكر قصيدة أبي فراس الحمداني الرائعة التي قالها عندما كان أسيراً ، ولا قى من الروم ما لاقى ، من العذابات والإحن الجمة ، وسمع حمامة تنوح على شجرة بقربه ، فأراد منها أن تشاركه في أحزانه وعذابه وغرخته فقال لها: (أقول وقد ناحت بقربي حمامة *** أيا جارتا ، هل باتت حالك حالي؟) ولقد يعيش الإنسان لفترة ما في وطن غير وطنه ، وأرض غير أرضه ، ويدخلها غير محب لها ، لظروف أجبرته على الرحيل ، ولكنه ربما يحب ذلك الوطن ، ويحب أهله ، لأنهم طيبون وجديرون بالمحبة ، فالمحبة

والطيب لا يعرفانِ وطناً ولا أرضاً ، ولكنْ مهمّما عاش بينهما فلا بدّ أن يفارقهم ، ليعودَ إلى وطنه ، مردداً في طريق العودة أشعار الفرحة بالمجيئ).هـ. ونعود إلى أطلال ماضيينا!

أنا الأطلالُ تكتبني نشيداً ببات يندبني
لقد جفنت قوافيه وبات الـدمع يطربني
ومن غدرت به الدنيا سـيحيا في دجى المحن
سرابّ هذه الدنيا وخسرانٌ يعرفنا
ومن عجب يحن لها فتى تطويه بالحن
تولى العمـر مرتحلاً ودارت دفقة الزمن
وساعات الصبـا طويـت وبات المـوت يرقبني
ولم أعمل ، ولم أنصب ولكنْ تُهت في الفتن
فمن يبكي على ألمي؟ ومن يأسى على شـجني؟
وأبي أودعها ويطيوي فرحتي كفتي
أودع ذكريات صبا تكبّر أن يودعني
وأسكب - في صداه - جوىً أميط السـتر عن محني
واضرب فـوق أوتار تعانني غربلة الوطن
فلي في الغدّة أمية وإن هانت فأمهم

ولي - في الصحب - تعزية وقد خاناوا ، ولم أخن!
وسال لعابهم لمتا رأوا إطلالة الة الوثن
وقد عبدوا من اسـتعلـى وخان العهد ، لم يصـن
وعادوا يشربون دمي بأعداؤنا نـسـر ربـني
ولم أذنب ، ولكـن زلـة كتبت تخمشتـني
وتجرخ في هجير الصمـت حنـجرتـي ، وتـذبـني
وتقطع في لهيب الغبـن ن أوردتـي ، وتقتلـني
تخبئ في جحيم الغـد ر ملـحمتـي ، وتقصـمني
ولي - في التيه - أطلال وزورق غربتـي وطنـي
وأوهامنا - في الدر ب - سـقناها ، غـدتـي سـكنـي
وماضي العمـر منتبـة فـفي الأحمـل يكتبـني
خروفنا كـلها أرق! وأشـعاراً تـذبـني
والأمم على أـلم وأحزاناً على خـزن
كذا الأطلال تـزرع - في سـراديب النـوى - إـحنـي

الوحدة العربية: (7008). 15 من رجب 1416هـ. الموافق 7 من ديسمبر 1995م

تغريدة البحر!

(إن للبحر في سكونه وحركته واضطرابه تغاريد لا يسمعها إلا الشعراء. وذلك بحاستهم السادسة. ومهما تكلف المتلقون من غيرهم من الكتابة عن هذه التغاريد البحرية فإنهم لا يوفقون أبداً لمثل ما يوفق إليه الشعراء. وأنا أعني الشعراء الموحدين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر. من الذين يحبون للبحر اللحي ما يحبه من الشمس والهواء ، والطيور ، والأسماك ، والرمال والماء ، والقواقع والأصداف والمحار. ويمقتون ويكرهون ويبغضون ما يمقت البحر ويبغض من البهائم الآدمية ، والعجماوات الإنسية المنفلتة ، من إसार الآدمية ورباط التوحيد وربقة الدين والشرع. فسمحت لهم اللا آدمية والتفلت الجاثم في الأفئدة بهذا الغري البهيمي على شاطئ البحر. إن البحر يرى من هذه الحيوانات. البحر في أرض الله آية من آياته ، وإن نظرة في عالم البحار حرية أن تبعث النفس على الجد والعمل ، حيث يرى البحر ورماله ومياهه وطيوره ومحاره وأسماكه وأصدافه وقواقع في حركة دائبة تبعث في الضمير روح النشاط والحيوية. قال الله تعالى عن البحر: (وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ). وقال: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ). وقال: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ). وقال: (وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ). وقال: (هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا). وقال: (رُبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ). وقال: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ). وقال: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ). وقال: (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ). وقال: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ). وقال: (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ). وقال: (وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ). وقال: (أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْسَيَّارَةِ). وقال: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ). وقال: (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا). وقال: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ). وقال: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ). ولم يزل الحكماء والأدباء والشعراء يتكلمون عن البحر ويصفونه ويتغنون به! ولا تزال الشعوب منذ فجر التاريخ يضربون بالبحر الأمثال الكثيرة إلى يومنا هذا! ويقول أفلاطون: الملك كالبحر تستمد منه الأنهار ، فإن كان عذباً عذبت ، وإن كان ملحا ملحت. ويقول خليل مطران: شك على البحر اضطراب خواطري*** فيجني برياحه الهوجاء. ويقول عبد الحميد الكاتب: الفكر بحر لأنه الحكمة. ويقول عمرو بن العاص (يصف البحر للخليفة عمر بن الخطاب) فيقول: «إني – يا أمير المؤمنين- رأيت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ، ليس إلا السماء والماء ، إن ركد أقلق القلوب ، وإن تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة ، الداخل إليه مفقود ، والخارج منه مولود ، وراكبه فيما بينهما دود على عود. إن مال غرق وإن نجا فرق». ويقول المتنبي: كالبحر يقذف للقريب جواهرًا**جودا ويبعث للبعيد سحائب! ويقول المثل الإنجليزي: كل إنسان قبطان في البحر الساكن. ويقول المثل الصيني: قطرة فوق قطره بحر ، وحكمة فوق حكمة علم. ويقول مصطفى محمود: كالكشف في البحر يحركها التيار والغصن على الشجرة تحركه الريح والإنسان وحده هو الذي تحركه الإرادة. ويقول كونفوشيوس: حتى أعظم حيتان البحر ليس لديها أي قوة في الصحراء. ويقول فيكتور هوجو: كل صخرة هي حرف وكل بحيرة هي عبارة وكل مدينة هي وقفة ، فوق كل مقطع وفوق كل صفحة لي هناك دائما شيء من ظلال السحب أو زبد البحر. ويقول أيضا: الرجل هو البحر ، والمرأة هي البحيرة فالبحر تزينه اللآلئ والبحيرة تزينها مناظرها الشاعرية الجميلة. ويقول المثل الألماني: كل السواقي تنتهي إلى البحر.

ويقول المثل العربي: حظاً أعطني وفي البحر ارمني. ويقول جبران خليل جبران: ليس اللؤلؤ سوى رأي البحر في الصدف ، وليس الماء سوى رأي الزمن في الفحم. ويقول أيضاً: لو أصغت الطبيعة إلى مواعظنا في الفتاعة لما جرى فيها نهر إلى البحر ولما تحول شتاء إلى ربيع. ويقول المثل الصيني: مثلما يعود النهر إلى البحر ، هكذا يعود عطاء الإنسان إليه. ويقول المثل التركي: اصنع جميلاً وارمه في البحر فإذا تجاهله السمك فإن الله يحفظه. ويقول المثل الدانمركي: يملك البحر باليدين ، وتملك الأرض بالشفقتين. ويقول المثل الروسي: إذا أردت ركوب الخيل صل مرة ، وإذا أردت ركوب البحر صل مرتين ، أما إذا أردت الزواج فصل ثلاث مرات. ويقول المثل السويدي: عندما يكون البحر هادناً ، يصبح قبطان كل باخرة جيد. ويقول المثل الكوري: متى تعاركت كلاب البحر تكسر ظهور السراطين. ويقول المثل اللاتيني: عندما يهدأ البحر يصبح كل نوتي قبطاناً. ويقول المثل الماليزي: حيث يوجد بحر يوجد قراصنة. وكذلك يقول الماليزيون: البدر الجيد ولو سقط في البحر لأنبت جزيرة. ويقول المثل اليوناني: قطرة من الحكمة خير من بحر من الثروة. ويقول أنطوان دي سانت إكسوييري: إذا أردت أن تبني سفينة ، لا تدفع الناس لجمع الأخشاب ولا تبدأ في توزيع المهام والأعمال. بل الأفضل أن تعلمهم أن يتوقوا إلى اتساع البحر اللانهائي. ويقول مصطفى صادق الرافعي: ألا ما أشبه الإنسان في الحياة بالسفينة في أمواج هذا البحر. إن ارتفعت السفينة أو انخفضت أو ماتت ، فليس ذلك منها وحدها ، بل ما حولها. ولن تستطيع هذه السفينة أن تملك من قانون ما حولها شيئاً ولكن قانونها هي الثبات ، والتوازن ، والاهتداء إلى قصدتها ونجاتها في قانونها. فلا يعتن الإنسان على الدنيا وأحكامها ، ولكن فليجتهد أن يحكم نفسه. ويقول أبو العلاء المعري مبيناً ثبات البحر وبأسه وقوته: ما يضر البحر أمسى زائراً *** أن رمى فيه غلام بحجر. ويقول الشاعر القدير أبو يقظان الجزائري: خض غمار الهول غوصاً إنما *** لؤلؤ التيجان في بحر المنايا! ويزيد الأمر إيضاحاً بل وإفصاحاً فيقول: إنما الدنيا جهاد ، من ينم *** يومه داسته أقدام الرزايا. وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قلت للنبي - صلى الله عليه وسلم - حسبك من صفة كذا وكذا. قال بعض الرواة تعني قصيرة - (فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته) ، قالت: وحكيت له إنساناً فقال: (ما أحب أي حكيت إنساناً وإن لي كذا وكذا). رواه الترمذي. ويقول أحمد خالد توفيق: اعمل الخير وارمه في البحر. بشرط أن يراك أحدهم وأنت تفعل ذلك ، عندها سيخبر الآخرين أنك لا تفعل الخير فقط ، بل وترميه في البحر أيضاً! ويقول المثل الإيطالي: من بلع البحر يستطيع أن يبلغ جرعة أخرى. الكرة الأرضية ثلاثة أرباعها ماء موجود في أكبر جزء ، وهو هذا البحر العظيم الذي له جمال لا تجده في غيره ، ولونه الرائع الجذاب وأسماكه الكثيرة بأشكالها العديدة وألوانها البديعة! وكلما نزلنا إلى الأعماق رأينا طحالبه الخضراء الكبيرة والمتشعبة ، ومن الحيوانات من يتخذها مأوى لها ، ومنها من يتغذى عليها ، ونرى أيضاً جواهره ولؤلؤه الأبيض الناصع الذي لا يقاومه الإنسان لجماله وروعة بريقه! هذا هو الذي جذب جميع الزائرين والمفكرين والباحثين حيث أخذ أنظارهم وعقولهم ، وأصبحوا يمارسون فيه هواياتهم. البحر ذلك الأسطورة التي اتصف بغموضه وعمقه بعض الناس ، ولقد نحنّ عليه ونشفق ، فهو في الليل ماء ظلماء ، ولكنه سيبقى ذلك الملك المتوج ، فسبحان الذي خلق لنا هذا يحمل بواخر وسفن ولا يحمل مسماراً صغيراً مع كبره وعظمته! من أجل ذلك كله كانت هذه القصيدة في وصف البحر وبيان عظمة الخالق القدير فيه! وهنا في دار غربتي كانت لي مع البحر الخضم لقاءات ومراجعات! إن البحر في حقيقته آية عظيمة من آيات الله الجليلة. ومن هنا رحلت أصف البحر وأمواجه وأطياره ومحاره ورماله وشواطئه الصافية الهادئة وأسماكه ولأنه. وما أجمل تلك اللحظات التي نعيش فيها مع كتاب الله المفتوح! والبحر بذكرياته الجميلة يمثل الكثير بالنسبة لي! وبلادنا

ولله الحمد يقسمها نهر النيل إلى شطرين! ويحدها البحر الأبيض المتوسط شمالاً والبحر الأحمر شرقاً! ناهيك عن البحيرات التي تغمرها! وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس! ولا أعلم شاعراً في القديم ولا في الحديث ، إلا وقد أشار إلى البحر ، أو غمزه في شعره! هذا إن لم يخصه بقصيدة فذة! وتلك قصيدتي!

تضاحكتِ اللَّأْلُؤُ والمَحَارُ وغنَى نـورسٌ ، وشدا هـزارُ
ورمَلٌ في أصيل البحر يلهو وبسط طار ، أغواه الفِرار
وأسماكُ ببحر الشقوق تشدو ولؤلؤة تلقفها الصغار
وأصدافٌ تُغنِي قـصـيـداً عتي الوقع ، أغرتـه الـديار
وأحجازٌ قلاها الموجُ دهرأً وتبكيها على الشط المَحَار
كـذاك قـواقـعٌ مـثلُ اللـيالي رفيقاتٌ يُعرقلهـا الإزار
نسـيم البحر يلعب لا يبالي وقد غشاه في التـو الـدوار
فضـلَ طـريقـه حتـى أتاني ظريف الحُسن يعلوه الوقار
وبعضُ حنينه هـذي البيادي هو النسرِينُ تهديـه القفار
كـتابٌ ذاك البحرُ احتـواني وفوق غلافه طـرح الخـمار
جمالٌ كل ما في البحر ، حقاً عميقُ القاع ، ليس له قرار
كـذاك الطير أسرابٌ توالى تتوق إلى الغلا ، ولها الخيار
كـأن الجـو مملكة لـديها وقد نـفـرت ، فأنسها النـفار

كأبيات القريض ، ولم أبالغ لها في الجو - أشتاتاً - حوار
وفوق البحر طارت ، لم تخفه وهل من طار تزعجه الخطار؟
وإن الله ممسكهن صيداً وأخبرنا ، فكيف بنا نحار؟
قد أمسكها بأجواء السماء وقد ضم الجميع بها مسار
وإن صفت وإن قبضت جناحاً وإن حول العشي ، أو النهار
(تبارك) دونكم ، و(النحل) أيضاً فإن الذكر - للعقل - النضار
وكم في البحر - من عبر - لعين! وكم للبحر قد شط المزار!
وإنني كلما ابصرت بحراً تملكني - للقياه - الجوار
يغرّد ليس يسمعه سوايا وإن ينشد ، فليس له غرار
وأغبطه على ما يحتويه وقد غطي قلانه هذه الستار
فسبحان الذي خلق البحار! ومن دوماً تسبّخه البحار!

الوحدة العربية: (7001). 6 من رجب 1416هـ. يوم 28 من نوفمبر 1995م

صمت الثبات

(الثبات على الحق نعمة. لا يدركها إلا من تعرض للبلاء والمحنة والفتنة. وإذا كان الصمت من ذهب فإن كلمة الحق من ماس. وإذا دُفع الإنسان دفعاً إلى الجهر بالباطل يكون الصمت أولى. ويصبح صمت الثبات أروع من صوت السقوط. إن سحرة فرعون عندما عرفوا الحق ورأوا نوره الساطع لم يهتموا بوعده فرعون (نعم وإنكم إذن لمن المقربين) ، ولا اكتثروا بوعيده (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف ، ولأصلبكم في جذوع النخل ، ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى). ولم يلقوا لتهديده بالأل. فكان ردّهم عليه منبعث من قوة يقينهم وصلابة إيمانهم ، فقالوا: (لن نوثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا). قال الشيخ السعدي - رحمه الله - : (لن نوثرك على ما جاءنا من البينات). العلامات الدالات على أن الله هو الرب المعبود وحده ، المعظم المبجل وحده ، وأن ما سواه باطل ، ونوثرك على الذي فطرنا وخلقنا سبحانه وتعالى ، هذا لا يكون (فاقض ما أنت قاض) مما أوعدتنا به ، من القطع والصلب والعذاب. (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي: إنما توعدنا به ، غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا ، ينقضي ويزول ولا يضرنا ، بخلاف عذاب الله ، لمن استمر على كفره ، فإنه دائم عظيم. تفسير السعدي (ص509). إن من توفيق الباري سبحانه وتعالى لعبده أن يسر له الأخذ بالأسباب التي بعونه سبحانه تعينه على الثبات عند هيجان الفتن وكثرة البلايا والمحن ، فيبصر طريق الحق فيسلكه ، ويعرف طريق الباطل فيتجنبه ، ومن أهم هذه الأسباب: اللجوء إلى الباري سبحانه والافتقار إليه ، فهو سبحانه العاصم من كل الفتن ، والعبد ليس له غنى عن ربه سبحانه وتعالى مهما بلغت مكانته وعلت منزلته ، قال تعالى: (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً). قال الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - : بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة تثبيته لنبيه - صلى الله عليه وسلم - ، وعصمته له من الركون إلى الكفار. أضواء البيان (178/3). ولهذا يستحب لمن نزل به مكروب ، وكثرت عليه الخطوب ، أن يفوض أمره لله جل وعلا ويعترف بضعفه ، ويدعو بما علمه النبي - صلى الله عليه وسلم - ، حيث قال - صلى الله عليه وسلم - : دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ ، اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكُنْ لِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. رواه أبو داود من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - وحسنه الألباني. قال المناوي - رحمه الله - : أي: لا تفوض أمري إلى نفسي لحظة قليلة قدر ما يتحرك البصر. التيسير بشرح الجامع الصغير (6/2). قال ربيع بن هادي: (قال الصحابة - رضوان الله عليهم - : والله لولا الله ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، يعني أنهم معترفون بأن الهداية من الله تعالى من فضل منه سبحانه وتعالى ورحمة منه لمن شاء من عباده (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). يمتن على من يشاء ، ويفضل على من يشاء بالهداية ، ويسددهم ويوفّقهم سبحانه وتعالى ، وتحفّهم عنايته تبارك وتعالى من الزيغ والضلال والانحراف. (ويُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ): إمّا بالضلال الكامل كالكفر والخروج من الإسلام - عياداً بالله تعالى - . وإمّا الضلال الجزئي: ضلال من يدخل في الإسلام فيضلّ في عقيدته وفي منهجه - عياداً بالله تعالى - . فهذا الضلال حصل بمشيئة الله تعالى. والهداية التي نالها ، وإن كانت ضئيلة من الله سبحانه وتعالى ، فالأمر كلّ له والحكم له سبحانه وتعالى ونواصي العباد بيده ، وقلوب الناس بين إصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء سبحانه وتعالى. ولهذا علّمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ندعو: (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك). الإنسان لا يوكل إلى نفسه (ولا تكني إلى نفسي طرفة عين). ولو وُكِّل الناس إلى

أنفسهم لهلكوا في دينهم ودنياهم ، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي بيده كلُّ شيءٍ ، والأمور كلها بيده ونواصي العباد بيده ، وقلوب الناس جميعاً بين إصبعين من أصابعه تعالى وتقدَّس سبحانه وتعالى).هـ. وأيضاً من الأسباب: أن يسأل الله عزَّ وجلَّ الثبات على الدين القويم والصراط المستقيم. فالمؤمن لا يأمن على نفسه من الزيغ بعد الهداية والانجرار مع الفتنة بعد الوقاية ، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن سبحانه وتعالى يقبلها كيف يشاء ، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: (كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُكثِرُ أن يقول: يا مُقَلَّبَ القُلُوبِ نَبَّتْ قَلْبِي على دِينِكَ ، فقلت: يا رسول الله آمناً بِكَ وبِمَا جُنْتُ بِهِ ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟! قال: نعم إِنَّ القُلُوبَ بين إصبعين من أصابعِ الله يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ.رواه الترمذي وصححه الألباني. قال المناوي- رحمه الله :- قال الحلبي: هذا تعليم منه لأُمَّته أن يكونوا ملازمين لمقام الخوف مشفقين من سلب التوفيق غير آمنين من تضييع الطاعات ، وتتبع الشهوات. فيض القدير. وكذا الاستعاذة من شرور الفتنة ما ظهر منها وما بطن ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: تَعَوَّدُوا بِاللهِ من الفتنِ ما ظَهَرَ منها وما بَطَّنَ ، فقالوا: (تَعَوَّدُ بِاللهِ من الفتنِ ما ظَهَرَ منها وما بَطَّنَ). رواه مسلم من حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه -. وكذلك من الأسباب: الرجوع إلى العلماء الربانيين والأخذ بأقوالهم إذا هاجت الفتنة فهم أبصر الناس بخطرها وأعلمهم بعواقبها وآثارها ، قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل. الطبقات الكبرى لابن سعد (166/7). قال الشيخ السعدي- رحمه الله :- (هذا تأديب من الله لعباده ، عن فعلهم هذا غير اللائق ، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن ، وسرور المؤمنين ، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر ، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة ، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها). تفسير السعدي. وإذن فهي معادلة صعبة أن يُخَيَّرَ الإنسان بين عقيدته وحياته! وقليل من الصالحين من يوفقه الله سبحانه وتعالى لاتخاذ القرار الصائب قبل الفتنة والسقوط!)

إن في الصمت السلامة ولمن يطغى القيامة

وإذا في الحرف كيدٌ وثأيل الزعامة

ما على الأخرس عُتبٌ بل ، ولا أدنى ملامة

وإذا الباطل أرغى وادعى طبع الصرامة

واسكتان القوم دهوراً جعلوا الجبين علامة

دفنوا - في الرأس - دهوراً مثلما تلهو النعام

نشـدوا فـي الـذل عـزاً ورأوا فـيـه السـلامـة
فتـنـزلن عـن لـسان واجـعل الـصـمت كـلامـه
وانـأ عـن ذل المطايا نـعم هـذي مـن كـرامـة!
إنـما الفـكـرة نـورٌ تمـنـح الـذات الشـهـامة
تـبعـث الـنفـحة قـلباً واعـداً ، تنـفـي السـامـة
وحـرامٌ ذبـح هـذي فـي ثـنايـاهُ الإـمامـة
ثم يُرمـى فـي البـيـادي مثـلـما تُرمـى القـمامـة
صـمـتُ حـامـيـها كـلامٌ وإذ الحـرفُ دـمـامـة
فـإذا لـم تحـتمـلـها صـاح ضـعـفـها فـي الغـمامـة
ذاك أحـلـى مـن مـصـير بـعـده كـل الـندامـة

الوحدة العربية: (7011). 19 من رجب 1416هـ. الموافق 11 من ديسمبر 1995م

المجد مرتعنا

(ليس تعصباً لأهل مصر ، بل إحقاقاً للحق أقول: إن لهجة أهل مصر هي أقرب اللهجات العربية إلى اللغة الفصحى. وهذا يدل على أن عروبة شعب مصر تعتبر فرعاً من شجرة إسلامه. وإلا فإنه لم يكن ينطق العربية أصلاً. وقد أثبت أستاذنا الدكتور/عبد المنعم سيد عبد العال في معجمه الرائع المسمى: (معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الحقيقة والأصول العربية) ، أن ما يزيد حقيقة على عشرة آلاف كلمة عامية مصرية دارجة ، هي عربية أصيلة ، طالها تحريف أو قلب أو هي على علتها كما هي. ومن هنا صح القول عندنا ، أن أقرب اللهجات المعاصرة إلى اللغة العربية هي لهجة الشعب المصري. وقد درجت على نقله (أي معجم الألفاظ العامية المصرية) كلمة كلمة عام 1978م ، لما عجزت يوماً عن شرائه ، وأبث موظفة المكتبة العامة بمركز تفتيش كفر سعد أن تعيرني إياه! ذلك أن المراجع لا تعار! ولذا اشتريته من مكتبة المنار في دبي عام 1990م!)

أط اللثام ، وحطم التدليسا	وافضح روى مَن يبذّر التلبيسا
شعبُ الكنانة مِن سَنَا إسلامه	نبئتُ عروبتَه ، وعزّ نفوسا
لَمّا يرثها كإبراً عن كابر	بل دُرستُ لرعيلاه تدريسا
حتى غدت لغة الجميع وزادهم	وقد احتسوا لغة القرآن كؤوسا
هم رَحَبوا جداً بـ (عَمِر) فاتحاً	ورأوا أساطين الفتوح شموسا
فتمثلوا أخلاقهم إذ أسلموا	وتناقلوها سَّووقه ورؤوسا
وتقلدوا الفصحى لسان حديثهم	كم حَبَروا - بالضاد - تلك طُروسا!
حتى غدت ضادُ الأعراب عيشهم	ومعاملاتِ القوم والتأسيسا
ولذا غدت لهجاتهم من ضادهم	والحرفُ أصبَح شافعاً مأنوسا
يا أهل (مصر) علمتُ مِن لكناتكم	ما شأنه - بالضاد - كان أنيسا
لهجاتكم أدنى لفصحى غيبتُ	واللحن أمسى - في البيان - حبيسا
(والمجدُ مرتعنا) ، نُعيرُ مَن ابتغى	ونرد كيبدأً قد غدا ملموسا

في رثاء المعلم

(الفرقُ كبير جداً بين المعلم القدوة صاحب الرسالة ذلك المربي ، وبين المعلم المرتزق بالعلم. وإن كان العلم هو السمة المميزة أو القاسم المشترك بينهما ، إلا أن فرق ما بينهما كما بين السماء والأرض. إنني أكتب هذه القصيدة في رثاء الأول (صاحب الرسالة المربي القدوة). لأنه في زماننا يكاد يندم. أما المرتزقة بالعلم فما أكثرهم. لا أكثرهم الله! وكان ذلك بالطبع بعد أن أصبحت مهنة التدريس مهنة من لا يمتن مهنة يقتات منها! والتعليم مرهونٌ - في المقام الأول - بمعلم صاحب رسالة وضمير ليقوم به قياماً مميذاً! وتقاس الأمم بحال التعليم ، ويقاس التعليم بحال المعلم! فإذا كان التعليم بحال جيدة في إقليم ما ، فثق أن باقي الأحوال سيكون بحالة جيدة! والعكس بالعكس! وليت الأمر وقف عند تدني الراتب الذي يجعل أقل صنعة في المجتمع أوفر حظاً من المعلم مالأً وجاهاً! بل يضاف إلى ذلك جرأة الطلاب وتهاون ذويهم في تربيتهم! الأمر الذي جعل كثيراً من المعلمين يقضون أغلب حصصهم في السيطرة على صفوفهم ، ولا يحققون منها الكثير! ومن أراد الزيادة حول التعليم والعلم وواجبات المعلم فليراجع قصيدة مطولة أعارض فيها (شوقي) وعنوانها: (قم للمعلم جازه التبجيلاً) في ديوان (نهاية الطريق). وأما هنا فأنا أرثي لحال المعلم السينة! وأوصيه بالصبر والاحتساب ، ريثما يتحسن الحال ، وتعود له مكانته وهيبته وعزه!)

أبكي المعلم والتعليم من قلبي	غدا يعيشان في بؤس ، وفي كرب
أرثيها - بالقريض العذب - محتسباً	وأستجيش الذي في القلب من حُب
أزجي الدموع دماً لَمَّا أصابها	والله رب الورى - في محنتي - حسبي
هذي البكائية العصماء شاهدة	على الذي يعتري التعليم من حوب
مرثيتي تُودع الأستاذ ما حفلت	به العواطف من مغبّة الخطب
فالحزن يُذهب ما في النفس من مرح	حتى يُضاعف ما فيها من الحرب
يستهجن الظلم قلبي ، لا يُهدأه	والظلم يطعنُ محبوراً سنا القلب
أمسى المعلم في غل يعذبه	والعلم يبكي على عطائه العذب
والارتزاق له - في الساح - كوكبة	تُعبئ العلم مثل المال في الجيب
تُعلم العلم للدينار ، فاحدث	شهادة العلم فوق الساح والدرب
وعُمتِ الدار فوضى لا حدود لها	لأن عالمها في أسفل الركب
معالم الحق تاهت عن مرابعها	والفتنة اشتعلت في العجم والغرب

والمُوقناتُ لها الأسواقُ مشهرة
مِن يوم أن فقد التعليمُ هيبتَه
تُعلي العلومُ شعوباً مِن ترهلها
وإن قلتُ أمةً علماً يحضرها
شنتان بين مُحِب العلم يبناله
إن المعلم لا مخلوق يخافه
جهداً جهيداً المضاً ، لا بذل يعداه
والعلمُ أفضلُ ما في الناس من سِمةٍ
هو الضياءُ إذا عمّ الدجى وطغى
أخو الجهالة - في العصيان - مُجدلٌ
وعابد المال - في الدينار - مرتكسٌ
إنني لأبكي على التعليم ، حطمةً
وأذرفُ الدمعَ ملتاغاً يعذبني
الناسُ تنعمُ بالدنيا وبهجتها
ياربِّ خفف عن التعليم محنته

سيف الحماية عن بُعدٍ وعن قُرب
عانى المعلمُ قهرَ العَين والسَّلب
والعلم يحمي الدنا من وطأة النهب
ضاعت مهابتُها في عالم الغيب
وآخر ما له زادٌ سوى الكذب!
في ذي الرسالة من فردٍ ولا حزب
يقود سالكه لهُوة الشَّيب
وما على العالمِ التقى من عيب
وصاحب العلم نجمٌ في سما الشَّهب
وصاحبُ العلم يُبدي دمعَةَ الثَّوب
أما المعلم فاستغنى بذلي الكُتب
أهلُ الفساد ، فهل يعود بالنَّدب؟
على المعلم مَن يبكي له قلبي
إلا المعلمَ في ضنكٍ وفي كُرب
وارفقُ بأهل التقى في سئ الكُرب

وفوق كل ذي علم عليم

(أراد ذلك المتعالم أن يقيس علم الآخرين إلى جهلة وقدرات الآخرين إلى عجزه ومواهب الآخرين إلى إفلاسه. ثم أوقعه قدره في يد رجل سألته خمسة أسئلة في تخصصه لم يجب عليها. وكان نصراً مؤزراً مبيناً عندما أدرك المتعالم أن العلم بحر لا شاطئ له ، وأن الحق له معالم يعرف بها. واستيقن المتعالم أنه لا يجب الاستهزاء بالآخرين ولا ينبغي النيل منهم بغير حق. وأدرك أنه قبل أن ينال من الآخرين أو يبارزهم عليه أن يتعلم ويتفقه! والأسئلة الخمسة: (اعرب كبرت كلمة – صغر تفاحة – انسب إلى جاب الله – زن البيت: مال واحتجب وادعى العجب – وجه: يرثني ويرث) ولما لم يستطع ذلك المجادل الجاهل إجابة أي سؤال من الخمسة في حينه ، برغم أنه متخصص تربية قسم اللغة العربية! فأدرك مرادي من قولي - وفق كل ذي علم عليم – واعتذر لي بشدة!)

يا جاهل أدركت اللعبة	وسأبرث أراجيف النكبة
وعلمت بأنك مجهال	منطقك الراتب والرتبة
لا ترعى وداً أو قريبى!	وخذول لا ترعى الصحبة
لم تفقه لنقول: فقيه	بل حُمق يسكن في جبة
حاربت الكل ، فما انتصروا	للعلم ، وما خطبوا خطبة
بل قالوا: أنت معلمهم	وكفاهم ما قالوا خيبة
رضخوا للجهل ، فما ارتفعوا	حتى راجت تلك الكذبة
ونزلت على الحمقى ضعيفاً	فكشفت المهزلة العظيمة
وحملت حساماً منفلاً	واحتطت فأشهرت الحربة
ونزلت الهيجا مبتهلاً	ولفظت الرجفة والرهبنة
وطرحت بجدي أسناني	وحلمت ، فضاعفت الضربة
فإذا بالأحمق يعلنها	ما قصدك من هذي السبة؟
فأجبت: لكيلا تحقرنا	ولتعلم أننا في حلبنة
فلتعرف قدرك يا هذا	واحترم الحاجة والغربة

أعتى من ضرب المرزبة
يجعله بالفسقة أشبه
فالرشد لمولانا قربة
نعم المعروف لنا حسبة!
عبد في الخير له رغبة
كلك أخطاء محتجبة
فالرمي بلا حق كربة
ما تلقى من أثر الغضبة
في حرب كانت لي دربة
والأثر سيس تغرق حربة
وأنا قد أسكنت الهبة
ما حزت الأسئلة الصعبة
إذ ليست تربطنا نسبة
لكني أحترم الشيبة
قد فقت بلا شك (عُتبة)

ولتكبح نفسك عن سفه
ولتمسك قلبك من كيد
ولتأزم نفسك برشاد
وابذل معروفك محتسباً
لا تحقر جهداً جاد به
لا تسخر من أحد أبداً
لا ترم الناس بلا حق
وادرس موعظتي محتملاً
لله غضب ، وذا يكفني
لم أبدأها من حيث أتت
البيادئ أنت ، وأظمننا
أنا ما أعددت مناقشي
لم أنو مواجهة جهول
إن كنت أسفه منطقته
فوداعاً يا أحمق خصم

يا غادتي أنت المني

(سألني غير واحد عن شعر الغزل ولماذا لم أكثر منه! فأجبت به بأني مشغول بقضايا الأمة والإسلام. وشعر الغزل لا أرى فيه حُرمة مادام شاعره قد التزم أدب العقيدة والتوحيد. ودين الإسلام قوامه بعد التوحيد الحب. جئ بفتاة خطبها رجلان على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - أحدهما موسر يريده أهل الفتاة والآخر معسر تريده هي. فأجاب: لم يُر للمتحابين مثل الزواج ، زوّجوها من تحب. فلقد خطب عبدُ الله بن عمر بنتاً خطبها المغيرة بن شعبة! فلما أحبت الفتاة المغيرة ورفَع الأمرُ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأل عن رغبة الفتاة ، فتزوجت المغيرة. وابنُ عمر يقول: وأنا أنظر. وعموماً الحب في الله عظيم أجره عند الله تعالى! فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله - عز وجل - يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي". وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش - وكلتا يدي الله يمين - على منابر من نور ، وجوههم من نور ، ليسوا بأنبياء ، ولا شهداء ، ولا صديقين" ، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: "المتحابون بجلال الله تعالى". وأرى أن كل زوجة هي أخت لزوجها في الله! ومن هنا كتبت هذه القصيدة الوجدانية لزوجتي (أم عبد الله) تعبيراً عن صادق الحب وخالص الود وعاطر الشوق وطيب العلاقة التي هي في الله والإسلام أولاً وآخرًا!)

أطيفاً حبك - في الفؤاد - تبتشرُ	وعطرُ ودك - في الإحساس - مُنتشرُ
وفي الضمير شذى التحنان في فرح	يلهو ، وفي ظله الحبورُ والسمر
وفي الحنايا ظلال الحب وارفة	تنساب رقتها ، كالغيث ينهمر
والقلب - من حبك الجميل - مبتهلٌ	يدعو المليك ، وبالطاعات يبتدر
هاج الغرامُ به ، فالتعاضدُ خاطرُهُ	لما رأى الحب - من رؤياك - ينحدر
ياؤي إليك ، ولا يخاف من أحدٍ	ومن شجاعته تعجب البشر
فأنت دنياهُ ، والآمالُ أجمعها	والفكرُ أنت له ، والسمعُ والبصر
أحبك القلبُ ، والرحمنُ مُطلعٌ	والحب - يا فتنتي - من ربنا قدر
(أم البنين) لها في الروح مسكنها	وفي الفؤاد - لها - مساكنُ آخر

أحبتُّها - وفق شرع الله - مُحْتَفِلاً
والله ناصراً مَنْ يُعَزِّ شِرْعَتَهُ
وكم شغفت بها حباً ومكرمة!
وكم تظليت - في الغرام - محتسباً
وحال دون زواجي منك شِردمة
وأحدثوا فجوة هزّت علاقتنا
واسـتـكـثـرت زمر العاديين خلتنـا
وحبنا ذهبـت - في التيه - نضرتـه
والله أبطل سحراً خاب فاعله
ثم انطلقنا إلى الحياة في دأب
لمـا نعد سوى التقوى تُبلغنا
فعداد حبّك رياناً بفرحتـه
بالود ترتحل الألام حاقتـه
وغادتي أنت في غيدٍ سفلن هوى
وسيف عزي إذا ما الباطل انتفخت
ودوحة أنت في هجير عالمنا
أكمأمك السبع في الحياة حربئنا
إذا ملكت فكوني خير أخذة
وإن تجاوزت فالصفاء موعدنا

وبالشريعة حُبِّي بات يفتخر
ومن لدين الهدى - في الناس - ينتصر
والحب - وفق كتاب الله - يبتشر
عند المليك فواداً كاد ينفطر!
وذو العداوة - رغم الأنف - يُحتقر
حتى رأيت لواء الحب يستعر
فأوقعوا بيننا ، وفي العدا فجزوا
حتى الغرام مضى بنوره الخطر
إن المليك - على الطاغين - مُقتدر
ما عاقنا طول بلواها ، ولا القصر
ثم الدعاء ، فهذا السهم والوتر
إننا - إلى أرج الوداد - نفتقر
وبالوداد عتي الكسر ينجبر
وفي دجى العمر أنت الشمس والقمر
أوداجه ، أنت نعم النصر والظفر!
منها الظلال ، ومنها العطر والثمر
إما تضافت الهموم والغير
وإن زللت فإني - اليوم - أعتذر
بين الحبيبين كل الذنب يُغفر

لتبينه للناس

(في البداية والنهاية لابن كثير (11 / 303) قال: لقد حضر العابد أبو بكر النابلسي بين يدي المعز لدين الله الفاطمي (أقصد المعز لدين الروافض) (ذلك الإسماعيلي العبيدي الخبيث). فقال له المعز: بلغني عنك أنك قلت: لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ، ثم رميت الفاطميين بالعاشر. قال: معاذ الله أني قلت ذلك! فقال المعز - عليه من الله ما يستحق - : إذن لم تقله. فقال النابلسي: أنا قلت: لو أن معي عشرة أسهم لرميت الفاطميين بتسعة ، ثم رميت الروم بالسهم العاشر. فقال المعز: ولم؟ قال: لأنكم غيرتم دين الأمة وقاتلتم الصالحين وأطفأتم نور الإلهية وادعيتهم ما ليس لكم. فأمر المعز الخبيث بأن يُشهر في أول يوم ، ثم يُضرب في اليوم الثاني بالسياط ضرباً شديداً. ثم أمر بسلخه في الثالث فجئى بيهودي فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن. قال اليهودي فأخذتني رقة عليه فلما بلغت لقاء قلبه طعنته بالسكين فمات). هـ. فأنشدت أحبيبه من قلبي وأعرض بالأذنان الرطبة المرتزقة الذين يكتمون الحق وهم يعلمون ، ويلبسون على الناس دينهم بالتحريف. وصدق محمد المنجد إذ يقول: (إن الفتن إذا تتابعت ، والمحن إذا ترادفت ، والبلايا إذا عظمت انجرف معها كثير من الناس إلا أهل الإيمان الذين لا يصرفهم عن الحق صارف مهما كان أثره ، ولا يمنعهم من الصدع به مانع مهما كانت قوته ، فهم أشد الناس صبراً على الحق. وإن وضع المسلمين لمزر ، وأنواع الفتن والمغريات التي بناها يكتوون ضارية ، وأضحى الدين غريباً. وبات (القابض على دينه كالقابض على الجمر). ولا شك عند كل ذي لب أن حاجة المسلم المؤمن اليوم للثبات باتت أعظم ؛ لفساد الزمان، وندرة الأعوان ، وضعف الظهير ، وقلة الناصر). هـ.)

رُب رِدِ يَفُوقُ رَشَقَ النَّبَالِ	وَجَوَابِ أَعْتَى مِنَ الْأَهْوَالِ
هَذِهِ الدُّنْيَا - ذَاتَ يَوْمٍ - سَتَفْنِي	وَسَتَبْقَى مَفَاخِرُ الْأَعْمَالِ
مَنْ يَبَاهِي الدُّنْيَا بِكُتْمَانِ عِلْمٍ؟	مَنْ يَبَاهِي بِخَيْبَةِ الْإِضْلَالِ
مَنْ يُبَاهِي - بِالْإِرْتِزَاقِ - الْبِرَايَا	مَنْ يُبَاهِي بِسَيِّئِ الْأَقْوَالِ؟
مَنْ يُرَائِي بِكُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ؟	ثُمَّ يَنْجُو مِنْ شِدَّةِ الْأَغْلَالِ؟
تَعَسَّ الْحَرَصُ ، كَمْ أَذَلَّ نَفُوساً!	وَأَبَادَ مِنْ زَاهِرِ الْأَمَالِ
كَمْ عَلِيمٌ بِالْعِلْمِ يَغْدُو وَيُمْسِي!	ثُمَّ يُودِي بِهِ بِرَيْقِ الْمَالِ
وَبَيَانُ الْعُلُومِ دِينٌ ، فَهَلَا	بَيْنْتَهَا جَحَافِلُ الْجُهَالِ؟
وَأَرَى كُتْمَانَ الْعِلْمِ مِنْ دُونِ غُذْرٍ	مِنْ قَبِيلِ الْإِجْرَامِ وَالْإِخْلَالِ

منار الخير

(دُعيت يوم الثلاثاء الموافق 2003/4/22 م لحضور أمسية شعرية في جمعية حماية اللغة العربية بالشارقة في دار غربتي. مُلبياً دعوة الجمعية ومشاركاً بعدة قصائد منها ما يتعلق باللغة العربية ، ومنها ما يتعلق بهذا الواقع المعاش. وألقيت ما يسر الله - عز وجل - لي وفتح به عليّ من قصائدي في حشد من الأساتذة والشعراء والشاعرات. وكم كنت سعيداً بهذه الأمسية العظيمة. وجاء دور ارتجال الشعر ، وذلك في سؤال لأحدهم عن ارتجال قصيدة جديدة وليدة بهذه المناسبة العظيمة. ولما لم أجد من أحد من الحضور مبادرة إلى تلبية السائل ، لببت أنا هذا الطلب ، وكانت ولادة الأبيات العشرين من أبيات هذه القصيدة في قاعة جمعية حماية اللغة العربية وأتمها الله - عز وجل - عليّ بعد ذلك. وأذكر أن أغلبها تم في يوم الخميس الموافق 2003/4/24 م. والله الفضل في إتمامها علي ، فله الحمد والمنة وله الثناء الجميل الحسن. والحقيقة أنني أشيد في هذه القصيدة بالعربية لسان الضاد وبعلمائها الأجلاء! أولئك الأقوام الذين كانت تستهويني كتاباتهم وأفكارهم وإسهاماتهم في النهوض بالعربية! ومن هؤلاء الأفاضل المغاوير: - * العلامة ابن فارس: وهو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، والذي توفي في عام 1004 م ، وهو عالم وإمام اللغة العربية ، وهو أول من أطلق مصطلح فقه اللغة ، وأول من أطلق على نشأة اللغة العربية (التوفيقية) ، وله العديد من المؤلفات في اللغة والأدب والبلاغة ، كانت من أشهرها معجم مقاييس اللغة ، واختلاف النحويين ، والاتباع والمزاوجة. * وأيضاً العبقرى ابن جني: وهو أبو الفتح عثمان بن جني ، والذي ولد في عام 322هـ ، وهو عالم نحوي تعلم على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش ، له أكثر من خمسين كتاب ، ومن أشهرها كتاب الخصائص عن بنية اللغة وفقها ، وكتاب سر صناعة الإعراب. * الجهبذ اللغوي اسماعيل بن حماد الجوهري: وهو عالم لغوي توفي في عام 393 هـ ، وهو مؤلف معجم " تاج اللغة" وصحاح العربية" ، يذكر أنه حاول الطيران عبر جناحين صنعهما من الخشب وسقط شهيدا للعلم آنذاك. * العلامة مجد الدين الفيروزآبادي: هو أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي ، ولد في عام 1329م ، اشتهر بتأليفه كتاب القاموس المحيط وسفر السعادة ، واللامع المعلم العجائب ، والجامع بين المحكم والغباب. * العملاق الخليل ابن أحمد الفراهيدي: وهو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي! ولد في عام 718 وتوفي في عام 786 م ، وهو إمام اللغة العربية وهو أول من وضع علم العروض ، واشتهر بتأليف كتاب معجم العين الذي يعد أول معجم قائم على الترتيب الصوتي. * العبقرى ابن سيده: هو علي بن اسماعيل ، ولد في عام 1007 وتوفي في 1065 ، كان إماماً في القراءات ورواية اللغة ، واشتهر بتأليف كتاب "معجم أندلسي" ، وكتاب المحكم والمحيط الأعظم ، وكتاب المخصص. * المعجمي المصنف ابن منظور: هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، ولد في عام 1232 م ، عالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية ، ومن أشهر أعماله "معجم لسان العرب" ، قام باختصار وتلخيص العديد من كتب الأدب الطويلة مثل مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ومختصر الأغاني في الأخبار والتهاني للأصفهاني ، ومختصر مفردات ابن البيطار. * اللغوي الكبير سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، ولد في عام 765 وتوفي في عام 796 م ، عالم نحوي كان أول من بسط علم النحو ، من أهم مؤلفاته كتاب سيبويه في النحو. * الجهبذ ابن خروف : هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن خروف الإشبيلي ، ولد في عام 1130 وتوفي 1212م ، اشتهر بمهارته في التدقيق اللغوي ، وشارك في علم الأصول ، من أشهر

مؤلفاته كتاب شرح لكتاب سيبويه ، وقام بتدريس علم النحو العربي في الكثير من البلاد. رحم الله علماء العربية وأسكنهم فسيح جناته! وفي خطبة كتابه الرائع: (فقه اللغة وسر العربية) يقول أبو منصور مادحاً اللغة العربية ومثنياً على العلماء الذين جلس إليهم ليتعلم هذه اللغة ما نصه: (من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية التي نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عني بها ، وثابر عليها ، وصرف همته إليها ، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه ، اعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرسل ، والإسلام خير الملل ، والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد ، ثم هي لإحراز الفضائل ، والاحتواء على المروعة وسائر أنواع المناقب ، كالينبوع للماء والزند للنار. ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلانها ودقائقها ، الإقوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة ، إذ إنها عمدة الإيمان ، لكفي بهما فضلاً يَحْسُنُ فيهما أثره ، ويطيب في الدارين ثمره ، فكيف وأيسر ما خصّها الله عزّ وجلّ به من ضروب الممادح يُكَلِّ أعلام الكتبة ويتعب أنامل الحسبة. ولما شرفها الله تعالى عزّ اسمه وعظّمها ، ورفع خطرها وكرّمها ، وأوحى بها إلى خير خلقه ، وجعل لسان أمينه على وحيه ، وخلفائه في أرضه ، وأراد بقضائها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخيار عباده ، وفي تلك الأجلة لساكني جناته ودار ثوابه ، قيّض لها حفظة وخرزنة من خواصه من خيار الناس وأعيان الفضل وأنجم الأرض ، تركوا في خدمتها الشهوات وجابوا الفلوات وندموا لاقتنائها الدفاتر وسامروا القماطر والمحابر ، وكدّوا في حصر لغاتها طباعهم ، وأشهرها في تقييد شواردها أجفانهم وأجالوا في نظم قلائدها أفكارهم ، وأنفقوا على تخليد كتبها أعمارهم ، فعظمت الفائدة وعمّت المصلحة وتوفّرت العائدة ، وكلما بدأت معارفها تنتكّر أو كادت معالمها تتستّر أو عرّض لها ما يشبه الفترة ردّ الله تعالى لها الكرّة فأهّب ريحها ونفق سوقها بفرد من أفراد الدهر أديب ذي صدر رحيب وقريحة ثاقبة ودراية صانبة ونفس سامية وهمّة عالية ، يحبّ الأدب ويتعصّب للعربية ، فيجمع شملها ويكرم أهلها ويحرّك الخواطر الساكنة لإعادة رونقها ويستثير المحاسن الكامنة في صدور المتحليين بها ويستدعي التآليف البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها مثل الأمير السيد الأوحّد أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي أدام الله تعالى بهجته ، وأين مثله وأصله أصله ، وفضله فضله؟ وما عسيت أن أقول فيمن جمع أطراف المحاسن ، ونظم أشتات الفضائل ، وأخذ برقاب المحامد واستولى على غايات المناقب ، فإن ذكراً كرمّ المنصب وشرف المنتسب كانت شجرته الميكالية في قرار المجد والعلاء أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وإن وُصِفَ حُسْنُ الصورة الذي هو أول السعادة وعنوان الخير وسمة السيادة كان في وجهه المقبول الصبيح ما يستنطق اللسان بالتسبيح لا سيما إذا تفرّق ماء البشر في غرته وتفتق نور الشرف من أسرته ، وإن مُدِحَ حُسْنُ الخُلُقِ فله أخلاق خُلِقْنَ من الكرم المحض وشيخ تُشَامَ منها بارقة المجد فلو مُرِجَ بها البحر لعذبّ طعمه ولو استعارها الزمان لما جار على حرّ حكمه ، وإن أُجْرِيَ حديث بُعد الهمة ضربنا به المثل وتمثلنا همته على هامة زحل ، وإن نُعِتَ الفِكْرُ العميق والرأي الزنيق فله منهما فلك يحيط بجوامع الصّواب ويدور بكواكب السداد ، ومراة تريحه ودائع القلوب وتكشف عن أسرار الغيوب. وأما سائر أدوات الفضل وآلات الخير وخصال المجد فقد قسم الله تعالى له منها ما يباري الشمس ظهوراً ويجاري القطر وفوراً ، وأما فنون الآداب فهو ابن بجديتها وأخو جملتها وأبو غدرتها ومالك أزمّتها وكأنا يوحى إليه في الاستنار بمحاسنها والتفرد ببدائعها ، والله هو إذا غرس الدر في أرض القرطاس

وطرّز بالظلام رداء النهار وألقت بحار خواطره جواهر البلاغة على أنامله فهناك الحسن برمته والإحسان بكليته وله ميراث الترسل بأجمعه إذ قد انتهت إليه اليوم بلاغة البلغاء فما تظلل الخضراء ولا ثقّل الغبراء في زمننا هذا أجرى منه في ميدانها وأحسن تصريفاً منه لمنانها فلو كنت بالنجوم مُصدّقاً لقلت: قد تأنق عطاردي في تدبيره وقصر عليه معظم همته ووقف في طاعته عند أقصى طاقته ، ومن أراد أن يسمع سرّ النظم وسحر النثر ورُقية الدهر. ويرى صوب العقل ودوب الظرف ونتيجة الفضل ، فليستشُد ما أسفر عنه طبع مجده وأثمره عالي فكره من مُلح تمتزج بأجزاء النفوس لنفاستها وتُشرب بالقلوب لسلاستها. وأيم الله ما من يوم أسعفني فيه الزمان بمواجهة وجهه وأسعدني بالاقْتباس من نوره والاعتراف من بحره فشاهدت ثمار المجد والسؤدد تنتثر من شمائله ورأيت فضائل أفراد الدهر عيالاً على فضائله وقرأت نسخة الكرم والفضل من ألاحظه وانتبّهت فراند الفوائد من أفاظه. وما أنسَ لا أنسَ أيامي عنده بفيروزآباد إحدى قرأه برستاق جوين سقاها الله ما يحكي أخلاق صاحبها من سبيل القطر فإنا كانت بطلعته البديرة وعشرته العظيمة وأدابه العلوية وأفاظه اللؤلؤية مع جلائل إنعامه المذكورة ودقائق إكرامه المشكورة وفوائد مجالسه المعمورة ومحاسن أقواله وأفعاله التي يعيا بها الواصفون. أنموذجات من الجنة التي وعد المتقون فإذا تذكّرتها في تلك المراتب التي هي مراتع النواظر والمصانع التي هي مطالع العيش الناضر ، والبساتين التي إذا أخذت بدائع زخارفها ونشرت طرائف مطارفها ، طوي لها الديباج الخسرواني ونفي معها الوشي الصنعاني ، فلم تشبّه إلا بشييمه وأثار قلمه وأزهار كلمه تذكرت سحراً ونسيماً وخيراً عميماً وارتياحاً مُقيماً وروحاً وريحاناً ونعيماً. وكثيراً ما أحكي للإخوان والأصدقاء: أني استغرقت أربعة أشهر هناك بحضرتي ، وتوفّرت على خدمته ، ولازمت في أكثر أوقات الليل والنهار عالي مجلسه ، وتعتطرت عند ركوبه بغبار موكبه. فبالله أقسم يميناً قد كنت عنها غنياً وما كنت أوليها لو خفتُ حنثاً فيها ، أني ما أنكرت طرفاً من أخلاقه ولم أشاهد إلا مجداً وشرفاً من أحواله وما رأيتُه اغتاب غانياً أو سبباً حاضراً أو حرماً سانلاً أو خيباً أملاً أو أطاع سلطان الغضب والحرّد أو تصلّى بنار الصّجر في السفر أو الحضر أو بطشَ بطشَ المتجبر وما وجدت المآثر إلا ما يتعاطاه ولا المآثم إلا ما يتخطاه فعوذته بالله ، وكذلك الآن من كل طرف عائن وصدر خانن. هذا ولو أعارتني خطباء إياد ألسنتها وكتّاب العراق أيديها في وصف أياديها التي اتّصلت عندي كاتصال السعود وانتظمت لديّ في حالتي حُضوري وغيبيتي كانتظام العقود. فقلت في ذكرها طالباً أمد الإسهاب وكتبت في شكرها ماداً أطناب الإطناب لما كنت بعد الاجتهاد إلا مانلاً في جانب الفُصور متأخراً عن الغرض المقصود فكيف وأنا قاصرُ سعي البلاغة قصير باع الكتابة. وعلى هذا فقد صدقَ فهمي مع بعد كان عن حضرتي وتكدر ماء خاطري لتطاول العهد بخدمته وتكسر في صدري ما عجزَ عن الإفصاح به لساني فكان أبا القاسم الزعفراني أحد شعراء العصر اللذين أوردتُ مُلحهم في كتاب "يتيمة الدهر". فإلى من جمّل الزمان بمجده وشرف أهل الآداب بمناسبة طبعه ونظر لذوي الفضل بامتداد ظله وداوى أحوالهم بطبّ كرمه أرغب في أن يجعل أيامه المسنوعة أعظم الأيام السالفة يُمنا عليه ، ودون الأيام المستقبلية فيما يحب ويحب أولياؤه له ، وأن يديم إمتاعه بظلّ النعمة ولباس العافية وفراش السلامة ومركب الغبطة ، ويطيّل بقائه مصوناً في نفسه وأعرّته ، متمكناً مما يقتضيه عالي همته ، وأن يجمع له المدّ في العُمر إلى النفاذ في الأمر والفوز بالمتوبة والأجر من الخالق والشكر من المخلوقين ، ويجمع أماله من الدنيا والدين. إنّي ما عدلت بمؤلفاتي هذه إلى هذه الغاية عن اسمه ورسمه إخلالاً بما يلزمني من حق سؤدده بل إجلالاً له عمّا لا أرضاه للمرور بسمعه ولحظه وتحامياً بعرض بضاعتي المزجاة على قوة نقده وذهابا بنفسي عن أن أهدي للشمس ضوءاً أو أن أزيد في القمر نوراً فأكون كجالب المسك إلى أرض التُّرك أو العود إلى بلاد الهند أو

العنبر إلى البحر الأخضر. وقد كانت تجري في مجلسه - آنسه الله - نُكَّتْ من أقاويل أئمّة الأدب في أسرار اللغة وجوامعها ولطائفها وخصائصها ، مما لم يتنبّهوا لجمع شمله ولم يتوصّلوا إلى نظم عقده وإنما اتجهت لهم في أثناء التأليفات وتضاعيف التصنيفات لمع يسيرة كالتوقيعات ، وفقرّ خفيفة كالإشارات فيلّوح لي - أدام الله دولته - بالبحث عن أمثالها وتحصيل أخواتها وتذييل ما يتصل بها وينخرط في سلكها وكسر دفتر جامع عليها وإعطائها من النيّقة حقها. وأنا ألوذ بأكناف المحاجزة وأحوم حول المدافعة وأرعى روض المماثلة ، لا تهاوناً بأمره الذي أراه كالمكتوبات ، ولا أميزه عن المفروضات ، ولكن تفادياً من قصور سهمي عن هدف إرادته ، وانحرافاً عن الثقة بنفسي في عمل ما يصلح لخدمته إلى أن اتفقت لي في بعض الأيام التي هي أعياد دهري وأعيان عمري مواكبة القمرين بمسايرة ركابه ومواصلة السعدين بصلة جنابه في متوجّهه إلى فيروزآباد إحدى قراره من الشاميات ومنها إلى خُدايداد عمّرها الله بالدوام عمره. وعُدنا للعادة عند الالتقاء في تجاذب أهداب الآداب ، وفتق نوافج الأخبار والأشعار ، أفضت بنا شجون الحديث إلى هذا الكتاب المذكور ، وكونه شريف الموضوع أنيق المسموع إذا خرج من العدم إلى الوجود. فأحلت في تأليفه على بعض حاشيته من أهل الأدب إذا أعاره - أدام الله قدرته - لمحةً من هدايته وأده بشعبه من عنايته فقال لي صدق الله قوله ولا أعدم الدنيا جماله وطوله كما أذاق العدا بأسه وصوله: إنك إن أخذت فيه أجدت وأحسنت ، وليس له إلا أنت. فقلت له: سمعاً سمعاً ، ولم أستجز لأمره دفْعاً ، بل تفتّته باليدين ووضعته على الرأس والعين. وعاد - أدام الله تمكينه - إلى البلدة عودَ الحلي إلى العاطل والغيث إلى الروض الماحل ، فأقام لي في التأليف معالم أقف عندها وأقفوا حدّها وأهاب بي إلى ما اتخذته قبلة أصلي إليها وقاعدة أبني عليها من التمثيل والتنزيل والتفصيل والترتيب والتقسيم والتقريب. وكنت إذ ذاك مقيم الجسم شاخص العزم فاستأذنته في الخروج إلى ضيعة لي متناهية الاختلال بعيدة المزار فأجمع فيها بين الخلوة والتأليف وبين الاستعمار. فأذن لي - أدام الله غبطته - على كره منه لفرقتي وأمر - أعلى الله أمره - بتزويدي من ثمار خزائن كتبه عمّرها الله بطول عمره ما أستظهرُ به على ما أنا بصدده. فكان كالدليل يعين ذا السفر بالزاد والطبيب يتحف المريض بالدواء والغذاء. وحين مضيت لطيّتي وألممت بمقصدي وجدتُ بركة حُسن رأيه ويمن اعتزائي إلى خدمته قد سبقاني إليه وانتظراني به وحصلت مع البعد عن حضرته في مطرح من شعاع سعادته يبشّرُ بالصنع الجميل ويؤذن بالنجح القريب. وثرُكتُ والأدب والكتب أنتقي منها وأنتخب وأفصل وأبوّب وأقسّم وأرتب وأنتج من الأئمة مثل الخليل والأصمعي وأبي عمرو الشيباني والكساني والفرّاء وأبي زيد وأبي عبيدة وأبي عبيد وابن الأعرابي والنضر بن شميل وأبوي العباس وابن دريد ونفطوية وابن خالويه والخازننجي والأزهري ومن سواهم من ظرفاء الأديباء الذين جمعوا فصاحة البلغاء إلى إتقان العلماء ، ووعورة اللغة إلى سهولة البلاغة كالصاحب أبي القاسم وحمزة بن الحسن الأصبهاني وأبي الفتح المراعِي وأبي بكر الخوارزمي والقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني وأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، وأجتبي من أنوارهم ، وأجتني من ثمارهم ، وأقتفي آثار قوم قد أفقرت منهم البقاع وأجمع في التأليف بين أبقار الأبواب والأوضاع ، وعُون اللغات والألفاظ. ثم اعترضتني أسباب وعرضت لي أحوال أدت إلى إطالة عناق الغيبة عن تلك الحضرة المسعودة والمقام تحت جناح الصّورة من الضيّعة المذكورة بمدرّجة من النوائب تصكّني فيها سفاتج الأحزان وترسل عليّ شواظاً من نار الفُصّ الذين طغوا في البلاد فأكثرُوا فيها الفساد: ولا قرّارَ على زارٍ من الأسد! إلا أن ذكر الأمير السيد الأوحد أدام الله تأييده كان هجيري في تلك الأحوال ، والاستظهار بتميز الاعتزاء إلى خدمته شعاري في تلك الأحوال ، فلم تبسط النكبة إليّ يدها إلا وقد قبضتها عني سعادته ، ولم تمتدّ بي أيام المحنة إلا وقد قصرتها عني

بركته. وكانت كتبه الكريمة الواردة عليّ تكتب لي أماناً من دهري وتهدي الهدوء إلى قلبي ، وإن كانت تسحر عقلي ، وتثقل بالمنن ظهري ، إلى أن وافق ما تفضّل الله به من كشف الغمّة ، وحلّ العقدة وتيسير المسير ورفع عوائق التعسير ، اشتغال النظام على ما دبّرتة من تأليف الكتاب باسمه ، ولمشارفة الفراغ من تشييد ما أسسته برسمه ، راجياً أن يُعبّرهُ نَظَرُ التهذيب ، ويأمر بإجالة قلم الإصلاح فيه وإحاطة ما يرقع خرقه ويجبر كسره بحواشيه). هـ. أقول: إن كان أبو منصور يقول ذلك عن لغته العربية وأسائنته ، فإننا نفخر معه بالعربية العظيمة الشأن والجليلة القدر! كما نفخر بأسائنتنا الذين علمونا وبذلوا الكثير في إفادتنا وغرس محبة العربية في نفوسنا ، وحملنا على الاجتهاد فيها. وأعود من ساحة أسائنتنا وساحة أبي منصور – رحمه الله – إلى دحض شبهة أن اللغة العربية لا تتناسب مع العصر الذي نعيش ، وأنها يجب أن ترحل لتحلّ العامية محلها. وأقتبس هنا ما جاء في الموسوعة الإسلامية المعاصرة في معرض الدفاع عن اللغة العربية ، ما نصه: (إن هناك تحدياً عالمياً وإقليمياً موجهاً إلى اللغة العربية ، تارة من خلال إحلال العامية المقيتة في الكتابة مكانها ، وطوراً من خلال تسكين أحرفها ، واقتراح لغة وسطاً بين العامية والفصحى ، وأطواراً عبر المطالبة بكتابتها بالأحرف اللاتينية. فضلاً عن تشجيع حشوها بالضروري وغير الضروري من المصطلحات العلمية وغير العلمية ، سواء أكان لها رديف عربي مناسب أم لم يكن لها. وأحياناً من خلال تكوّن مثقفين يستخدمون الفرنسية أو الإنكليزية (وربما بعد حين الروسية) لغة التفكير والكتابة ، وتحويل العربية إلى لغة من الدرجة الثانية ، وأحياناً من خلال مقاومة التعريب في دوائر بعض الحكومات والكليات الجامعية والمؤسسات والشركات والمصارف. وقد كشف الفكر الإسلامي عن الهدف الحقيقي لمثل هذه التوجهات ، وهو الانسلاخ عن لغة القرآن من أجل الانسلاخ عن الإسلام والتراث الإسلامي الفكري والحضاري. مما يجعل التعريب يدخل في آلية عمل العقل (اللغة) وفي التكوّن الروحي والضميري للأمة ، من خلال إبعاد الإسلام والتراث الإسلامي. ولم تهدأ هذه المعركة منذ قرن بين المفكرين الإسلاميين وعدد من المفكرين العلمانيين. وكلما سدّدوا لبعض الاتجاهات ضربة برز اتجاه آخر بخلة جديدة وحجج جديدة. وهذا ما حدا بالدكتور صادق أمين إلى إكمال الطريق بالكشف عن سياسات هدم اللغة العربية كجزء من عملية هدم الإسلام والسيطرة على الأمة وغزوها ثقافياً. فتتبع تلك العملية منذ بدأ بعض المستشرقين بالتشجيع على استخدام العامية فاقتفي أثرهم أحمد لطفي السيد ولويس عوض أنيس فريحة. وكشف أيضاً عن دور عبد العزيز فهمي وسعيد عقل اللذين طالباً أن تكتب العربية بالحرف اللاتيني. ثم دور توفيق الحكيم وأمين الخولي في المناداة بلغة وسط بين العامية والفصحى. كما أشار إلى محاولة طه حسين تهديم النحو العربي. ثم إلى محاولات تحطيم أسس الشعر العربي. إن مجموعة الردود الإسلامية على هذه الموضوعات ، وبالرغم مما أبرزه المفكرون والعلماء الإسلاميون المعاصرون من نقاط خلافية حول هذه القضية أو تلك ، وما حملته من نقد للفكر الغربي أو فكر العلمانيين ، لم تحظ من قبل العلمانيين العرب بما تستحقه من الاهتمام والرد. فكانوا يكتفون بترديد تلك الانتقادات وتكرارها على الإسلام ثم يصمون آذانهم عن الردود التي يجيب بها الإسلاميون. الأمر الذي لم يساعد على إغناء الموضوعات في ميدان الصراع الفكري في المجال الشعبي. ويجب أن يقال هنا أن الجهد الإسلامي المبذول في الرد على فلسفات الغرب ونظرياته الاقتصادية ، وفي إيضاح المفاهيم والنظريات الإسلامية حول الإنسان والحياة والمجتمع والسياسة والاقتصاد والبيئة ، تحاول أن تتسم بالأصالة والاتساع والعمق ، وتسعى إلى الاغتناء يومياً ، وإلى امتلاك الأسلحة الأكثر مضاء في الرد على التحديات الآتية من فكر الغرب ونموذجه الحضاري. كما أنها تخوض بينها حوارات فكرية تحمل الكثير من نقاط الخلاف. وقد أدى ذلك إلى بروز دراسات إسلامية

هامية. ويعد بروز دراسات أخرى تؤكد المطالبات الإسلامية الراهنة الملحة على ضرورة تقويم فكر المرحلة السابقة وتجربتها العملية ، وضرورة تقديم دراسات إسلامية منهجية وعلمية تفصيلية ومعقدة في مختلف مجالات الفكر والثقافة ، وتناول مختلف المواضيع تناوياً إيجابياً قائماً بذاته فلا يكون القصد مواجهة تحديات الفكر الغربي أو الفكر العلماني دفاعاً عن الإسلام فحسب ، وإنما أيضاً باعتبارها جزءاً من عملية النهوض بالمشروع الإسلامي لم يستنفذ حتى الآن كل ما عنده ، أو كل طاقته وإمكاناته في تناول هذه التحديات الآتية من النموذج الحضاري الغربي ، فهو في حالة مخاض واعد ، وتدفق لم ينضب. ويعج داخل بالالاحاح الشديد من أجل التعميق والتأصيل والتجديد ، بل إيجاد سبيل تحقيق الأهداف الإسلامية.هـ. والحقيقة أن الدكتور الشاعر عدنان النحوي قد أجاد وأفاض ، وأبدأ القول وأعاد في الذود عن العربية ، حتى أنه أفرد لها كتاباً عنون له بـ: (لماذا اللغة العربية؟) ومن أراد الاستزادة فعليه بهذا الكتاب العظيم. وأيضاً الدكتور محمد حسين يوسف في كتابه: (الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر) في الدفاع المستميت عن اللغة العربية الأصيلة! ومن أراد الاستزادة فعليه كذلك بهذا السفر الجليل! وحفظ الله الدكتور عدنان النحوي ، ورحم الله الدكتور محمد حسين. ومن ساحة الموسوعة المعاصرة ، وساحة الفاضلين الدكتور عدنان النحوي والدكتور محمد حسين ، أعود إلى جمعية حماية اللغة العربية وأمسيتها الشعرية المباركة! إنني يوم دعيت إلى هذه الجمعية - لألقي من قصائدي على أسماع الحاضرين ما شاء الله - كنت في غاية السعادة! حيث التقيت عدداً من المشاهير أهل الغيرة على الفصحى لغة الضاد ، مثل الشاعر الدكتور وليد قصاب ، والدكتورة الأدبية عايدة عبد الحافظ يعقوب. وألقيت عدداً من الشعراء والشاعرات هناك. فكان هذا اللقاء الطيب مثمراً حيث استمعت إلى عدد من القصائد بطرق من الإلقاء مختلفة ، الأمر الذي أثرى قريحتي الشعرية من جهة ، وأضفت عدداً من الصور والإيحاءات لم أكن قد سمعت به من قبل! هذا فضلاً عن بعض محاضرات الدكتور وليد قصاب في العروض بتفصيل علمي أمام جموع المحاضرين! فكانت الاستفادة عظيمة وماتعة وشاعرة! وهي مناسبة لا أنساها ما حييت!

وأهدى إليك - من الفؤاد - سلامي	وأبث نجوى القلب عبر كلامي
وأسوق إعجابي احتراماً بالغاً	وأعطر الأشواق بالأنسام
وأمدد كفاً بالمحبة والهوى	وأقدم التبجيل عبر غرامي
أنا يا (منار الخير) أرجو رفعة	للضاد ، والأعراب ، والإسلام
وأريد أمتنا على درب الهدى	حتى تعود لعزها المتسامي
وأريد - للضاد الأصيلة - عزة	بين اللغات رطيبة الأنغام
ففساك أن تحمي عظيم تراثها	وسط اللغات مزجعة الإكرام
أهدافك الغراء تغمر مهجتي	فخرراً ، وتحدونني بخير مرام

إني لأشكر مَنْ أقامك في الدنا
وأخص بالشكر الجزيل من استجا
فأتى إلى (القصباء) ينشر نوره
شكراً أياً (قصاب) نصحك مُرشدي
وأعود للجمعيّة العصماء في
أدلي بدلو هذه فرط الجوى
يبكى على عريّةٍ ملتا عةٍ
كم غرّبت ربحاً بغير هوادهٍ
ورعاتها لم يعباوا بضياها
يتكلمون بما اشتهت أهواؤهم
وتكبوا الفصحى فشجوا رأسها
ونظرتها - بين الأعراب - غصة
ياليت شعري ، كيف نالوا بأسها؟
أوليت شعري كيف دبست جهرة
وتعقبّت زمرُ الحداثة أهلها
من كل مفلس جعبة وسريرة
من كل منحدر إلى قعر الحضي
أمسى يُحاكي الغرب في تضائله
وأراه أمعن في عبادة فكرهم
ورمى بضاد الغرب في جوف الثرى

فأخذت بالأيدي وبالأقدام
بأدعوة ، وأسوق بآوح سلامي
فأزال - من قلبي - دجى آلامي
وأنا أسيرُ عطائك المُتنامي
ساح القريض وواحة الأقسام
وظغنت عليه مرارة الإيلام
أمست تُعاني ظلمة الإعجام
حتى غدت خُلماً من الأحلام!
وتمرّغوا في حمأة الإحجام
ورأوا بضاد العُرب شر طعام
حتى قضت من سالف الأعوام
في حلق كل شؤيعر هدام
حتى أذقوها لظى الجرسام
حتى انزوت في التيه مثل سُوام؟
واستقسمت - في الساح - بالأزلام
يأوي إلى ترصيعة الدرّهام
ض مشنفاً أذنيه نحو السام
هل يُقتدى بمخرفين لنام؟
ويذود عنه بمنطق وخصام
كدم الحجامّة في يد الحجام

فَرَقَا ، وبين غضنفر رزام!
شَتَان بَيْن المُر والدمـدام!
ويمامة ترنو لبعض يمام؟
فأصـيب - في تدوينه - بجذام
ويعيش - بين الناس - كالأنعام
شاهت رواكم ، يا عتي طغام
تاطيخها قسراً بـقيح سُخام
في ذيل مَن سبقوا لخير مقام
ضرباً مَن التـدجيل والأوهام
لغة تشوّه حليّة الأحلام
فحـديتهم كرطانة الأعجام
أتراك تـنعم - فيه - بالإفهام؟
ويرد كيد الطغمة الأقسام؟
وتبعثروا - في البيد - كالأنعام
وتعقبوا الألباب بعد الهام
وتطاولوا في حكمة الإجمام
فتـذرعوا بكثافة الأرقام
كل تمنطق - في الوغى - بحسام
لَمَ كل هذا يا بغيض فنام؟
فصحى ، لقد صبغوا العرى بسُحام

شَتَان بَيْن الذئب ينشد قوته
هل يستوي حُرّ وعبدٌ في الورى؟
هل يستوي نسرٌ يُحلق في الفضا
قلمُ الحداثي اشترته يدُ الهوى
يستحلب الأرجاسَ يبحث عن مدى
وغدا يسبُّ الله في هذيانه
ومضى ينال - من الحنيفة - قاصداً
ويقول: إن الدين سرُّ بقاننا
ورأى اتباع الناس شرع (محمد)
ورأى لسان العُرب ضاد نبـيهم
خاب الحداثيون أخبثُ معشر!
لا يُفصحون إذا سمعتَ عزيفهم
مَن لى بـمَن يجتثُ زيف غرورهم
هتكوا عـروض الشعر كي يُرضوا العدا
ضلوا ، وأغرى هزلهم سُفهاءنا
كلُّ تسـلح - بالجهالة - قانعاً
وغدت لهم كُتبٌ تُباع وتشتري
والأمسيات لهم بغير منازع
ماذا وراء الأفق يا جيش الردى؟
يا ليت شعري ما الذي فعلوه بالـ

ها في التغرب أيما إقام؟
ولسوف نمحو زهوة الآرام
ويأف قبر الضاد بعض رجام
ولسوف نقلع خيمة الخيام
عن ضاده ، فلنا رهيب أزام
ونذك بالتغريب كل همام
د ، من القوافي ، من وجوب نظام
ف ، ولن نراعي سالف الأحكام
نرضى بنحو قبائل الإظلام
ولسوف نهدره مدى الأيام
ولسوف نمحو - اليوم - كل ظلام
ولسوف نضرب - في الوغى - بسهام
ولسوف نبجر في بحار هيام
ونزيد نار الفسق كل ضرام
وندوس كل عباءة ولثام
قمع التيوس بدرة الغمام
فيمد كفّ العون والإسهام
ونحياهم في السباح بعض خطام
ونذيقهم إرهاصة الإقام
حكمم بلا نقض ولا إبرام

أوليت شعري كيف هم قد أقموا
قالوا: نحارب ضادكم بسيوفنا
وسندفن الفصحى بدون تردد
ونبيد أوزان الخليل ونحوه
ولسوف ننهش لحم كل منافح
ونميت أخفشكم وتاج عروسكم
ونحرر الشعر الأسير من القيود
ولسوف ننصب فاعلاً ، رغم الأتو
ولسوف نرفع كل مفعول ، ولن
نحن النحاة ، ونحن فوق تراثكم
نحن العروضيون ، وفق مزاجنا
سنرجع التفعيل ، والشعر الصدى
وسنجل الغزل الصريح لوعاننا
ولسوف نرتجل الفواحش والخنا
وسنقتل الأخلاق في أصقاعنا
ولسوف نقمع من يخالف رأينا
نردى الذي لا يرعوي لمرادنا
سنحاكم المتخلفين جميعهم
وسنصدر الأحكام تحقق شعيرهم
ونقيم محكمة توثق حكمنا!

ويُصاكَ بالتمشيع والأختام
مشهودة الأهداف والآضام
فالزيف يُزهق صؤلة الآنام
وتشوهون نضارة الإعلام؟
يا ويلكم من ماجدين كرام
بالكيد والإغراء والإرغام؟
أومالكم توبُّ عن الآثام؟
فوق البطاح وشامخ الآكام؟
وتدور بينكم كؤوس مُدام؟
وتجرِّعون الخلق كأس حِمام؟
كي تسجدوا - في التؤّ - للأصنام
وقطيعكم عاني فظيع فصام
قطعت فيافي القيظ دون زمام
وطوى ترائبها رهيب زحام
وحبكم ثم الأداور كالأفلام
أنعم بصيد الناس من حكام!
لمريده - عشقاً - وبعض رُعام؟
شنتان بين جوارح ورهام!
جبراً ، وبين أذلة خدام!
والمهر يضربح دون أي لجام!

سيُحال للأرشيف دون تلكؤ
سنخوضها حرباً ضروساً ضدّهم
قلت: اهدأوا قسطاً ، ولا تستعجلوا
حتى متى تتذرعون بباطل
حتى متى تتوعدون كرامنا؟
حتى متى تستقطبون ضعافنا
حتى متى تتغرغرون بحمقكم؟
حتى متى تتقيأون سُموكم
حتى متى لكم الصدارة في الوري
حتى متى تستكبرون على الهدى
تفتنون من الشريعة جهرة
وحياتكم أسنت ، وغاصت في الدجى
كالناقية الهوجاء في غلوائها
وتترست بخوائها حتى انزوت
أضالتم الدنيا بزيف خداعكم
والناس يوماً سوف تكشف زيفكم
هل يستوي شهذ الرضاب إذا استوى
هل يستوي الشاهين يوماً والقطا؟
شنتان بين أعزة سادوا الدنا
شنتان بين المهر في يد فارس

ويصدّ عنا هجمة اللّوام؟
ويقض مضجع جوقة البلعام؟
لينال بالصمصام كل بنام؟
أكرم به من مُصلق جرهام!
ويَدك ما شدتم من الآجام؟
لتكون أنقاضاً ربّما الأظام؟
إذ أنتم - في الناس - بعض رُكام
ها في الورى بالكاد - أي دوام
أين الجهابذ خيرة الأعلام؟
وتحث من قد ينبري ويحامي
حتى يُزيل العاز بالصمصام
قامت بهذا الدور خير قيام
وتبوات للمجد خير سنام
بجهود شثم مُكرمين عظام
لكنّ تصول كصولة الضرغام
وتعيد ششياً شابها بثغام
بالحق تصقل صحوه الأفهام
بالشعر يُوقظ غفلة النّوام
من سورة (الشعراء) و(الأنعام)
فذ ، وثمسك كفه بحسام

أين الخليل يرد هيمة من بغوا
أين (ابن منظور) يؤدب جمعكم
أين (ابن جنّي) يُسَفِه ركبكم
أين (ابن رشد) في الكريهة ضيغماً؟
حتى يجادلكم ، فيبطل سحركم
أين (ابن سَلام) ليوقف زحفكم
لنراكم في الذيل ، ذاك مقامكم
ما للأباطيل - التي شيدتمو
أين الأشاوس من جحافل ضادنا؟
فالضاد تجار للمليك ، وتشتكي
تستصرخ الأفذاذ ، تنشد فارساً
وقد انبرت (جمعيّة) مُضريّة
(لحميّة) الضاد اعتلت أجاج الوعى
أبدأ تذود عن الكريمة ضادنا
لا تسبّج لمفلسٍ متبذل
لتعيد للفصحى الأصيلة شأنها
تخذت من (القصباء) منبر صدعها
وغدت فوراسُها تعطّر أفقها
جعلت - من القرآن - منهج عيشها
وتفاضل الشعراء: هذا فارس

ووراءها نارٌ بكف غلام
مُزجيتٌ بنصح مُخبِتٍ مِقْدام
رأت الوفا - في الجهر - خيرَ لزَام
حتى رأيت لها زكيَّ إيَام
وشدا بثغر ريانع مِبْسَام
حول العتيق بمئزر الإحرام
كلا ، ولم تشهدْ لهيبَ غرام
منه الفؤادُ مِنَ الصبابةِ دام
ونأت - كذا - عن وصف أي قوام
لم تدنُ من (ليلى) ولا (الهَام)
ويُميتُ ذبحاً هممة الأَقوام
تُزري بمن يأتي إلى النَجَام
فالشعر يأنف لوثة الأعجام
وعن احتمال اللفظ أي حرام
وكأنها تُتلفُ مِنَ الآدام
كلا ، ولا شئٌ من الإبهام
فاقت رسوخاً تالد الأهرام
وحديث (أحمد) أيما إلزام!
أعظمُ بدين الحقِ مِنَ قوام!
بل ناورت - في الغاب - كالجِهام

وعلى اليمين بُنية ترمي العدا
في كل بيتِ زفرة ليراعةٍ
وعلى جبين الشعر كانت جوهراً
لم تدخرُ جهداً ، ولم تكتم رؤىً
وتبخر الشعرُ الأريب تفاعراً
طهرت قصائده ، كأن رموزها
لم تحو آهاتٍ ولوعة عاشقٍ
لمَا يَزُرُ أرحابها كلف الهوى
ونأت عن التدشين يمسح ظهرها
وقلت مرابع (عبلة) وجواءها
ونأت عن التهويم يُزري شاعراً
ونأت عن التدجيل ، إن دروبه
ونأت عن اللفظ الدخيل وأهله
ونأت عن النيل الرخيص مِنَ الهدى
وتنوعت فيها القوافي جُملة
لم تُخف - خلف رموزها - إبحاءها!
هذي القصائد درةً عمريّة
قد ألزمت أخلاقها قرآنها
جعلت قوامَ الدين أعظم غايةٍ
لم يُخن هامتها تربصُ من طفى

أمرأ ، وبين مناضلٍ مجذام!
والناقية انفلتت بدون خطام!
تقري بوادينا ، وبين دمام!
وراءه طولٌ وبعض رهام
وكان مُستمتع به بعضُ حَمَام!
وقد استعار تشامخ الضمضام
حتى تخطي ذروة الإلمام
حتى يُعالج وعكة النظام
قد أبدعتها ريشة الرسام
أبدأ تصول كصولة القسام
وتذود عن (يسن) أو (عزام)
وكذاك عن (بغدادنا) و(شام)
سُرقَتْ بأمر المجرم الحاخام
إذ دسّ (ديناميت) في الإبزام
من أصبوحوا في تكنيةٍ وخيام
بقصائدٍ موفورة الأكمام
ورمت بتمر ليينٍ وجُرام
والتفّ من أنوارها بجزام
ضبحت إلى (القصباء) كالآرام
تزجي القريض مُهنّدم الإقدام

شتان بين المرء يرْجُف ، لا يعي
والناقية العصماء تعرف دربها
وسحابة حملت غيوثاً جمّة
وتباين الإلقاء هذا وابلّ
هذا أسيف الصوت يهمسُ عاتباً
وخلافه بطولٍ يزمجر ثائراً
والم آخرُ بالعروض تفنناً
والم آخرُ بالبيان صناعة
فإذا القصيدة لوحة هزلية
وهناك في (القصباء) نعم كتيبة
تشدو عن الأقصى بأعذب شعرها
وترجع الألحان في (قدس) الهدى
طوراً تنافح عن (فلسطين) التي
فترى شهيداً من يفجر نفسه
وتقدم التابيين سلوى أهلنا
وتعود تمدحُ شرعنا وديارنا
مثل النخيل تناولت نحو العلا
وظفا أريجُ الشعر فوق ظلالها
وقصائدُ الشعراء في بيدانها
وأنت منار الخير كوكبة الهدى

والأرضُ درّ ضياءَ بعد رخام
وتناولوا ما خُط بالأقلام
كم أذهبت من غصةٍ وسام!
والأجرُ عند الواحد العلام
في عالم ما فيه صدقُ كلام
وتصدقوا بكرائم الأنعام!
يخشى - من الأضياف - بعض ملام
للضاد هم من خيرة الأرحام
ضدان هم وخلائفُ النهام!
وصفاءً نفس آمنت وقتام!
بُ وآخر ينمو بغير فطام!
يصطاد أرنبتيْن ، والنحام!
وسَطَرْتُ ما في القلب بالرسام
هذا الدعاء نخيرتي وختامي

وعليه من خلل الجمال بهيها!
وتناوب الشعراء منبر محفل
ومحاضرات فاح عطرُ أثيرها
وعلى سفين الشعر جاء رعاتها
صدقْت نواياهم ، وصحّ كلامهم
من جودهم كم أغدقوا وتفضلوا
والبعض وافانا بعذر تخلف
إنني لأعذرهم ، وأعلم حالهم
لا يستوون ومن يعادي ديننا
شتان بين النور يسطع والندجى
شتان بين الطفل يطم إذ يش
شتان بين الصقر يجمع كيده
حيث من حضروا ومن لم يحضروا
وجزا المليك اليوم خيراً جمعهم

بعض معانى المفردات غير المطروقة

- مُرام: هدف. • الإعجام: عدم الإفصاح والإبانة. • أسوق: أقدم. • الجرسام: أي السم الزعاف.
- دعام: أي دعامة وأساس متين. • سُوام: عرض البضاعة للبيع. • الأزلام: أي سهام كانوا يتقاسمون بها في الجاهلية. • الدرهم: هو الدرهم. • السام: الموت. • الحجام: من يقوم بعمل الحجامة. • الرزام: من أسماء الأسد الحاتم على فريسته. • الدمدم: جمع دمدامة وهي عشبة لها عرف كالجزر تؤكل ، وهي حلوة

المذاق. • جذام: مرض معروف. • طغام: هم أوغاد الناس وأرذلهم وسفلتهم. • السخام: أي السواد الشديد. • الهام: جمع هامة وهي الرأس. • حسام: أي سيف. • فنام: جماعات. • سحام: سواد. • الأرام: هي الأطباء الخالصة البيضاء غير المشوب. • رجام: هي الحجارة تنصب علامة على القبور. • الخليل: هو الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب علم العروض ومكتشفه. • أزام: جمع آزمة وهي الناب. • النحاة: أصحاب علم النحو العربي. • العروضيون: أصحاب علم عروض الشعر. • الوغى: الحرب. • ضرام: نار الشوق. • درة: عصا. • الأرشيف: مكان تحفظ فيه الوثائق والسجلات. • الآصام: الأحقاد والضغائن. • الآنام: جمع أنام وهم الخلق. • الإرغام: الإجبار. • الآكام: جمع أكمة وهي التل أو المكان المرتفع. • الحمام: الموت. • رُعام: مخاط الخيل. • رُهام: ما لا يصيد من الطير. • خُدام: ج خادم. • البلعام: هو أحد علماء بني إسرائيل والذي لم يعمل بنصوص التوراة مع علمه بها ، وفيه نزل قول الله - تعالى - (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين). • بنام: أي بنان. • مصلق: شديد النبرة. • جرهام: أي رجل حاد فيصل في أمره. • الآجام: الحصون المنيعة. • الآطام: ج أطم وهو القصير الشاهق. • الصمصام: أي السيف. • الضرغام: الأسد. • ثُغام: هو بياض الشعر كناية عن الشيب. • إيام: دخان النار. • مبسام: شديد التبسم. • النجام: المنجم. • الآدام: ج أديم وهو الطعام المأدوم. • رسوخا: ثباتا ومنعة. • الجهضام: هو الأسد الضخم الهامة المستدير الوجه. • مجذام: رجل قاطع للأموال فيصل فيها. • دمام: سحاب لا ماء فيه أبدا. • رُهام: ج رهمة وهي المطر الضعيف الدائم. • الضمضام: الأسد. • القسام: هو المجاهد المسلم الشهيد عز الدين القسام رحمه الله. • يسن : هو المجاهد المعروف أحمد يسن حفظه الله. • عزام: هو الأستاذ عبد الله عزام رحمه الله وتقبله في الشهداء. • الإبزام: هو الإبزيم الذي في رأس المنطقة (الحزام). • جُرام: هو التمر اليابس. • الأرام: الأعلام والشارات. • النهام: هو راهب النصراني. • النحام: طائر مسالم معروف كالإوز. • المرسام: القلم. • منار الخير: أي جمعية حماية اللغة ، حيث إنها فعلا كذلك.

بعض الشخصيات الواردة في القصيدة

• قصاب: هو الدكتور وليد قصاب ، أستاذ اللغة العربية والأدب العربي بجامعة الإمارات. • الأخفش: هو تلميذ الخليل الذي استطاع أن يستدرك عليه بالبحر المتدارك. • ابن منظور: هو صاحب لسان العرب. • ابن جني: هو صاحب النحو العربي المعروف. • ابن رشد: هو المسلم المنطيق الفقيه صاحب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد). • ابن سلام: هو الجمحي صاحب (طبقات الشعراء). • عبلة وليلى ودعد وهند: عاشقات عربيات معروفات. هذا بالإضافة إلى مجموعة أخرى من المفردات والأعلام تركتها لكل قارئ وضربت الذكر صفحاً عن تناولها معتمداً في ذلك على ثقافته ، حيث إن المطالع للشعر والأدب لا بد له من مستوى ثقافي ينطلق منه في القراءة.

رسالة من صلاح الدين رحمه الله

(تأتي هذه الرسالة الشعرية على لسان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي المسلم العقيدة والكردي الأصل ، تأتي بمناسبة غالية على قلبي ألا وهي ولادة ابني الحبيب (صلاح الدين) ، وهو الابن الخامس ، وكان ذلك في ظهيرة يوم السبت الخامس والعشرين من رمضان المعظم من العام الرابع والعشرين بعد الأربعمائة والألف من هجرة سيد الأنام – عليه الصلاة والسلام – ، والذي يوافق سنة ألفين واثنين من ميلاد المسيح عيسى بن مريم – عليه الصلاة والسلام –. وتيمناً بأن يكون وليدنا صلاح الدين الأيوبي أسميناه صلاح الدين – فعسى الله أن يتحقق اليوم على يدي هذا الابن ما كان من صلاح الدين بالأمس . فما أحوج أمتنا إلى رجل صلاح الدين تتوحد على يديه كلمتها ويُلَم على يديه شمل أهلها وتنتصر لدينها وكرامتها. وكانت عادتي في جُل قصائدي التي أكتبها لأبنائي أن أتكلم إليهم وأسوق النصائح القلبية وأزجي المواعظ الروحية. كأي أودعهم وداعاً أخيراً ليس بعده لقاء إلا يوم القيامة. إلا أنني في قصيدة صلاح الدين كنت قد استحيت من الناصر صلاح الدين – رحمه الله – والذي شرف ابني بالانتساب إليه والتسمي باسمه العظيم – وقلت كيف أتكلم بحضرة صلاح الدين الميت الحي – نسأل الله أن يكتب له الشهادة – فأترت أن أستمع إلى صلاح الدين وهو يرسل هذه الرسالة الشعرية التي دوري فيها فقط صياغة ما يقوله شعراً. إن الله – عز وجل – قدير على أن يبعث لأمتنا صلاحاً كصلاح الدين. اللهم إن حاجتنا إليه اليوم أكثر من أي زمان مضى: اللهم فُجِدْ علينا به يا رب العالمين. تحدث ابن الجوزي – رحمه الله – عن ربنا – تبارك وتعالى فقال: (لقد نظر الله بعين الاختيار إلى آدم فحظي بسجود ملائكته ، وإلى ابنه فأقامه في منزلته ، وإلى نوح فنجاه من الغرق بسفينته ، وإلى إبراهيم فسأه حُلة خُلته ، وإلى إسماعيل فأعان الخليل في بناء كعبته وافتداه بذبح عظيم من ضجته ، وإلى لوطٍ فنجاه وأهله من عشيرته ، وإلى شعيب فأعطاه الفصاحة في خُطبته ، وإلى يوسف فأراه البرهان في همته ، وإلى موسى فخطر في ثوب مكالمته ، وإلى داود فألان الحديد له على حدته ، وإلى سليمان فسخر له الريح ينتقل بها في مملكته ، وإلى أيوب فبأطوبى لرقدته ، وإلى يونس فسمع نداءه في ظلمته ، وإلى زكريا فقرن سؤاله ببشارته ، وإلى عيسى فكم أقام ميثماً من حفرته وإلى محمد فخصه بالقرب من حضرته ، والوصول إلى سدرته ، وأعرض عن إبليس فحزى ببعده ولعنته ، وعن قابيل فقلب قلبه على معصيته ، وعن النمرود فقال أنا أحيى الموتى ببلاهته ، وعن فرعون فادعى الربوبية على جرأته ، وعن قارون فخرج على قومه في زينته ، وعن أبي جهل فشقي مع سعادة أمه وابنه وابنته. هكذا جرى تقديره مع خلقه ، وإنه لا اعتراض على قسمته ، يُسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته).هـ. فسأل الله بصدق أن يوجد على أمتنا بصلاح كصلاح. لقد عاش صلاح الدين ثابتاً على السنة حامياً لها! والأصل أن يثبت المسلم على دينه حتى يلقي ربه تبارك وتعالى! يقول الأستاذ ربيع بن هادي حاضاً على الثبات على الحق ما نصه: (إن الثبات على السنّة معناه الثبات على الإسلام بكليته: أصوله وفروعه عقائده ومناهجه نثبت عليه ونتمسك به حتى نلقى الله تبارك وتعالى. والآيات الحاتّة على الاتباع والالتزام والاعتصام والاستقامة كثيرة. والأحاديث كذلك ترمي كلها إلى غاية واحدة وهي ثبات المسلمين على الإسلام. وإذا قلنا الثبات على السنّة فليس المراد فقط ما يفهمه كثير من الناس من لفظ السنّة فإن السنّة هنا تعني العقيدة والمنهج ، تعني الإسلام. تعني الثبات على الإسلام. هذا الثبات بتوفيق من الله سبحانه وتعالى. التوفيق بيده سبحانه وتعالى والهداية بيده والإضلال بيده سبحانه وتعالى. (يهدي من يشاء ويضل من يشاء) ويُثبّت من يشاء ويُزيغ قلب من يشاء. ولهذا علّمنا الله تبارك وتعالى أن ندعوه بأن لا يُزيغ قلوبنا (رَبَّنَا لا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ). فإذا ثبّت الله الإنسان على دينه الحقّ وعلى منهج الله الحقّ وعلى العقائد الصحيحة فهذه نعمة من الله فلا يغترّ بنفسه ، ويتباهي ويتطاول ، وإنما يتواضع لله ربّ العالمين. ويشكره على ذلك ويضرع إليه أن يحفظ له دينه ، وأن يُجنّبهُ المزالق والزيف سبحانه وتعالى. ولا يفتر (ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون)! فسألته في كل لحظةٍ من لحظاتها أن يُثبّت قلوبنا. هذا رسول الله صلى الله عليه وسلّم وكان يُكثر من قوله:(يا مقلب القلوب ثبتّ قلبي على دينك) ، فقالت عائشة: (فقلت: يا رسول الله إنك تكثر تدعو بهذا

الدعاء فقال: إنَّ قلب الأدمي بين إصبعين من أصابع الله عز وجل فإذا شاء أزاغه وإذا شاء أقامه). والثبات مطلوب من المؤمن ، ويجب أن يسأل ربّه أن يُثبته في كلِّ موقف: في الجهاد ، عند الموت يدعو الله تبارك وتعالى ويضرع إليه أن يُثبته (يا أَيُّهَا الدِّينُ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). إذا لم يُوجد ثباتٌ ما وُجد جهادٌ ، ولا قيمة للجهاد إلا بالثبات حتى ينزل النَّصر من الله سبحانه وتعالى. فإذا ثبت المؤمنون على العقائد الصحيحة والمناهج الصحيحة ، وثبتوا في القتال أمام أعداء الله عزَّ وجلَّ ، وقاتلوا لإعلاء كلمة الله لا بدَّ أن ينصرهم الله تبارك وتعالى بهذا الثبات على الدِّين ، وبهذا الجهاد لإعلانه (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). والمطلوب منه إذا كان في ساحة الجهاد أن يثبَّت ، ولا يفرُّ! والفرار من الرَّحْف إحدى الكبائر المُهلكة - والعياذ بالله). هـ. ألا من أقبل على الله تلقاه من بعيد ، ومن أعرض عنه ناداه من قريب ، ومن ترك من أجله أعطاه فوق المزيد ، ومن أراد الرضا أراد ما يريد ، ومن تصرف بحوله وقوته ألان له الحديد ، أهل ذكره هم أهل كرامته ، وأهل معصيته لا يقتطعهم من رحمته ، إن تابوا إليه فهو حبيبهم وإن لم يتوبوا فهو رحيم بهم ، يبتليهم بالمصائب ليظهرهم من الذنوب والمعائب ، الحسنه عنده بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة. والسينة عنده بواحدة ، فإن ندم العبد عليها واستغفر غيرها له ، يشكر اليسير من العمل ، ويغفر الكثير من الزلل! صلاح الدين الأيوبي من الشخصيات البارزة في التاريخ الإسلامي ، ولا زال أثرها بارزاً في حتى يومنا هذا لما أبرزته من مواقف بطولية وسطرت التاريخ بإنجازاته المتمثلة في الوحدة والإرادة والتصميم وإعادة الهبة للأمة الإسلامية في وقت كان المجتمع الإسلامي يعاني من التفكك والانحلال ، هذه الشخصية هي صلاح الدين الأيوبي ، وهو يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان والذي يُكنى "بأبي المظفر". وهو كردي النشأة ، فلقد ولد في تكريت في قرية دوين الواقعة شرقي كردستان ، ثم انتقل صلاح الدين مع والده أيوب إلى الموصل التي كانت تحت حكم عماد الدين زنكي ، وعمل أيوب والد صلاح الدين على خدمة عماد الدين آنذاك حتى قتل في سنة 533هـ. وبعد وفاته عمل أيوب على خدمة ابنه نور الدين محمود والي دمشق وحلب وقد نال مقاماً رفيعاً آنذاك ولقب بنجم الدين. وقد عرف صلاح الدين منذ أن كان شاباً بتصميمه وجموحه الكبيرين. كما عرف بنزاهة والشهامة وطيب الخلق ، ولا عجب في ذلك فعندما توفي لم يترك في وديعته سوى سبعة عشر درهماً ، ويعود له الفضل في تأسيس الدولة الأيوبية وتوحيد الولايات العربية بعد أن مزقت على أعقاب الصليبيين الذين استعمروها قرابة 88 عام ، بعد أن أمضى صلاح الدين 17 عام في شحذ الهمم وتجهيز العتاد والتدريب وتوحيد تلك الولايات المستولى عليها من قبل الصليبيين ، ليستحوذ الأيوبيون على بلاد الشام ومصر من أيدي الصليبيين بعد حرب طويلة. وقد امتدحه العديد من المؤرخين عبر التاريخ ، فقد وصفه مالكم كميرون بأنه "رجل لا يقل شأنه عن نابليون ، بل يحق له حكم العالم الشرقي عن جدارة واستحقاق". كما وصفه المؤرخ الإنجليزي أميروتو فأشار إلى أن ما قام به صلاح الدين من إنجازات ، ووصفه بأنه "أعظم شخصية سياسية وعسكرية في عهد الحروب الصليبية". تصدى صلاح الدين للحملة الصليبية الثالثة لما أجراه من نقلة عسكرية ومعنوية في المعسكر الإسلامي نظراً لتخطيطه المسبق وتحديده لأولوياته فقد كان رمزاً للحكمة في الحرب والشهامة بعد الحرب ، وفي غضون الحرب الأولى التي خاضها صلاح الدين ضد الصليبيين بادر بفتح باب التطوع في مصر وراسل المسلمين في شتى بقاع الجزيرة العربية وفي الموصل والشام لدعم الجيش فاستجابوا له ، ثم كان على أهب الاستعداد لمواجهة الصليبيين في معركة كارثية ، وألحق بهم خسارة مريرة ، حيث فقدوا خيرة فرسانهم في معركة حطين ، ومن ثم سارع بتحرير المناطق الساحلية ، ولم يعاملهم صلاح الدين الدين بالمثل ، بل كان حسن التعامل وواسع الصدر مع الصليبيين. توفي صلاح الدين في دمشق عن عمر يناهز السابعة والخمسون عاماً ، وعندما علم عموم الناس بالخبر بكوا حزناً على وفاته ، وقد بويع من بعده ولده نور الدين علي الذي كان نائباً في دمشق قبل توليه الحكم. أسس صلاح الدين الأيوبي الدولة الأيوبية في مصر عام 1174م ، وحرر بيت المقدس في الثاني من تشرين الأول / أكتوبر عام 1187م. وشهد له خصمه ملك إنجلترا ريتشارد "قلب الأسد" بالصلابة والذكاء ، وأقام له وسط أوروبا تمثالاً ضخماً تعبيراً عن احترامه لشجاعته

وبسالته في الدفاع عن بلاده. تقول مجلة التاريخ العميق: (إن صلاح الدين الكردي الأصل انطلق نحو مصر في عام 1165م برفقة عمه أسد الدين شيركوه بأمر من حاكم بلاد الشام وشمال العراق وبعض أجزاء الجنوب الشرقي لبلاد الأناضول نور الدين زنكي التركي الأصل ، بجيش عربي وتركي وكردى ، لدعم شاور واستغلال الخلاف الجاري بينه وبين ضرغام على منصب الوزارة في سبيل إخضاعه للدولة الزنكية وبالتالي توحيد الدولة الإسلامية لجعلها قادرة على تحرير البيت المقدس من الاحتلال الصليبي. انتصر أسد الدين بجيشه الذي ضم 1000 جندي فقط على جيش ضرغام الضخم ، ودخل القاهرة وأعاد شاور إلى منصب الوزارة ، وانتظر من شاور الوفاء بعهوده ، ولكنه غدر به وأمره بالرجوع إلى الشام وإلا قام بقتله وجنوده. تراجع أسد الدين بجيشه نحو منطقة بلبس في الشرقية ، وأرسل إلى شاور بأنه لن يتحرك إلا بأمر من الملك نور الدين زنكي. أرسل شاور إلى الصليبيين في الشام يستغيثهم في مساندة ضد جيش نور الدين ، وكان الصليبيون على يقين بخطر اتحاد بلاد الشام مع مصر على تواجدهم في البلاد الإسلامية ، لذا فرحوا عندما استغاث بهم شاور وعلى الفور أرسلوا جيوشهم إلى مصر. حاصرت الجيوش الصليبية أسد الدين شيركوه وجيشه لثلاثة شهور ولم يجرؤ أحد منهم على التقدم نحو بلبس على الرغم من ضعف الحصون المحيطة بها ، وبينما هم كذلك انقض عليهم نور الدين زنكي في بعض مدنهم في بلاد الشام وأوقع بهم خسائر كبيرة في معركة تل محارم التي فتح بها ذلك التل ، فأصاب الصليبيين الرعب وأعلنوا رفع يدهم عن حصار أسد الدين. وعلى إثر ذلك انطلق أسد الدين شيركوه على جناح السرعة نحو القاهرة ودخلها منتصراً. حاول شاور استدراجه لطعام مسموم ، ولكن ابنه الكامل حذره من الإقدام على ذلك ، ولم يمض الكثير حتى أمر الملك الفاطمي العاضد على دين الله بإعدام شاور ، وتولى أسد الدين الوزارة في مصر. وعلى الفور أخذ أسد الدين يمضي في إجراءات توحيد الأمة الإسلامية وإسقاط الدولة الفاطمية ، ولكن لم يحالفه الحظ في ذلك ، إذ أصابته ذبحة صدرية وتوفي على إثرها عام 1170م. أعقبه في استكمال مشواره ابن أخيه الفذ صلاح الدين الذي كان يبلغ من العمر 32 عاماً ، حيث تولى الوزارة وحرص على أن تكون كافة السلطات بيده ، وبحلول عام 1174 م تمكن من تأسيس الدولة الأيوبية السنية التي أعلن تبعيتها للملك الزنكي والسلطان العباسي ، ومنع صلاح الدين الأيوبي الدعاء للملك الفاطمي في المساجد ، وطرد الملك الفاطمي وقضى على الدولة الفاطمية ، التي حكمت مصر 262 عاماً. التمس صلاح الدين الأيوبي تأسيس جيش إسلامي ، يجمع العرب والكرد والترک والشركس وكل الأقوام الإسلامية الغيورة على القدس المحتلة ، وبعد توحيد بلاد الشام ومصر تحت قيادته الموحدة ، وإعداده لجيش التحرير ، استقر في مصر منتظراً الفرصة للانطلاق نحو تحرير بيت المقدس ، وعقب اعتداء الصليبيين على ضواحي دمشق في تشرين الثاني / نوفمبر 1186م ، أعلن الحرب على الصليبيين وانطلق بجيشه لتحرير الأراضي الفلسطينية المحتلة من قبل الصليبيين ، وفي اليوم الثالث من تموز / يوليو 1187 م وصل إلى حطين الواقعة بين الناصرة وطبرية ، واشتبك مع الصليبيين في اليوم التالي في معركة حطين ، وانتصر عليهم وواصل سيره لتحرير بيت المقدس. يقول الأستاذ محمد إلهامي الباحث في التاريخ والحضارة ما نصه: (إنه ما من شخصية استأثرت بإعجاب الأعداء كما كانت شخصية السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وقد تنوعت جوانب الإعجاب به ، إلا أن فروسية صلاح الدين كانت الصفة التي بلغت به شهرته الكبرى ، ووضعته في ذلك المحل الأرفع ، وأثارت حوله الأساطير والخرافات في الآداب الأوروبية. يقول الباحث الأمريكي مايكل مورجان: "فترة الاضطراب هذه سوف تساعد على ظهور قائد مسلم موحد ، وهو رجل شديد التدين ، لن يتمتع بفكر مثل هارون الرشيد والمأمون ، ولا الحاكم في القاهرة ، أو عبد الرحمن الثالث (الناصر) في قرطبة ، إلا أنه سيجسد نوعاً من شرف الفروسية الإسلامية ، سيكون مثار انبهار الأوربيين ، بل وسيدفعهم نبه هذا إلى العديد من المواقف المحرجة ، فما كان منهم إلا التماس أن السبب وراء أخلاقه الرفيعة والكريمة ، ما هو إلا لأن لديه دماء أوروبية تجري في عروقه ، هذا الرجل هو صلاح الدين ، ومثل هارون الرشيد ، تجد القصص التي تحيط به لها طابع رومانسي وأسطوري ، لكن رقيته الأساسي وحكمه الإنساني في الأمور المستفزة هو حقيقي ويفتدى به". لقد مثلت أخلاق صلاح الدين مثلاً عالياً ونموذجاً فارقاً حوكت إليه

أخلاق الفرسان العرب والأوروبيين على نحو سواء في كل زمن الحروب الصليبية. يقول ول ديورانت: "لقد أجمعت الآراء على أن صلاح الدين كان أنبل من اشترك في الحروب الصليبية". ولهذا يسوق المؤرخون الغربيون مشهده بعد تحريره القدس ، فيتفنون في وصفه على هذا النحو: يظهر أن أخلاق صلاح الدين الأيوبي وحياته التي انطوت على البطولة ، قد أحدثت في أذهان المسيحيين في عصره تأثيراً سحرياً خاصاً ، حتى إن نفرأ من الفرسان الصليبيين قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم النصرانية ، وهجروا قومهم وانضموا إلى المسلمين. يقول الكولونيل البريطاني الذي اتجه في نهاية عمره لدراسة الإسلام وتأثر بالمسلمين وأعجب بأسلوب حياتهم وقيمهم ، يقول واصفاً هذا المشهد: "لما غزا الصليبيون الأرض المقدسة سنة (1099م) ، خلفوا وراءهم في كل مكان الموت والدمار ، بيد أنه لما رد صلاح الدين الصليبيين على أعقابهم ، لم يلجأ إلى وسائل الانتقام ، ولم يخرب المسلمون الأماكن التي فتحوها ، كما فعل المقاتلون الدينيون السابقون لهم من الممالك الأخرى ، فأينما وضعوا أرجلهم نشأ شيء جديد أسمى وأفضل مما كان قبلاً". ويقول المستشرق الفرنسي المشهور جوستاف لوبون: "لم يشأ السلطان صلاح الدين أن يفعل في الصليبيين مثل ما فعله الصليبيون الأولون من ضروب التوحش ، فبيد النصارى عن بكرة أبيهم ؛ فقد اكتفى بفرض جزية طفيفة عليهم مانعا سلب شيء منهم". وتقول المستشركة الألمانية المعروفة زيغريد هونكه: "حين تمكن صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس (583هـ / 1187م) - التي كان الصليبيون قد انتزعوها من قبل (492هـ / 1099م) بعد أن سفكوا دماء أهلها في مذبحه لا تدانيها مذبحه وحشية وقسوة - فإنه لم يسفك دم سكانها من النصارى انتقاماً لسفك دم المسلمين ، بل إنه شملهم بمروءته ، وأسبغ عليهم من جوده ورحمته ، ضارباً المثل في التخلق بروح الفروسية العالية ، وعلى العكس من المسلمين ، لم تعرف الفروسية النصرانية أي التزام خلقي تجاه كلمة الشرف أو الأسرى". ويقول "إن الصليبيين ادعوا أن العرب المسلمين المشاركة كانوا قساة متوحشين في جوهرهم على نحو لا مثيل له ، حتى على الرغم من أن المجازر الرهيبة التي ارتكبت في القدس والقسطنطينية وجزيرة قبرص ، ما فتنت تشكل نقيضاً صارخاً لتاريخ الفتوحات الإسلامية في تلك الحقبة. فقبل أربعمان سنة من إغراق الصليبيين القدس في الدماء ، لم يأمر الخليفة عمر بقتل أحد عندما تولى أمر المدينة ، وفي وقت لاحق ، عندما استرد القائد الإسلامي الشهير صلاح الدين القدس من الصليبيين في عام 1187م ، اقتدى بعمر وحذا حذوه ، فلم يكتف بالسماح للبطريك المسيحي بمغادرة المدينة مع أتباعه ، بل سمح لهم إلى ذلك بحمل ثرواتهم معهم". وقد أتت أخلاق صلاح الدين ثمارها في حياته منذ وقت مبكر ، يرصدها المستشرق الإنجليزي الكبير توماس أرنولد في قوله: "يظهر أن أخلاق صلاح الدين الأيوبي وحياته التي انطوت على البطولة ، قد أحدثت في أذهان النصارى في عصره تأثيراً سحرياً خاصاً ، حتى إن نفرأ من الفرسان النصارى قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم النصرانية ، وهجروا قومهم وانضموا إلى المسلمين". وقد شهد وليم الصوري - رئيس أساقفة صور وهو معاصر لزمن صلاح الدين - أنه كان رجلاً حاد الذكاء نشيطاً وشجاعاً في الحرب وفي غاية الشهامة والكرم". وفي الحقيقة إن رواية الصوري حافلة بالأخطاء عما يقع بالجانب الإسلامي بشهادة المؤرخين المعاصرين له ، ولكنه برغم هذا فإن وصفه لصلاح الدين دليل على ما تمتع به السلطان من سمعة رفيعة).هـ. وبالطبع مهما تخصص المتخصصون للنيل من صلاح الدين القائد المسلم المؤمن المجاهد فلن يستطيعوا أن ينالوا منه! ومهما لفق الملقون وزايد المزايدون وروج المروجون ليشوهوا شخصية صلاح الدين فما هم بمستطيعين إلى ذلك سببلاً مهما كان ومهما كانت جهودهم وحيلهم ومكرهم وهراءاتهم! ولقد تعددت محاولات الملاحدة والعلمانيين الذين ضاقوا ذرعاً بهذا الدين العظيم وبنبيه الكريم! بأذنين كل جهودهم الملعونة للنيل من الإسلام ومن النبي صلى الله عليه وسلم ومن صحابته الكرام! والله نسأل أن يخيب مساعيهم وأن يجعل دائرة السوء عليهم! إن هذه المحاولات الخبيثة لن تغير عقيدتنا في هذا الدين وفي نبيه الأمين وفي أتباعه الصالحين المؤمنين الموحدين على مر الزمان! سيظل الحق حقاً والباطل باطلاً أيها السفهاء! وتعباً لهم ولأذنانهم الرطبة في الداخل والخارج ، والله نتم نوره ، ولو كره الكافرون ، على اختلاف مللهم ونحلهم! وهذا

يذكرنا بما قاله الشيخ عبد الرحيم الطحان معلقاً على من سخر من النبي - صلى الله عليه وسلم - فضلاً عن صلاح الدين الأيوبي! فقال في محاضراته: (مكر الماكرين) ما نصه: (انظروا إلى هذا الخبيث المجرم صلاح شاهين كيف يتحدى ألف مليون من المسلمين! صلاح شاهين يرسم في مجلة الأهرام - وهو الرسام الكاريكاتوري فيها - صورة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، ويطلق عليه (محمد أفندي) ، ثم يرسمه بأنه يركب حماراً ووجه نبينا عليه الصلاة والسلام إلى مؤخرة الحمار ، وظهر نبينا عليه الصلاة والسلام إلى رأس الحمار، إشارةً ورمزاً إلى التخلف والرجعية ، وأن هذا قد مضى وانقطع ، ثم يصور تحت الحمار ديكاً وحوله تسع دجاجات ويقول: (محمد أفندي زوج التسعة). هل هذا يقع لو علم أن الحكومات ستحاسبه على هذا الكفر وهذا الضلال؟! لا. هو لا يستطيع أن يعرض بطاغوتٍ من طاوغيت البشر ، لكن أفضل البشر ، بل أفضل العالمين يعرض له عمداً بما يندى له الجبين ، وبما تقشعر منه جلود المؤمنين ، تحت ستار الحرية! هـ.

الحمْدُ لله ربِّي الخالق المبدئ	فهو الجديرُ بكل الشكر والحمدِ
فأحمد الله من قلبي ، وأشكره!	وشكرُ رب البرايا منتهى قصدي
وأستعينُ مليك الخلق قاطبة	وليس لي من ذرى الإذعان من بُد
فالله - من صولة الطغيان - منقذنا	والله - في لجج الديجور - أستهدي
أستغفر الله من ذنبي ومعصيتي	فهو المعين على الإخلاص والهؤد
إنني أعود به من كل ما اجترحت	نفسى اللجوج من العصيان والصد
فإن من قد هداه الله مغتبطاً!	ومن أضل فقل: من ذا الذي يهدي؟
وإن ربي إله واحدٌ أحدٌ	برا الأنعام ، وأحيا الأرض بالجود
وأن (أحمد) خيرُ الرسل أجمعهم	دعا الخلائق للإيمان والرشد
وبعدُ ، يا أمة الإسلام ألمني	ما أنت فيه من الإذلال والكمد
وأدمع القلب ما تشكين من كُربٍ	وأحزنَ الروحَ شرَّ النيل والحصد
وقرحَ الجرحَ أن هان الرجال ، وما	ثاروا على المستبد الغاضب القرد
إنني أتابع أخباراً تسربلني	ولا أفرق بين العُرب والكُرد
لأن دين الهدى بالأمس علمني	أن الهداة لهم في دارنا أيدي!
وأن أهل الهدى أهلي وإن بُعدوا	فهل تغير هذا الشرع من بعدي؟
وهل تدنس أقصانا وصخرته	والقدس هل آذنت يا أهل بالبيد؟

وهل صحيح: رَحَى صَهِيُونَ دَائِرَةً
وهل صحيح: شِرَاكُ الْكُفْرِ مِثْلَةٌ
وَأَنَّ أَهْلَ الصَّلِيبِ الْيَوْمَ قَدْ بَرَجُوا
تُدمِرُ الْكُلَّ لَا تَتَّوِي مَهَانَةٌ
وَأَنَّ دِينَ النَّصَارَى الْآنَ زَاحِمُكُمْ
وَأَنَّ صَوْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أُخْرِسُكُمْ
أَهْلُ الْكِتَابِ ، نَعَمْ ، لَكِنْهُمْ كَفَرُوا
بِالْأَمْسِ أَعْطَوْا بِكُلِّ الذَّلِّ جَزِيَّتَهُمْ
مَا بَالُنَا الْيَوْمَ نَسْتَجِدِّي أَصَاغِرَهُمْ؟
هَذَا الدِّعَاوَلُ مَن فِي الدَّارِ أَوْجَدَهَا
وَمَنْ أزالَ سِيَاجاً كَانَ مَلْجَأَنَا
وَمَنْ رَمَى أُمَّةَ الْإِسْلَامِ ، فَانْقَسَمَتْ
وَمَنْ تَفَرَّعَ حَتَّى اجْتَاكَ بِيضَتُهَا
وَمَنْ تَطَاوَلَ ، لَمْ يَرْحَمْ تَضَعُضُوعُهَا؟
وَمَنْ تَمَكَّنَ مِنْ أَعْنَاقِ مَنْ رَكَلُوا
وَكَيْفَ عَادَتْ بِلَا نَصْرٍ كِتَابُهَا
وَكَيْفَ عَطَلَتْ طَاغُوتٌ شَرِيْعَتَهَا
فَلَمْ تُحَدِّدْ بِمَا نَالَتْهُ مَذْنِبَةٌ
وَالشَّرْعُ يَشْمَلُ دِينَ اللَّهِ أَجْمَعَهُ
وَكَيْفَ تَسْمُو إِلَى الْعُلِيَا رَجَالَتُهَا
وَكَيْفَ تَرْجُو جَنَانَ اللَّهِ جَوْقَتُهَا

على الديار بلا رفقٍ ولا تَيْدٍ
تَجْتَثُّ دَارِي بِكُلِّ الْعِزْمِ وَالْحَفْدِ
وَأَلَّةُ الْحَرْبِ فِي أَرْحَابِنَا تُرْدِي؟
وَالْأَرْضُ تُرْعَدُ مِنْ تَكْشِيرَةِ الْجُنْدِ؟
وَأَنَّ صُلْبَانَهُمْ فِي الدَّارِ كَالْبُنْدِ؟
حَتَّى عَمَدَتُمْ إِلَى الْإِخْلَادِ وَالرَّقْدِ؟
وَحَارَبُوا كُلَّ مَنْ بِالسَّلْمِ مُسْتَهْدٍ
لِأَنَّ سَادَتَنَا - فِي الدَّارِ - كَالْأَسَدِ
وَلَا يُعَيِّرُونَ آذَانَنَا لِمُسْتَجِدِّ
وَمَنْ أَقَامَ حَضِيضَ الذَّلِّ فِي الْبُلْدِ؟
عِنْدَ الشَّدَانِدِ ، شَرَعَ الْخَالِقُ الْمُبْدِي؟
حَتَّى انزَوَتْ فِي لُظَى التَّشْتِيْتِ وَالْبُدِّ؟
وَمَنْ تَسَلَّحَ بِالتَّمْيِيعِ وَالْحَوْدِ؟
وَبَعْدُ أَسْلَمَهَا لِلسَّيْرِ وَاللَّوْرْدِ؟
هَذَا الْهُوَانُ ، فَسَلُّوا السَّيْفَ مِنْ عَمْدِ؟
وَاحْلُولُكُمْ حَالَهَا بِالْعُغْلِ وَالْقَيْدِ؟
فَمَا أَقِيمَ عَلَى الْجَائِنِينَ مِنْ حَدِّ؟
بِالرَّجْمِ ، أَوْ بِالظُّلْمِ التَّغْرِيْبِ وَالْجَدِّ
فَهَلْ أَقِيمَ لِيَحْيَا النَّاسَ فِي وُجْدِ؟
وَهُمْ عَلَى الْحَقِّ مِثْلُ الصَّارِمِ الْهِنْدِيِّ؟
وَهُمْ عِبَاقِرَةٌ فِي الْإِفْكَ وَالْكَيْدِ؟

وكيف تأملُ نصر الله سُوقتها
وكيف تدحر غاراتِ تلمّ بها
وكيف تحيا وقد حاكوا هزيمتها
وكيف تسمو بذى الدنيا وقد عدمتُ
يا أمة السلام والتوحيد ، لا تهني
أسطرُ اليوم شعراً ما أحس به
صُفي الجحافل ، لا عليا لمن ركنوا
ضدان ما اجتمعا: ظلمٌ ومعدلة
وأعلمي الكفر أن الحق منتصرٌ
(حِطِينُ) عنا ورب الناس ما بَعَدَتْ
والخيلُ ضابحةٌ تزينُ ملحمة
وتقدح النار في الهيجا سناجكها
تعطر الأرض بالمسك الطهور دماً
إن الجهاد غلُوّ لا يُطاوله
فينا القرآن ، ولم تنسخ شريعته
وسُنة ، خيرُ خلق الله فصّلها
يا أمة الخير من هذا المعين خُذي
تمسّكي بعُرى القرآن ، واعتصمي
بالأمس خضنا بلا خوفٍ معاركنا
وجنّدنا دفعوا أثمان عِزتهم
جنّد العقيدة لا تلوى عزائمهم!
جنّد تذيق العدا سُوأى تطاولهم

وهم يعانون بأس الضعف واللد؟
في لجة الخزي والتشريد واللمد؟
إذ أحضروا كفنّاً يمتد للخُد؟
مَن نصحه العفّ في صدقٍ لها يُسدي؟
فاليوم دُورُكُ فيهم بالغ الفيد
فهل يروك ما أحكي من النقد؟
عمداً لدنيا ، فَمَن للباس والقود؟
شتان يا قوم بين التمر والهبد!
وأن جُرح الهُدى يتوق للضمد
والجنّدُ تزحف نحو الفوز والخذ
تختال ، تحملُ تاج العز والمجد
تمور ، لا تشتهي عيشاً لمُرتد
شذاه أطيّبُ عندي من شذى الرند
جيدٌ تثاقل للدينار والوهد
فذا كتابٌ - إلى درب التقى - يهدي
أنقى من النور ، بل أحلى من الشهد
معالم الدرب نحو الأمن والنجد
بجبل ربك لا عمرو ولا زيد
فالخوفُ - عند لقا الأعداء - لا يُجدي
مِن أن ما قد مضى لا بُد يَسْتبدي
وغيرهم يُشترى بالصك والنقد
بالسيف يهدر ، لا بالقول والسرد

وتلقم الكفر أجباراً تؤذبه
وسانلوا الشام ، إن الشام شاهدة
من حرر القدس من صلبان من كفروا
هم الجنود ، ورب الناس ناصرهم
يا أمة النور إن الأرض مظلمة
وأسرجي الخيل خلف الحاملين له
وأشهدي الله ، من سواه ينصرهم
هي العقيدة تحمي من يعيش لها
والدين طوق نجاة لا يلوذ به
لا يستوي من هدى المولى سريرته
لا يستوي من رسول الله أسوته
يا أمة النصر ، هذا الليل خلأته
تجمعت زمر العادين يقدمها
أهل الصليب وأهل السبب غايتهم
وحربة السيخ والهندوس ما فتت
وسائلي الصرب في البلقان ما فعلوا
مقابر جمعت أجساد إخوتنا
واستنطقى كتب التاريخ كم حفظت
واستقرني واقع الكفار إذ جعلوا
واستشهدي في ديار الكفر من عقلوا
واستكتبي شعراء القوم إذ جهروا

وتقذف النار في أحراش محتد
من رد كيد العدا في الساحل الجرد؟
ومن تسليح بالإيمان والذود؟
إن حققوا النصر باتوا في سنا الحمد
فنوري شعلة المصباح بالوقد
ولا تخافي من التوهين والرصد
سبحانه من نصير قاهر فرد!
والله يحرس من بالشرع يستهدي
من أمعن السير في الإفلاس والجحد
ومن تمرغ في الكفران والحيد
ومن تقفي خطا النمرود والجعد!
طالت عليك ، أما لليل من حد؟
ثار تلوث بالإرجاف والحقد
محق الحنيفة السمحاء عن عمد
تجتت أهل التقى في السند والهند
ما بين مخف لمدكوه أو مبد
والنار تبحت - عبر الحرق - عن خمد
مما حوت مهج الباغين من حرد!
من دورنا هدفاً لك والحصد
فإنهم أظهروا حقيقة اللد
وشعرهم في بيان الحق كالورد

مِنَ الدَّموعِ ، تُسَلِّي مُسَكَّةَ اللَّمدِ
ما بين مُدْرِعِ بالنصْحِ أو مُسَدِ
به الحقائقُ عن زورِ وعن مَيَدِ
لكنْ أقولُ بما في الشعرِ من جودِ
وخلِ عنكِ دموعَ الحزنِ والوجدِ
فَمَن يضحِي لأجلِ الدينِ ، أو يَفدي؟
شَتانِ شَتانِ بينِ الأمانِ والزودِ!
ومَن يقودُ خطَا المَحزونِ للسعدِ؟
يرمى به رميةً (المقداد) ، أو (سعد)؟
ومَن يُقيلِ عَثارِ الحالِ بالأيدِ؟
ومَن يُعيدُ صِبا المُلتاعةِ الخُودِ؟
فإنه - اليومِ - مُحْتَاجٌ إلى العُضدِ!
تعيدُ حقَ الوريِ مِن ظالمِ وغدِ؟
ونعم هذا الذي تجنيه مِن صَيدِ!
رفق ، وتُردي بسيفِ قاصِلِ صَمدِ
وجرّعونَا كـووسِ النذلِ والوَادِ
أجملُ بما شادَه الأبطالُ مِن ردا!
نشيذُ صِدقِ حِلا من جَوْقةِ غَردِ
ومَن يتوقِ إلى العلياءِ بالجُهدِ!
شَتانِ شَتانِ بينِ الفِرتِ والزَّيدِ!
تختالُ في عبقِ أنقى مِن الوردِ
لا يَفِرُّ الموتُ بينِ الحُرِّ والعَبَدِ

تلونت في جوى أبياتهم صورٌ
أقلامِ صدقٍ لها في الصدعِ ملحمة
حادوا عن الحقِ ، لكنْ شعُرُهُم بَعُدَتْ
لم أمتدحُ قط ما دانوا وما اعتقدوا
يا أمةَ الجهرِ بالتوحيدِ فاعتبري
هو الجهادُ يردُّ اليومِ هيبتنا
ومَن يُجرِّدُ سيفاً كي يؤمننا؟
ومَن يردُّ ديارِ السلمِ إذ غُضبتْ؟
ومَن يصدُ بسيفِ الحقِ مَن نهبوا
ومَن يُقومُ بالتقوى مَن انحرفوا
ومَن يؤسلمُ أوضاعاً مضاللة؟
ومَن يكونُ لهذا الدينِ معدلة؟
ومَن يقودُ له في التيهِ خندمة
تصطادُ جهراً رؤوسَ الكفرِ خاضعة
سِيلاً تُريقُ دمَ المستعمرينِ بلا
تردُّ هجمةً مَن نالوا كرامتنا
رداً يؤدِّبُ مَن حادوا ومَن فجروا
رداً تُغنيهِ للدينا حماننا
لا يستوي هانمٌ في الأرضِ يعبدها
ضدانِ ما اتحدا ، كلا ، وما التقيا!
يا أمةَ الحقِ أرواحُ الألى سَبَقوا
موتُ الفتى خطه الرحمنُ خالفه

فيمَ التعلق بالدنيا وزينتها؟
أينشد الفذ في الدنيا سلامته؟
هل يأمن المسلم الدنيا إذا ابتسمت
أواه ، كم يعبدُ الدنيا دهاقنة
وعندما تحقق الدنيا سعادتهم
وتستبد بهم في غير مرحمة
تلقى لهم ندباً في الناس جامحة
لا يقتعون بعيش دون ما ألفوا
حياتهم خبثت: قلباً وقولبة
هل يستوي عيشهم يوماً ومَن صلحوا
هل تستوي عيشة التقوى بزخرفها
يا أمة الظفر الموعود ، فابتشري
وإن رأيت رحى الأعداء فاصطبري
ورابطي أملاً في نيل مكرمة
إن الجهاد له بذلٌ وتضحية
كي يُشرق الشرع في أرضٍ تموج بنا
وكي يكون كتابُ الله مودناً
وكي تصير حدود الله نافذة
والمستهينُ بها فالسيفُ موعده
فالعود يبقى إذا كان اللحاء له
هل يستوي القش في عصف الرياح إذا

لا يجمع الفذ بين الضد وال ضد!
أبئس بما يدعي المفتون من نُشد!
واللحد يرقب من يصيح في المهدي؟
ويمعنون حبال المال في صمد!
وتبتل بهم بفقْد المال والأولاد
ويصبح الحال في مُستقع نكد
وليأهم يشتكى من وطأة السُّهد
والعيش كالبحر بين الجزر والمد!
لأنها حُبست في الأكل والنقد
شتان يا خلق بين الظل والصدهد!
وعيشة سفلت في وهدة الأود؟
وودعي ما اعتراك اليوم من رجد
يوماً تكف عن الإحباط والعصد
وصابري إن تمادى الكفر في الرعد
كيلا يكون لمولى الخلق من نيد
وكي يعود السننا من عالم الفقد
والسنة النور خير الزاد والورد
فلا يعطلها شئ من الرود
وإن تناعى بأرض الصين والسند
درعاً ، ويذهب بالتقشير والجرد!
هببت تزمجر تذرؤه مع الرئيد؟

والصخرُ يَجْمُدُ إن طاف الزمانُ به
يا أمةً بَاءَ بالخسرانِ شأنُها
إنِّي أعيذكُ أن تَأوي لبسِمتهم
توخذُ اليومَ حزبُ الكفرِ في وضح
حزبٌ يُريقُ دماءَ الصَّيدِ إخوتنا
لا بدُ للأمةِ العصماءِ من رجلٍ
يوماً سيأتي ، وإن غابَت ولادُثه
يوماً يسود ، وإن غصَّ المخاضُ به
لا بدُ للْبُسْرِ أن تسود خِلعتَه
لا بدُ للخُصرِ المخضِرِّ منظرُهُ
لا بدُ لليلِ من فجرٍ يُبَدِّدُهُ
لا بدُ للمؤمنِ المأسورِ من فرجٍ
لا بدُ للحقِّ من نصرٍ يَتِيهُ به
شتان بين حزينِ القلبِ مضطربٍ
لا يستوي مَنْ غزا في الله محتسباً
لا يستوي مَنْ بكى أحوالِ أمتِه
وبين مَنْ سَرَقَتْ (ليلي) عواطفه
أو عاشقٍ منتهيِ آمالهِ نظرٌ
وثالثٌ يرتدي لبسِ النساءِ ، له
وقد تلون بالمكياجِ في خثر
ورابعٍ لَيِّنْ كأنه امرأة
أمسى يُرددُ أشعاراً منغمة

وبالغت قسماً الصخرِ في الجمد
فانحصدي مُهَجِّ الهتافِ الخرد
كيلا تعيشي دهوراً في لظى الكمد
وهُم يُعانون بأسِ الضعفِ والثرد
في كل صُقْعٍ ، ويبغي ضفوة الزيد
يَهدي الأنامَ به المُهيمنُ المُبدي
جادت به (مُضِرٌّ) ، أو جاء من (مُعَد)
وكل طفل له قَسِطٌ من السَّخْدِ
كي يطعم الناسُ أكواماً من التَّعْدِ
من مهلةٍ لثرى طلاوة العَجْدِ
والليثُ لا بد ماحٍ صولة السَّبْدِ
يحظى به من مليكٍ ناصرٍ فردٍ
وأهلُه في شجى شادٍ وفي ودٍ
وبين منشرح الإحساسِ والكِبْدِ!
ومَنْ يُقْضِي زُهَاءَ العمرِ في النردِ!
ومَنْ يَسْخُ دموعَ العينِ في الخلدِ!
أو واله بات مصروعاً على (دعد)
في وجهِ مائسةٍ ممشوقة القد
قَرطِ وأسورةٍ تدور في الزند
أما الخضابِ فزادت صفرة الجلد
تبأ له من رقيق ساقطِ مَغْدِ!
ثُزري بأهتها قصائد (الفنْد)

وخماس قلبه يرنو لآنسة
وسادس روخه هامت مرفرفة
وسابع نفسه لا شئ يشغلها
وثامن قد ثوى إحساسه ثملاً
وتاسع قد هوى وجدائه جزلاً
وعاشر قد سببا شعوره قدم
هل يستوي من تردى في رذالته
ومن تسامى عن الزلات يركبها
شتان بين ثقى سامٍ ومعصية!
هل الصقيع يساوي الحر منزلة؟
يا أمة العز يشدو في مدارجه
كنا جهابذة الدنيا وقادتها
كيف انزوت في الثرى آفاق سوددنا
كان الشباب كأسد الغاب ملهبة
أرخصى العنان لأهواء تحطمه
رمى جبال الهدى في جبر غانية
شدته نحو الردى أحبال فتنته
قادته للمنتهي سواى دجاجلة
وقد أرادوه مفتوناً ، فطاوعهم
أواه كم تقتل المقبوح شهوته
بل يرعوي لدعاة العهر مشغلاً

كحيلة الطرف ، أو مملوعة اللغد
بغادة خجلت من سيئ اللبد
سوى التغزل بالأهداب والخذ
في نشوة القُرط ، أو في لمعة الخد
في حب عاشقة تهواه عن بعد
من بعد أن غاص في إرھاصة النهد
فكان في الناس مثل الكلب والعرد؟
ورتل الآي مثل البابل العرد؟
شتان شتان بين المر والقند!
شتان شتان بين الدفع والبرد!
وإن قلاك فمن هذا الذي يبيدي؟
حتى طردنا ، وذقتا غصة الطرد
حتى غدونا بوجه جند مسود؟
ما باله - اليوم - كالغادات والمرد؟
وبات يهزأ بالأخلاق والزهد
حتى انثنى ، فغوى بالكأس والسمد
والغر أمعن في الإعجاب والشد
حتى استكان لذل القيد والقود
أبئس بما رغبوا للغر من رود
فلا يميز بين الهزل والجود!
بلوثة الدعر عن بوححة الرشد

ولم يُرْعَ سَمْعَهُ يَوْمًا لَمَنْ تَهَجَّ
وكان أحرى به أن يستجيب لمن
ليس التشدد بالإيمان منقبة
وإنما النطقُ والأعمالُ في دأب
يا أمة الرشد جدي السير عازمة
أواه لو لمحت عيناك جفلاًنا
لم يعط أهل صليب الكفر مهلتهم
وقد أقام خيام النصر مرتصداً
والخيلُ تصهل ترجو دك باطلهم
والأرضُ تبسُّم للأجناد ضاحكة
والبحر يُرسل أنساماً معطرة
والطيرُ تصدح بالأنغام شادية
والموجُ قد حمل البشرى يهنئنا
حتى السيفُ بأيدينا تكلمنا
وكل درع له جرسٌ وهمهمة
أما الرماحُ فجذت في تحيتنا
وكل سهم له وقعٌ وأغنية
وكل طرسٍ رمى طيفاً لحامله
حتى إذا التحم الجيشان كان لنا
حتى رأيت صليب الشرك منجدلاً
وجرّ (ريتشارد) أذيال الشقا أسفاً
وفرّق ما بيننا لا لفظ ينعتُه

نهج الرسول ، فأمضى العمر في العند
يُریده فرحاً في جنة الخلد
كلا ، ولا بادعاء الخير والهؤد
وفق الشريعة ، لا بالأخذ والرد
وضاعفي خطوات السعي والوخد
يطوي الفيافي إلى أن قر بالجد
لا خير عند جهاد الكفر في الرود
جند العدو ، وأرعى حفرة القتد
تحرض الجند بالإرعاد والزغد
والرمل يسطع في وهدي وفي نجد
في شاطئ - عبر هذا البحر - ممتد
تزيل ما في شغاف القلب من هيد
بخاطر من صدى الأفراح مشتد
أن العدا حالهم عند اللقاء مُرد
ولمعة تذهب الأبصار كالقلد
وبشّرتنا بعيش وارفٍ رغد
تكيل للجنود عزم القلب بالمد
وقد تصبغ بالتريق والهرد
نصر من الناصر المهيم الفرد
أوهي من الطين ، أو أخزي من القد
ونحن ندأب في الشكران والحمد
كالفرق بين سُكون القلب والكند

كأنه لم يكن - يوماً - بمتبع
حتى إذا رفعت حطين ناصية
حطين في عرسها ، والناس في شغل
هي العروس شدا بالفخر موكبها
والشام أهدت لها من كل بادية
فأشرق العرس عرفاناً بما بذلت
أما الوليمة ، فالألفاظ عاجزة
والناس تنهب في عشق ، وفي شره
وفي دلال أتت (حطين) باسمه
تسقي الأنعام ، وتهدي للقري كرمأ
وزوج (حطين) صدقاً كل ذي شرف
حتى إذا ولد الفجر الضحوك مضوا
وسجلت كتب التاريخ ملحمة
واليوم أمست ترى آثارها خبراً
وكففت دمعها (حطين) ثاوية
يا ليت شعري فمن يأسى لكربتها؟
ومن يعيد لها شأناً يليق بها؟
ترهلت أمة الإسلام ، وانحدرت
وذكر (حطين) أمسى لا يروق لها
كان (حطين) في تاريخها شيخ
هزي إليك بجذع الحق أمتنا

(محمد) السلم ، لكن عابد (الود)
بيضاء تنظر للغادين في الهرد
والعرس يحفل بالأنغام والإد
فأنشأت تغمر الشادين بالورد
أرجى الخيول شداد الباس بالجد
هذي العروس ، وجاء الناس بالوفد
عن وصفها ، ومذاق الأكل كالشهد
وأكملوا ليهم في العب والخضد
تذلي بدلو السخا والجود في البود
يفوق ما بذل الأسلاف من أزد
وكل شهم جسور مسلم قمد
وسار آخرهم في أول الراد
كانت عروس الدنا كأس المني تسدي
وما لأحداثها الشمام من عد
تبكي على الدار والتمكين والحشد
ومن يخفف وقع العار والثاد؟
ومن يفتش في الأصقاع عن رد؟
وأصبحث تشتكى من وطأة الوبد
وفي لظى التيه ذاقت غصة الهبد
أعطافه لفحت من شدة الرشد
واستحلي النور في بحبوحه الرقد

فالسلم يعلو ببذل الوسع والوطد	ودغمي بغيري الإسلام أدورنا
يعوقك الهزل عن طلاوة المجد	وخل عنك - أبيت اللعن - صعلكة
إلى المليك بنصر مغنم الفيد	والآن أختم ما صدقت مبهتلاً
هدى الأنام لدين المنعم المبدي	وصل رب على المختار أسوتنا
كانوا على الأرض بين الناس كالبند	وصل رب على آل له نخب
كانوا لقائدهم من خيرة الجند	وصل رب على صحب له نجب
وأخلصوا الدين بالإحسان والحمد	وصل رب على قوم له اتبعوا
حتى قيام الوري للواحد الفرد	وصل رب على قوم لهم تبع

•• بعض معاني المفردات غير المطروقة ••

- الإذعان: الخضوع لله تعالى. • الهدية: الهداية. • اجترحت: أي جنت من السوء. • مغتبط: أي مسرور سعيد. • الجود: أي المطر. • الكمد: الحزن. • لكد: اللكد التعذيب. • الكرد: أي الأكراد. • البيد: من الإبادة وهي ذهاب الشيء. • التيد: الرفق واليسر. • الحقد: الإسراع. • البند: الشارة أو العلم يُرفع خفاقاً في الحروب. • الرقد: الرقاد أو النوم. • مستهدى: أي مهتد. • الإخلاد: أي الركون. • يستجدي: يستجد.
- البُلد: أي البلاد. • المبدي: هو علم على الله تعالى إذ هو اسم من أسمائه. • البُد: أي التفريق. • الحود: الميل والاعوجاج والانحراف. • تضعض: هو الضعف والذل. • اللورد والسير: لفظان أعجميان يعنيان السيد الذي هو مطاع في قومه. • العُل: مفرد أغلال وهي القيود والسلاسل والأصفاد. • وُجد: يسار العيش وسعته. • الصارم الهندي: السيف الماضي الصلب. • اللد: الخصومة. • اللمد: الخضوع والانكسار والذل.
- اللحد: القبر. • يُسدي: يبذل ويعطي. • الفيد: الفائدة والمنفعة وفرط النفع. • القود: أي القيادة والريادة. • الهَبْد: الحنظل شديد المرارة. • الضمد: أي تضميد الجرح. • الخُلد: الجنة. • الرّند: هو شجر طيب الرائحة. • الوهد: هي الأرض المنخفضة. • النجد: النجدة والإنقاذ. • يجدي: يفيد وينفع. • أعين رُمد: أي مصابة بالرُمد. • الطود: هو الجبل الأشم. • النقْد: النقود. • السرد: أي الحكاية والرواية. • محتد: ثائر منفعل. • الساحل الجري: أي الساحل الموازي للبحر ولا شئ ينبت فيه. • الذود: الدفاع. • الوقد: الإضاءة والإيقاد. • الرصد: المتابعة. • الجحد: الجحود والإنكار. • الحيد: من الحيدة عن الحق والميل عنه.
- النمروذ: هو النمروذ بن كنعان بن كوش الذي حاج إبراهيم في ربه. • الجعد: هو الجعد بن درهم الخزاعي. • حُلْكة: هي شدة سواد الليل وظلمته. • الإرجاف: هو التوهين والتخذيل. • أهل الصليب: أي النصراني. • أهل السبت: أي اليهود. • خُمد: أي إخماد وانطفاء النار. • حرد: شأن وغل وحقد وكراهية.
- اللد: جمع ألد وهو الخصيم المبين شديد الخصومة. • مُسكة اللمد: نزعة الخضوع والميل لفعل شئ ما.

• ميد: ميل وانحراف. • جود: أي جودة وإجادة وإتقان. • الوجد: هو شدة الحزن. • الزؤد: الفرع والهلح
معا. • المقداد: هو المقداد بن عمرو الصحابي الجليل. • سعد: سعد بن أبي وقاص ، وكان رامياً فداً مغواراً.
• الأيد: القوة والاعتدال. • الخؤد: هي الفتاة الشابة اليانعة. • العضد: أي العون والمساعدة. • وغد: حقيير.
• صلد: صلب. • حمانم عُرد: أي مغردة. • لا يفرق: ليس يفترق قط. • نُشد: طلب وأمنية. • الصمد: أي
الصمود والمواجهة. • الولد: الأبناء والأولاد. • السهد: شدة الإجهاد والإعياء والتعب والنصب. • الصهد:
شدة الوهج والحرارة. • الأود: أي النصب والإجهاد الشاق. • الرجد: أي الرعشة وعدم التماسك والتماكك.
• العصد: هو اختلاط الأمر واضطرابه ، وهو مأخوذ من خلط العرب للدقيق والسمن معاً وبعد يُسمى
بالعصيدة. • الورد: المورود والملاذ. • الرؤد: هو التروي والمهلة. • الجرد: من تجريد الشيء. • الريد:
الحرف الناتئ من الجبل يسقط من عوامل التعرية فتدروه الرياح. • الجمد: الصلابة والجمود. • الحُرد:
جمع أحرد وهو الغاضب غضباً هو أشد من أن يوصف. • الثرد: تفرق الكلمة والصف ، وهو من الثرد الذي
هو هشيم الشيء. • الزيد: أي الزيادة. • مضر ومعد: من قبائل العرب المعروفة. • المخاض: ألم الولادة.
• السخد: ماء أصفر غليظ يخرج مع الولد. • الثعد: هو الرطب المستوى. • العجد: الزبيب. • السبّد: الذئب.
• النرد: هو اسم يجمع ألعاب القمار جميعها. • القد: القوام. • الزند: هو طرف الذراع في الكف.
• الخضاب: الحناء. • مغد: الناعم من الرجال الذي لا رجولة فيه ، فهو إلى الأنثوية أقرب منه إلى الرجولة.
• الفند: هو شاعر جاهلي. • اللغد: اللحمية بين الحنك وصفحة العنق. • اللبد: كل شعر متلبد. • العرد:
الحمار. • البلبل الغرد: المغرد المغني. • القند: هو عسل قصب السكر. • جهابذة: جمع جهبذ وهو العظيم.
• المُرد: ج أمرد. • السمّد: أي الغناء ، وأنتم سامدون أي تُغنون مترنمين. • القود: أي الانسياق والاتباع.
• الرود: الإرادة والرغبة. • يرعوي: ينصاع. • بُحبوحة: سعة. • العند: الغناد واللجاج. • أخرى: أولى
وأجدر وأليق. • الهؤد: التوبة والإنابة ، إنا هُدنا إليك أي رجعنا وتبنا. • الوخد: ضرب من ضروب السير.
• الجد: ساحل البحر وهذا إذا وازاه. • الجحفل: الجيش العظيم. • الرود: المهلة مع التروي. • القند: الكرب
والحزن. • القلد: القلادة. • الرغد: أي رغيد كثير السعة ووفيرها. • الهُرد: الكركم. • القد: النعل. • الود:
صنم من أصنام قوم نوح. • الهرد: هو الاختلاط مع الهرج. • الإد: العجب. • أرجى: أعظم. • البجد: البجد
من الخيل المائة فأكثر. • الخضد: هو الأكل بشراهة عاتية. • البود: هو البئر. • أزد: أبو حي من أحياء
اليمن. • قُمد: أي رجل قوي شديد العريكة. • الرأد: الوقت الذي يكون بعد انبساط شمس النهار وارتفاع
نهارها نسبياً. • الشماء: العظيمة العالية الشأن. • الثأد: هو الأمر القبيح يُستحي من ذكره. • الوبد: أي
شدة الحاجة إلى الناس. • رد: هو النصير والظهير يكون للإنسان في موقف ما. • الرند: كناية عن رص
المتاع بعضه فوق بعض. • الرفد: هو سعة العيش وهنائه. • الوطد: التقوية. • نخب: أي أشرف كرام في
الناس شرفاً. • نجب: أي كرماء أجلاء.

إلى أمة الإسلام

(في مجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي – لندن العدد (66) الصفحات من (51) إلى (57)
كانت قصيدة غاية في الإبداع للشاعر / عبدالرحمن العشماوي ، بعنوان: (وأمتاه) مطلعها:

ماذا أقول لأمةٍ قد خيبتُ ظَنّي ، وصارت في المكارم تزهّدُ؟
سأقول في وضح النهار ، وإن طغى طاغ ، وإن كره المقالة مُلحد
إنّي أرى في جيل صحتنا مُنىً مُخضلة ، عنها سينكشف الغد
إنّي - برغم الحزن - لست بيأس فالفجر من رحم الضلال سيولد

وفي نفس عدد البيان المذكور كان الشاعر القدير / محمود السيد الدغيم ، يعارض الفذ العشماوي بقصيدة
أخرى عصماء لا تقل عن الأولى جمالاً ، ولا جلالاً ، ولا كمالاً ، يقول مطلعها:

ما للمعارك - ضدنا - تتصدُّ والضد يغتال المُنى ، ويُبددُ
وقيادة حيرى تخبّط رأيتها لعُدونا وعدوها تتوودد

وأما خاتمة قصيدة الشاعر الدغيم فكانت تستجيش همم رجال الأمة وعزائمهم ، فتقول:

يا أمة الإسلام : ثوري واثاري لا تجزعي إن أبرقوا ، أو أرعدا
أسّي جراح النازفين على الثرى وتوحّدي ، إن التوحّد أنجد

ولما طالعت القصيدتين سررتُ بهما جداً وعارضتهما لفرط إعجابي بهما ، ولإحياء سنة ماتت في أدبنا
العربي المعاصر وهي فن المعارضة الشعرية! والحقيقة المرة أن أمتنا الحبيبة تعيش مرحلة اختلال
الموازين واضطراب المعايير في آن واحد ، يرافقه ضياع الهوية والانبطاح للغرب والفتنة به في كل
المجالات! يقول الأستاذ علي مصطفى الدنف واصفاً اختلال الموازين الذي تعيشه أمتنا في مقال يحمل ذات
العنوان ، ونقطف منه هذه الزهرة اليبانة التي نصها: (وإن فما هو الميزان عند الله؟ ما هو المنظر الذي
يجب علينا أن ننظر إلى الناس من خلاله؟ إنه حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ قال: {إن الله لا ينظر
إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم}! هذا هو الميزان الرباني (قلوبكم وأعمالكم) ، إذأ
ليس الأمر بالمظاهر والملابس والهيئة رغم أهميتها. مسألة الدنيا عندنا هي أموال وعمارة وقصور
وبساتين وزروع وثمار وذهب وفضة وسيارات ، وهي تعني عندنا أشياء عظيمة ولهذا تثقل في نفوسنا ،
وهذا معروف ومشاهد في الواقع ولا يحتاج إلى شرح وتفسير وهذا تصديق لقول الله عز وجل: {زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام
والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا}! هذا ميزان البشر للدنيا أما الميزان عند الله يختلف تماماً قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: {لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء}! لو كانت

الدنيا تساوي عند الله شيئاً ما أعطى الكافر منها شيئاً ، تأمل كل هذه الدنيا وزخارفها وبريقها لا تساوي في ميزان الله جناح بعوضة وعندنا كم تساوي؟!). هـ. ومن هذا المنطلق كانت الدنيا عرضاً زانلاً يأكل منه البر والفاجر ، فأعطاها الله لمن يحب ولمن لا يحب! وتحت عنوان: (أمة لن تموت) يقول الأستاذ خالد بن ثامر السبيعي ما نصه: (نحن أمة لا تياس ولا تلين ولا تستكين! لقد مرت بديار الإسلام في تاريخها الطويل أزمات وأزمات ، وحلت بها بلايا ونكبات ، وزلزلت الأرض زلزالها وفي كل مرة تخرج هذه الأمة من مأزق كبرى أصلب عوداً ، وأشد إيماناً ، وفي كل مرة يظن أهل الكيد أنهم قدروا عليها (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون). أيها العالم: اسمع هذه الحقيقة المدوية. أمتنا قد تمرض ، ولكنها أبداً لن تموت! وإليك هذه الحقائق التي سطرها التاريخ: * لو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم حوشر النبي صلى الله عليه وسلم في الغار. يوم أن انطلق مشركو مكة في آثار المهاجرين يرصدون الطرق ويفتشون كل مهرب ، وراحوا ينقبون في جبال مكة ، وكهوفها ، حتى وصلوا في دأبهم قريباً من غار ثور ، وأنصت الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه إلى أقدام المطاردين تخفق إلى جوارهم ، فأخذ الروع أبا بكر ، وهمس يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو نظر أحدهم تحت قدمه لرأنا) فقال عليه الصلاة والسلام: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما. (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم). * لو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم بدر ، يوم أن انطلق سواد مكة وهو يغلي يمتطي الصعب والذلول ، فكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلاً ، معهم مانتا فرس يقودونها ومعهم القيان يضرين الدفوف ويغنين بهجاء المسلمين. لقد ظنت قريش بجهلها وحمافتها أن باستطاعتها أن تصد النور عن الأرض كلها ، تريد أن تمنع الخير عن العصور القادمة التي ستنلقى النور. ولكن هيهات هيهات. والتقى الجمعان. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: (هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها). وانكشف وجه الجد في الأمر كله ، إن اللقاء المرتقب سوف يكون مُر المذاق! لقد أقبلت قريش تخب في خيلائها ، تريد أن تعمل العمل الذي يرويه القصيد ، وتذرع المطايا به البطاح ، وتحسم به صراع خمسة عشر عاماً مع الإسلام ، لتفرد بعدها الوثنيين بالحكم النافذ. وفي مشهد آخر: وقف أبو بكر إلى جوار الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يكثر الابتهاج والتضرع ويقول فيما يدعو به: (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض) ، وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول: (اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم نصرك) ، ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط رداؤه عن منكبيه. وجعل أبو بكر يلتزمه من ورائه ، ويسوي عليه رداءه ويقول مشفقاً عليه من كثرة الابتهاج: يا رسول الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك. وفي أثناء المعركة خفق النبي صلى الله عليه وسلم خفقة في العريش ، ثم انتبه فقال: (ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع!) (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان). ووهت صفوف المشركين تحت مطارق هذا الإيمان الزاهد في متاع الحياة الدنيا ، وصاح النبي عليه الصلاة والسلام وهو يرى كبرياء الكفر تمرغ في التراب: (شاهت الوجوه). وسقط فرعون هذه الأمة أبو جهل يسبح في دمانه على أيدي فتية الإسلام. ولقي مثل هذا المصير الفاجع! سبعون صنيدياً من رؤوس الكفر بمكة دارت عليهم كؤوس الردى فتجرعوها صاغرين ، وسقط في الأسر سبعون كذلك ، وفر بقية الجيش يروون لمن خلفهم أن الظلم مرتعه وخيم ، وأن البطر يجر في أعقابه الخزي والعار. وفتح المسلمون عيونهم على بشاشة الفوز تضحك لهم خلال الأرض والسماء. (ولقد

نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون). *لو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم الخندق. إن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر ، بل معركة أعصاب! إنها من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام ، إذ إن مصير هذه الرسالة العظمى كان فيها أشبه بمصير رجل يمشي على حافة قمة سامقة ، أو حبل ممدود محفوف بالمخاطر. لقد أمسى المسلمون وأصبحوا فإذا هم كالجزيرة المنقطعة وسط طوفان يتهددها بالغرق ليلاً أو نهاراً. (إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً). لقد حفظ الله تلك العصبه في يوم محنتها. وخاب الكفار وخسروا ، ودارت الدائرة على أعداء الله (وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وما هي إلا ذكرى للبشر). اجتمع الأحزاب وهم ينتظرون لحظة الانقراض على المسلمين ليخسروا المعركة. فإذا بالجو قد أغبرت أرجاؤه ، وترادفت أنواؤه ، وهبت الرياح نكباء موحشة الصغير ، تكاد في هبوبها تطوي الخيام المبعثرة وتطير بها في الأفاق. وطلع النهار فإذا ظاهر المدينة خلاء! ارتحلت الأحزاب ، وانفك الحصار وعاد الأمن ونجح الإيمان في المحنة. وهتف رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: (لا إله إلا الله وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده)! رجعت الطمأنينة إلى النفوس ، وظهرت صلابة المسلمين في مواجهة الأزمات المرهقة. ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه النتيجة الفذة الباهرة: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا). * لو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم الردة. نقل ابن كثير في البداية والنهاية حديث القاسم بين محمد بن أبي بكر وعمرة بنت سعيد الأنصارية عن عائشة قالت لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب قاطبة ، وأشربت النفاق! والله لقد نزل بي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها ، وصار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كأنهم معزى في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة ، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخاطمها وعنانها وفصلها. قال له بعض الصحابه في حال المرتدين: إذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم. فقال في حزم: والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة. وصدق الصديق – رضي الله عنه –. إن الأمر لن يقف عند الزكاة! * لو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم فتنة خلق القرآن. حينما نصب المعتصم آلة التعذيب للإمام أحمد ، حتى إذا ضربوه الضربة الأولى ، انخلعت كتفه وانبتق من ظهره الدم ، فقام إليه المعتصم يقول: يا أحمد قل هذه الكلمة ، وأنا أفك عنك بيدي وأعطيك وأعطيك وأحمد يقول: هاتوا آية أو حديثاً. جاءه رجل يقال له أبو سعيد يقنعه بأن يجيب المعتصم ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها فقال: إن كان هذا عقلك يا أبا سعيد فقد استرحت. فما أكثر المستريحين في هذا الزمان. * لو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم اجتاحت التتار بلاد المسلمين. لقد هجم التتار على بغداد وظلوا يذبحون ويقتلون أربعين يوماً ، حتى جرت الدماء في شوارع بغداد ، وأسرفوا في المسلمين أيما إسراف ، حتى قبض الله المظفر قطز القائد المسلم الذي جعل نحره فداءً للإسلام! وأطلق صيحته الشهيرة الجهيرية في عين جالوت ، حينما أوشك التتار على الانتصار ، حيث قال بأعلى صوته: (واإسلاماه)! فهب الجيش المسلم مستجيباً النداء ، وقضوا على التتار وانتصر الإسلام. * لو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت يوم فساد القرامطة واقتلاعهم الحجر الأسود من الكعبة. لقد هجم القرامطة على المسلمين في بيت الله ، وذبحوا الطائفين حول بيت الله ، واقتلع أبو طاهر القرمطي الخبيث الحجر الأسود من الكعبة ، وظل يصرخ بأعلى صوته في صحن الكعبة وهو يقول: "أين الطير الأباييل؟ أين الحجارة من سجيل؟ وكان يرمي المسلمين في بئر زمزم ويقول: (أنا بالله ، وبالله أنا *** يخلق الخلق وأفنيهم أنا). وظل الحجر الأسود بعيداً عن بيت الله ما يزيد عن عشرين عاماً ، ومع ذلك كله ردّ الله الحجر على أيدى الصادقين ، وانتصر الإسلام

وشاھت وجوه القرامطة. وكان نصراً مؤزراً مبيناً سجله التاريخ وحكته الأجيال كلها! * لو قدر لهذه الأمة أن تموت لماتت في الجزائر على أيدي الفرنسيين ، ولماتت في البوسنة على أيدي الصرب المجرمين ، ولماتت في الشيشان على أيدي الروس الحاقدين. ولكننا أمة لا تموت. هكذا إذن! الإسلام صخرة يتكسر عليها كل من حاد الله ورسوله. وهكذا إذن! أمة الإسلام أمة أراد الله لها أن تبقى ما بقي الخير في هذه الدنيا! لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم إلى قيام الساعة! صحيح أن الإسلام علمنا السماحة والرحمة ، والشفق والرفق ومحبة الخير للعالمين. ولكننا لا نعطي الدنيا في ديننا! وإن أرواحنا فداء لدين الله سبحانه وتعالى. إن فنون المتع التي استوردناها من الغرب خلال الخمسين سنة الأخيرة ، تكفي لتدمير أمة ناهضة فكيف بأمة عليلة. وإن فحن نحتاج إلى جهد مضاعف ، إلى همم كالجبال الشامخات! من أجل ماذا يا ترى؟ من أجل استعادة المجد السليب!.. هـ. فهل معنى توالي النكبات وكثرة الهزائم أن الأمة المسلمة قد ماتت ، وأنه لا سبيل إلى إحيائها؟ أم أنها خلقت للبقاء وللشهادة على باقي الأمم ، كما وصفها ربها تبارك وتعالى ونبيها - صلى الله عليه وسلم -؟ وتحت عنوان: (الأمة الإسلامية لن تموت ولن تهزم) يقول الدكتور عبد الله عطا محمد عمر ، ما نصه: (تعرضت الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل إلى العديد من المصاعب والنكبات بل والقواصم ، ولكنها في كل مرة تخرج أقوى مما كانت ، وقل أن تجد أمة من الأمم واجهت ما وجهته هذه الأمة من النكبات وبقيت صامدة ، تعرضت الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل إلى العديد من المصاعب بل والقواصم ، ولكنها في كل مرة تخرج أقوى مما كانت ، وقل أن تجد أمة من الأمم واجهت ما وجهته هذه الأمة من النكبات وبقيت صامدة ، ولكن الأمة الإسلامية رغم كل ما لاقته فلم ولن تؤثر فيها الأحداث ، مهما تنوعت الأحوال ومهما اشتدت ظروف الزمان والمكان. إن أعظم ما يمكن أن يصيب الأمة الإسلامية أو ما أصابها فعلاً هو ما نراه في أيامنا سيطرة روح الانهزام عليها أمام أعدائها ، مما أدى إلى ضعف همتها ، وعجزها عن مجرد التفكير في عوامل نهضتها ، نعم لقد بلغت الأمة الإسلامية مبلغاً من التقهقر والهوان جعلها تنتقل من نكبة إلى نكبة ، وتهوي من نكسة إلى أخرى. ولكن من مصائبنا في هذا الزمان أن هذه الأمة التي أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، امتثالاً لأمره سبحانه حيث يقول: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) وقوله: سبحانه: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) أبت إلا أن تكون في ذيل القافلة ، ويأبى القائمون عليها إلا أن تكون مكسورة الجناح ، بانغماسهم في الترف الذي غرقوا في أحواله ، وبكونهم يحملون روح الانهزام بعد أن كان أجدادهم وأسلافهم يحملون مشاعل النور ، ومصابيح الهدى ، عندما كانوا يتبعون قذوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعله الله رحمة للعالمين! من هنا فإن حاجة الأمة أصبحت ماسة لأن تعرف كنه المرض الذي أصابها وحقيقته ، وأن تقف على التشخيص الصحيح لحالتها التي باتت لا تسر أحداً من أبنائها. نعم قد تنهزم هذه الأمة ، وقد تضعف ، ويصل بها الضعف إلى المستوى الذي نحن فيه ، ولكنها بإذن الله تعالى لن تموت ، ولن تنهزم أبداً ، فإن حصل أن انهزمت في ميدان المعركة ، فليس معنى هذا أنها تنهزم في كل الميادين الأخرى ، نعم قد تخسر جولة من الجولات ، وقد تتيه حقبة من الزمان ، وقد ينتصر عليها أعداؤها في ميدان معركة نفسية ، أو فكرية ، ولكنها ستبقى دائماً أمة متجددة ، بكون رسالتها خاتمة الرسالات ، وستبقى تمثل الظاهرة الفريدة في تاريخ الإنسانية ، فكل الأمم والامبراطوريات كانت تصعد وتقوى ، حتى تصل إلى درجة معينة ثم سرعان ما تعود إلى ما كانت عليه ، وقد تندثر ، كما حصل هذا مع دولة الفرس ، ودولة الروم ، ومع الحضارات كلها ، إلا هذه الأمة الإسلامية ، فهي أمة الثبات والصمود ، استطاعت أن تؤثر على المتغلب عليها ، فقد حولت

المغول المتوحشين إلى مسلمين ، وكانت تجربتها معهم ومع التتار تجربة فريدة ، تأثر فيها الغالب من المغلوب ، ودخل المنتصر في دين المنهزم حين دخلوا في لإسلام طوعية. انقسمت هذه الأمة وتفرقت في عقيدتها إلى عشرات الفرق ، ودخل عليها عبر تاريخها العديد من الأفكار والآراء الباطلة ، وكان منها العديد من الحركات الباطنية التي نعرفها والتي ظهرت في فترات الضعف ، ولكن هذه الأمة بقيت وستبقى شامخة بإذن الله تعالى ، بقيت تعزز وتحفظ بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، لم تبدله ولم تقبل أن يتغير منه حرف واحد ، وحافظت على السنة النبوية الصحيحة ، وحفظ علماءها لها الصحيح من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وبقيت سيرته العطرة ، مرجعاً ومنبعاً لكل من يريد أن يتأسى به صلى الله عليه وسلم ، وظلت هذه الأمة وستبقى أمة حية ، قادرة على العطاء في كل ميادين الحياة ، لكل من ينشد الصفاء والنور في جميع مجالات الحياة ، في الفكر والقيم والأخلاق ، وفي شتى ميادين الحياة. تعرضت هذه الأمة العظيمة إلى كافة أنواع الغزو ، الغزو الفكري ، والعسكري ، والثقافي ، والاقتصادي ، وشن عليها الأعداء من أنواع التشويه والتضليل ما لا يحصى ، ورمؤهم بكل ما أمكنهم من سهام الغدر والخديعة وحاربوهم بكل أنواع الأسلحة التي استهدفت دينهم وثقافتهم قبل تستهدف أجسادهم وأبدانهم ، ولكن هذا التضليل السياسي والفكري الذي مارسوه ويمارسونه ليل نهار في عالم المسلمين سيكون في نهاية المطاف لمصلحة الإسلام والمسلمين ، يصدق فيه قول الله سبحانه وتعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ). فرغم كل هذا التشويه والتضليل ، ورغم قسوة العداة الذي يمارسونه ، فإن أبناء هذه الأمة ما زالوا ثابتين لم يستسلموا ، ولم يهنوا ، إنما القلة القليلة هم من استسلم وخنع ، ولم يتعد هذا الخنوع أفراداً من أبناء هذه الأمة ، قد يكترون في بعض الأوقات ، ولكنهم مهما ازداد عددهم فهم شرذمة ، أما الكثرة الكاثرة فكانت ولا تزال عصية عن الخضوع ، وستبقى تتلمس طرق الخلاص ، وتبحث عن سبل النهوض ، وعن المخارج التي يمكن من خلالها أن تحقق ما تصبو إليه من عمليات الإنقاذ لهذه الأمة ، مما تواجهه من غزو في شتى المجالات. ولا شك أن أنجع الطرق وأسرها للخروج من هذا التيه الذي تعيشه هذه الأمة ، بل وأسرعها على الإطلاق هو بالرجوع إلى تعاليم ديننا الحنيف ، بأن ندور مع القرآن الكريم حيث دار ، وأن نستقي منه ومن السنة الصحيحة ومن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن تجارب العظماء في تاريخنا العظيم ، ومن سجل حضارتنا القويم ، وأن نستلهم من جميع ذلك أنواع الهداية وطرق الرشاد ، ونأخذ منه العبر التي نستتير بها في مثل هذه الظروف العصيبة التي نمر بها ، أملاً في الخروج منه ، في محاولة لتجديد الحقائق التي عايشها أسلافنا ، بأسلوب يتماشى مع معطيات هذا الواقع الجديد. إن مهمة هذه الأمة مهمة عظيمة ، فهي الأمة التي اختارها الله لقيادة الإنسانية وتوجيه البشرية نحو النور والخير ، فعليها أن تُعطي الحياة دفعة قوية من معين خزانها المليئة بأنواع الشموخ والانتصارات ، وأن تضيء لهم من منارات الهدى ، وأن تسيّر بهم إلى مدارج النهوض والرقى الحسي والمعنوي ، دفعة تحقق للبشرية كلها النفع والخير في مجال الأخلاق والسلوك ، قبل أن تحقق لهم نهضة في مجال المصنع والآلة ، نهضة تعنى الإنسان جسماً وروحاً ، نهضة تسهم بكل ما حباها الله تعالى في حل مشاكل هذا العالم المتأزم ، لأنها هي الأمة الوحيدة التي تملك هذا النصاب من مثل هذه القيم والتعاليم ، فهي الأمة الوحيدة القادرة على إحداث مثل هذه النهضة ، نهضة لا تستقل بالأدوات بعيداً عن عالم الروح والأخلاق ، ذلك لأن أي نهضة يمكن أن تحصل للبشرية لا تعنى بالأخلاق والقيم إنما هي نكسة على الإنسان ، وستكون طريقاً يوصل البشر إلى التنازع والافتتال بلا شك ، إن ما تحتاج إليه البشرية في أيامنا هذه هو نهضة تقوم على الأخلاق قبل أن تقوم على المصانع والآلات ،

نهضة تسعى إلى تحقيق إنسانية الإنسان قبل كل شيء ، نهضة تستجيب إلى دواعي الفطرة السليمة. لا شك أن مثل هذه الحضارة التي تقوم على مثل هذه المعاني والقيم لا يمكن أن تقوم إلا باسم الإسلام ، ولا يملك زمامها وأدوات إنتاجها إلى تعاليم القرآن المتمثلة في قيمه وأحكامه ، والمنطلقة من قول الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [متفق عليه]. هذه الأمة فقط هي الوحيدة التي تملك مثل هذا التصور ، ولا شك أن هذا المعنى هو عنوان النصر الذي لا يمكن أن يهزم ، النصر الذي يدخل في بنية الحياة وأهدافها ، النصر الذي يغير ويعدل مجرى التاريخ ويبقى يتجدد مع تجدد الزمان والمكان. مخطئ كل الخطأ من توهم أو يتوهم أن بإمكانه أن يلحق الهزيمة بأمة هذه مواصفاتها ، أمة ذات حضارة وقيم إنسانية سامية ، أمة لعبت وما زال بإمكانها أن تلعب دوراً كبيراً ورائداً في بناء حضارة جديدة ، يمكنها أن تخلص الإنسانية كل الإنسانية من أشكال الضياع والتهيه الذي تعيشه في ظل حضارة المادة ، تلك الحضارة التي أفقدت الإنسان قيمته ، وما زالت تسعى بكل قوة إلى أن تفقد أمنه واستقراره واطمئنانه ، لأنها لا تركز إلا خلف المال وتوابعه ، من أشكال المادة المحسوسة. ويبقى السؤال الكبير: كيف يمكن أن تعود الأمة الإسلامية إلى ما كانت عليه؟ أو إلى ما ينبغي أن تكون عليه ، لا شك أن هذه الأمة الإسلامية تملك خصائص رئيسية تتمثل في فكرها الإسلامي ، بأنواعه الثقافية والاقتصادية وغيرها ، ما يمكنها أن تستخدمه كسلاح ضد التحديات الفكرية الأيديولوجية ، ذلك أن النموذج الإسلامي يتصف بالنظرة الكلية والتوازن وبتحقيق مصلحة المجتمع ، ومصلحة الفرد معاً. ومما ينبغي التنبيه إليه في هذا المقام أن التدافع والصراع الحضاري هو سنة من سنن الحياة ، وهو أمر لازم لنمو الحياة وامتدادها ، واستمرار التاريخ ، لذلك كان لا بد منه لتمييز البشر بعضهم من بعض ، ويظهر الحق على الباطل ، وتختبر وجهة الإنسان وصبره وجلده واختياره ، قال تعالى: (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ). ولهذا فإن المطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى أن يعود القانمون على قضايا الإسلام من الرواد والعلماء إلى عملية التعبئة العامة للمسلمين في كافة الميادين ، وذلك لمواجهة الهجمة الشرسة التي تتعرض لها أمتنا هذه الأيام ، وأن ندرك أبعاد وسائل الغزو بأنواعه ، التي يعمل بها في بلاد المسلمين ، في حقبة الاستكبار الصهيوني العالمي ، وذلك في محاولة منا إلى تحقيق النهوض الحضاري ، والوصول إلى الحصانة الحضارية ، والمناعة الفكرية للأمة ، والحيلولة دون سقوطها ، بما يراد لها في هذا الزمان العجيب ، وهو الخطر الذي يتعاظم يوماً بعد يوم ، والله تعالى نسال أن يوفق القائمين على أمر هذه الأمة من العلماء الصادقين الذين تعينهم مكانة هذه الأمة ويسعون إلى أسباب نهضتها وعلو مكانتها ، بأن يلهمهم الرشد ويهديهم ويوفقهم إلى سواء السبيل).هـ. وصدق الدكتور راجب السرجاني حيث يشخص أمراض الأمة وطرق العلاج فيقول ما نصه: (إن الناظر إلي بلاد المسلمين يجد أن كثيراً من أبناء المسلمين قد أصابهم الإحباط من واقع المسلمين ، وينسوا من أن تقوم لأمة الإسلام قائمة من جديد. كثير من أبناء المسلمين يعتقدون أن سيادة المسلمين للعالم كانت تاريخاً مضى ، وأن المستقبل قد يكون للشرق أو للغرب ، ولكن حتماً - أو غالباً - ليس للمسلمين ، وأكثر هذه الطائفة تفاؤلاً من يعتقد أنه لو كان الإسلام سيعود من جديد لصدارة الأمم ، فإن هذا لن يكون إلا بعد عمر مديد ، وأجل بعيد ، لا نراه نحن ولا أبنائنا ، ولا حتى أحفادنا. في هذا الجو من الإحباط واليأس ، يستحيل علي المسلمين أن يفكروا في حل القضايا وعودة المجد! نحن بحاجة إلى زرع الأمل في نفوس المسلمين ، ومحو الإحباط الذي سيطر على طوائف شتى من الأمة الإسلامية ، وبالذات الشباب منهم. لماذا أحبط المسلمون؟ إنه لمن العجب حقاً أن تحبط أمة تملك كتاباً مثل القرآن ، وحديثاً مثل

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإنه لمن العجب حقاً أن ييأس شعب له تاريخ مثل تاريخ المسلمين ، وله رجال أمثال رجال المسلمين. وإنه لمن العجب حقاً أن يقتط قوم يملكون مقدرات كمقدرات المسلمين ، وكنوزاً مثل كنوز المسلمين. عجيب حقاً أن تقتط هذه الأمة ، وقد قال ربها في كتابه: "قال ومن يقتط من رحمة ربه إلا الضالون". لكنها حقيقة مشاهدة ، وواقع لا ينكر. والواقع أن غياب الأمل ، وضياح الحلم ، وانحطاط الهدف ، كارثة مروعة حلت على المسلمين ، ومصيبة مهولة لا يرجى في وجودها نجاة. لا بد أن الذي زرع اليأس في قلوب بعض المسلمين أمر تعاضم في النفوس الواهنة ، وحدثت أكبرته القلوب الضعيفة فخضعت خضوعاً مذللاً حين كان يرجى لها الانتفاض ، وركعت ركوعاً مخزياً حين كان يرجى لها القيام. لا بد أن نقف ووقفات ووقفات ، لنحلل وندرس ونفقه: لماذا صرنا إلى ما صرنا إليه؟! وكيف السبيل لقيام وسيادة وصدارة ومجد؟ أما لماذا صرنا إلى هذا الوضع ، فهذا يرجع إلى عوامل عديدة ، وتراكبات مختلفة نستطيع أن نقسمها إلى قسمين كبيرين: * القسم الأول هو واقع صنعه المسلمون بأيديهم لما فرطوا في دين الله ، وابتعدوا عن منهج الله ، واستهانوا – وأحياناً تحالفوا!- مع أعداء الله. * القسم الثاني فهو مؤامرة بشعة ، نسجت خيوطها على مدار أعوام طويلة ، وتعاون على التخطيط لها طوائف مختلفة من أعداء الأمة. * الواقع الذي يعيشه المسلمون من خيانات مستمرة في أطراف كثيرة متفرقة من العالم الإسلامي ، أدت إلى ضياح البلاد والعباد ، وأدت إلى غياب القدوة ، وفقد الثقة في كل من يقود. * الواقع الذي يعيشه المسلمون من إباحية في وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية ، ومجاهرة بكل فسق ومجون وانحلال ، وافتخار بكثير من الموبقات ، وإهمال لمشاعر أمة كاملة عاشت قروناً وهي تحترم كل قانون إسلامي ، وكل أدب إسلامي ، وكل عُرف إسلامي. * الواقع الذي يعيشه المسلمون من سرقات واحتيالات ، ورشوة وفساد ، وهروب بمليارات من أموال المسلمين ، بينما يتضور بعضهم – أو كثير منهم – جوعاً. * الواقع الذي يعيشه المسلمون من انهيار للاقتصاد ، وديون متراكمة ، وإفلاسات مشهورة ، وسيطرة هائلة للاقتصاد الأجنبي على معظم مقاليد الأمور في البلاد الإسلامية ، واتساع مهول للفجوة بين طائفة الأغنياء القليلة جداً وبين طائفة الفقراء – أو المعدمين – عظيمة الاتساع. * الواقع الذي يعيشه المسلمون من فرقة وتناحر وتشاحن بين المسلمين ، حتى قل أن تجد قطرين متجاورين لا يتنازعان على الحدود والأفكار وأحياناً على العقائد. بل وقد يمتد الصراع أحياناً – أو كثيراً – بين المتمسكين بهذا الدين من أبناء المسلمين. هذا الواقع يورث في نفوس بعض المسلمين – أو في نفوس كثير من المسلمين – إحباطاً ويأساً يشعرون معه أن القيام من جديد – إن لم يكن صعباً – فهو من ضروب المستحيل. * والمؤامرة على الإسلام قديمة جداً وطويلة جداً وذات أبعاد كثيرة ، وليس المجال متسعاً لشرح أبعاد المؤامرة بالكامل ، ولكن ما يهمنا في هذا المقام هو الحديث – بإيجاز – عن أحد أبعاد هذه المؤامرة وهو البعد الفكري منها. لقد دأبت طوائف شتى من أعداء الأمة على العمل على انحراف أفكار الأمة عن الفكر الإسلامي الصحيح ، ومن ثم تفقد الأمة المقياس السليم للحكم على الأمور. وكان أحد الأهداف الواضحة والمحددة لهذه المؤامرة هو زرع بذور اليأس في قلوب المسلمين ، وإقناعهم باستحالة النهوض من هذه الكبوة العاتية التي وقعوا فيها. * ومع كآبة الواقع ، وضخامة المؤامرة ، وبشاعة الكيد ، فإني أعود من جديد وأتعجب. كيف يمكن أن تحبط أمة تمسك في يديها بكتاب القرآن ، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! لقد حفل القرآن العظيم والحديث الشريف بالعشرات – بل المنات – من الحقائق المبشرة التي تؤكد حتمية عودة هذه الأمة لصدارة العالمين. هذا أمر لا ينكره من يدرك طبيعة هذا الدين ، وطبيعة هذه الأمة. كل ما نرجوه أن يعود المسلمون لدينهم ، وأن يأخذوه من مصادره الصحيحة لا من مصادر المستشرقين أو المستغربين. وأن

يستمعوا وينصتوا لكلام ربهم وكلام نبيهم ، ولكلام من يتقون دينهم ويعرفون إسلامهم وأخلاقهم لا لدعاة العلمانية والتحرر من قيود الدين كما يدعون! * إن هؤلاء الذين قنطوا لم يدركوا طبيعة سنن الله في الأرض ، فالله سبحانه وتعالى شاء أن يجعل الأيام دولاً بين الناس. قال تعالى: "إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس". فكما تعاني أمة المسلمين من القرح اليوم ، فقد كان هناك أيام عانى فيها الآخرون من القرح ، بينما كانت أمة المسلمين في سلامة وعافية. كل الأمم تسود فترة وتتبع غيرها فترات. كل الأمم تقود زمنا وتنقاد لغيرها أزماناً. بل إن كل الأمم تعيش مرة وتموت وتندثر وتختفي مرات ، إلا أمة واحدة ، قد تنقاد لغيرها فترة من الفترات ، وقد تتبع غيرها زماناً من الأزمان ، لكنها لا تموت أبداً. تلك هي أمة الإسلام! أين حضارة الرومان؟! لم يبق منها إلا أطلال وأبنية. أين حضارة الإغريق؟! لم يبق منها إلا فلسفة فارغة ، ومعابد وثنية. أين حضارة الفرس؟! ماتت ولم تترك ميراثاً. أين حضارة الفراعنة؟! بقيت منها جمادات وديار كديار عاد وثمود ، وبقيت جثث محنطة وأوراق بالية ، لكن أين الفراعنة؟ إما في بطون القبور ، أو في جوف البحر ، حيث ينتظر جنود فرعون الساعة! أين التتار وجيوشهم؟! لم يبق لهم أثر واحد. أين إنجلترا الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس؟! إنها اليوم تابع ذليل. أين الإمبراطورية الروسية القيصرية ثم الشيوعية؟! سقطت سقوطاً مروعاً. وسيأخذ غيرهم دورات ودورات ثم يسقطون ، وسيعلو نجمهم فترة ثم يهبطون ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين. ومن ثم فلا عجب أن ترى أمة ظالمة قد ارتفعت وتكبرت وتجبرت. إنها في دورة ارتفاع ، ولكنها حتماً لن تخرج عن سنة الله في أرضه وخلقه. إن مصيرها إلى زوال. حتماً إلى زوال. فلن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً. وإذا كان من سنة الله أن كل الأمم تموت وتندثر ، فإن من سننه كذلك أن أمة الإسلام لها طبيعة مغايرة. إنها ما سقطت إلا وكان لها بعد السقوط قيام ، وما ضعفت إلا وكان لها بعد الضعف قوة ، وما ذلت إلا وكان لها بعد الذل عزة! لماذا؟! لأن طبيعة أمة الإسلام أنها أمة شاهدة على غيرها من الأمم "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً". حتى الأمم الغابرة - قبل أمة الإسلام - نشهد عليها بما جاء في كتابنا القرآن ، والأمم المعاصرة نشهد عليها بما رأيناه بأعيننا ، وقومناه بمنهجنا وأحكامنا وشرعنا ، وسنظل نشهد على الأمم إلى يوم القيامة ، فنحن باقون ما دامت الحياة ، وغيرنا لا شك مندثر وذهب. طبيعة هذه الأمة أنها تحمل الرسالة الخاتمة ، والكلمة الأخيرة من الله إلى خلقه ، وليس هناك رسول بعد رسولنا صلي الله عليه وسلم ، وليست هناك رسالة بعد الإسلام ، فلا بد وأن يحفظ الله المسلمين لأجل أهل الأرض جميعاً. طبيعة هذه الأمة أنها الأمة الوحيدة التي كان من همها أن تعلم غيرها دون ثمن ولا أجر ، بل قد يدفع المعلمون المسلمون مالاً ، ويبدلون جهداً وعرقاً ووقتاً بل ونفساً حتى يعلموا غيرهم. من من الأمم يفعل ذلك غير أمة الإسلام؟! ألم تكن الشعوب تغير على الشعوب لتأخذ خيرها ، وتنهب أرضها ، وتقتل أهلها ، بينما كان المسلمون يضحون بأرواحهم ليستنقذوا الناس من جحيم الكفر والضلال إلى جنة الإيمان والهدى؟ ألم يقل ربي بن عامر رضي الله عنه قولاً ما تكرر في التاريخ على السنة المتحضرين من الأمم غير أمة الإسلام يوضح فيه الرسالة الإسلامية بـ"بإيجاز فيقول": "لقد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة". هكذا ، لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً. هذه هي طبيعة الأمة الإسلامية. بقاؤها هو خير الأرض ، وذهابها فناء الأرض! "كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله". إذا كانت هذه هي طبيعة الأمة الإسلامية ، فلماذا الإحباط واليأس؟ يقول الله سبحانه وتعالى: "ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين". إن كل ما ذكرناه

من جرائم ومكائد ومؤامرات وتزوير وتشويه وخيانات وعمالات ونفاق وكذب - كل هذا - يدخل تحت كلمة "ويمكرون". لكن انظر إلى الجانب الآخر من المقابلة: "ويمكر الله والله خير الماكرين". أيها المسلمون: إن كان أصابكم شيء من الإحباط فلكونكم لم تفهموا المعركة على حقيقتها ، ولم تدرکوا الصدام بكامل أبعاده. إنها ليست حرباً بين المسلمين والكافرين ، وإن كان ظاهراً كذلك. إنما هي في حقيقتها حرب بين الله وبين من مرق عن طريقه ، وكفر بعبادته ، وارتضى غيره حكماً ، وقبل غير كتابه شرعاً. هي حرب بين الله ، وبين طرف صغير حقير من مخلوقاته سبحانه. لكن الله من رحمته بالمؤمنين ، ومن كرمه عليهم ، منّ عليهم بأن جعلهم جنده وحزبه وأوليائه. فالمؤمنون يفتقون أمام الكافرين ، ملتزمين بمنهج ربهم سبحانه في وقوفهم ، كما أمرهم يفعلون ، لا يترددون ولا يفرون ، واثقين بوعده ، راغبين في جنته ، راهبين لناره مخلصين له ، معتمدين عليه ، لاجئين إليه. إن فعلوا ذلك كان هو - سبحانه جلّت قدرته وتعاضمت أسماءه - كان المدافع عنهم ، الحامي لهم ، المؤيد لقوتهم ، الناصر لجيشهم ، الناشر لفكرتهم ، المنتقم من عدوهم. واسمعوا وأنصتوا أيها المسلمون لقوله سبحانه وتعالى حتى تفهموا حقيقة المعركة: "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى". "إنهم يكيّدون كيّداً وأكيّد كيّداً". "ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ، أنا دمرناهم وقومهم أجمعين". أيها المسلمون المعتزون بإسلامهم: هل تعلمون لمن تعملون؟! وإلى أي ركن تأوون؟! إنكم تعملون لله وتأوون إلى ركنه الشديد سبحانه! هل إذا جلس المتآمرون في جناح الظلام يدبرون ويخططون ، أهم بعيدون عن عينه سبحانه؟ "يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل ، فتكن في صخرة أو في السماوات أو الأرض ، يأتي بها الله ، إن الله لطيف خبير". هل إذا أطلق المتآمرون صاروخاً أو رصاصة ، أتسقط بغير علمه سبحانه؟! إذا كان يعلم بسقوط أوراق الشجر عبر الزمان والمكان ، فكيف بسقوط الصواريخ؟! اقرأ هذه الآيات بقلبك وجوارحك وتدبرها بعناية فائقة: "وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، ثم إليه مرجعكم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ، وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ، ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ، قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية ، لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ، ثم أنتم تشركون ، قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ، انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ، وكذب به قومك وهو الحق ، قل لست عليكم بوكيل ، لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون". هذا الإله العظيم الجليل الكبير ، هذا الإله الرحيم الكريم الودود ، يبشركم (أيها المؤمنون) في كتابه. يقول صاحب العزة والجبروت: "وكان حقاً علينا نصر المؤمنين". هكذا بهذه الصياغة العجيبة المعجزة! والله لو تنزل من آيات البشرى غيرها لكفت! هذا الإله القادر المقدر يتعهد بنصر المؤمنين ، ويجعله حقاً عليه سبحانه. ليس هذا نصراً في الآخرة فقط بدخول الجنة ، ولكنه نصر في الدنيا كذلك. قال سبحانه: "إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد". هكذا الوعد: نصر في الدارين ، في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. إن كان هناك مؤمنون فلا بد لهم من نصر ، هكذا وعد الله ، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد. استمعوا إلى قوله تعالى: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك

فأولئك هم الفاسقون". فإذا توفر الإيمان والعمل الصالح والعبادة الخالصة دون الشرك به سبحانه ، كان الاستخلاف في الأرض ، وكان التمكين للدين ، وكان الأمن بعد الخوف. من الذي وعد بذلك؟ إنه جبار السماوات والأرض ، مالك الملك ذو الجلال والإكرام. انظروا إلى هذه الصورة الرائعة الجليلة في غزوة بني النضير يقول سبحانه وتعالى: " هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا). (أنتم أيها المؤمنون المقاتلون المجاهدون لما رأيتم مناعة الحصون وبأسها ظننتم أن اليهود لن يهزموا)" وظنوا(أي اليهود) أنهم مانعتهم حصونهم من الله (ماذا حدث؟) فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، يُخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين (ثم ما هو التعليق على الحدث؟) فاعتبروا يا أولي الأبصار". الغاية من القصة أن نعتبر. القرآن ليس تاريخاً لما سبق لمجرد التأريخ والحكاية والسرود. القرآن كتاب عظيم ، ينبض بالحياة ، ويهدي إلي صراط مستقيم. أيها المسلمون المعتزون برسولهم صلي الله عليه وسلم: ألم تسمعوا إلى قول رسولكم وحبيبكم محمد صلي الله عليه وسلم وهو يقول في الحديث الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله عن ثوبان رضي الله عنه: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها". نعم يا إخواني ، سيبلغ ملك المسلمين مشارق الأرض ومغاربها ، بكل ما تحمله الكلمة من معاني. ألم تسمعوا إلى قول قذوكم محمد صلي الله عليه وسلم وهو يقول في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والطبراني وابن حبان وصححه الألباني عن تميم الداري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه سلم يقول: "لنبيلغن هذا الأمر (يعني الإسلام) ما بلغ الليل والنهار (أي كل الأرض) ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين (المدر هو الحجر أي بيوت المدن ، والوبر هو الشعر أي بيوت البادية أي كل بيوت الأرض: بيوت المدن وبيوت البادية سيدخلها الإسلام) بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر". وعد من الصادق المصدوق صلي الله عليه سلم. "وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى". بل اسمع وتأمل إلى ما رواه الإمام أحمد وصححه الألباني عن أبي قبيل رحمه الله قال: "كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا بصندوق له حلق ، قال: فأخرج منه كتاباً قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله نكتب إذ سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم: أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فقال مدينة هرقل (أي القسطنطينية) تفتح أولاً". والقسطنطينية هي عاصمة الدولة الرومانية الشرقية آنذاك وهي إستانبول الآن ، ورومية هي روما ، وكانت عاصمة الدولة الرومانية الغربية ، وكانتنا معاقل النصرانية في العالم ، ويفهم من الحديث أن الصحابة كانوا يعلمون منه صلي الله عليه سلم أن هاتين المدينتين ستفتحان ، لكن يسألون أي المدينتين تفتح أولاً فبشر رسول الله صلي الله عليه سلم بفتح القسطنطينية أولاً ، وقد كان ، وتحققت البشارة النبوية بعد أكثر من ثمانمائة سنة! وبالضبط في 20 جماد الأولى سنة 857 هجرية ، على يد الفارس العثماني المجاهد محمد الفاتح رحمه الله ، وستحدث البشارة الثانية لا محالة ، وسيدخل الإسلام روما عاصمة إيطاليا إن شاء الله تعالى. وليس وعد رسول الله صلي الله عليه سلم بمدينتين فقط: القسطنطينية ورومية ، فقد وعد كما ذكرنا بفتح الأرض جميعاً ، ووعد ربنا بنصر المؤمنين ، ولقد رأينا ذلك كثيراً في صفحات تاريخنا لا أقول أياماً أو شهوراً أو سنوات ، بل رأيناها قروناً عديدة. لقد كان المسلمون ينتصرون دائماً وهم أقل عدداً وعدة: * انتصر المسلمون علي عدوهم في بدر ، مع فارق العدد والعدة ، انظروا إلى وصفه سبحانه: "ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون". * انتصر المسلمون في موقعة اليمامة باثني عشر ألفاً من المجاهدين على أربعين ألفاً (على الأقل) من المرتدين. * فتح خالد بن الوليد رضي الله

عنه العراق بثمانية عشر ألفاً من الرجال الأبطال ، فدك حصون الفرس في خمس عشرة موقعة متتالية دون هزيمة ، وكان أقل جيوش الفرس تبلغ ستين ألفاً ، ووصلت إلى مائة وعشرين ألفاً في موقعة الفراض. * انتصر المسلمون المجاهدون في موقعة القادسية باثنين وثلاثين ألفاً من الرجال الأفاضل على مائتين وأربعين ألفاً من الفرس ، وكانت موقعة فاصلة كسرت فيها شوكة الفرس ، وقتل فيها معظم قادة الجيش الفارسي. * انتصر المسلمون المؤمنون في موقعة نهاوند بثلاثين ألفاً على مائة وخمسين ألفاً من الفرس. * انتصر المسلمون الصابرون في حصار تُسُتر بثلاثين ألفاً على مائة وخمسين ألفاً من الفرس ، وقد تكرر القتال أثناء ذلك الحصار ثمانين مرة ، وانتصر فيها المسلمون جميعاً دون هزيمة واحدة! * انتصر المسلمون الموحدون في اليرموك بتسعة وثلاثين ألفاً على مائتي ألفاً من الرومان. * انتصر المسلمون في معركة وادي برباط في فتح الأندلس باثني عشر ألف رجل على مائة ألف قوطي أسباني. لقد رأينا ذلك وأمثاله مئات - بل آلاف - من المرات. وما هذا الذي ذكرته إلا مقتطفات يسيرة من سفر الإسلام الضخم! اقرأوا التاريخ يا إخوتي. فوالله الذي لا إله إلا هو ، لا يوجد تاريخ في الأرض مثل تاريخ المسلمين ولا يوجد دين مثل دين المسلمين ، ولا يوجد رجال مثل رجال المسلمين. أيها المؤمنون: من تقاتلون؟ وأي الأقوام تحاربون؟ أليسوا اليهود ومن عاونهم؟! أليسوا الذين قال عنهم ربنا: "ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا؟" أليسوا الذين قال عنهم ربنا: "لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر"؟ أليسوا الذين قال عنهم ربنا: "ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا"؟ هؤلاء هم اليهود! "أتخشونهم؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ، ويتوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم". إن كان اليهود أو كانت الأرض جميعاً معهم: * أتخشون كثرتهم وأحزابهم وتجمعهم؟ ألم يخاطبهم الله وأمثالهم بقوله: "ولن تغني عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت ، وأن الله مع المؤمنين"؟ * أتخشون عدتهم؟ ألم يقل ربنا: "قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد"؟ * أتخشون أموالهم؟ ألم يقل ربنا: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ، ثم تكون حصرة ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون"؟ * أتخشون عقولهم وجوارحهم؟ ألم يصفهم ربنا بقوله: "لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون". * وهل رأيت هذا المجتمع من داخله؟! لقد شاهدنا مجتمعاً مهلهلاً مفككاً منحطاً ، يعيش على الرذيلة ، ولا يهتم بالفضيحة. أهواءه تسييره ، ورغباته تحركه ، وشهواته تسيطر عليه وتدمره. انظروا معي إلى هذه الأرقام تصف حال المراهقين الأمريكيين الذين لم يبلغوا بعد ثمانية عشر عام من العمر ، والذين سيحكمون بلدهم بعد عشر سنوات: • 55% من هؤلاء الشباب ارتكبوا جريمة الزنا ، وترتفع النسبة إلى 80% في المدن الكبرى وتنخفض إلى 33% في المناطق الريفية. أي أن أشرف مناطق أمريكا يرتكب فيها الزنا بنسبة 33%! هذا تحت الثامنة عشرة من العمر ، فإذا صعدنا فوق ذلك قليلاً قاربت النسبة 90%! • ثلاثمائة وخمسون ألف حالة حمل بدون زواج كل عام في البنات الأصغر من 18 سنة ، وهذا عدد أقل بكثير من الحقيقي ، وذلك لكثرة الإجهاض! • 24% من العائلات الأمريكية ليس فيها أب ، إما لأن الأم لا تعرف الأب لأنها ارتكبت الزنا مع أكثر من رجل ، وإما بسبب الطلاق! • 40% من الشباب المراهق يجربون المخدرات! أما الخمور فحدث ولا حرج فالرقم أكبر بكثير من أن يُحصى. • الجرائم زادت في مدينة دالاس الأمريكية بنسبة 70% في عام واحد! (من سنة 1998 إلى سنة 1999). • السبب الثالث للوفاة في المراهقين هو الانتحار! أي أن الانتحار هو السبب الثالث في الوفاة في المراهقين الذين سيحكمون أمريكا

بعد ذلك. أمريكا وحدها تسجل 32000 حالة انتحار كل عام! • عدد المرضى بالقمار الإجباري (أي إدمان القمار) واحد من كل سبعة من المراهقين. هذه هي أمريكا من الداخل! هذا هو مجتمع أمريكا المهلهل الذي نخشاه! أخي: أتشك في نصر على قوم كهؤلاء؟ أتشك في نصر على جيش غالبية من الزناة والشواذ؟ أتشك في نصر على جيش أشرب في قلبه حب الخمر والمنكرات؟ "لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ، ثم مأواهم جهنم ، وبنس المهاد". "ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون". إن النصر لا يأتي إلا بعد أشد لحظات المجاهدة. أخي يا من تظن أن النصر قد تأخر: اعلم أن النصر لا يأتي إلا بعد أشد لحظات المجاهدة. ألم تسمع إلى قوله تعالى: "حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، فنجي من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين". في هذه اللحظة التي ظن فيها الجميع - الرسول وقومه - أن الأمر قد وصل إلى نهايته في التكذيب والظلم والإعراض والشك في هذه اللحظة التي وصل فيها الأذى للدعاة إلى مدها ، وقد ثبت الدعاة على مبادئهم. هنا في هذه اللحظة فقط "جاءهم نصرنا". اسمع أيضاً إلى قوله تعالى: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه ، متى نصر الله". في هذه اللحظة التي بلغ فيها السيل الزبي ، والصبر إلى نهايته ، في هذه اللحظة المجيدة يقول سبحانه: "إلا إن نصر الله قريب". ألم تلاحظ في السيرة النبوية أن أشد لحظات الابتلاء للمؤمنين كانت في غزوة الأحزاب ، حيث وصفها ربنا في كتابه فقال: "وإذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً". ألم تلاحظ أنه بعد غزوة الأحزاب كان المسلمون في فتح يتلوه فتح؟ بعد أشد لحظات المجاهدة ، جاءت الحديدية ، ثم مكة ، ثم الطائف ، ثم جزيرة العرب بكاملها. أمجاد تعقبها أمجاد ، وأيام نصر وفرح وتمكين. أنتم الأعلون أحبابي: أحمل لكم آية عجيبة ، وكل آيات الله عجيبة. آية هي كنز من كنوز المنان ، وعطية من عطايا الرحمن: "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين". أتعلمون أيها المسلمون: متى نزلت هذه الآية؟ لقد نزلت بعد غزوة أحد! بعد الهزيمة! وذلك ليعلم الله المؤمنين أن العزة والعلو لا يتأثران بهزيمة مرحلية ، ولا يرتبطان بنصر مرئي ، ولا يعتمدان على تمكين مشاهد. وليعلم الله المؤمنين أن الأيام دول ، وأن للتاريخ دورات ، فلهذا دورة ، ولهذا دورة ، أما الدورة الأخيرة فللمؤمنين إن شاء الله. • أنتم الأعلون ، لأن إلهكم الله الذي لا إله إلا هو سبحانه ، وما كان الله ليعجزه من شئ في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليمًا قديرًا. • أنتم الأعلون ، لأنكم أتباع النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ، خير الخلق ، وسيد الرسل والمحي الذي يمحو الله به الكفر ، والحاشر الذي يحشر الناس على قدمه ، والعاقب الذي ليس بعده نبي صلى الله عليه وسلم. • أنتم الأعلون لأن كتابكم القرآن فيه نبأ من قبلكم ، ونبأ ما يأتي بعدكم ، وحكم ما بينكم ، من خالفه من الجبابرة قسمه الله عز وجل ، ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل ، وهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وشفافه النافع عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستقيم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلقه كثرة التردد. • أنتم الأعلون ، لأن شريعتكم الإسلام ، دين ودينياً جسد وروح ، عقل وقلب ، ما ترك الله في شريعته من شئ إلا وضح وبينه: "اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً". • أنتم الأعلون ، لأنكم الأكمل أخلاقاً. "إنما بعثت لأتتم مكارم الأخلاق". • أنتم الأعلون لأنكم الأقوى رابطة: "لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم". • أنتم الأعلون ، لأن الملائكة الطيبين تثبتكم. "إذ يوحى ربك للملائكة أني معكم ، فثبتوا الذين آمنوا". • أنتم الأعلون ، لأن الطمأنينة في قلوبكم "وما جعله الله إلا بشري وتطمئن به قلوبكم وما النصر

إلا من عند الله ، إن الله عزيز حكيم". • أنتم الأعلون ، لأن الجنة موعدهم. "إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنة فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الراحمين ، فاتخذتموهم سخرياً ، حتى أنسوكم ذكري ، وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون") .هـ. وإذن فأمة الإسلام والمسلمين هي الأعلى ، ولن تموت هذه الأمة ، ولن تندثر. إن الذي تعيشه أمتنا هو حالة من الترددي والتراخي لا تزيد! وسيعقبها بإذن الله تعالى نصر مؤزر مبین ولا شك! ونحن قد سُقنا من الآيات والأحاديث ما يثبت ذلك ويجليه لنا كالشمس. ولكل عالم هفوة ، فلعل هذه هفوة أمتنا! ولكل جواد كبوة ، فلعل هذه كبوة أمتنا. والله الأمر من قبل ومن بعد. نعم لله الأمر كله ، وإليه يرجع الأمر كله. "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين"! وأستهل المعارضة الشعرية وأعيش مع نصح أمة الإسلام مشخفاً الداء ، وواصفاً الدواء ، ومشخفاً لأمراض الأمة ، عسى الله أن يؤيدها ، ويعيدها لسالف مجدها وعزها التليد ، فأقول:)

والنورُ يخرقُ الظلامَ ويولدُ
والشرقُ عن رد الأعداي يقعدُ
ومعارك الكفار - جهراً - تُوقد
لم يفقهوا كيد الذي يترصد
وبدا جهاراً مكرٌ من يتوعد
ما زال يرغو - في الديار - ويؤبد
والمستبد - إلى نعيم - يخلد
وعلى الأذى التاريخ عمداً يشهد
وإلى متى - رغم الأنوف - نُشرد؟
وإلى متى ظلم يدك ويرعد؟
وإلى متى عز الكرامة يُفقد؟
وإلى متى طاقاتنا تتبدد؟
هل بات عبداً - للطغاة - السَّيد؟
أسرّ ومكرّ بالوعيد يُهدد

الحق حصصَ والحقيقة تصمُدُ
والغربُ أسفر عن عداٍ كالح
حربُ العقيدة أشعلت نيرانها
وستارة (الإرهاب) صدقها الألى
وقناع أهل الشرك بان خداعه
وسبيلُ أهل الظلم بيته الهدى
وحقوقُ مظلوم تضيع رخيصة
والأرض تُسرقُ ثم يرَمى أهلها
فإلى متى هذا الضياغ حليفنا؟
وإلى متى حربٌ يؤز أوارها؟
وإلى متى أرضٌ تُسلم للعِدا؟
وإلى متى نار الخلاف تبيدنا؟
هل بات حتماً لازماً تشتيتنا؟
هل أمة الإسلام ، هذا شأنها؟

والظلمُ خَيمَ ، والعدالةُ ترقد
بنس الدمارُ المُحدق المُترصد!
والشعرُ بالوضع البنيس يُندد
مَن شعرهم ربَّ المشارق يعُبد
للأمة الغراء مجداً يسرد!
ويُعدد الفضل الذي لا يُجدد
لجميع أهل الخير حتى يسعدوا
والغل يسرق زاده ويُصفد!
تهدى الأنام ثُمورها وتُغرّد!
بين الكرام المسلمين تُوحّد!
تزجي الحلول رطيبة ، وتحدّد!
وأراه - رغم البعد - نعم المقصد!
نصراً - خُطاك على الطريق - يُسدّد

كيف السبيل إلى إعادة مجدها؟
كيف احتمال ترهل تحيا به؟
حار اليراع لَمَّا يُعاین مِن أذى
وقصائدُ الشعراء أدهاها الجوى
كم مرةً أهديتُ شعري صادقاً
يتلمسُ الأمجاد في تاريخها
ويُقدّم النصح الجميل تحية
كم ضج شعري بالعذاب يُحيطه
كم في الجحيم زرعتُ شعري نخلة
كم في النزاع بذلتُ شعري وحدة
كم في مشاكلنا نثرتُ قصاندي
يا أمة الإسلام عِزك مقصدي
والله أسألُ أن ينالك نصره

ماذا وراء الدموع؟

(يعمد كثيرون إلى بكاء مجد أمتنا التليد ، الذي كان قد سُرق منا بسبب تفريطنا وإفراطنا. ولا أحد يفكر في كيفية استعادته ، واستئناف الحياة في ظله. ومن هنا رحلت أتساءل: ماذا وراء الدموع والبكاء والنحيب؟ إن مرحلة البكاء والدموع يجب أن تنتهي لنبدأ العمل! كتبتُ من المديد أقول:)

وَدَعُوا الدَّمْعَ ، وَهَبُوا غَضَابَا
وَاهْجُرُوا اللُّومَ ، وَخَلُّوا الْعِتَابَا
لَنْ يَفِيدَ الدَّمْعُ قَوْمًا تَمَادُوا
فِي الْهَوَى ، حَتَّى يَجُوسُوا الصَّعَابَا
مَجْدُكُمْ ، لَا ، لَنْ يَعُودَ بِدَمْعٍ
دَمْعُكُمْ يُهْدِي الْمُصَابَا
لَا أَرَى فِي الدَّمْعِ خَيْرًا كَثِيرًا
فَانْهَضُوا قَوْمِي ، وَشُدُّوا الرِّكَابَا
سَيَعُودُ الْمَجْدُ يَغْضِي قِرَانَا
إِنْ بَدَّلْنَا فِي مَدَاهِ الْحِرَابَا
سُلْبَ الْمَجْدُ ، وَنَحْنُ نِيَامٌ
فَتَجْرَعْنَا عِنْدَ اللَّقَاءِ اِكْتِنَابَا
فَأَعِدُوا لِلْجِهَادِ رَجَالًا
وَارْفَعُوا عِنْدَ اللَّقَاءِ الْكِتَابَا
وَاسْتَفِيدُوا مِنْ دُرُوسِ التَّدْنِي
وَاسْأَلُوا حَتَّى تُلَاقُوا الْجَوَابَا
وَاعْلَمُوا حَتَّى تَحُوزُوا الْمَعَالِي
رَبَّمَا يَمْحُو الْمَضَاءُ الضَّبابَا
وَاطْرَحُوا الدُّنْيَا تَعِيشُوا كِرَامًا
وَاعْظُوا جِيلًا مَرِيضًا تَغَابِي
وَاحْمَلُوا الْحَقَّ ، وَلَا تَخْذَلُوهُ
كُلَّ حَقٍّ يَزْدُرِي الْإِرْتِيَابَا
أَنْتُمْ الصِّدْقُ ، فَكُونُوا تَقَاةَ
فَاقْشَعُوا يَا مُتَقُونَ السَّرَابَا
أَنْتُمْ الْخَيْرُ ، فَكُونُوا حِمَاةَ
لَيْسَ بَطْلَانٌ يُزِيحُ الصَّوَابَا
جُلُّ نَصْحِي قَلْتَهُ دُونَ خَوْفِ
آمَنُوا بِاللَّهِ ، وَارْجُوا الثَّوَابَا

عالم يفوق أمة

(وهذه تحية شعرية لفقيه مصر الأستاذ العلامة الشيخ الجليل / محمد عبد القصود. وذلك بعد سماعي لمحاضراته عن (العذر بالجهل). وتبعته بمحاضرات أخرى أدركت عبرها من هذا الجهد!)

يا ابن عبد المقصود هذا سلامي	صغته شعراً يحتفي باحترامي
مُعربٌ عن حب لشيخ جليل	في الدياتي وافي كبدر تمام
لا أزكي على المليك عبادةً	والمليك حسيبُ كل الأنام
ننزل الشهم ما يُناسب قدراً	حيث قام بالنصح خير قيام
ظل يدعو بحكمةٍ واصطبارٍ	ويصول في عالم النوام
يحمل القنديل المشع ضياءً	ليبيد ما عاقنا من ظلام
ليثٌ غاب في أمهات القضايا	وعن الحق ينبري ليحامي
وبصيرٌ بالفقه ليس يُباري	وخطيبٌ يختار عذب الكلام
وله في التوحيد رؤية فذ	وهو في التفسير خير إمام
لم يخذ عن أسلافنا قيد شبرٍ	إن دعا للإيمان والإسلام
وأديبٌ عند الخلاف رزينٌ	وله في سوق الدليل تسامي
وله في سبك الكتابة باعٌ	والضميرُ الأبحارُ في الأقالام
وله في سرد الروايات صبرٌ	كي يقود الإفتاع للأفهام
ربّ بارك هذا الهمام ، وزده	وله اختتم يوماً بحسن ختام
ثم لا تحرمنا أجوراً جناها	ثم لا تفتتنا مدى الأيام

همسة في أذان متشاعر

(اعتاد ذلك الناحل المتشاعر الثري أن يشتري أشعار الآخرين ثم ينسبها لنفسه ، فخرجت دواوينه المزعومة نشاداً لمن يقرأ ، ومسحاً مشوّهاً يكشفه على الفور كل من له أدنى بصيرة بالشعر. وهذا السفية يعتقد أن نقاد الشعر لن يكتشفوا ذلك مستقبلاً! إن النقاد لهم أساليبهم في اكتشاف معين وعجينة وأسلوبية أي شاعر! وذلك بتحليل باقة من نصوصه في مختلف أغراض الشعر! وسوف يخرجون بنتيجة عن هذا الناحل الخب المستشعر السارق ، أنه ليس بشاعر ، وإن كانت له عشرات الدواوين المنحولة المسروقة!)

أصحيح يا شعر زيف الكلام؟ أتساوى السرور بالإيلام؟
مَن تعنى يُمسي كمن لا يُعاني؟ هل تساوى الأنين بالأنغام؟
هل يُباع القريضُ يا لهف نفسي كيف يُشري الشعور بالدرهام؟
خفف الدعوى ، أنتَ منها برئ! وادعاءً ما كان في الأحلام!
إن تكلى أدمت خطاها الرزايا لا كمن ناحت تفتري وتعامي
سارقُ الشعر هل يُحس بكرب؟ هل يقاسي من أخذة الآلام؟
والدواوينُ المستترية هذي هل تداوي شيئاً من الأسقام؟
خرجت في الديار عاراً علينا وشناراً يُفضي إلى الإعدام!
لم تعالج أوجاعنا إذ تدنت ثم غاصت في حمأة وزوام
كل شعر من الفواد أتنا وكشفت في حمأة للفواد رطيباً
وشراء الأشعار جدّ بغيضٍ أيها المستشعر المتغابي
كُشف الأمرُ ، يا دعى تظنن وتمعن في كبرك المتسامي
ربّ توب إلى المايك وشيك هو أولى من ترهات الأنام

قد خلت من قبلكم سنن

(كتب الدكتور / عبد الرزاق الكيلاني كتابه: الأمثال العربية حوالي 3146 مثل. فأنشدت أحبيه وذلك بعد أن حصلتُ على نسخة مهداة من المؤلف وعليها إهداؤه! إنه مجهود عظيم للغاية أن يورد المثل ، ويوضح المصدر الذي وقع عليه فيه ، ويشرح غوامض كلماته ، ويبين الدرس المستفاد منه! وذلك بلغة بسيطة سهلة (يفهمها القراء) ، ممتعة (فهي لا ترجعهم إلى المراجع والقواميس)! أنشد على البحر السريع.)

يا أيها الناس: اعملوا بالمثل	هيا امزجوا بالطيبات العمن
إن الألي عاشوا هنا قبلنا	قد أدركوا في العيش بعض الخلل
لم يبخلوا بالنصح ، بل أخلصوا	والدرس مما خلفوا كالطلل
حتى أتاهم زائراً شيوخنا	مستلهماً ما قننوا من مثل
قد غربل الأمثال مسترشداً	بالنور والقرآن ، لا بالجدل
والسفر من نور يفوق السنا	أعطى كسير القلب بعض الأمل
درس على درس ، ودرب بدت	أنواره الشهاب تجلي السبل
هذي التجاريب التي دونت	نُضفي على الإنسان أبهى الخلل
والشرح للأمثال أحلى شذئ	والفكر في طياتها معتدل
ما أجمل الأمثال إن عولجت!	والقلب إما ترتفع يمتثل
ما أروع الأفكار إن نقحت!	حتى نرى الأبواب لا ترتجل
حتى نرى الإنسان عفا النهي	في عالم قد حطمته العلل
يسعى يعز الحق مستعلياً	عن كل درب موصِل للفشل
يقتات من أمثال من كابدوا	قوتاً يجافي بالليب الزلل
رباه بارك سفر علم الفتى	واحفظ بفضل منك هذا البطل

سلم اليراع ومن كتب

(هذه القصيدة أسطرها تحية لإدارة البحث والإعداد في مؤسسة الرسالة بإشراف الأستاذ / رضوان دعبول ، لإخراجها كتاب (تراجم النساء) ذلك السفر العظيم. والكتابة عن تراجم النساء وربات الجود والفضل والكرم والعلم والأدب ، تحتاج إلى مضاعفة الجهود أكثر وأكثر! والسبب أننا وجدنا تراجم كثيرة للرجال! بينما تراجم النساء لا نكاد نجد ثلاثة مراجع أو أربعة! ومن هنا كانت لكتاب: (تراجم النساء) أهمية عظيمة وفائدة جلية! ولقد طالعت ذلك المعجم كاملاً ، ووقعتُ على أخبار أفادتني كثيراً! الأمر الذي جعلني أسطر فيه قصيدة نادرة في إطرائه وشكر من ألفه! كتبتُ من المنسرح)

سِيفرٌ أضاءَ الدروبَ مِقْبَاسُ	كم تاق للنور في الدجى الناس!
سِيفرٌ له في القلوب تعبيرٌ	شادي الصدى ، تحتويه أعراس
يراعة أخلصت لمن راموا	حقاً تسامى ، ونعم مقياس!
في عالم شمسُه خبت حزنًا	إذ باع حواء فيه نخاس
تنكّر البعض للهوى عمداً	ولم يغد في التقى لهم باس
نعيش عصراً من الردى أدنى	يچار مما يرون أكياس
رأيت حواء سلعة بارت	وعرضاً ثوى ، والقوام مياس
بيعت كرامتها فما احتجبت	حتى علاها أذى وأرجاس
تنازلت عن ذرى معالمها	حتى طوتها كدى وأرماس
وسفر (عدنان) جاء تبياناً	فيه انجلت للرشاد أقباس
لم يخف حقاً ، ولم يدعِ علماً	لأنه في البيان نبراس
أعطى الحقيقة ما يجاها	فضمها للبقاء قرطاس
ومن يسطر عن النساء سيفراً	فإن حبر اليراع إحساس
حتى رأينا معين مغوار	ولليراع مدى وأنفاس
يارب بارك كتاب مقدام	فيه العقيق السطوع والماس

أحسنت صنعاً يا أختي

(أنشدت من المديد هذه القصيدة للدكتورة / زينب محمد صبرة بييرة جكلي ، عندما كتبت (النحو القصصى) بكل نجاح. وللتعريف بها أقول: هي الدكتورة زينب محمد صبري بييرة جكلي دكتورة في الأدب العربي في عصر الدول المتتابة 1995م - ماجستير في الأدب العربي الحديث 1977م - أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية في جامعة الشارقة منذ 1999م ولغاية 2008-2009م . - أستاذة مساعدة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي منذ 1995م - ولغاية 1998م - 1999م . - مدرسة مساعدة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي منذ 1988-1995م. - مدرسة في ثانويات حلب واللاذقية منذ 1971-1988م. - عضو رابطة الأدب الإسلامي - فرع الرياض منذ 1997م . - عضو جمعية حماية اللغة العربية في الشارقة منذ 2001م للجنة النسائية. - عضو رابطة أدباء الشام منذ 2003م. - عضو لجنة القضايا الطلابية في جامعة الشارقة . - مقرر لجنة ضبط سلوك الطالبات في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية في جامعة الشارقة. - عضو لجنة الاعتماد والإرشاد الأكاديمي في قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة. - عضو اللجنة الثقافية في الجامعة والقسم. - منسقة الملتقى اللغوي الأول بين جامعة الشارقة ووزارة التربية والتعليم تحت شعار لغة قديمة لتربية سليمة الذي عقد في 2007/4/26م. - عضو في لجنة تطوير المناهج في القسم. - عضو في لجنة تحكيم قصة لمسابقة القصة القصيرة التي تعدها عمادة شؤون الطلاب في جامعة الشارقة. - مرشدة جمعية اللغة العربية في جامعة الشارقة. - عضو لجنة الإشراف على تعديل مناهج مهارات الاتصال باللغة العربية (1) و(2) في القسم. - مراقبة دوام الموظفين في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي في العام الدراسي 1994-1995م. - مدققة لغوية لمجلة كلية الدراسات الإسلامية حينما كانت تعمل فيها. - عضو اللجنة الثقافية في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي. - مشرفة على مكتبة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي ومصنفة لكتبها. ومن منشوراتها البحثية: - استدعاء التاريخ في الشعر العربي خلال العهد العثماني. - من رحلات العهد العثماني نشوة الشمول و نشوة المدام للألوسي. - الزمن في قصيدة الشاعر مصطفى العلواني في مديح الوزير العثماني عبد الله الجته. - الصورة الفنية في شعر ابن منجك الشاعر العثماني. - أنواع الوحدة في القصيدة العربية في العهد العثماني. - بحث ظاهرة فن المفازات العربية في العصر العثماني: دراسة مقارنة مع الفنون الأدبية الأخرى. - مسرحية القضية دراسة فنية. - المسمطات العربية في العهد العثماني. - مظاهر الرثاء في العصر العثماني. - بحث المرأة في الحضارتين الإسلامية والعربية من خلال الشعر العربي. - الوطن في شعر سالم بن علي. - المديح النبوي في العصر العثماني. - بحث المرأة في الحضارتين الإسلامية والتغريبية في الرواية العربية. - بحث فن المديح في الشعر المملوكي. - بحث القصة القصيرة عند شيخة الناخي رائدة فن القصة في الإمارات. - بحث الصورة الفنية في الشعر العربي خلال العهد العثماني. - بحث صورة المرأة في القصة الإسلامية الحديثة. - بحث ظاهرة حجاب المرأة في الأدب الجاهلي. - بحث المرأة في شعر عمر بهاء الدين الأميري. - بحث حكم اشتراك المرأة في الأعمال السياسية والمجالات العسكرية. ومن كتبها المؤلفة: - الشعر العربي في عصر الدول المتتابة. - النثر العربي في عصر الدول المتتابة. - شعر الثورات الداخلية في العهد العثماني. - فتح الله بن عبد الله النحاس دراسة موضوعية وفنية. - الحركة الشعرية في حلب في القرن الحادي عشر الهجري. - محمد سعيد العريان حياته وفن المقالة والسيرة عنده. - فن القصة عند محمد

سعيد العريان. - أدب الأطفال عند محمد سعيد العريان. - أدب الأطفال في العصر الحديث. - المرأة بين الرصافي والأميري. - ظاهرة حجاب المرأة في الأدب الجاهلي. - النحو القصصي لتلاميذ المرحلة الابتدائية والإعدادية. الأسس الحضارية في العصر الراشدي. - الشعر الإسلامي المعاصر. - جماليات الأساليب الموضوعية والفنية في القرآن الكريم دراسة أدبية. ومن إبداعاتها المنشورة: * أربع مجموعات قصصية هي: (عندما يتوب الملك) ط دار ابن حزم بيروت لبنان 1995- (علمتني زوجتي) ط دار ابن حزم 1995م ، والطبعة الثانية منها في دار أم القرى في المنصورة 2000 م. - (قدر أم حذر) - ابن حزم 1998م. (شريد عفيف) في دار ابن حزم 1998م. * خمس قصص قصيرة متفرقة هي: (داهية أجنادين ، جند الله ، خليفة ومجاهد ، قد أحبيت الأمة) ، وهي مطبوعة في هيئة الأعمال الخيرية في عجمان - الإمارات 1999م. مسرحية ذات السواري - دار ابن حزم 1995م. ومن ندواتها ومؤتمراتها: - ندوة أدبية في مركز الأمير عبد المحسن جلوي في 8 / 3 / 2012م بعنوان الأدب الإسلامي ، وقد شاركت فيها بورقة عمل تحت عنوان الأدب الإسلامي سبيل للنهوض بالأمة. - ندوة المشروع الحضاري الإسلامي إلى أين؟ أقامها مركز الأمير عبد المحسن آل جلوي في 24/12/2009م ، قدمت فيها بحث "المشروع الحضاري الإسلامي ، الأسس والمرتكزات" ونشر في كتاب بعنوان خطوات على طريق المشروع الحضاري الإسلامي ص 9-34. - ندوة تدريس الشعر في الجامعات نموذج جامعة الشارقة في 10 / 2 / 2009م في بيت الشعر بالشارقة. - شاركت في حلقة نقاش بعنوان لغة القرآن الكريم ، الواقع وسبل النهوض بها بمحورين هما جماليات اللغة العربية ، والحداثة والعولمة وأثرها في اللغة العربية وكانت في مركز الأمير عبد المحسن جلوي في 3/4/2008م ونشرا في كتاب يحمل اسم الندوة. - مؤتمر وضع المرأة المسلمة في المجتمعات المعاصرة حقائق وآفاق قدمت له بحث المرأة في الحضارتين الإسلامية والعربية من خلال الشعر العربي ، عقد في كوالالمبور ، ماليزيا من 14-16/8/2007م في المعهد العالمي لوحدة الأمة ، ونشر البحث في كتاب يجمع وقائع المؤتمر ج 3 ص 265 . - ندوة الأدب الإسلامي والمذاهب النقدية الغربية في 5/2/2007م أقامها بيت الشعر في قصر الثقافة في الشارقة في 5/2/2007م ، وقدمت فيها ورقة عمل يحمل العنوان نفسه . 8- حلقة نقاش في مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي بعنوان " الدعوة النسائية : الأسس والمنطلقات "شاركت فيها بورقة عمل صفات الداعية" في 7/10/2006م ونشرت في كتاب يحمل الاسم نفسه. - مؤتمر اللغة العربية في عالم متغير أقامته كلية الآداب والعلوم في جامعة الشارقة ، وقد شاركت فيه ببحث مصطلح الأدب الإسلامي والالتزام ، وكان في 19/4/2005م. ندوة "اللغة العربية والتحدي" في جمعية حماية اللغة العربية في 2003م ، بمناسبة الاحتفال باليوم الوطني للغة العربية. - ندوة اللغة العربية والإعلام في جامعة الشارقة قسم اللغة العربية ، وعنوان بحثي اللغة العربية والتحدي الإعلامي ، وكانت في 7/5/2002م. - التعقيب على ورقة عمل بعنوان "المكتبة المدرسية وتنمية الميول القرآنية لدى الطلاب" مقدمة من د. زينب العضب إلى مؤتمر "المكتبة المدرسية وآفاق تطوير التعليم وتحديثه. - شاركت في مؤتمر رابطة الأدبيات المسلمات الأول الذي أقامته رابطة الأدب الإسلامي في القاهرة في صيف 1999م ، ببحث: صورة المرأة في القصة الإسلامية الحديثة ، ونشر في كتاب يجمع وقائع المؤتمر بعنوان أدب المرأة دراسة مقارنة شر مكتبة العبيكان السعودية - الرياض 2007م. ومن محاضراتها التخصصية: - رمضان في الشعر العربي: في بيت الشعر في الشارقة في 2010م. - القيم التربوية والجمالية في شعر الأطفال في بيت الشعر في الشارقة في 2010م. - النزعة الإنسانية عند محمد سعيد العريان ، جامعة الشارقة في 2008م. - محاضرات في دورة نظرية وتطبيقية لاستخدام مختلف المعاجم في

الجامعة من 22-24/10/2008 م. - فن المفآخرآت الأدبية في عصر الدول المتتآبعة في الجامعة 2007م. - المسرح في العصر العثماني في جامعة الشارقة في 2005م. - السيرة الشعبية بين التاريخ والفن الملحمي والروائي 2005م. - القصة الرمزية في نثر الدول المتتآبعة في جامعة الشارقة 2004م. - أصل الموشحات بين الشرق والغرب: في جامعة الشارقة في 2003م. - "تفعيل المسرح المدرسي" في 2002م لمدرسآت المنطقة التعليمية في الشارقة. - القصة في الإمارات بين الواقعية والحدآثة في جمعية حماية اللغة العربية في الشارقة في 2002م. - العلاقة بين الإبداع الأدبي والدين في جامعة الشارقة في 2002م. - بدء ونهاية عصر الدول المتتآبعة في 2001م. - موسيقآ الشعر العربي في العهد العثماني: جامعة الشارقة 2001م. - صورة المرأة في القصة الإسلامية الحديثة: جامعة الشارقة في 1999م. ومن محآضراتها غير التخصصية: - محآضرة المرأة المسلمة في مركز الأمير عبد المحسن آل جلوي في رمضان 2012م. - دورة في مركز أترجة لتحفيظ القرآن الكريم "في عجمان بعنوان": القرآن الكريم فصآحة وبيان" في 2002م. - محآضرة بعنوان "العلاقة بين الرجل والمرأة في العمل" في جامعة الشارقة ، مكتب التوجيه الوظيفي. - محآضرة "الاحتشآم أو زوال الأمم" في جامعة الشارقة في 2001م. - محآضرة ثقافة المرأة المسلمة: في أندية فتيات الشارقة في 1999م. إن امرأة بهذا الحجم وبهذا المستوى من العطاء ، لجديرة بأن نتناولها في أكثر من قصيدة. وبالطبع جميع أبواق الإعلام مشغولة عنها وعن مثيلآتها من العالمآت المجيدات! مشغولة عنها بأخبار الرآقصآت والمغنيات ، عليهن جميعاً من الله الجبار ما يستحققن إلا من تآبت وآمنت! فلا أأد يتناول مشوارها العلمي ولا يتحدث عن ندواتها وأنشطتها واهتمامآتها! كما أن جريدة أو صحيفة أو مجلة من هنا أو من هناك لا تتناول الشئ القليل فضلاً عن الكثير عن الدكتورآة زينب! ومن هذا المنطلق أردت أن أوفيها بعض حقها علينا ، فكانت هذه القصيدة ترجمة لإرادتي هذي! وأدعو لها بالبركة والاستمرار في إثراء المسيرة الأدبية والعلمية والذود عن الإسلام والدفاع عن العقيدة والتوحيد ، مهما كلفها ذلك وأسأل الله أن يجزيها عن العربية والعلم والدعوة خير الجزآء! كتبت من البحر المديد:

أطربت أفقَ النهي والفهوم	اليواقيتُ التي كالنجوم
إنه أستاذ كل العلوم	أخرجت نحو البعاريب غضا
بفيوض تستمي ونعيم	أيها النحو الجليل فأبشُر
هو أمضى في تحدي الخصوم	(زينب) قد أمسكت بيارع
تجعل الإعراب غصن الرسوم	فآآتنا بالأقاصيص تترى
وئداوي بأس كل الكأوم	وتألحي عن نحاة ونحو
وتواسي في جحيم الغموم	وتبئد من نفوس أساها
كيف جآلت بالرؤى والخأوم؟	كم ظننا بالنحاة ظنوناً!

ثم عانت بيننا الضاد حتى
ورأينا الشعر يمشي الهوينى!
وسنا الفصحى يئن أنيناً
كل مصنوع على عين هود
(زينب) البأس انبرت لا تبالي
بكتاب من ضيا البدر أحلى
يا إلهي بارك العلم هذا

عذبتها بالجراح الهوم
بفؤادٍ مخبطٍ وسقيم
فقد أضناه كل غشوم
كل غرّ مفتّرٍ ولئيم
ثم صدت كيد كل زعيم
وأداءٍ مُستتيرٍ كـريم
وتقبلن جهداً بعلم سليم

رويدك يا فتاة الإسلام

(قابلت إحدى الصالحات متبرجةً ، وأخذتها إلى حيث المسجد. واشترت لها عباءة وحجاباً لنلا ينظر إليها أحد. وبعد الدرس قالت الصالحة لها: انزعي حجابك وجلبابك إن شئت. فأبيت والتزمت وشهدت شهادة الحق وصلت وقرأت من القرآن ما قدر الله لها أن تقرأ. وفي طريق عودتها إلى بيتها صدمتها سيارة فماتت. فأنشدت (رويدك يا فتاة الإسلام) ليس للميئة الصالحة ولا للحية الصالحة. ولكن لكل فتاة مسلمة ولو بالتسمي أو التزيي قد لعب بها الشياطين واستجابت طائعة لبيوتات الأزياء التي تصمم الأزياء والموضات كما تصمم الأهواء والعادات والتقاليد. وما أكثر هذه النوعية في الديار هذه الأيام ، وإنني لأهيب بكل داعية أن يبين ، وبكل موحد أن ينكر ، وبكل شاعر أن ينشد من الأشعار ما ينقد به هذا الواقع المعاش. وكل على قدر مسؤوليته أمام الله. أقول: هذه الدنيا سرابٌ خادعٌ سوف يمضي. فعلى كل مسلمة أن تتبصر الطريق من الآن من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله. ومن هذا المنطلق فليعمل المرء ما يغلب على الظن أنه سوف ينفعه في آخرته. وإنها لعبرة عظيمة نستلهمها جميعاً من هذه القصة ، وذلك بعد أن نقرنها بحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (الأعمال بخواتيمها). فلنعمل الصالحات مبتغين بها وجه الله تعالى!)

وأراك بالشـرع أنقى وأغنى	صدقيني ، هذا السراب سيفنى
ودليل على النهاية أسنى	عبرة هذي ، ليس يخفي صداها
لكن الصرعى قد أساؤوا الظنا	والقلوب تشـتاق للخير طبعاً
يجعلون لكل فسق شأننا	لم يزل أهل السوء في كل وادٍ
وغدا تنكيس المعايير فنا	ينفخون التضليل في كل فن
وأقاموا لكل نذل وزنا	رفعوا شأن التافهين ، فسادوا
وأرادوا الدنيا - لمن عاش - سجننا	صرفوا الناس عن بلوغ المعالي
والحياة بالهزل والعهر أنها	أوهموهم أن السوفول حياة!
وأضافوا للحال وهنا فوهنا	فأحالوا ظهر المعيشة رجساً
هكذا قولاً ، بل ولفظاً ومعنى	أقنعهم وهم أن الزناة نجوم
وحلث لمن عاش فيها السكنى	والبيوت لما يبثون هشت
والخمور تختال في كل مبنى	والبنايات بالموخير عجت
وطعاماً يسُد جوعاً وأمننا	والجواري ينشدن مالاً وماوى

قد أمنَ الجَلادَ يكوي ظهوراً
وأمنَ الكفوفَ تشوي وجوهاً
ولذا بغنَ الحُسنَ والعِرضَ بخساً
ولهنَ سُوقَ بكلِ النواحي
والبغايا يعرضنَ زيناً وشعراً
يا فتاةَ الإسلامِ هذي البلايا
ألهذا الحدَّ المقيتِ وصلنا
فرويداً إمّا أردتِ جواباً
واسألِي التاريخَ الذي لا يُحابي
واعلمي بالإسلامِ حتى تفوزي
تدخلينَ الجناتِ خيرَ مآبٍ
قد نصحتُ ، واللهُ يعلمُ قصدي
لا أمّنَ يوماً عليكِ ، لأنّي

وأمنَ رجماً يُديلُ المِجَنّا
إن مولى الأخلاقِ أمسى الجُبنا
والكرامُ قد أمطروهنَ لعنا
وفحولٌ يستعذبونَ الظعنا
والكلابُ تهوى الخنا والزينا
في الديارِ تُهدي المغاويرَ حزناً
صارحيني يا أختُ هل نحنُ هنا؟
واهدي نفسي نفساً ، ثم قري عينا
والفؤادِ استفتيه ، ثم الـذهنا
ثم صوني القرآنَ في القلبِ صونا
وتفوزينَ أختنا بالحُسنى
وأرى النَّصحَ مِن فؤادي دينا
مسالمُ النفسِ ، لا أحبُّ المنا

طاحونة الماضي

(كان هؤلاء الأهل ساذجين للغاية عندما زعموا أن فتى مؤمناً يمكن أن يحب فتاة جاهلية ، الإيمان منها برئ ، لها اسم وسمتُ الإسلام فقط. وليست تفقه من القرآن إلا رسمه ، كما أنها ليست تعرف من الإسلام إلا اسمه! ولكنه عشمُ الأهل وحديثهم إذ يمتد بهم التخيل لدرجة أن يزوجوا رضيعين! وراحوا يُمنون أنفسهم بزواجه منها ولو بإكراه كل من الطرفين ، غير أبهين بالذي يصبو إليه الفتى من الآمال والتطلعات. فكانت طاحونة تطحن أحداث الماضي وتغربلها ، لتخرج منها العبر والدروس! والأهل والراسخون في معرفة الفتى والفتاة للأسف يُصرون على المغالطة المكشوفة ، ويرون ذات الرؤية ويتصورون عن عمد ذات التصور. وهم يرون النتائج الوخيمة لمثل هذا كله. وذلك في مثل هذا التصرف في العوائل الأخرى المحيطة بهم! وأخرى بكل أب وأم أن يدرسا طبيعة ونفسية ابنهم أو ابنتهم ، وينبغي مناقشة كل منهما ومعرفة ميوله وشروطه في شريك الحياة ورفيق الدرب! فربما كان ذلك سبيلاً إلى تحري الدقة والسلامة!)

وغيادتكم تشتهي العولمة	يُريد الفتى زوجةً مسلمة
وبين فتاةٍ غدت مُجرمة	فشتان بين فتى مؤمنٍ
لأن اتبع الهُدى مكرمة	وليس يُعاب مُحب الهُدى
وباتت بباطلها مُغرمة	ولكن تُعاب التي أعرضت
وتوغل في السُّبُل المُبهمه	تُعربد في الأرض لا تستحي
لأن الخداع لهذي سِمة	وليس تحب الفتى لحظة
بأني كسرتُ رحي الخندمة	فبالنار لا تلعبوا ، واعلموا
لأنني أتوق إلى (مسلمة)	ولا تجعلوني لها ساعة
وبالحق أسحقُ هذا العَته	ويوماً سأطحن تهـريجكم
وذكراه في خاطري مؤلمة	وماضي بُنييـتكم مقرف
فلسـتُ أرى مثلهـا قيمـة	وقلبي لم يتعلق بها

اليتيم والوجه الآخر

(قسا عليه زوج أمه. وضعفت شوكة الأم عن الانتصار لهذا اليتيم ذي السنوات التسع. فترك البيت لأمه لتعيش وزوجها في أمان. إذ هو الحل الوحيد في نظره لتجنب كل المشاكل والصراع. حيث إن زوج الأم المراهق المختل التفكير يغار على زوجة من ولدها اليتيم. فكان من نصيب الفتى البائس أن يخرج من البيت ، ويلحق بأحد الرعاة فيرعى الغنم ثم يعود. لقد خصص الإسلام جزءاً لا بأس فيه للحديث عن أهمية رعاية اليتيم سواء من خلال الآيات القرآنية أو من خلال الأحاديث النبوية الشريفة ، أو من خلال الحكم والأمثال ووصايا الفقهاء والبلغاء والشعراء والأدباء المؤمنين. فاليتيم وخاصةً إن كان طفلاً يجب الاهتمام به ورعايته والتعامل معه بإحسان ولطف ، ذلك لأنه قد فقد والده أو والديه معاً ، وهو بحاجة إلى من يوفر له احتياجاته ، وبخاصة أيضاً لرعايته عاطفياً ومشاعرياً كتعويض عن فقد أهله ، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن اليتيم إنسان ضعيف ؛ فسيّد البشرية محمد صلى الله عليه وسلم فقد والده قبل أن يولد ، وفقد أمه في سن السادسة من عمره ، واستطاع حمل رسالة الإسلام ونشرها على الرغم من كل الصعاب التي واجهها. ومن هنا فإن اليتيم المسلم له أسوة فيه – صلى الله عليه وسلم – كنبى يتبع فيما جاء به من عند الله ، وكنبي يتيم لم يقف به يتمه عن حد ، ما بل جاوزه حاملاً عبء النبوة والرسالة والدعوة! إن واجب كل إنسان مقتدر من أقارب اليتيم أن يرعاه ، ويقدم له العون المادي ، وهذا في الشرع فرض كفاية ؛ فإن قام به بعضهم سقط عن البقية ، وإن لم يقدم أحد من أقارب اليتيم الرعاية له ، فسيحاسب يوم القيامة على هذا ، أما إن لم يتوفّر لليتيم أقارب يستطيعون رعايته فتنقل هذه المسؤولية لدار الإسلام التي من واجبها رعايته سواءً في منزله أو في دور رعاية مخصصة لذلك ؛ حيث نصحنا الإسلام بالإحسان إلى اليتيم حتى يبارك الله له في أبنائه ويجعلهم من الصالحين ، وهذا دليل على عظم أجر الإحسان إلى اليتيم. وتشمل رعاية اليتيم ما يلي: تقديم العون المادي ليستطيع توفير احتياجاته من مأكّل وملبس ومشرب ومصاريف التعليم تحت إشراف أمه إن كان يتيم الأب ، أو بإشراف أحد أقربائه من الذين تطوعوا لكفالته ، ليستطيع العيش مثله مثل باقي الأطفال الذين تتوفر لهم سبل الحياة الكريمة العزيرة. وخصّص الإسلام جزءاً من مال المسلمين العام لليتيم ، وهذا قد نراه واضحاً في استخدام هذه الأموال لبناء المؤسسات التي تُعنى بالأيتام ، ويجب على كل من يُخرج الزكاة أن لا ينسى أن لليتيم نصيباً شرعه الإسلام لهم. ويجب على الذي يقوم بتربية اليتيم أن يحافظ على ماله ، وأن لا يأخذ منه إلا بما شرع له الله ، وإن كان غنياً عليه أن يستعفف ، وإن كان فقيراً واحتاج شيئاً من ماله عليه إعادته لليتيم بعد أن يُغنيه الله. ويجب تقديم الرعاية النفسية لليتيم ، وعدم إشعاره بالنقص الحاصل لديه من الوالدين. هذا ولرعاية اليتيم فضلٌ يعود على صاحبه ، فعدا عن الثواب والأجر العظيم الذي سيناله في الآخرة ، فإن الله يعطيه في الدنيا البركة في أمواله وأولاده ، ويجعلهم بارين به ، فما أعظم من جبر خاطر اليتيم الذي فقد أعز الناس عليه ، وحرّنا عز وجل من الإساءة إلى اليتيم ؛ حيث قال: "فأما اليتيم فلا تقهر". ومن هنا كانت الحاجة ماسة للكتابة عن اليتيم للحث على الاهتمام به ورعايته شؤوناً ابتغاء وجه الله تعالى! ولقد تصفحت كثيراً من الدواوين الشعرية والكتابات النظرية ، فوجدت الاهتمام باليتيم والكتابة عنه وحث الآخرين على رعاية شؤونه يأخذ حيزاً ضئيلاً ، إذا قورن بموضوعات أخرى تقل عنه أهمية! الأمر الذي جعلني تقريباً أكتب عن اليتيم في كل ديوان لي! ولعلها همسة لطيفة ودعوة ظريفة ولمسة خفيفة ، لكل شاعر قدير جهبذ أن يحرص على أن يتبنى ذات القضية ، ألا وهي الكتابة عن اليتيم وتخصيص جزء من الديوان له. وإنني إذ أقول ذلك وأكتبه فإنني أفعل

ذلك ابتغاء وجه الله مخاطباً الشعراء ذوي الأحاسيس المرهفة والمشاعر الجياشة والعواطف النبيلة والخواطر الإنسانية! من القوم الذين ينشدون يبتغون بإنشادهم وأشعارهم الله عز وجل ورسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - والدار الآخرة. يكتبون ونصب أعينهم المحاسبة بين يدي الله! وقبل أن أبرح ساحة التقديم لهذه القصيدة ، أنتهزها فرصة وأوصي زوج كل ذات ولد ، أن يحسن إلى ولدها اليتيم! وإلا اختار زوجاً غير ذات ولد ، كيلا يقهر يتيمها ويكسر قلبها إن كانت ذات قلب! ألا إن إحسانه إلى يتيمها إحسان إليها وتقوية لصلته بالله تعالى ، ثم بها! ولن يضيع الأجر عند الله سبحانه وتعالى)

اليتم سربلني ، والبؤس والألم
والكرب يسرق من نفسي مباحها
والدمع في العين نهر ليس يوقفه
والقلب تغمره الأشجان موقدة
وزوج أمي أحال اليتم خندمة
في كل يوم يكيل الذل مُنتقماً
والأم تقعات في المأساة حيرتها!
تبيت تشكو إلى الرحمن محنتها
طوراً تلف على البلوى عبايتها
لتستريح ، وطوراً تشتكى شجناً
فإن خلوت بها كففت دمعها
وما بوسع يدي شيء أجود به
كلّ عليها أنا ، وإن ذا قدرتي
لكنه العيش أشواك مساربهُ
مطالب العيش أحنث ظهر والدتي
تناولتها بسوء في مجالسهم

والحزن يذبح إحساسي فيضطرم
وخمشت خاطري المُعذب النقم
كر السنين ، وفي بعض الدموع دم
نار المذلة ، يسعى خلفها الجحَم
من الصراع تُركي نارها التهم
ولا يرد على فعل العتيّ فم
ودمعها في مريع البؤس يتسجم
ويخطف النوم من أجفانها الندم
وتستكين لجرح ليس يلتئم
أهداه زوج بموت القلب يتسم
وذبت وجداً لحسن هده السام
حتى أبيد جحيماً بعضه الحمم
وإن أمي برّب الناس تعصم
وليس عبداً عن الحياة ينظم
وأثقلت دعاوى الناس والقصم
وأغلب الناس لا دين ولا قيم

حتى بصرتُ بها تلوك آهتها
فصِحتُ: يا أم لا تأسّي ، ولا تهني
واستمسيكي بعزّي الإسلام تنتصري
هزي إليك بجزع النصر ، واحتملي
والاحتياط لريب الدهر منقبّة
لا تياسّي: إن نصر الله موعداً
فارقتُ دارك يفري الحزن عاطفتي
أسير وحدي ، فلا خلّ يؤانسني
وكسرة أنت من زكّي مذاقتها
وفي الشمال ردا قد اشتراه أبي
وفوق ظهري خمّار زادني شرفاً
خمّار أمي وشيء من ملابسها
وبين كفيّ قد حملتُ مكحلة
فإثمذ الأم في أم الدجى لهب
يوماً أعود ، وربّي لن يؤخره
لم تبرحي خاطري الملتاع ، أنت له
ولم يغيب صوتك الصداح يطربني
أنّي أراك بـواد بت أسكنه
وعنك أحكي لأهل الحي قصتنا
حتى أقول لهم: أمي لقد غلبتُ

وليس تحملها في الغمّة القدم
ولا تخافي الذي يطغى ويجترم
إن المليك من الأفك من تقم
فإنما تغتذي بصبرك الهمم
ولا أظن التي تحتاط تنهزم
وإن تجمعت الجيوش والأمم
في ظلمة الليل لا بدر ولا نجم
إلا الهـ واجس والألام والظلم
أخذتها عليها في الجوع ثلثهم
عليه من ربنا الرضوان والرحم
يختال يدفني ، كأنه العلم
ذكرى وذكر به شتاتهم الشيم
لكي يُزال بها في غربتي السخم
ومرود الكحل في عين النوى نغم
قد استوى العيش - دون الأم - والعدم
أنس الحياة وماء العيش والدعم
كأنه في وجوم الغربة الرنم
والدار تشهد لي والزرع والغنم
فيسألون: هل استبيحت الخرم؟
صدقاً على أمرها ، وربنا الحكم

فأحسبوا إن ذكرتم شأن والدتي
وكنت آليث أن أحيالها سندا
أجودُ بالمال يكفي كل حاجتها
وأحملُ الأم - فوق الرأس - محتسباً
وأبذرُ الود في الأفاق يُفرحها
وأغرسُ الأمل المعطارَ يمنحها
وأفرشُ الأرض بالريحان يجعلها
وأستكينُ لأمي كلما انفلتت!
وأقسِمُ اليوم أني رهن شارتها
وأنصحُ الأم إن لاحت مُخالفة!
أذرُ نصحي بألفاظٍ مزخرفةٍ
وفي المواقف أعلي شأن خاطرها
أمي عرفتك للحقوق راعية
أمي حجابك لي نخرٌ ومفخرة
أمي سلمت من الطعون يُشهرها
أمي رعاك مليك الناس مؤمنة!
أمي عليك بتقوى الله ما بقيت
وسامحيني إذا ذكرتِ فرقتنا
أمرُ المهيمن ، ما ذنبي وما خطئي؟
أمي فلا تجزعي ، فالله أكرمني

إنني لتأسرني بحبها الرّحم
أكون خادمها ، والسادة الخدم
والابتسامة - فوق الكف - ترتسم
والبر نورٌ على درب الفتى تمم
ويَسطرُ الشعرَ - من قلبي لها - القلم
عز الحياة ، به الأشواقُ تزدهم
شذوياً يعانق نعليها ، ويلتزم
سخائم الصدر يُزكي جهلها اللمم
دوماً ، ومبرورٌ التصميم والقسم
باللين أنصَحُها ، ولسنتُ أختصم
وكم يُخفف زجرَ الناصح الكلم!
وإن رأييتُ قسوى الآراء تحتدم
رعايةً تجعل الظلامَ ينفحم
والمرءُ يحترم الفتاة تحتشم
نذلٌ لما يشتهي من الأذى نهم
وردّ حقك من مؤذيك مُنتقم
في الأرض نابتةً ، أو خُلقنت نسَم
بينني وبينك عقدٌ ليس ينفصم
وليس يُسأل عما يفعل الحَكَم!
وجودُ ربك أمرٌ دونه العِظَم

أهدى اليتيم إباءً بعد ذلته!
فأحمد الله من باليتيم جملني
وزادني رفعة ربي ، وأعلمني
يا أم فلتشكري من كان أخرجني!
له جميلٌ علي الدهر أشكره
لولا مناوأة قد كان يقصدها
ووجهه الآخر القاسي تعقبني
عزمتُ يا أم أن أعود مدرعاً

وأغدقت فوقه الأموال والنعم
حتى غدت خرمتي في الناس تُحترم
كتابه الحق ، نعم المنهج اللقم!
من لم يكن من فعال الطفل ينسجم
وهضم فضل الوري في ملتي جرم
لما رأني كرام الناس أبتسم
حتى عدالي من بين الوري شم
بالصبر ، ثم بهذا الوعد أختتم

ثباتاً أيها الثائر

(تحدث أحد المتنتهين إلي متعالياً متفاخراً بشيخه ، فقال: على يد من تتلمذ شيخك يا أخي؟ فقلت بكل صدق وإخلاص ويقين: على أيدي علماء السلف الكرام. فقال: هل سمع من أحدهم أو رآه أو التقت الركب في الركب؟ فقلت: بالطبع لا. فقال: إذن شيخك لا يستحق لقب الشيخ ، ومن لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه. فقلت (وقد علمت عن شيخ من يجادلني ما لا يعلم عنه): أما إنى لأعلم بشيخك منك ، وأقول سائلاً وأجيب لأنك لا تعلم: على يد من تعلم شيخك؟ ألم يكن قد اشترى سندويتش (واللفظ للشيخ) فإذا به قد لف في ورقة فيها نبذة عن علم الحديث. ومنها كانت البداية للتلمذة على أيدي علماء السلف ، دون التقاء أو تلاقي ، ودون احتكاك الركب في الركب! وبعدها خرجت المجلدات في الصحيح والضعيف من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. فالرجا هو الثبات والتروي والتثبت والتحقق أيها الثائر الجاهل. والأصل أن التلمذة على كتب العلماء طبعاً بشروط وبضوابط وقيود محددة ليست جُرمًا! وليس ذلك لكل من هب ودب! وإن كان الأفضل التلمذة وطلب العلم على أيدي العلماء! ولكن الذي بيته من زجاج لا يلقي الحجارة على الناس! وعلى المرء أن يعرف عن شيخه وعن تلقيه العلم وعن أشياخه وأساتذته قبل أن يتهم الآخرين).

لماذا تعاني مسـتنكفا	وبيني وبينك تزكـي الجفا؟
وتطعن في العلم مستكبرا	فهل طعن مثلك نعم الوفا؟
وهل نيل مثلك من جهبذ	سيؤزي به في أتون الخفا؟
فهون عليك ، ترفق بنا	وسائل شيوخك ، كن منصفا
ألم تكن الكذب أشياخهم؟	ألا إنها لمعين صفا!
فقل التشنج ، لا تنفعن	ولا تك فيما ترى مقرفا
ألمسى الكتاب لكم مصدرا	وأمسى لغيركم مصرفا؟
تلوك الحقائق مسـتهزنا	ألا يا معذب قلبي: كفي!
تثبت من القول تهذي به	وبعد تخير له الموقف
وجهد الشيوخ أقدره	وآن لشـيخي أن يعرفا

دموع القلب

(جادل ذلك المغني العالمي أحد أطفال الصومال ، وكان قد وقف ليبيع ترجمة معاني القرآن وبعض الكتيبات عن التعريف بدين الإسلام وبعض قنينات العطر والمسك ، على باب المسرح الذي أقيمت فيه حفلة ذلك المغني. وفي الختام جلس المغني بعض الوقت ، يتجاذب أطراف الحديث مع الطفل ذي السنوات العشر. وجلس المغني على الأرض سائلاً الفتى الداعية الصغير الكبير: (هل أنا الآن مثلك؟) فقال: (لا) فسأل: (ولماذا؟) فقال: لأنني مسلم ، أحب الرب ويحبني الرب ، وأنت كافر. فسأل: وماذا يعني هذا ، إننا كلنا نعبد الله. فعلق الفتى مجيباً: أنا أعبد الله ، وأنت لا تعبده ، بل تشرك به. وأضاف الفتى: سيدخلني الله جنته يوم القيامة ، ويدخلك النار. كما أنني لا يشرفني أبداً أن أكون مثلك لا في الدنيا ولا في الآخرة. ثم اشترى المغني ترجمة معاني القرآن بناء على اختيار الولد له. ثم في الطريق إلى بيته ، كتب على الكتيب ذكرى الشراء والمناسبة على عادة ذلك المغني المغرم بالكتب. ثم رمى بالكتيب على ظهر مكتبته ، حيث إنه يخالف معتقده الفاسد. وبعد عشرين سنة قرر المغني أن يتخذ بيتاً لأسرته في مدينة أخرى ، وقام العمال بنقل المكتبة ، وقام أحدهم بالبحث على ظهرها حيث وجد الترجمة. فلما وجدها المغني تصفحها ، وقرأ ما كتب وتذكر الصبي الصومالي ، فقرر قراءة الكتاب ، وبدأ دون قصد بترجمة معاني سورة المائدة ، فدخل الإسلام قلبه وأسلم. وتاب عما كان فيه ، وأبلى في الإسلام بلاء حسناً! فهل يتوب اليوم المغنون المفسدون في الأرض بعد إصلاحها ببعثة محمد - صلى الله عليه وسلم -؟ أورد هنا مقدمة طويلة عن التوبة والترغيب فيها لتمهد الطريق لمن ينشدها! على أن ذلك مكانه كتب الشريعة والرقائق والقلوب ، وليس ديوان شعر بالطبع! تحت عنوان: (طريقة التوبة من المعاصي) قال العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ما نصه: (قد بين الله في كتابه العظيم أنه سبحانه يقبل التوبة عن عباده مهما تنوعت ذنوبهم وكثرت ، كما قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). أجمع العلماء أن هذه الآية في التائبين ، وقد أخبر فيها الله سبحانه أنه يغفر الذنوب جميعاً لهم إذا صدقوا في التوبة إليه بالندم والإقلاع عن الذنوب والعزم على أن لا يعودوا فيها ، فهذه هي التوبة. ونهاهم سبحانه عن القنوط من رحمته وهو اليأس مهما عظمت الذنوب وكثرت ، فرحمة الله أوسع وعفوه أعظم ، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ). وقال في حق النصارى (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ عَفْوَ رَحِيمٍ). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الإسلام يهدم ما كان قبله ، والتوبة تهدم ما كان قبلها). والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. فالواجب هو الإقلاع عن جميع الذنوب ، والحذر منها ، والعزم على عدم العودة فيها ، مع الندم على ما سلف منها ، إخلاصاً لله وتعظيماً له وحذراً من عقابه ، مع إحسان الظن به سبحانه ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني). وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله). إنما التوبة تكون بالإقرار بما جددته أيها العبد ، وبعملك ما تركت ، فإذا كان الكفر بترك الصلاة فإن التوبة تكون بفعل الصلاة مستقبلاً ، والندم على ما سلف والعزيمة على عدم العودة ، وليس عليك قضاء ما تركته من الصلوات ؛ لأن التوبة تهدم ما كان قبلها. أما إن كنت تركت الشهادتين أو شككت فيهما فإن التوبة من ذلك تكون بالإتيان بهما ولو وحدك فتقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) عن إيمان وصدق بأن الله معبودك الحق لا شريك له وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله إلى جميع الثقيلين من أطاعه دخل الجنة

ومن عصاه دخل النار. أما الغسل فهو مشروع وقد أوجبه بعض العلماء على من أسلم بعد كفره الأصلي أو الردة ، فينبغي لك أن تغتسل وذلك بصب الماء على جميع بدنك بنية الدخول في الإسلام والتوبة مما سلف من الكفر. أما صلاة ركعتين بعد الغسل فلا تجب ، ولكن يستحب لكل مسلم إذا تطهر الطهارة الشرعية أن يصلي ركعتين لأحاديث وردت في ذلك ، وتسمى سنة الوضوء. وأما قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدادوا كُفْرًا). فليس معناها أن من زاد كفره أو تكرر لا يتوب الله عليه ، وإنما معناها عند أهل العلم ، استمراره على الكفر حتى يموت ، كما قال الله سبحانه في الآية الأخرى في سورة البقرة: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ). وقال تعالى في سورة آل عمران: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ). وقال أيضاً في سورة البقرة: (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). فقد أوضح الله سبحانه في هذه الآيات الثلاث أن حصول العذاب واللعنة وعدم القبول وحبوط الأعمال كل ذلك مقيد بالموت على الكفر ، وقد أجمع العلماء رحمهم الله على أن الكافر مهما تنوع كفره ومهما تكررت رده فإنه مقبول التوبة عند الله إذا تاب توبة نصوحاً ، وهي المشتملة على الإقلاع عن الكفر والعزيمة على عدم العودة فيه والندم على ما مضى ، وإنما اختلفوا في حكم من تكررت رده في حكم الشرع في الدنيا هل يقبل منه ويسلم من القتل أم لا تقبل منه ويقتل هذا محل الخلاف. أما فيما بينه وبين الله سبحانه فليس في قبولها خلاف إذا كانت توبته نصوحاً كما تقدم. والواجب عليكم أيها العصاة البدار بالتوبة الصادقة والضراعة إلى الله سبحانه والإلحاح في الدعاء أن يتقبل منكم وأن يثبتكم على الحق ويعيذك من نزعات الشيطان ووساوسه ، فإنه العدو اللدود الذي يريد إهلاكك وإهلاك غيرك كما قال الله سبحانه: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ). فبادروا إلى إرغامه بالتوبة الصادقة وأبشروا بالخير والعاقبة الحميدة والنجاة من النار وقبول التوبة إذا صدقتم في ذلك. وأوصيكم بالإكثار من ذكر الله وتسبيحه وتحميده وكثرة الاستغفار والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أفضل ذلك أن تكثر من كلمة التوحيد (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) ، ومن الكلمات الآتية: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم. كما نوصيكم أيضاً بالإكثار من تلاوة القرآن الكريم والتدبر لآياته ، فإن فيه الهداية لكل خير والتحذير من كل شر ونوصيكم أيضاً بمطالعة ما تيسر من كتب الحديث المعروفة مثل: (رياض الصالحين) و(بلوغ المرام) فإن فيها ما ينفعكم ويعينكم على الخير إن شاء الله). هـ. وتحت عنوان: (التوبة) يقول العلامة أبو إسحق الحويني ما نصه: (لا زلنا نعيش في رحاب القرآن مع عباد الرحمن ؛ الذين شرفهم الله بالإضافة إلى نفسه ووقفنا في أوصافهم عند قوله تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا). لقد وصفهم الله بعمل الخيرات واجتناب السيئات فهم (لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا

يَزْنُونَ). ومن فعل شيئا من هذه الكبائر (يلق أثاماً) أي جزاء ونكالاً (يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فهو عذاب مضاعف يكرر عليه ويغلظ ، وعذاب جهنم ليس يوماً ولا يومين ولا سنة ولا سنتين. إنه الخلود (وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا). ومع العذاب المادي ، هناك إهانة نفسية معنوية ؛ إنه يخلد في هذا العذاب حقيراً مهاناً ذليلاً ، مهما كانت مكانته في الدنيا فهو عند الله ذليل. هذا شأن من يرتكبون تلك الكبائر ، لكن هل سد عليهم الباب فلا رحمة ينتظرونها ولا عفو يرتقبونه؟ كلا فقد استنتى الله عز وجل (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا). هكذا فتح الله باب التوبة على مصراعيه ، وهذا من رحمة الله بعباده فهو سبحانه يعلم ضعفهم ، وما أودع فيهم من الغرائز ، ويعلم وسوسة الشيطان لهم ، علم الله ذلك ففتح لهم باب التوبة ، وهو سبحانه الذي سمى نفسه التواب وأخبر أنه (يحب التوابين ويحب المتطهرين). فلو شاء لخلقنا ملائكة لا نعصي ، لكنه خلقنا بشراً ، نصيب ونخطيء ، ونستغفر ونتوب فيتوب الله علينا ، فلا بد لأسماء الله الحسنى أن تعمل عملها ، فإن من أسماء الله تعالى: الغفار والعفو والتواب ، فإذا كان الإنسان متطهراً ، لا يذنب أبداً ، فعن من يعفو الله؟ وعلى من يتوب الله؟ ولمن يغفر الله؟ ولهذا جاء في الحديث الصحيح: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبا فستغفروا لذهب الله بكم ولجاء بكم يذنبون ، فيستغفرون فيغفر لهم". رواه مسلم عن أبي هريرة. ولهذا كانت الذنوب طبيعية من الإنسان غير الطبيعي أن يستمرئ الإنسان المعاصي ، وأن يستمر في طريق الذنوب ولا يرجع إلى الله ، هذا هو الخطر ، الخطر الاستمرار في الخروج عن الله ، الخطر في عدم اليقظة التي ترد الإنسان إلى الله بعد شروده! ولهذا كان هناك أشياء جعلها الله مطهرات ، ومكفرات للذنوب التي تقع من الإنسان ، أول هذه المطهرات: التوبة. والتوبة تغسل الإنسان من الذنب كما يغسل الماء الجسم من الوسخ ، إذا صحت بأركانها وشروطها ، فمن تاب تاب الله عليه (والتائب من الذنب كمن لا ذنب له). ولذلك سنل بعض السلف: هل إذا تبت تاب الله عليّ؟ قال: بل يا جاهل إذا تاب الله عليك تبت ، أما قرأت قول الله تعالى: (ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم). أي أن توبة الله عليك أسبق من توبتك إليه ، ومعنى توبة الله عليك أن يوفئك إلى التوبة ، ما دام قد حركك للتوب وتندم وترجع إليه ، فهذا دليل على أنه قد تاب عليك. إن آدم أب البشر أخطأ ونسي ولم يجد له الله عزماً ، ولكنه سرعان ما راجع نفسه ، وعاد يقرع باب ربه ، ويقول: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ، وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ، لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}. {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ، فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}. التوبة هي المحاة التي منحها الله للإنسان ، ليستطيع أن يغسل بها ذنوبه ومعاصيه ، وأن يتطهر بها من ماضيه ، وأن يتحرر من آثاره ، {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}. والله تعالى يقول في كتابه: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). فهم مذنبون ومسرفون على أنفسهم بمعاصي الله ، لكنه يقول: (قُلْ يَا عِبَادِيَ) أي لم يحرمهم من شرف العبودية لله والانتساب إلى الله ، فكل الذنوب تمحى بالتوبة حتى الشرك! (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ) ، والإمام الحسن البصري لما قرأ في سورة البروج قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ، فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ، وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ). فهم شقوا الأخاديد ووضعوا فيها النار، وحرقوا فيها المؤمنين ، والقرآن مع ذلك فتح لهم الباب باب التوبة ليتوبوا ، ثم لم يتوبوا ، فهل هناك أكثر من هذا؟ قال سبحانه الله فعلوا ما فعلوا ثم عرض عليهم التوبة. فليس هناك ذنب يستعصي على التوبة ، وعندنا في صحيح البخاري قصة الرجل قاتل التسعة وتسعين نفساً، وعندما ذهب إلى أحد العباد قال له: اذهب أنت ليست لك توبة ، فقال له: أنا ليس لي توبة سأكمل بك المائة ، فاليأس يجعل الإنسان يفعل ما يشاء ، وعندما ذهب إلى عالم لم يغلق في وجهه باب التوبة ، وقال

له انتقل فقط من قرية طالحة إلى قرية سالحة. إن التوبة ليست كلاماً يقال باللسان ، كما يظن بعض الناس حين يقول: تبت إلى الله ، ورجعت إلى الله ، وندمت على معصية الله ، وعزمت على طاعة الله. لا ... هذا ليس هو التوبة ؛ فالتوبة مزيج مُرَكَّب من عدة أشياء: أولها: الندم على معصية الله: كما سئل أنس: أقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الندم توبة؟ قال نعم). رواه أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر. أن يغمر القلب شعور بالأسى والحسرة على ما فرط في جنب الله ، شعور يشبه شعور الثلاثة الذين خُلفوا ، حين (ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إن الله هو التواب الرحيم). ضاقت عليهم الدنيا بسعتها وضاقت عليهم أنفسهم (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) هذا هو شعور التائب وهذا معنى الندم. الركن الثاني للتوبة العزم الصادق ألا يعود إلى الذنب: العزم على الطاعة ، وعلى ترك المعصية ، لا بد من هذه العزيمة الأكيدة فيكون التائب ساعة التوبة قاطع العزم كحد السيف ، حتى وإن زل بعد ذلك قد يغلبه هواه ، قد يستجيب للشيطان ، المهم ساعة التوبة العزم الأكيد ألا يعود للذنب. الركن الثالث للتوبة أن يقلع بالفعل عن الذنب: لأن التوبة رجوع عن المعصية إلى الطاعة ، وعن السيئات إلى الحسنات ، رجوع عن طريق الشيطان إلى طريق الرحمن ، فلا بد من تغيير الطريق ، وتغيير صحبة السوء كما قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً). والتوبة النصوح معناها الخالصة من الغش ، ليست توبة الكذابين الذين يتوبون بألسنتهم وقلوبهم مصرة على المعصية. ثم شيء آخر ، وهو أن يعمل صالحاً بالفعل ، مكان السيئات يبذلها حسنات وصالحات ، يُغَيِّر ما كان عليه ... فبدلاً من قول الزور يتكلم الحق ، إذا كان يغتاب المسلمين فليجعل من حسناته أن يدعو لهم ، وإن كان يؤذى الناس فليكن من حسناته تقديم النفع للناس ، بدلا من عمل السوء يعمل صالحاً ، بدلاً من بيئة السوء يُغَيِّرها إلى بيئة حسنة تقية ، بيئة سالحة ، تُساعده على فعل الخير. لا بد من هذا ... ومن هنا جعل القرآن بعد التوبة ... الإيمان والعمل الصالح: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا}. ونسأل: لماذا جعل الإيمان والعمل الصالح بعد التوبة؟ وقد قرن الله التوبة بالإيمان ، لأن المعاصي - وخاصة الكبائر- تخدش الإيمان وتجرحه ، "لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن". متفق عليه. فلا بد أن يُجَدِّد إيمانه بالتوبة ... وأن يعمل بعد ذلك صالحاً. فإذا استجمعت التوبة شرائطها فإن الله يقبلها كما قال تعالى: (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون). معنى قوله تعالى: "فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً". وفي معنى قوله "يبدل الله سيئاتهم حسنات" قولان: أحدهما: أن حياتهم قد تغيرت ، وأعمالهم قد تبدلت فهم قد تحولوا من حياة المعصية إلى الطاعة ومن الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنة ، ومن الرياء إلى الإخلاص. وقال عطاء بن أبي رباح: هذا في الدنيا يكون الرجل على صفة قبيحة ثم يبدله الله بها خيراً. وقال الحسن البصري أبدلهم الله بالعمل السيئ العمل الصالح وأبدلهم بالشرك إخلاصاً وأبدلهم بالفجور إحصاناً وبالكفر إسلاماً. والقول الثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بالتوبة النصوح حسنات ، وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر ، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار ، فيوم القيامة وإن وجده مكتوباً عليه فإنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته ، كما ثبتت السنة بذلك وصحت به الآثار المروية عن السلف رضي الله عنهم. فعن أبي ذر رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : (إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار وآخر أهل الجنة دخولاً إلى الجنة ، يوتى برجل فيقول نحوا عنه كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها. قال: فيقال له عملت يوم كذا: كذا وكذا وعملت يوم كذا: كذا وكذا. فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئاً. فيقال: فإن لك بكل سيئة حسنة.

فيقول: يا رب عملت أشياء لا أراها ههنا". قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه). رواه مسلم. ولكن ... ما الذي يُعجز الناس عن التوبة؟ ما الذي يُؤخرهم أن يتوبوا؟ هذه مسألة لا بد أن نعرفها. إن الذي يُؤخر الناس حقيقة عن التوبة عدة أمور: * أولها: التسويف الذي هو طول الأمل ... اعتقاد الإنسان أنه لا يزال له في العمر مُتسع ، وفي الحياة مدى بعيد. فابن العشرين يظن أن أمامه مُتسع ، ومثله ابن الثلاثين وابن الأربعين. كل إنسان عنده طول أمل ... وهذا للأسف يُضيّع على الناس فرص التوبة فمن الذي يدري أيعيش اليوم أم لا يعيش؟ من الذي يدري إذا خرج من بيته أيعود إليه حياً؟ أم يعود إليه ميتاً؟ أيعود إليه حاملاً؟ أم يعود محمولاً؟ * وثانيها الاستهانة بالمعصية ... الاستخفاف بها ، استصغار المعصية... يظن أن هذا شيء بسيط ، وهذا ليس من شأن المؤمن ، والقرآن يشير إلى هذا الأمر حينما تحدث بعض المسلمين عن حديث الإفك: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ، وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ، وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ: مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ). وجاء في الحديث: "المؤمن يري ذنبه كالجبل ، يخاف أن يقع عليه ، والمنافق يري ذنبه كذباب وقع على أنفه فقال هكذا وهكذا". رواه البخاري عن ابن مسعود. أي أطاره من على أنفه. وهذا هو الذي جعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يذهب إلى حذيفة ويستحلفه بالله ، هل ذكره له النبي من المنافقين أم لا؟ والعلماء يقولون: ما خشى النفاق إلا مؤمن ولا آمنه إلا منافق ، فالمنافق آمن على نفسه ، إنما المؤمن يخشى أن يكون داخلاً في المنافقين وهو لا يدري. ومرض بعض الصالحين ، فدخل عليه من يعود ، فوجده يبكي بكاءً حاراً ، فقيل له: يا أبا فلان... ما لك تبكي؟ وأنت الذي فعلت وفعلت... ما رأينا عليك حُرمة انتهكتها ، ولا فريضة تركتها... فقال: والله ما أبكي على ذلك ، ولكن أبكي لأنني أخاف أن أكون قد أتيت ذنباً أحسبه هيناً وهو عند الله عظيم. وقد قال بعض السلف: لا تنظر إلى صغر المعصية ، ولكن انظر من عصيت؟! وأما المانع الثالث فهو الاتكال على عفو الله: وهذه أمنية يبذرُها الشيطان في قلب بعض الناس: {يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا}. هكذا كان يفعل اليهود... يأخذون متاع الحياة الدنيا ويقولون: سيغفر لنا ، ينظرون إلى جانب العفو والمغفرة ، ولا ينظرون إلى جانب البطش والعقاب والانتقام والله تعالى يقول: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}. وكما قال الحسن البصري: كذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ، صحيح أن رحمته وسعت كل شيء ، ولكن لمن كتب هذه الرحمة؟ إنه يقول: {فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}. ويقول: {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}. فإذا نظر الإنسان إلى قوله تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ} ، فليكمل الآية {شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ}. * وأما المانع الرابع: فهو الاحتجاج بالقدر: وبعض الناس يقول: ربنا كتب عليّ هذا. هذه حقيقة ، فالله كتب مقادير كل شيء... لكن لا يجوز الاحتجاج بالقدر ، فنحن نرضى بالقدر ، ونؤمن به ، لكن لا نجعله حجة لنا ، وأهل الشرك هم الذين فعلوا ذلك ، حيث قالوا: (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا؟). (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ؟). فكيف عرفت أن ربنا كتب عليك هذا؟ وإن كنت عرفت هذا فيما مضى بحكم الوقوع ، فكيف عرفت في القادم أن الله كتب لك الطاعة أو المعصية؟ فهذا شأن الإنسان المؤمن يتأدب بأدب العبودية ، ولا ينسب المعصية إلى الله - عز وجل - وتحدث القرآن عن يستغفرون: (وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا). فهم اتهموا أنفسهم ، ولم يقولوا إن ربنا هو الذي فعل بنا ، لكنهم قالوا: نحن الذين

قصرنا فجرى علينا ما جرى. ينبغي أن نُسارع بالتوبة...ينبغي أن نُبادر فنراجع حسابنا مع الله عز وجل ، ونصحح أخطائنا ، ونقف على باب ربنا مُستغفرين تائبين ، نقول: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}. خير ما نخرج به من دنيانا توبة صادقة نصوح ، نكفر بها سيئاتنا ، ونغسل بها أوزارنا ، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}. هـ. وفي شأن التوبة يقول العلامة محمد أحمد لوح ما نصه: (قد أمر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وتابعيه وسلم بالتوبة والاستغفار. كما عند مسلم في صحيحه مرفوعاً: (يا أيها الناس توبوا إلى الله ، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة). وفي رواية عند البخاري قال: (والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة). فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وتابعيه وسلم وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ، فكيف بمن دونه من الناس؟! وقد تضافرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة على كل مسلم ومسلمة ، من جميع الذنوب والمعاصي بدون استثناء ؛ صغيرة كانت أم كبيرة. والتوبة هي الإقلاع عن الذنب من ترك واجب أو فعل محرم ، فهي الرجوع من معصية الله إلى طاعته سبحانه وتعالى. وكما أن لكل عمل من الأعمال شروطاً ، فإن للتوبة شروطاً كذلك قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا) أي: توبة صادقة ، ولتكون التوبة توبة نصوحاً كما قال تعالى وتكون مقبولة وصحيحة ، يجب أن يتوفر فيها شروط: فإن التوبة من الذنب على حالتين ، الحالة الأولى: أن يكون الذنب بين العبد وبين ربه سبحانه ، ولا يتعلق بحق آدمي آخر ، ففي هذه الحالة للتوبة خمسة شروط: الشرط الأول: الإقلاع عن المعصية ، من ترك واجب أو فعل محرم الشرط الثاني: الندم على فعلها بأن يشعر بالحزن على فعله لتلك المعصية ، ويتمنى أنه لم يفعلها ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: "الندم توبة" (صححه الألباني). الشرط الثالث: العزم على عدم الرجوع إلى ذلك الذنب ؛ أن تعزم بإرادة قوية في قلبك أن لا تعود أبداً إلى تلك المعصية مستقبلاً. الشرط الرابع: الإخلاص ، بأن يقصد بها وجه الله رغبة في مغفرته وثوابه ، وخوفاً من عذابه وعقابه ، ولا تصح التوبة إذا كانت خوفاً من عصا سلطان ، أو رغبة في جاه أو مال أو شيء من عرض الدنيا. الشرط الخامس: أن تقع التوبة قبل إغلاق بابها ، ويغلق باب التوبة عند الغرغرة ، كما قال تعالى: (وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ) ، وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر." (صحيح الترمذي). وكذلك عند طلوع الشمس من مغربها ، قال صلى الله عليه وآله وصحبه وتابعيه وسلم: "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه". وأما الحالة الثانية: إذا كان الذنب بين آدمي وادمي آخر، ففي هذه الحالة يجب أن يتوفر في التوبة ستة شروط ، الخمسة التي ذكرناها سابقاً ، والشرط السادس: أن يبرأ التائب من حق صاحبه ، فإن كان أخذ ماله رده إلى صاحبه ، وإن كانت غيبية محرمة استحله منها ، فإن فقدت التوبة أحد الشروط ، لم تصح ومن مسائل التوبة. * إنه قد يحدث للمسلم أن يتوب من ذنب ما ، ثم يمر عليه وقت و يقع في الذنب مرة أخرى بعد توبته منه ، فوقعه في الذنب لا يبطل توبته الأولى ، ما دام يأتي في كل مرة بشروط التوبة. *إن التوبة من بعض الذنوب دون الأخرى صحيحة على الراجح من أقوال أهل العلم ، فإذا كان الإنسان متهاوناً في الصلاة ولا يؤدي زكاة أمواله على الوجه الأكمل ، فتاب من تهاونه في الصلاة وأصبح يصلي بانتظام ، فتوبته صحيحة ، وتبقى عليه معصية وكبيرة عدم أداء الزكاة على الوجه الأكمل. *إنه لا يجوز أن يوصف الإنسان بذنب قد تاب منه ، وفي الحديث الثابت: "التوبة تجب ما قبلها". *إنه لا ينبغي للإنسان أن يظن

بنفسه السلامة من الذنب ؛ فإن ذلك من مكاييد الشيطان. قال صلى الله عليه وآله وصحبه وتابعيه وسلم: "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون." (حسنه الألباني). *إنه لا يجوز ارتكاب الحرام بنية التوبة ، فإن ذلك مما يسهل على الإنسان ارتكاب المعاصي بالحيل الباطلة. وكل هذا تلبيس من إبليس ، وكيد من مكانده لإيقاع الناس في الحرام ، وأنت أيها الأخ لا تدري متى يحين وقت رحيلك ، وهل بقي من عمرك فسحة للإقلاع من الذنب؟ فكم من شخص جاءته منيته وزجاجة الخمر في يديه! وكم من شخص جاءه قابض الأرواح وهو في طريقه إلى المعاصي؟ وينبغي على المسلم أن يعلم أن الجهر بالمعصية أخطر وأعظم إثماً من الإسرار بها ، قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وسلم: "كلُّ أمتي مُعافي إلا المُجاهرين وإنَّ من المُجاهرة أن يعملَ الرَّجُلُ بالليلِ عملاً ، ثمَّ يصبحُ وقد ستره اللهُ ، فيقول: يا فلان ، عملتُ البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبحُ يكشفُ سترَ اللهِ عنه". (متفق عليه). ذلك لأن المجاهرة بالمعصية فيه دعاية وإشهار للحرام ، والناس مفطورون على حب التوافق ومشابهة بعضهم بعضاً خاصة عند قصار العقول وضعاف النفوس ، فيزين لهم الشيطان ارتكاب الحرام ، فيكثر الفساد ويشيع وينتشر في أوساط المسلمين ، فمن ستر معصيته عن أعين الناس وستر نفسه معتزلاً بذنبه ، ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ووفقه للتوبة. *إن من الناس من قد أسرف على نفسه بكثرة الذنوب والمعاصي حتى غرق فيها ، ويرى أنه قد هلك بها ، فيدخله القنوط واليأس من رحمة الله ، وإذا تذكر التوبة أيس وظن أنه لا توبة له ، ومثل هذا نقول له: استمع - يا أخي المسلم المذنب - إلى هذا النداء الرباني ، نداء الرحمن الرحيم: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) وقال تعالى عن يعقوب: (وَلَا تَيْسَؤُوا مِن رُّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبِئْسُ مَن رُّوحَ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤُمُ الْكَافِرُونَ) ، وقال أيضاً: (وَمَن يَفْنُطْ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ). وقال تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا). وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وتابعيه وسلم: "لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون ، يغفر لهم". (رواه مسلم). وعلى عكس هذا من يرتكب المعاصي من السرقة والزنا وأكل أموال الناس بالباطل ، ومن التبرج والسفور ، حتى إذا نصح ، قال بكل ارتياح وطمأنينة: ربي غفور رحيم. فنقول: نعم صدقت ، إن الله غفور رحيم ، قال تعالى: (نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ). وقال تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون). نعم ربنا غفور رحيم ، لكن لمن اعترف بذنبه وتاب وآمن وعمل صالحاً ، وشديد العقاب لمن تكبر على الله تعالى ، وأصر على ذنبه ، وتهاون في الرجوع والتوبة ، وقد كان من تمام منهج الأنبياء والصالحين من عباد الله الجمع بين الخوف والرجاء ، فلا يؤخذ بالرجاء ويهمل الخوف ، أو العكس ، بل يؤخذ بهما معاً. قال تعالى - يمتدح عباده الصالحين -: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ). هـ. والحقيقة أن الفنان ممثلاً كان أم مغنياً أم راقصاً أم مخرجاً لأفلام السينما أم كاتباً للسيناريوهات الفاجرة تلك أم مصوراً لأهل التمثيل والغناء ، إذا أراد أن يتوب ويبرأ إلى الله من ذنوبه ، فإنه يدخل في هذا الشرط الإضافي ، وهو وجوب اعتذاره للناس أن كان سبباً في إغوائهم وصرفهم عن الإسلام كتاباً وسنة ومنهجاً في الحياة! ذلك أن هذا مما يتعلق بحقوق العباد ، وأن هو لم يجبرهم بصورة مباشرة ، ولكنه كان يوماً سبباً في صرفهم وصددهم عن سبيل الهدى والهداية! وليبشر بعد ذلك بر رضوانه إن هو حقق التوبة على هذا النحو ، فسوف يتوب الله عليه! عن أبي الزبير أنه سأل جابراً عن الورود؟ قال: (سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

يقول: نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس ، فيدعى بالأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا عز وجل بعد ذلك فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا عز وجل. فيقول: أنا ربكم ، فيقولون ، حتى ننظر إليه ، قال: فيتجلى لهم عز وجل وهو يضحك ، ويعطي كل إنسان منهم منافق ومؤمن نوراً وتغشاه ظلمة ، ثم يتبعونه معهم المنافقون على جسر جهنم ، فيه كلاب وحسك يأخذون من شاء ، ثم يطفأ نور المنافقين وينجو المؤمنون ، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر ، سبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء ، ثم ذلك ، حتى تحل الشفاعة فيشفعون حتى يخرج من قال: لا إله إلا الله ممن في قلبه ميزان شعيرة ، فيجعل بفناء الجنة ، ويجعل أهل الجنة يهريقون عليهم من الماء حتى ينبتون نبات الشيء في السيل ، ويذهب حرقهم ، ثم يسأل الله عز وجل حتى يجعل له الدنيا وعشرة أمثالها). رواه أحمد.

وَدَعَّ الْقَلْبُ الْهُوَى وَالْفَوْضَى	وغدا دمعي المعنى فيضاً
وانطلقت أرى الحقائق شمساً	فأحوز من كل معنى ومضاً
وأسلي روعي بحلو السجايا	وأرى قومي بالمعاصي مرضى
إننى قد خلقت خلقاً جديداً	بعض نفسي قد كان عادى البعض
وأراني للنور أسعى وحيداً	وأزكي للطيبات الركضاً
حق لي أن لا أستكين لهزل	ولعيني أن لا تذوق الغمضاً
إنني قد أبصرت رشدي ودربي	ومن العمر قد كفي ما تمضى
سيف عمري ماضٍ يحزُّ البقايا!	والمنايا من سيف عمري أمضى!
وكذا ريب الدهر يسعى حثيثاً	يقطع العمر والمدى والأرضاً
وأرى سوق الحياة مقاماً	وسيغدو - بين الورى - منفضاً
وأرى النصح واجباً ولزاماً	هو دَيْنٌ حتماً عليّ سيقتضى
أيها الناس: الفسق عارٌ عليكم	والذكي - صدقاً - به ليس يرضى
فخذوا مني عبرة ، واعقلوها	واخفضوا للفهم النوايا خفضاً
ربما أنستم بقولي رشاداً	حيث إنني قد بحثُ بوحاً محضاً
جُبتُ أرض المليك شرقاً وغرباً	ومسحتُ الأصقاع طولاً وعرضاً

وطعمتُ الذمما أشتهيه
وتمتعْتُ بالدنيا طويلاً
صدقوني فمما سعدتُ بعيشي
واعتقتُ الإسلام ديناً ودنيا
أسلموا يا أقوامنا ، واستجيبوا
تسعدوا دنيا وأخرى ، وتنجوا
إنني قد أبلغتكم ، وحسابي

ونفضتُ اللذاتِ بالكادِ نفضاً
وعضضتُ على القبائحِ عَضاً
بعدها قلتُ: إن هذي فوضى
ونهضتُ للعلمِ والدرسِ نهضاً
وأقيموا حدوده والفرضا
يارفاقي عَضوا عن الدرِ عَضاً
عند ربي ، أعذرتُ حتى يرضى

(سداسيات شعرية)

(طالعتُ ما يقارب 50 عدداً من مجلة (الشقائق) ، تلك المجلة النسائية. واستفدت منها وأنا الرجل ما لا أظن أن امرأة ما قد استفادته. وألفتها مجلة نسائية تربوية عظيمة جلية. فرحت أحييها وأحيي القائمين عليها بقصيدة سداسية أعبّر فيها عن مدى حُبي وإعجابي وتقديري لها. وظللت أنصح مجتهداً من حولي من محبي المقالات السوية المنضبطة بأدب العقيدة ، بأن يحرصوا على هذه المجلة العظيمة فاتبعوا نصيحتي. وهناك في معرض (إكسبو) اشتريت أعداداً فاتتني!)

سُر الفؤادُ ببدر في الدجى سطعا
والنفسُ تاقَت إلى أسمى فضائلها
والروحُ مِن فرحها بالنور ما غفلتُ
والعينُ قد سعدتُ جداً بما اطلعتُ
وأستيقظُ الأملُ الحاني يُسامرني
والخاطرُ الصادقُ الإسلامُ بارك لي
أما الضميرُ فَمِن أنواره خشعا
والشعرُ مذ أبصر الأنوار ما هجعا
والعقلُ داعبهُ الإيمانُ حيثُ وعى
وعزمُ قلبي مسرورٌ لَمَّا سمعا
يُهني العقلُ محبوراً بما اقتنعا
فوراً (شقائقنا) ، ثمّ المليكُ دعا

.....

هذي المجلة ظلّ في الهجير سرى
فالطهرُ ديدنها ، والصدقُ طابَعُها
على هدى الشرع ، لا أهواءَ مَن خبئوا
فما بها صورةٌ تزري بمنهجها
أما المقالاتُ فالتوحيدُ غايَتُها
نعم المجلة هذي في تعفُفها
وجدولٌ عبقُ بين الفيافي جرى
ما أصدق العملُ الفني إن طهرا!
هم في الحضيض ، وذي تُداعبُ القمر
لأن شِرعها تُحرّم الصُّورا
والشِعرُ ينضخُ في أوراقها الدُّرا
هي الرشادُ على بناتنا انتشرا

.....

إن الشقائق تُغني مَن تُطالعها
وتسخرُ الدهرَ مَن تنال سُمعتها
وتستفيدُ التي دوماً تُشايِعها
أو تستهين ، وعن عمدٍ تقاطعها

يا ذى النساء كفى جهلاً وعريدةً
أما شبعن من تضليل من فسقوا
طالعن ما قدمت نوراً (شقائقنا)
إني نصحت وأجري عند خالقنا

يا شؤم أفندة قد غاب وازعها
ذى فرقة خبثت ، وضل تابعتها
فازت وربى التي يوماً تبايعها
وليس في دارنا أخرى تضارعها

.....

المجرمون على تشويها درجوا
ولم يقيموا على الدعوى أدلتها
أما كفاكم أكاذيب وسفسطة؟
(وللشقائق) دينن في ضماننا
نذود عنها ، ولا نخشى جحافلكم
والنصر في كفة المظلوم مدخر

وجرحها في سويدا القلب يعتلج
لكنهم بالذي يشينها لهجوا
صنوان ما قلت والكذب ، يا همج
فداؤها في النزال المال والمهج
وفجر نصرتها لا بد يتباج
وكرب (غادتنا) والله منفرج

.....

يا ذى (الشقائق) إن الحرب تحتدم
فبيتي الحق ، واهدي كل حائرة
وصاحب الحق موعوداً بنصرته
أنت المبادئ في أنقى معالمها
إني أعيذك بالرحمن من شبيهه
يارب فاحفظ من البلوى (شقائقنا)

ونحن بالحق يا أختاه نعتصم
أنت المنار ، فلا تخيفك الظلم
وكل مدرع بالشر منهزم
فهل لغيرك منهاج ومعتلم؟
تغزو الصحافة ليست عنك تنبهم
إليك إن ولى الواشون نحكمتم

شموخ أمام بريق المال

(استغلت غناها هذه الحمقاء ، وغرّها منصبها وجاهاها ، في أن تلعب لعبة يلعبها اليوم كثير من أمثالها ، على الشعراء المرتزقة الذين يأكلون بأحاسيسهم وعواطفهم وأشعارهم تلك المأجورة. عندما يقبل الواحد منهم أن يتصرف في شعره ذلك التصرف الذي يذهب برونق الشعر ويؤزري بجمال المبادئ ، ويميت المشاعر. ولقد ساومت هذه الحمقاء أحد الشعراء المؤمنين بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد – صلى الله عليه وسلم – نبياً ورسولاً ، على أن تطبع له ديوانه الأول (نهاية الطريق) ، والذي حار في إيجاد نفقات طباعته! فعرضت عليه أن تطبعه طبعة فاخرة عليها التصاوير التي تناسب الشعر على حد تعبيرها العفن وتعبير مندوبها الحقير. فتضع تصاوير من الجاهلية بدرجة لا توصف: تصاوير للنساء ، لشعورهن لوجهن لسيقانهن لمفاتنهن ونحو ذلك (وأستغفر الله العظيم) ، على أن تعطيه ما يقابل أربعة آلاف دولار فأبى بكل استعلاء. فعرضت عليه أن يلقي القصائد في محفل نسائي متحضر متزين بزينات الجاهلية فاشتراط الرجل الحشمة والوقار والستر من جانب النساء ، كما أمرت الشريعة الغراء فأبت وقالت: إن لك المبلغ الذي اتفقنا عليه فقط! وليس لك أن تعلمنا ماذا نفع! وليس لك أن تشتراط علينا. فاستعلى الرجل بإيمانه ، وهذا نورده هنا عنه من باب التحدث بنعمة الله وفضله! وكان من جملة ما قال لها: خذي مني مثل هذا المال ووفري شرطي. فقالت: كيف وأنت لا تملك؟ فقال: أعني أن أنشد من أشعاري مجاناً! بمعنى أن المال الذي سوف أخذه أجراً أتركه لك! فأبت وسخرت. فكتبت هذه القصيدة أحكي عنه.)

حمقا يُعشعشُ في تفكيرها البطرُ	والكبُرُ ينفخها ، والعُجُبُ والخُدُرُ
مغرورة ، وبريقُ المال يملأها	زهواً تدل به ، كأنها القمر
بنس الجمال جمالٍ ليس تحفظه	- عن العيون التي تلهو به - الخُمُر!
تبرجتْ هذه الرعناء ، وانحدرتْ	إلى الحضيض ، فأردى عيشها البطر
واليوم في صافٍ جاءت تساومني	على القريض ، وقلبي فيه ينفطر
تقول: بعة ، وأنا سوف نطبعه	لكي تُرصّعه الزيناتُ والصُّور
من كل عصريةٍ باعتْ مفاتنها	وتلك تجعل صيتَ الشعر يشتهر
على الغلاف سيزهو ثغرُ غانيةٍ	وفي مراسمه المكياجُ يبتشر
وفي صحائفه سيقانُ فاتنة	تُجمل الشعر يهوى عُريها البشُرُ
تقول: ألق على النساء ما نقشتْ	يراعة الشعر ، فالرواق ينتظر
آلافنا عشرة واثنتان نافاة	هلم ، أنت إلى الأموال تفتقر

رفقاً بنفسك يا شمطاء ، وارتدي
إن الشموخ له - في خاطري - أرج
بريقُ مالكِ هذا لا بقاء له
والشعرُ يبرأ من أفعى تلوذ به
يا حيزبونُ كفي ما شدت من خبلٍ
ولا عفاف لمن باعت أنوثتها
بناتُ نهجك لا دينٌ ولا خلقٌ
يا دردبيس دعي المكياج واحتشمي
عارٌ عليكِ سبيلٌ ليس تسلكه
خلي العروبة ، هذي منك قد برئت
وأسلمي ، أنتِ بالإسلامِ جوهره
ولا تمسّي قريضاً عشت أنسجه
يكون نوراً إذا رويته بدمي
وإن أضاء دروب الناس أسعدني

فليس مثلي إلى التغيرير ينحدر
وعزة النفس في قلبي لها أثر
وليس لي في الذي تبغينه وطر
ترجي الفحيح الذي في ظله الخطر
هذي الزوابغ أتبعدها الماطر
عمداً ، ولم تغنها الآيات والعبر
وليس في القلب إحساسٌ ولا نظر
يأبى لك الهزل عُرف الدار والعُمر
سوى الرقيعة ، بئس المسلك الأشر!
ودربها عند عباد الخنا وعر
يغار منها السنا والبدرُ والسحر
ثوباً لأهل التقى ، وحبك قدر
ويؤنس المرء إن ضاقت به الحُفر
ونعم شعرُ التقى المستبشر العطر!

أيتامٌ على موائد النمام

(مات أبو الأولاد الأربعة. وطمع إخوته فيهم ونهروهم. وكانت مأساة من أعرب ما رأيت وسمعت. أعمامٌ قد بنى أخوهم الراحل مجدهم ، وأغدق عليهم ثلثي ماله وهو حي. ثم يفعلون هذا؟! ولقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في فضل كفالة ورعاية اليتيم: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وقال بإصبعيه السبابة والوسطى. والراوي: سهل بن سعد الساعدي. رواه البخاري. وقال: كافل اليتيم له أو لغيره ، أنا وهو كهاتين في الجنة. وأشار مالكٌ بالسبابة والوسطى. رواه أبو هريرة. صحيح مسلم. وكتب نجدة بنٌ عامرٍ الحروريُّ إلى ابنِ عباس - رضي الله عنه - يسأله عن العبدِ والمرأةِ يحضرانِ المغنمَ ، هل يُقسَمَ لهما؟ وعن قتلِ الولدانِ؟ وعن اليتيمِ متى ينقطعُ عنه اليتمُ؟ وعن ذوي القربى ، من هم؟ فقال ليزيد: اكتب إليه. فلولا أن يقع في أحموقةٍ ما كتبتُ إليه. اكتب: إنك كتبتَ تسألني عن المرأةِ والعبدِ يحضرانِ المغنمَ ، هل يُقسَمَ لهما شيءٌ؟ وإنه ليس لهما شيءٌ. إلا أن يُحديا. وكتبتَ تسألني عن قتلِ الولدانِ؟ وإنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لم يقتلهم. وأنت تقتلهم. إلا أن تعلمَ منهم ما علم صاحبُ موسى من الغلامِ الذي قتله. وكتبتَ تسألني عن اليتيمِ متى ينقطعُ عنه اسمُ اليتمِ؟ وإنه لا ينقطعُ عنه اسمُ اليتمِ حتى يبلغَ ويؤنس منه رُشدٌ. وكتبتَ تسألني عن ذوي القربى ، من هم؟ وأنا زعمنا أنا هم. فأبى ذلك علينا قومنا. رواه يزيد بن هرزم. صحيح مسلم. وعن ابن عباس لما نزلت هذه الآية: {ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن} ، و{إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً} قال: اجتنب الناس مال اليتيم وطعامه ، فشق ذلك على المسلمين ، فشكوا ذلك إلى النبي فأنزل الله: {ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير} إلى قوله: {لأعنتكم}. رواه ابن عباس ، وهو حديث حسن. صحيح النسائي. هذا ، وذكر أدب اليتيم عند عائشة رضي الله عنها فقالت: إني لأضرب اليتيم حتى ينبسط. روته شمسية بنت عزيز بن عامر المحدث. وهو مذكور في الصحيحة للألباني. وأيضاً قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله ، وما هن؟ قال: الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات). رواه أبو هريرة. صحيح البخاري. وأيضاً روى أبو هريرة أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول: {وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ}. أنزلت في والي اليتيم الذي يُقيم عليه ويصلح في ماله ، إن كان فقيراً أكل منه بالمعروف. صحيح البخاري. وما ردَّ ابن عمر على أحد وصيته. وكان ابن سيرين أحب الأشياء إليه في مال اليتيم أن يجتمع إليه نصحاه وأولياؤه فينظروا الذي هو خير له. وكان طاوس إذا سئل عن شيء من أمر اليتامى قرأ: {والله يعلم المفسد من المصلح}. وقال عطاء في يتامى الصغير والكبير: ينفق الولي على كل إنسان بقدره من حصته. رواه نافع مولى ابن عمر. صحيح البخاري. وعن عائشة رضي الله عنها: في قوله تعالى: ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف. أنها نزلت في والي اليتيم إذا كان فقيراً: أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف. صحيح البخاري. وعن عائشة ، في قوله: {وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ} ، قالت: أنزلت في والي مال اليتيم الذي يقوم عليه ويصلحه. إذا كان محتاجاً أن يأكل منه. رواه عروة بن الزبير المحدث. صحيح مسلم. وعن يرفاً مولى عمر بن الخطاب قال: قال لي عمر بن الخطاب: (أنزلت مال الله تعالى مني بمنزلة مال اليتيم ، إن احتجت إليه أخذت منه ، فإذا أيسرت قضيت). صحيح. وروى أبو هريرة أن رجلاً شكاً إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قسوة قلبه فقال: (امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين). صحيح. وأيضاً قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا). صحيح. وروى أنس بن مالك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (اتقوا الله في الصلاة ، اتقوا الله في

الصلاة ، اتقوا الله في الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيماكم ، اتقوا الله في الضعيفين: المرأة الأرملة ، والصبي اليتيم). صحيح. وروى أبو هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ، أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا). صحيح. وعن ابن عباس في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا} قال: كان يكون في حجر الرجل اليتيم ، فيعزل له طعامه وشرابه وأنيته ، فشق ذلك على المسلمين ، فأنزل الله عز وجل: {وَإِنْ تَخَالَطُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ} في الدين فأحل لهم خلطتهم. حديث حسن. وروى أبو الدرداء أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أحب أن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم ، وامسح برأسه ، أطعمه من طعامك ؛ يلن قلبك ، وتدرك حاجتك). حسن. ومثله عن أبي الدرداء: (أدن اليتيم منك ، وأطفه ، وامسح برأسه ، وأطعمه من طعامك ، فإن ذلك يلين قلبك ، وتدرك حاجتك). حسن. وسئلت عائشة رضي الله عنها: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}. قالت: (هي اليتيمة في حجر وليها ، فيرغب في جمالها ومالها ، ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة نساءها فنهوا عن نكاحهن ، إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق ، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء). قالت عائشة: ثم استفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأنزل الله عز وجل: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ}. قالت: (فبين الله في هذه أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال ورغبوا في نكاحها ، ولم يلحقوها بسنتها بإكمال الصداق ، فإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء ، قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها ، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها ، إلا أن يقسطوا لها الأوفي من الصداق ، ويعطوها حقها). صحيح البخاري. قال القرطبي: "روي أنها نزلت في رجل من غطفان يقال له: مرثد بن زيد ، ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير ، فأكله ، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية ، قاله مقاتل بن حيان ، ولهذا قال الجمهور: إن المراد الأوصياء الذين يأكلون ما لم يباح لهم من مال اليتيم ، وقال ابن زيد: نزلت في الكفار الذين كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار ، وسُمي أخذ المال على كل وجهه أكلاً لما كان المقصود هو الأكل ، وبه أكثر إتلاف الأشياء ، وخصّ البطون بالذكر ؛ لتبيين نقصهم ، والتشنيع عليهم بصد مكارم الأخلاق ، وسُمي المأكول ناراً بما يؤول إليه ، كقوله تعالى: (إني أراني أعصر خمراً) ؛ أي: عنبا ، وقيل: ناراً ؛ أي: حراماً ؛ لأن الحرام يوجب النار ، فسماه الله تعالى باسمه. وروى أبو سعيد الخدري ، قال: حدثنا النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ليلة أسري به قال: (رأيت قوماً لهم مشافر كمشافر الإبل ، وقد وُكِّل بهم من يأخذ بمشافرهم ، ثم يجعل في أفواههم صخرًا من نار يخرج من أسافلهم ، فقلت: يا جبريل ، من هؤلاء؟ قال: هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً). هـ. فدل الكتاب والسنة على أن أكل مال اليتيم من الكبائر ، وقال - صلى الله عليه وسلم -: (اجتنبوا السبع الموبقات) ، وذكر فيها: (وأكل مال اليتيم). يقول الدكتور وجيه الشيمي: "وقد اقتضت حكمة الله أن يولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتيمًا ؛ ليكون ذلك شرفاً لليتيم ، ومواساة للأيتام ؛ قال تعالى: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) ؛ لذا قال الحق - عز وجل - في نفس السورة: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ). وشكر الله للدكتور وجيه الشيمي هذا الاستدلال! ونعود للأيتام الأربعة ناصحين ودالين لهم على الحق والخير! أيها الأيتام (استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين). واذكروا أن نبيكم كان يتيمًا! والشافعي وأحمد كانا يتيمين! ويا أيها القانمون على اليتامى أقول لكم: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين). إن من الفساد ظلم الأيتام وأكل مالهم والتنكر لهم وقهرهم. اعلم أيها الوصي ويا أيها الكفيل لليتيم أنك يمكن أن تموت من ليلتك ، وتترك صغارك لوصي آخر! والأيام دول ، فأحسن للأيتام اليوم ، ليحسن لأيتامك (عيالك) غداً. والعاقل من أثرت فيه الموعدة وأخذت طريقها إلى قلبه. ويا أيها الأعمام عجيب أمركم ، إذا كان أخوكم أبو الأيتام لم يقصر يوماً في حقكم ، بل أقام لكم المجد ، وضحى بالكثير من أجلكم فردوا الجميل! ويا أيها الله يجب أن تردوا الجميل مضاعفاً!

ذلك أن هؤلاء الأيتام لو كانوا أغراباً لتعين عليكم رد جميل أبيهم! أما وأنتم أعمام فأين هي العمومة والجميل؟ إنه ينبغي عليكم رد جميل أبيهم مرتين: الأولى بما بذل لكم من المعروف في حياته ، فلقد فضلكم عليهم وعلى مستقبلهم ، وبنى لكم المجد والسؤدد! والثانية أنهم أبناء أخيكم! فيجب أن تقوموا بواجبكم حيال أبناء أخيكم الذين أصبحوا أيتام! وأنا شخصياً كنت أتمنى أن يكون عنوان هذه القصيدة: (أيتام على موائد الكرام) بدلاً من هذا العنوان! ولكن كيف والأعمام الأوباش الأراذل الحثالة الجبناء خذلوا أخاهم في أولاده ولم يخلفوه فيهم؟!)

لن تراعوا فاسترجعوا في المصاب
قدراً هذا يا صغاري ، وحتّم
كل حي له لحبظة موتٍ
آه ما أقسى أخذة الموت هذي!
وأبوكم لسابق العمر أفضى
ذهبَتْ لذات الحياة ملياً
أكمّلوا مشوار الحياة غلاباً
قاوموا عيشاً ليس يرحمُ يتمّاً
واضربوا في الأرض التي لا تحابي
إنما الدنيا شدة وبلاءً
واخضراً يطوي صداه اصفرارٌ
وظموحاتٌ يجتنيها مداها
وبلاءاتٌ ترتديها ثياباً
أنتم اليوم يا صغاري أسارى
حصدوا مجهود الفقيد أبيكم
وشقي الأوغاد لَمّا يسوفُ
وأراهم تقاسموا كل شيءٍ

واصبروا ، إن الصبر عونُ الصعابِ
خط قسراً على جميع الرقاب
ورحيلٌ مسطرٌّ بكتاب
إن فيها للمرء فصل الخطاب
ولقاء الأموات يوم الحساب
وكان الحياة بعضُ سراب
كفكفوا دمعاً في عيون المصاب
واحقرروا قوماً في أتون الخراب
وامخروا بالتقوى عتبي الغباب
ومشيبٌ يسعى وراء شهاب
وأمانٍ تموت خلف الحراب
وقطيعٌ يسيرٌ وفق الركاب
كالحات - بالرغم - تحت الجباب
وخماة الأغلال بعضُ ذئاب
وهو حي ، فكيف بعد الغياب؟
بل تمادى في الكيد مثل العقاب
وعليكم قد صب جام العذاب

أَعْلَنُوهَا ، لَمْ يَسْتَحُوا مِنْ فِعَالٍ
هَكَذَا الْأَعْمَامُ اللَّئِيمُ اسْتَبَدُّوا
كَلِمَا صَاحُوا: نَبْتَغِي عَطْفَ عَمٍّ
وَعَلِينَا - بَيْنَ الْمُخَالِقِ - يَحْنُو
وَيُرِيدُ الْمَأْوَى رِضِيًّا هَنِيئًا
لَيْسَ يَرْجُو سِوَى الْجَنَانِ جِزَاءً
لَيْسَ يَرْجُو إِرْثًا زَهِيدًا حَقِيرًا
لَيْسَ يَرْجُو مِنْ أَيْمٍ لَيْنَ قَوْلٍ
لَيْسَ يَسْعَى لِمَنْ تَمْنِيهِ تَكَلَى
لَا يَمْنِي بِعَشْقِهَا مَقْلَتِيهِ
إِنَّمَا عَفَّ يَنْشُدُ الْأَجْرَ دَوْمًا
أَيُّهَا الْأَعْمَامُ: اغْرَبُوا ، وَدَعُونَا
لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ طَعَامًا ، فَتَامُوا
سَوْفَ نَحِيَا عَلَى الْكَفَافِ كِرَامًا
وَهَنِيئًا لَمَّا افْتَرَيْتُمْ عَلَيْنَا
وَلَنَا اللَّهُ الْخَالِقُ الْمُتَعَالَى

يَسْتَحِي مِنْهَا جَدَّ جَيْشِ الذُّبَابِ
وَاسْتَكَانَ الْأَيْتَامُ خَلْفَ السَّبَابِ
يَجْتَبِينَا ، يَقُودُنَا لِلصَّوَابِ
يَبْتَغِي عِنْدَ اللَّهِ عَذَبَ الثَّوَابِ
فِي جِوَارِ نَبِيِّتِنَا وَالصَّحَابِ
وَدَخُولِ الْجَنَاتِ حَسَنُ مَأْبِ
إِنْ هَذَا يَحْلُو لِعَيْنِ الْغَرَابِ
وَرَعَّ عَنِ الْأَفْعَالِ بَعْضُ الْكَلَابِ
لَا يَنْجِي فِي الْكَفِّ نَقْشَ الْخُضَابِ
لَيْسَ يَسْعَى - كَلَا - لِشَهْدِ الرُّضَابِ
مِنْ مَلِيكَ يَعْطِي بَغِيرَ حَسَابِ
إِنَّنَا نَحِيَا بَيْنَكُمْ فِي اغْتِرَابِ
وَكَذَا لَا نَرْجُو بَعْضَ الشَّرَابِ
ثُمَّ نَلْقَى عَمْدًا سَعِيرَ الْعِتَابِ
إِنَّمَا - صَدَقًا - كَيْدُكُمْ فِي تَبَابِ
جُودِهِ سَامٍ مَسْتَتِيفُ الْجَنَابِ

من إفرات الاحتضار

(إن الترهل والتردي في مزابل الماسون وفي زرائب الجاهليين ، سبيل إلى الاحتضار الذي يُفسي بدوره إلى الموت. وتكون له بالطبع مطية ذلولاً كل أمة تنكبت هدى الله تعالى وتنكرت لخير شريعة والتي هي شريعة الإسلام. ويا للخيبة: هوانٌ في الدنيا وكيونةً بنيسة في ذيل الأمم والشعوب والحضارات ، وعذابٌ في الآخرة! وإن شاعت الأمة ثابت وأنابت إلى ربها وطبقت الإسلام عقيدة وشريعة وشعيرة ، مصحفاً ومسجداً وسيفاً ، عبادة وريادة وقيادة. وتحت عنوان: (نبراس الأمة في التميز الحضاري) يقول الدكتور إبراهيم بن ناصر الحمود ما نصه بتصريف: (لا ريب أن كل أمة تعتر بحضاراتها التي هي عنوان تقدمها ورقيتها ، وإنما تستمد الأمة الإسلامية هذا التميز الحضاري من خلال معالم ثقافتها الإسلامية ، فهي مثابة الأفكار والتصورات التي يبني الإنسان المسلم عليها وجوده في هذه الحياة - لا سيما وأن الثقافة الإسلامية تستمد تلك الرؤى والأفكار من مصدرين أساسيين مهمين هما: الكتاب والسنة ، ثم يأتي بعد ذلك ما للأمة من تراث وتقديرات ، إضافة إلى ما استفادته من تجارب الأمم الأخرى مما لا يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي. وإن التزام الأمة بهذا التواصل ليضمن لها تقويم ثقافتها الذاتية وأصالتها على مستوى الأفراد والجماعات. وكلما ابتعدت الأمة عن تلك المصادر الأساسية ، أو أخلت بشيء منها لا يمكن للأمة أن تثبت وجودها الحقيقي - إذا هي فقدت شيئاً من ذلك لأنها تكون قد فقدت قيمها وأخلاقها الإسلامية ، أو تناسلت لغتها وتاريخها في هذه الحياة. وإذا أردنا البحث عن أهم الأسباب التي تحول دون تميز الأمة في حضاراتها في العصر الحاضر ، لتبين لنا أن من أهم ذلك تدخل عدد من الروافد الأجنبية في بناء المجتمع الإسلامي ، ما يطفئ شعلة التميز والقيادة في تلك الحضارة. ومعلوم أن الدين الإسلامي جاء - والحمد لله - مهيمناً على ما سبقه من الملل والنحل ، ولهذه الهيمنة صلة وثيقة بمسألة التميز التي ينشدها المجتمع الإسلامي ، الذي يرفض أن يكون تابعاً ذليلاً لغيره أو مقلداً أو مقتبساً من حضارة أخرى ، فهذه الأمور إن وجدت ، فما هي المتمات لأصول التميز القائمة وروحه الساندة ومناهجه الثاقبة. فالمأمول لهذه الحضارة الإسلامية في الحال والمستقبل أن تكون ذات قيادة مستقلة بنفسها ، ومستمدة تعاليمها من القرآن والسنة إذا هي أرادت التميز الحقيقي ، وعلى غيرها من الحضارات أن تنضم إلى مركب القيادة والتوجيه ، لتكون حضاراتنا الإسلامية في مقدمة الركب ، وحق لها ذلك ما دامت ثابتة وراسخة على قواعدها الأصولية لم تتغير أو تتبدل ، إذ كيف يليق بثقافة تنتسب إلى هذا الأصل المنيع والركن الرشيد ، ثم هي تقلد سواها أو تكون في موقع الاقتباس والتقليد؟! وتأكيداً لهذا المعنى يقول الله تعالى في محكم التنزيل: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق. لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون). هكذا يبين الله تعالى الخيرية التي تميزت بها هذه الأمة من خلال كتابها والتحاكم إليه ونبذ الأهواء المضللة خشية الفتنة والتفكك والاضطراب! فالحق واحد وطرق الضلال متعددة ، وركون كثير من الناس إلى سلطان الهوى ، والبعد عن الهدى من أهم معوقات التميز الحضاري في العصر الحاضر. وما ذاك إلا بسبب الجهل بمقاصد التشريع الإلهي ، حتى جلب أولئك لأمتهم شيئاً من توابع الذل والانتكسار ، ووصفهم بالفسق في قوله سبحانه في سياق تلك الآيات: (وإن كثيراً من الناس لفساقون). وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد ميز هذا الإنسان عن غيره من المخلوقات بهذا العقل البشري الذي يعرف به الحق والباطل ، والخير والشر ، فإن هذا العقل

يحتاج إلى الغذاء المناسب حتى يعطي وظيفته على الوجه الأكمل ، وهذا الغذاء يستمد من القيم الحقيقية لثقافتنا الإسلامية ، وأصولها المباركة ، لينعكس أثر ذلك على التميز الحضاري لهذه الأمة وواقع حياتها العملية ، فيكون المجتمع مجتمعاً تسوده روح المحبة والتعاون والقيم الفاضلة ، وتلك خصوصية لثقافتنا الإسلامية ، وينبغي أن يوجد هذا التميز وتلك الخصوصية في كل وقت ، فلا تحدد بزمان معين ؛ لأن رسالة الإسلام رسالة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وعامل الثقافة الإسلامية عامل مهم جداً في رسم المنهج السليم لحضارة الأمة ، لأنها قلبها النابض ولباسها المنيع الذي يحميها من زيف وضلال الحضارة الغربية. ومن هنا ندرك أن الثقافة الحقيقية التي لها أثر في بناء حضارة الأمة ثقافة واحدة ، وهي الثقافة الربانية التي تستمد رسالتها من الوحي الإلهي وفيها سعادة البشر! وما عداها فهي من الجاهلية الأولى التي همها النهب والسلب والاستعمار كما هو الحال في الاستعمار الغربي الذي من أهم أهدافه: زعزعة العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين ، إدراكاً منه أن التمسك بالعقيدة سبب بناء الأمة المسلمة ، وزعزعتها وتحطيمها في نفوس سبب لتدميرها. والواقع اليوم يشهد لذلك ؛ فنحن نرى آثار الاستعمار في تلك الأجيال المسلوقة الإرادة ، بل منها من فقد هويته حتى صار تبعاً لغيره عاجزاً عن تحقيق شخصيته المسلمة ، وهذه نتيجة حتمية لكل مجتمع يفقد ثقافته الأصلية. ولا أحد ينكر أن واقع ثقافتنا اليوم يحتاج إلى مزيد من العطاء ممن ينتسبون إليها من رجال الفكر والأدب ، بحيث نحقق الاكتفاء الذاتي الذي يحفظ لنا كيان تلك الثقافة. ولنجعل من الشعوب التي فقدت قيمها وأخلاقها ، خير دليل على تأثر الحضارة بالبعد عن معالمها وأصولها التي تبني عليه ، ما يجعل هذا التأثير السلبي يصيب الأمة بالخلل في حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وهذا هو سبب التأخر الحضاري لدى أمة من الأمم. ولقد كان من نتائج الخروج عن أصول الثقافة الإسلامية والعربية أن انهار أكبر حصون التحصين الثابتة في المجتمع ، ما حدا بالمجتمع إلى أن يعيش فترة من الجمود والتعطيل ، لكونه وقع بين فكين: أحدهما حضارة غربية مستوردة والآخر عامل أصيل متجمد ، ومتى استمر الوضع على هذه الحال فإن عملية النهوض بثقافة الأمة تكاد تكون مستعصية ما لم يهيئ الله لها من يأخذ بيدها من مفكري الأمة ، أصحاب العقول الراجحة الذين يعرفون للحياة مطمئنة قيمتها. ومن مظاهر التقدم الحضاري الذي يشهده المجتمع المسلم ما يتعلق بأنواع التقنين الحديثة المعلوماتية التي بدأت تنتشر في كل قطاع أو مؤسسة ، بل وعلى مستوى الأفراد ، حيث أصبح لا غنى للفرد عنها اليوم لتنظيم حياته وأولوياته ، إضافة إلى ذلك تجد الكثير ممن كانوا يسكنون الوادي ، ويمارسون الحياة البدائية ، قد تولوا عدداً من المناصب التي تؤهلهم لتغيير أنماط السلوك في المجتمع ، وفق الشريعة الإسلامية بعيداً عن عادات وتقاليد الجاهلية الأولى. فعلينا أبناء هذه الأمة المسلمة أن نسرع إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه من جوانب حضارتنا اليوم ، ونأخذ بها إلى شاطئ الأمان بعيداً عن عوامل الغزو الفكري الثقافي ، وما أكثره اليوم ، بل التنافس فيه قائم على حساب ثقافتنا الإسلامية. وإن مما يعين على إنقاذ تلك الحضارة في ظل قيمنا الإسلامية وفق متطلبات العصر أن تسلك مسلك التوسط والاعتدال في التعامل مع تلك القيم والمبادئ ، إذ إن التطرف والغلو من أشد العوامل فتناً بحضارة الأمة ، وإنزال أنواع الذل والهوان التي تصيب العباد والبلاد ، وما نشأ ذلك الغلو وذلك التطرف إلا بسبب القوى الداخلية التي ابتعدت عن عقيدتها ، ما سهل للاستعمار السيطرة والهيمنة على مقدرات الأمة حتى فقدت الكثير من معالم حضارتها الإسلامية حيث أراد الاستعمار طمس تلك المعالم. وما أن أحست الأمة بالخطر القادم الذي يهدد حياتها وحضارتها حتى اتجهت إلى نزعة جديدة شغلتهما عما هو أهم ، ألا وهي النزعة المادية ومن هنا غاب معظم القيم من حياة الأفراد والمجتمعات ، ولم تعد حياتهم قائمة على أي نوع من

التعالى والمثالية. فأملنا فى ثقافتنا الإسلامية اليوم أن تأخذ بزمام الحضارة إلى بر الأمان بعيداً عن مظاهر الفوضى والانحراف ، وألا تترك مجالاً لتلك القوى المادية لإشباع رغباتها على حساب قيمنا وأخلاقنا التى هى عنوان حضارتنا الإسلامية، وأن نكرس جهودنا فى سبيل الحفاظ على مقدراتنا التى أساسها وحدة الإيمان والعقيدة الصحيحة بعيداً عن الطغيان المادى الذى يفقد الإنسان إنسانيته ، ومتى بنى الإنسان حضارته على قيمه وأخلاقه الإسلامية فإن هذا البناء لن يقهر بإذن الله ، وسيظل شامخاً إلى الأبد فى مواجهة التبعية من أجل تمييز حضارى مرموق لا يتغير ولا يتبدل).هـ. ولا شك أن ليل التبعية قد طال! ولا ريب أن فجر الخروج عن طوق الذل والهوان قد غاب وتأخر! ولا مُشاحة فى أن سفينة الحق تمخر عُباب الماء ، وسط حنادس الظلم وغياب الدياجير من حولها ، ونسأل: متى يقال: أيتها الأرض ابلى ماعك ، ويا أيتها السماء أقلعي عن إنزال الغيث ، ومتى يُقال: يا أرض ابلى ماعك ، ومتى تستوي سفينة الحق على جودي النصر ، ومتى يُقال للطواغيت: بُعدا للقوم الظالمين؟! عسى الله أن يكون ذلك قريباً. فلقد أوشك أهل الإيمان أن يياسوا لولا بقية الإيمان وأثارة العلم ، وأمل كبير فى رب العالمين وحسن ظن به سبحانه!

طال المرارُ ، وطَمَ الضنكُ والغسقُ	وأمة الخير تُزوى ، ثم تختنقُ
لأنها فى سنا إسلامها زهدتْ	وحكمتْ - جهرة - شرع الذين شفقوا
وحاكتْ من سعى يريد نجاتها	وكافأت مَن بدين الله يرتزق
وكرستْ لفتون الخزي ثروتها	وجيلها - خلف أهل الفن - ينطلق
ومكنتْ لدعاة الشر عامدة	حتى غدا عزها المغوارُ يحترق
وخيرها حازه الأعداءُ فى صلفِ	وصفها بكـلاب الأرض مُخترق
ولم تُجرد سيوفَ النصر مُخلصة	وقوسُها من أسى الخذلان تنشرق
ولم تُعدّ لنيل الخالد صفوتها	وردّها - عن لقاء أعدائها - المألِق
سلاحها الشجبُ والإنكارُ فى وله	وليأهـا حالـكُ ، أطالـه العسـق
تموتُ وُجداً إذا نيلت مطاعُها	ولا تتشور إذا أودى بهـا الغـرق
وإنها من لظى أفعالها احتضرتْ	ماردها عن دجى أهوانها خُلق
تخلفتْ عن هدى الإسلام ما اعتبرتْ	تُقلد - اليوم - من كأس الضلال سُقوا
تنازلت عن سنا دورٍ يابق بها	ونازعُها العـلا الأقمـزامُ والفـرق

وَعَرَفَهَا - رَغِمَ أَنْفَ الْكَلِّ - يُخْتَرِقُ
 وروحها أجهزت ، فما بهارمق
 لم يتسع - لدجى أماده - الأفق
 ولا يذوق الردى كل الذين رَقوا
 من زال مات ، ويا نحس الذين بقوا
 سيأجها الـذل والأوهام والأرق
 وليس يحوي مدى آلامها الورق
 أدالها - من سنا أحوالها - القلق
 وأصبح العيش مكفولاً لمن فسقوا
 ولا ترى عقلاً بباطل يثق
 فكل صقع بهذي الدار منزلق
 وليس يسألو بها إلا الغشا الخفق
 متى يزول الخنا والدعر والشيق؟
 وتسقيم فيهموي الوابل الغدق
 وسيفها في وجوه العير يمتشق
 لا تستكين لمن من هديه مرقوا؟
 وجياها في سبيل الله يستبق؟
 قوامه العدل والإحسان والخلق؟
 من الذين اتقوا ، وفي العطا صدقوا
 أما الرعاة ففي الميدان قد سبقوا

لا تستشار إذا حقت مشورتها!
 وأرضها في يد الأعداء باكية
 والاحتضار على كل الرقاب جثا
 وسلم الموت قد مدت مدارجها
 لكن حياة يخط الموت ظلها
 هذي الحياة ضياع في حقيقتها
 لا تستطيع لها وصفاً قصائدنا
 إن الحياة إذا من دينها انسلخت
 وشئت الناس في قفر وفي حضر
 أجارنا الله من مكر يحيق بنا
 والعيش إن أصبح الكفران طابعه
 تناحر الكل في دنيا تموج بنا
 وعربد الفسق في أصقاعها شيقاً
 متى تشارك أصناماً تدين لها؟
 حتى نرى أمة التوحيد سامقة
 متى نراها بأمر الله قائمة
 متى نراها لأهل الحق حامية
 متى نرى بأسها في الأرض مرتفعاً
 رعاتها يملأون الكون معدلة
 وخلفهم للهدى تدعو رعيهم!

والفجر يُشرق ، والتمكين يُدقق؟
على الفضي؟ فإن الدرب يأتلق!
عن النهوض ، وتُردي من بها نعقوا؟
من مجدها في دياجي ضعفها سرقوا؟
فيه النصارى ومن بالهدي قد شرقوا؟
بين البرايا ، عليها العز والآنق؟
ومجدها سامق مستشرف عبق؟
تدعو جحافلها من في الضلال لقوا؟
وليس يصرفها عن هديها الورق
مع الحنيفة هذا البذل يتفق
نعم الجهاد ، ونعم الجهد والعرق!
فالله ناصر من في نصره صدقوا
وكل متبع هواه ينسحق
والحق منقذ من بركبه التحقوا
وبالقريض تسلى خاطر اللبىق
وارأف بجيل غدا في التيه ينزلق

متى نرى العز يسري في جوانبها
متى تودع هذا النوم عازمة
متى تُدمر أوثاناً تعرقها
متى تحطم من في جدها لعبوا
متى تُفريق من التخدير جندها
متى تعود لماض كان يرفعها
متى نراها إلى العلياء صاعدة
متى نراها لنشر الخير زاحفة
إلى الحنيفة تهدي كل من كفروا
تجاهد اليوم تخشى الخزي في غدها
وتعرق اليوم خوف الشمس في غدها
فهل عزيز على الجبار رفعها؟
لكنها أخذت للأرض ، وانحدرت
والاحتضار إذن أمسى عقوبتها
رباه جاد بما في خاطري قلبي
فالطف بأممتنا ، وارحم تذلنا

دعنا نضعك في الصورة

(معارضة شعرية)

(وهذه القصيدة كانت بين قصائد «عزيز النفس» لما لمسناه فيها من عزة نفس لا يدركها إلا كل عزيز أصيل ، ألا وإتتها حوتِ العديدِ مِنَ اللمحاتِ الفنيّةِ والبكائياتِ التي يبذلها الشاعرُ في رثاءِ الشعرِ الهادفِ الصادقِ ، وإني فيها أعارضُ شاعرَ الإماراتِ الكبيرَ الأستاذ/ حمدَ بنِ خليفةَ أبو شهابِ. وأصححُ هنا مفهومَ المعارضةِ الشعريّةِ ، حيثُ قد شاعَ في عُرْفِ الناسِ - عوامهم وكثيرٍ من خواصهم - أن لفظَ «معارضة شعرية» لا بدّ وأن يحملَ معنى الاختلافِ ، بمعنى أنّ فلاناً من الشعراءِ يُعارضُ علاناً منهم ، فهو يهجوهُ أو يُخالفهُ. والحقيقةُ أنّ هذا المعنى غيرُ دقيقٍ بالمرّةِ ، حيثُ إنّ كلمةَ «عارض» في القاموسِ كانَ من معانيها: الوفاقُ والاتفاقُ والالتقاءُ. فمثلاً ، عارضَ أحمدُ شوقي بُرْدَةَ البوصيري: يعني كتبَ قصيدةً ما كتبها الثاني. وإذن ، فإني قد طالعتُ ما كتبه الشاعرُ الكبيرُ/ حمد بو شهاب ، وتأثرتُ به ، وعارضتهُ في مُساجلةٍ شعريةٍ أوافقه فيما كان قد ذهب إليه ، وكانَ عنوانَ قصيدةِ الشاعرِ بو شهابِ «وقفه مع صادق الشعر» ، وأمّا التي عارضتهُ فيها فكانَ عنوانها: «دعنا نضعك في الصورة» ، ولسوفَ نُوردُ قصيدةَ الشاعرِ حمد خليفةَ أبو شهابِ أولاً ، ثم نُتبعها بقصيدتنا بعد ذلك ، حرصاً منا على الفائدةِ ، وإمعاناً منا في إمتاعِ القارئِ بهذي المُساجلةِ ، عسى أن يكونَ من بين قرائنا من يهتمهم الأمرُ فينتفعوا ، وإني أُحيي الشاعرَ حمدَ أبا شهابِ ، وأشكرهُ على هذه النظرةِ الشعريةِ التي ينشدها ، على هذه الغزارةِ المشاعريةِ ، وعلى هذا الإبداعِ في الأداءِ ، وأسألُ اللهَ أن تنالَ مُعارضتي أو مساجلتي رضاهُ ، وأن لا أكونَ قد أسأتُ من حيثُ لا أحتسبُ ، وأن يجعلَ اللهُ أجرَ الذي كتبنا في صحيفةِ أعمالنا يومَ نلقاهُ. والآنَ ، أدعُ القارئَ مع القصيدتينِ ، وإن كانتَ قصيدتي دونَ ما كتبَ أبو شهابِ ، ولكن يكفي شرفُ المحاولةِ ، لإحياءِ فنِّ من فنونِ الشعرِ العربيِّ ماتَ في زماننا ، هو فنُّ المعارضةِ الشعريّةِ. ذلك الفن الذي كانَ معروفاً جداً إلى عهدٍ قريبٍ! أولاً: قصيدةُ الشاعرِ / حمد بن خليفة أبي شهاب: (وقفه مع صادق الشعر):

تَعَوَّرُ القِوافي حينَما تَتَبَسَّمُ
وَتَروي الليليّ ليليّ حَديثها
صَداهُ ألا ما أَجَمَلَ الشَّعْرَ والهوى!
فليسَ كَمِثْلِ الحُبِّ للشَّعْرِ رَافِدُ
وليسَ كَمِثْلِ الشَّعْرِ لِلحُبِّ وأَصِفُ
وما الشَّعْرُ إلا كالنِّساءِ خَلِيقَةٌ
إذا جَادَ فالعَدْبُ الرِّلالُ نِوَالُهُ
تُسابقُ مَعناهُ عُدوبَةَ لَفْظِهِ
فَتُنْتِ بِه دَاتا وَكُنْها وَصُورَةٌ
يَرِفُ لَهَا قَلْبٌ ، وَيَشْدُو بِها فَمُ
حَدِيثاً بِه رِيحُ الصَّبا تَتَرنُّمُ
رَفِيقانِ لا يُنْانِ جُرْحٌ وبِلَسَمُ
إذا جَفَّ نَبْعُ الشَّعْرِ وَاصْفَرَّ بُرْعُمُ
دَقانِقُ ما يُبْدي المُحِبُّ وَيَكْتُمُ
يَرِقُّ وَيَسْتَعْصِي ، وَيَقْسُو وَيَرْحَمُ
وإن شَحَّ فاللَفْظُ الحَلالُ مُحَرَّمُ
فما دَقَّ عن أوصافِهِ فهو مُبْهَمُ
وهِمَّتُ كما بِالْحُبِّ هَامَ الْمُتَمِّمُ

وَتَسْكُرُنِي رَاحُ الْقَوَافِي فَأَنْتَشِي
تَفَيَّاتُ ظِلَّ الشَّعْرِ بَعْدَ هَجِيرِهِ
وَمِنْ بَعْدِ أَنْ شَاطَرْتَهُ السُّهْدَ وَالكَرَى
تَأْمَلْنِي نَفْسًا عَلَيْهِ عَزِيْزَةً
وَأَتَحَفَّهَا بِالذَّرِّ مِنْ مُفْرَدَاتِهِ
وَلَا عَبَثَتْ كَفُّ الصَّرَاحَةِ بِالنَّهْيِ
وَنَزَّهَتْ عِرْضَ الشَّعْرِ عَنِ شُكْرِ هَازِلِ
وَأَقْسِمُ لَوْ كَلَّفْتَهُ الشُّكْرَ مَكْرَهَا
فَمَا عَوَّدْتَنِي مُفْرَدَاتِ بَيَانِهِ
يَبُوحُ عَلَى قَدْرِ الْمَحَبَّةِ مَرْقَمِي
وَمَا قَلَّتْهُ إِلَّا لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ
فَلَوْلَا جِيَادُ الشَّعْرِ مَا خَلَدَ الْهُوَى
وَلَوْلَا جِيَادُ الشَّعْرِ مَا خَلَدَ الْوَعَى
وَلَوْلَا جِيَادُ الشَّعْرِ مَا خَلَدَ النَّدَى
يَظِلُّ ، وَتَفَنَّى دَوْلَةُ الْمَلِكِ وَالْغِنَى

شعر: حمد بن خليفة أبو شهاب

دبي ، في يوليو عام 1996م

وَالِي هُنَا انْتَهَتْ قَصِيدَةُ شَاعِرِنَا الْإِمَارَاتِي الْكَبِيرِ الْأَسْتَاذِ / حمد بن خليفة أبو شهاب. أوردتها فقط ليتبين الفرق! فمن هو (حمد بن خليفة بو شهاب)؟ أورد هنا جزءاً من تقرير كتبه عنه أحد محبيه والمعجبين بشخصيته وأشعاره ، وذلك بتصرف في بعض الألفاظ والأخبار! يقول: (ولد في عجمان عام 1932م. تعلم في كتاتيب عجمان ثم التحق بالمدرسة المحمدية. أحب الشعر مبكراً ، وكتبه في سن التاسعة ، وظل محافظاً على القصيدة العمودية طوال عمره ، سواء في شعره النبطي أو الفصحح. تنقل للعمل ما بين جزيرة "سقطرة" في بحر العرب والكويت والسعودية والبحرين في الخمسينات من القرن الماضي. ثم انتقل للعيش في دبي مطلع السبعينات من القرن الماضي. كانت المنطقة في ذلك الوقت تمر بنهضة أدبية ، وخاصة عجمان التي اكنظت بعلماء الدين والشعراء ، وكان المجتمع متقارباً ومتكاملاً ، وتميز ذلك الوقت بانتشار المجالس التي اهتمت غالباً بالشعر العربي والنبطي والأدب. وكانت لديه ملكة الحفظ منذ نشأته ، وكان يجالس الشعراء والأدباء أمثال راشد بن سالم الخضر ، وراشد بن سالم بن ثاني المعروف برشيد ، وحمد بن سليمان ، وأحمد بن سند ، وعبد الله الشيبية ، وناصر بن محمد ، وخالد بن خصيف وغيرهم! فأخذ يحفظ ما يقولون ويكتبه ، فكان أكثر تعلقاً بالشعر والأدب ، وبدأ يكتب الشعر في سن

الثامنة أو التاسعة. كان للشاعر حمد عدة اهتمامات من أهمها: اهتمامه بتوثيق التراث الإماراتي من الشعر الشعبي ، وكذلك تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة والأنساب في المنطقة. و من ثم أشرف على إصدار عدد كبير من الدواوين الشعرية لشعراء النبط في الإمارات. حصل الشاعر على عدة مناصب منها: وزيراً مفوضاً بوزارة الداخلية ، وعضو في لجنة التراث والتاريخ! وتسلم إدارة مكتب وزارة الإعلام في الإمارات الشمالية في الفترة ما بين (1972 - 1976م). وفي خلال إدارته ، أنشأ مكاتب عامة في تلك المناطق. وأيضاً يعد الشاعر أول من قدم برنامج الشعر الشعبي في التلفاز ، وذلك عبر تلفزيون الكويت في عام 1971م. وكما يعد أول من نشر الشعر الشعبي في الصحافة اليومية ، عبر إشرافه على صفحة الشعر الشعبي في صحيفة البيان. كان الشاعر حمد أبو شهاب مثلاً للأب الصارم ، فقد ربى أبناءه تربية متشددة ، وكان لا يتهاون في أمر الصلاة التي يجب تأديتها في المسجد ، وكان كثير التوجيه لأبنائه للالتزام بالعادات الإسلامية والعربية المتوارثة عن الأجداد ، وكان أكثر ما يهمله هو احترام الكبير ، خاصة من الأصغر سناً ، وكان اهتمامه شديداً بتحصيل أبنائه الدراسي ، من حيث متابعة تطوراتهم وتدقيق درجاتهم التي يحصلون عليها ، حتى نال أبنائه الستة - 3 أولاد و3 بنات - على الشهادة الجامعية. للشاعر حمد بن خليفة أبو شهاب عدة مؤلفات ودواوين ، أهمها: - ديوان سلطان بن علي العويس عام 1978م. - ديوان تراثنا من الشعر الشعبي - الجزء الأول عام 1980م ، والجزء الثاني عام 1981م. - ديوان شاعرات من الإمارات - عام 1984م. - ديوان ربيع بن ياقوت ، المجموعة الكاملة - عام 1988م. - وقفات مع تاريخ دولة الإمارات - عام 1997م. كان يتمتع بأسلوبه الشائق وإجادته اللغوية ، وهذا ما جعل الآخرين يتذوقون الشعر النبطي أكثر. وكان يكتب القصيدة الغزلية ولكنه كان يتستر على اسم المعنية بالقصيدة. وكان مهتماً بمعنى القصيدة وعدم الاكتفاء بصحة الوزن أو قافية القصيدة. ويعلم غيره فنون نظم الشعر. ويتحسس كثيراً من الدخيل على الشعر ، وما يسمى النثر فيفضل عليه الشعر العربي التقليدي ويحب المتنبي. ولقد اتفق الجميع على حدة طبعه وعدم تسامحه مع الخطأ في اللغة ، والشعر بالذات. ولكنه رجل صادق لا يقبل الكلام غير الموزون خاصة إن كان قصيدة. وكان لا يقبل الكلمة الناقصة ولا يجامل من يخطئ. وكان يكرر أن المشرف على أية وسيلة تهتم بالإبداع لا بد من أن يكون صريحاً ، ولا يتسرع في نشر ما يصله من إبداعات فيلقي عليه نظرة وأخرى حتى يقتنع ، وإن احتاج الأمر جادل الشاعر في المعنى إن وجدته مختلاً. وكان حريصاً على أن لا تمس القصائد ركناً من أركان الدين الإسلامي ، فلا تجمل عادة سيئة ولو بالتمليح. وكان لا يقبل الخطأ في قواعد اللغة ، وهذا من حرصه. وكان صريحاً جداً في هذه الأمور ، والناس خلطوا ما بين الصراحة والحدة ، وطبعاً هذا جلب له الكثير من المتاعب الصحية ، وخلق له عداوات مع الآخرين الذين لم يفهموا على أي أساس يبني مواقفه ؛ فهناك أمور لا داعي للمجاملة فيها. وأما وفاته: فقد كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحاً تقريباً وكان حمد بو شهاب في جنيف ، ثم وقف ليلقي بعضاً من أشعاره ، ثم أخذ يجمع الأوراق بين يديه ، ولكنه وقع فجأة على الطاولة ، فاجتمع عليه الحضور ومددوه في وسط المجلس ، وجاء رجال الإسعاف ، ودلكوا قلبه فلم يستجب ، فاستعانوا بجهاز الصعق الكهربائي فاستجاب ، وذهبوا به إلى المستشفى. ويقال إنه أصيب بنوبتين في أثناء نقله وجاءته الثالثة في المستشفى ، وبقي في الانعاش حوالي أسبوع لم يحدث خلالها أحداً حتى انتقلت روحه إلى بارئها يوم 2002/8/19م. فإنا لله وإنا إليه راجعون). هـ. وأشكر صاحب التقرير جزيلاً! ونحن نشكرُ لحمد بو شهاب ما وصف به شعر العرب الأصيل من أوصافٍ يعجزُ عن وصفها القلم ، ونقول: إنَّ قصيدتنا دونَ هذه الشاعرية بكثير ، وإنَّ هيَ إلا محاولةٌ على طريق الشعر فقط. والآن ، نقرأ قصيدتنا «دعنا نضعك في الصورة» ، والصورة التي أعني هي صورة الشعر العربي ، حيث يستحق أن يوضع فيها الشاعر أبو شهاب. وعموماً ، الشعر العربي معيَّنه لا يُضْب ، ورونقه لا يموت ، ولا يزال الشعراء المخلصون الموحَّدون يُجددون في صياغة ذلك الشعر الأصيل ، وهو يستوعب كلَّ الذي وصلوا إليه. الأ

وإنَّ الشعرَ ديوانُ العرب ، وهذي مَقُولَةٌ مِنَ الصِّدْقِ بِدَرَجَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ تَصْوِيرَهَا يِرَاعٌ مَهْمَا أُوتِيَ صَاحِبُهُ مِنْ بَيَانٍ وَفَصَاحَةٍ وَإِبَانَةٍ ، وَالشَّعْرُ إِحْسَاسٌ وَشَعُورٌ وَقَوَاعِدُ. وَالْيَوْمَ لَا يُعْجِبُ هَذَا الشَّعْرُ أَقْوَامًا يَتَهَمُونَهُ بِالرَّجْعِيَّةِ وَالتَّخْلُفِ! وَكَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا. وَمَنْ فَضَّلَ رَبِّي ذَهَبَتْ إِلَى الْأَسْتَاذِ فِي دَبِي فِي لَجْنَةِ التَّرَاثِ وَالتَّارِيخِ وَأَهْدِيتهِ الدِّيوانِ ، أَعْنِي دِيوانَ: (عَزِيزِ النِّفْسِ) الَّذِي كَانَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ إِحْدَى قِصَانِدِهِ!

ثَانِيًا: قَصِيدَةٌ / أَحْمَدُ عَلِيٌّ سَلِيمَانُ عَبْدِ الرَّحِيمِ:

أَلَا إِنَّمَا الشَّعْرُ الصِّدْقُ مُعْظَمُ
صَدَقْتَ (أَبَا شَهْبٍ) ، وَإِنِّي مُعَارِضٌ!
عَلَى قَدْرِ صِدْقِ الشَّعْرِ يَسْمُو ، وَيَرْتَقِي
يَرُوحُ وَيَعْدُو ، وَالْعَبِيرُ أَرِيحُهُ
يَهِيئُ السَّنَا - فِي عَالَمِ الشَّعْرِ - شَامَخًا
وَيُنْفَعِلُ الْوَجْدَانَ - لِلشَّعْرِ - طَالَمَا
وَلَكِنْ بُلِينَا بِالْأَبَاطِيلِ تَعْتَلِي
وَكُلُّ يِرَاعٍ يَكْتَبُ الشَّعْرَ صَادِقًا
وَلَيْسَ يَرَى شَمْسَ الْحَيَاةِ ، وَلَا الضِّيَاءَ
يَجِفُّ الْمِدَادُ الْعَدْبُ فِيهِ ، وَلَا يَرَى
وَتَحْتَرِقُ الْأَثَاثُ فِي قَلْبِ شَاعِرٍ
فَيَبْتَسِمُ الْمُحْتَالُ - بِالشَّعْرِ - عُمْرَهُ
أَيَا (ابْنَ شَهَابٍ) قَدْ أَثَرْتَ مَشَاعِرِي
وَأَثَرْتَ فِي نَفْسِي ، وَسَعَرْتَ خَاطِرِي
أَلَا طَمَنِينَ النَّفْسِ الْعَزِيْزَةِ ، قَلَّ لَهَا
فَبَانَ الْقُلُوبَ - الْيَوْمَ - بَيْعَتْ وَشِعْرُهَا
وَمِنْ عَجَبٍ لَيْسَتْ تُدَارِي عَوَارِهَا
فَكَيْفَ اشْتَرَاهَا الْمَالُ؟ لَيْسَتْ عَجِيبَةٌ
وَيُهْدِي الْفَرِيضَ الْعَدْبَ - لِلوَعْدِ - نَاحِلٌ
تَمُوتُ الْأَحَاسِيْسُ الَّتِي تَنْشُدُ الْهُدَى
وَكَمْ مِنْ شُعُورٍ صِيغَ شِعْرًا وَفِكْرَةً!
وَمِنْ جَوْدَةِ السَّبْكِ الْمَهِيْبِ لَهُ سَنَا

وَكُلُّ يِرَاعٍ يَصْطَفِيهِ مُكْرَمٌ
أُوَيْدُ مَا قَلَّتُمْ ، وَشِعْرِي مُهْتَدَمٌ
وَتَلْقَاهُ - فِي دُنْيَا الْوَرَى - يَتَرْتَمُ
وَيُزَكِّي شِغَافَ الْقَلْبِ مَا حَبَّرَ الْقَمَّ
فَتَلْقَاهُ - فِي أَنْوَارِهِ - يَنْبَسِمُ
يُنَوِّجُهُ الصِّدْقُ الَّذِي هُوَ قِيمٌ
مُتَوْنَ الْقَوَافِي ، فَالْكَذُوبُ مُقَدَّمٌ
يُعَانِي ، وَيَغْلِي - فِي تَرَائِبِهِ - الدَّمُ
وَبُنْيَانِهِ - فِي كُلِّ صُقْعٍ - يُهْدَمُ
قَضِيَّتَهُ الْإِنْسَانُ ، ثُمَّ يُحْطَمُ
وَيَنْتَحِرُ الشَّعْرُ الْأَصِيلُ الْمُعْظَمُ
وَيَسْمُو - بُعِيدَ الْفَقْدِ - شِعْرٌ مُحْرَمٌ
وَعَطَّرْتَنِي بِالشُّوقِ ، قَلْتُ: سَأَنْظُمُ
وَلَمْ يَنْأَ عَمَّا قَلَّتَهُ مُتَرَدِّمٌ
شُعُورِكَ هَذَا بَيْنَنَا - الْيَوْمَ - مُبْهَمٌ
وَعَبْدَهَا - فِي الْقَوْمِ - سَيْفٌ وَدِرْهَمٌ
وَيُسْعِدُهَا ذُلُّ النَّفَاقِ الْمُنْعَمِ
يَثُورُ وَيَهْدَا - لِلدِّرَاهِمِ - دَيْلَمٌ
وَيُهْدِي لِلْيَلَى الشَّعْرَ - دَوْمًا - مُتَيْمٌ
وَيَلْحَقُهَا - بَعْدَ التَّرْدِي - التَّنْذِمُ
وَمِنْ حُسْنِهِ بَاتَ الصِّدْقُ يَتَكَلَّمُ
فَتَقْتُلُهُ الْأَوْهَامُ ، ثُمَّ تَجَسَّمُ

وَيَحْجُبُهُ التَّضَلِيلُ عَنْ كُلِّ قَارِيٍّ
فَكَيْفَ رَطِيبُ الشَّعْرِ يَنْمُو ، وَيَزْدَهِي
أَرَاكَ - بِكُلِّ الصَّدَقِ - حَجَلْتِ وَاسِعًا
أَيَا (ابْنَ شِهَابٍ) حَفَفَ اللُّومَ ، إِنَّهُمْ
إِذَا بَيْعَ - فِي الْمَرْءِ الضَّمِيرُ - فَلَا تَسَلْ
لَقَدْ حَطَمُوا بَوَاحِ القَوَافِي ، وَعِطَّرَهَا
وَقَالُوا بِأَنَّ الشَّعْرَ - بِالْوِزْنِ - هَازِلٌ
وَطَوَّعَ شِعْرَ القَوْمِ فِي مَذْحِ جَاحِدٍ
وَضَاعَتْ - عَلَى الأَيَامِ - ضَاذٌ وَرَايَةٌ
وَقَدْ فَضَّلَ الشَّعْرُ الأَصِيلُ رَحِيلَهُ
وَكَانَ لَهُ مَرَايٌ يَسُرُّ ضُيُوفَهُ
وَلَكِنْ تَلَطَّى فِي دُجْنَاتٍ مَنْ عَوَّوَا
وَأَمْسَى ضَيَاعًا ، أَوْ غَرَامًا وَقَيْنَةً
دِمَاءُ الهُدَى سَالَتْ ، وَمَا مِنْ مَنَافِحٍ
وَفِي السَّاحِ أَشْعَارٌ تُعَانِي صَبَابَةً
وَأَصْحَابُهَا - فِي الحُبِّ - ضَاعَتْ حَيَاتُهُمْ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي ، مَا يُفِيدُ هُرَاوَهُمْ؟
وَإِنَّ الهُرَاءَ اليَوْمَ طَابِعَ عَصْرِنَا
أَيَا (ابْنَ شِهَابٍ) قَدْ عَرَفْتُكَ شَاعِرًا
تَدُودٌ عَنِ الفُصْحَى ، وَتُعَلِّي عِمَادَهَا
بِأَنَّ الحَيَاةَ اليَوْمَ هَزَلٌ ، فَلَا غَرَى
وَأَلْمَسُ - فِي أَشْعَارِكَ - الصَّدَقُ كُلُّهُ
كَأَنَّكَ - فِي أَفَاقِ شِعْرِ الوَفَا - سَنَا
فَهَوِّنْ عَلَى القَلْبِ الذَّبِيحَ ، وَدَاوِهِ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَالُونِي الخَطَا
أَلَا هَلْ يَكُونُ الشَّعْرُ عِنْدِي سَلِيقَةً
حَنَاتِيكَ يَا ابْنَ العِزِّ ، وَارْفُقْ بِنَظْرَتِي
وَرَفَقَا بِحَالِي ، فَالِيرَاعَةَ سَجَلْتِ

وَيَذْبُحُهُ - فِي عَالَمِ النَّاسِ - خَشْرَمٌ
وَقَدْ أَنْشَدَ الأشْعَارَ مَنْ يَتَمَعَّمُ؟
وَأَنْتَ - بِمَنْ ذَا يَدَّعِي الشَّعْرَ - أَعْلَمُ
يَبِيعُونَ مَا صَاغُوا ، وَلَمْ يَتَلَوُّوا
لَأَنَّ الأَصِيلَ الحُرَّ مَنْ يَتَفَهَّمُ
وَقَدْ عَيَّبَ الأَوْزَانَ غِرَّ عَشْمَشَمِ
وَمِنْ غَيْرِ أَوْزَانٍ - لَهُ - يَتَنَعَّمُ
وَأَمْسَى مَعِينُ الحَقِّ - فِي الدَّارِ - يُكْتَمُ
وَأَوْدَى - بِنُورِ الصَّدَقِ - مَنْ يَتَمَسَّلُمُ
وَكَانَ لَهُ - مِنْ قَبْلُ - مَنَحَى وَمَرَسَمُ
وَكَانَ لَهُ إِلفٌ يَتِيهَهُ ، وَمُعْرَمُ
وَمَنْ قَالَ هَذَا - فِي الوَرَى - فَجَهَنَّمُ
وَإِنْ يُذَكِّرُ الشَّعْرُ الأَرِيْبُ ، فَقَدْ عَمُوا
وَلَوْ - بِالقَرِيضِ الفَدَى - يَهْجُو وَيَنْقِمُ
تَرَى العِشْقَ - فِي أُبَيَاتِهَا - يَتَضَرَّمُ
فَقَالُوا بِأَنَّ العِشْقَ نَارٌ ، وَعَلَقَمُ
وَكَايْنُ تَرَى مِنْهُمْ شَفِيقٌ فَيُنْدَمُ!
وَقَدْ قَلَّ - فِي الأَقْوَامِ - مَنْ يَتَأَلَّمُ
وَإِنَّكَ - فِي نَسْجِ القِصَائِدِ - ضَيِّعُ
وَأَهَاتِكَ الحَرَى تَنْنُ ، وَتَجْرِمُ
وَأَنَّ السَّلِيمَ القَلْبَ أَضْحَى يُلَوِّمُ
أَلَا بُورِكَ الشَّعْرُ الرَّصِينُ المُطَهَّمُ
إِذَا أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ يَتَهَيَّنُّ
وَصَابِرٌ ، فَعِنْدَ اللهِ فَوْزٌ وَمَغْنَمُ
بِمَعْوَلِهِ ، ثُمَّ احْتَوَانِي التَّجْهَمُ
فِيَتْبَعُنِي - مِنْكَ الشَّهَابُ - فَافْحَمُ؟
فَلَيْتَ أَبُتَّ الصَّدَقَ ، لَا أَتَلَعَّمُ
طُيُوفًا بِقَلْبِي ، لِلْمَعَالِي تَقْدَمُ

ولكن شعور صغته يتحتم
ومن مسح جوخ فيه يمحي التكرم
وأصدغ بالحق الصراح ، وأطم
وآيات هذا - في حياتي - تحميم
وأترغت قرطاسي بما يتحتم
وأبكي لما يبكيك ، والله يعلم
فصارحت: هذا جهبذ ، بل وأعظم
ولسنت أركمكم ، ولا أتأقلم
بأتك أرجى من عرفت ، وأنظم
أداري بها جرحي ، ولا أتجهم
وأمسي فيكويني اللهب ، فأصدم
فيذبل - في الإحساس - عزمي ويحجم
وأمعن - في مخبوء غيب - سيقدم
حقائق تروى تارة ، وتكرم
وأهديه قلباً - بالمبادئ - يخلم
ورفقا بضاد ، شعرها يتجمم
وأشلاونا - في ساحها ، تتقدم
وقد ساد - في الدنيا - عتاة وخوم
وجفت بحور الشعر ، أمست تألم
ولكنه - من شعرنا - يتبرم
وأستاذ جيل ، في الفضيلة هيثم
بحب تلاقينا ، وشغرك معلم
أدام المليك الحب ، فالحب بلسم

أيا ابن شهاب ، لا أنافق لحظة
برئت من التلويق: قلباً وقالبا
وأمقت من ترلف ، لئست طبيعتي
ولو «بأبي» عيب لقت ، ولم أخف
ولكن وصفت خاطراً هيح الجوى
أحبك في الله العظيم حقيقة
ومن يوم أن طالعت «قبل الرسالة»
ورائد شعر القوم أنت ، ولا مرا
ولولا زمان الشعر ولي ، لقلتها
ألا والقريض العذب عندي هواية
وتحرقني ألام داري وملتي
ويقتلني الشوق المنافح غيلة
أسير - على شوك - البلاء مروعا
وأشعار قلبي - في المعالي - كتبتها
أيا ابن شهاب ، ذا قصيدي هدية
تقبل عزائي في المبادئ والوفاء
أيا (ابن شهاب): إننا في متاهة
حبا نجم من يحيا لنيل كرامة
وقد شيعت أنعام شعر عربتي
كلنا يذر الشعر - للجيل - عابرا
ودعا أيا شيخ القريض وجهبذا
ولسنت أركمكم - على الله - لحظة
فليست طباعي ، بل أحب جواركم

إشارات غالية الثمن

(إلى كل متزوجة تعشق على زوجها وتخون أمانتها وتتبع خطوات الشيطان حتى تسقط في الإباحية والرذيلة ، هاتكة بذلك الستر الذي بينها وبين الله تعالى ، تقول الدكتورة إلهام شاهين أستاذة العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر: (لقد وردت الآيات التي تحذر من الخيانة بعدة سياقات ، فمنها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) ، وأيضاً يقول تعالى ذكره: (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء) ، والمعنى: (وإما تخافن يا محمد من عدوِّ لك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك ، وذلك هو الخيانة والغدر. فأنبذ إليهم على سواء. يقول: فناجزهم بالحرب ، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم ؛ بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم ، حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب ، فيأخذوا للحرب آلتها ، وتبرأ من الغدر. كما أن الخيانة تذهب البركة وتعجل عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة للخائنين وعن أنس بن مالك قال: (إذا كانت في البيت خيانة ذهب منه البركة). وعن خالد الربعي قال: كان يقال: (إنَّ من أجدر الأعمال أن لا تؤخَّر عقوبته ، أو يعجل عقوبته ، الأمانة تُخان ، والرحم تُقطع ، والإحسان يُكفر). هـ. وإنه لأحرى بكل خائنة ألا تستمر في خيانتها ، بل تطلب الطلاق من زوجها ، وتتزوج من الصعلوك زير النساء هذا الذي عشق امرأة في عصمة رجل! أولم يجد إلا هذه الهازلة؟ إنها كما عشقت على زوجها يا صعلوك ، يا تافه ، يا سفيه سوف تعشق عليك ، وهكذا دواليك! ذلك أن العشق مرض يصيب النفس المنفلتة من عقل القيم والأخلاق والمبادئ! أعني العشق المحرم! ولست أعني العشق المباح الذي يكون بين الزوجين المتحابين! العشق مرض عضال ذكره الإمام ابن القيم - رحمه الله - واستفاض في الحديث عنه تشخيصاً وعلاجاً! وذلك في كتابه القيم: (الطب النبوي) ، فاذهب يا هذا وطالع تشخيص مرضك وعلاجه قبل أن يدركك الموت ، وأن تمارس العشق المحرم! وأنت أيتها الخائنة ضعي حداً لعشقتك المحرم لأنك في عصمة زوج ، وأراى خيانتك لزوجك من أعتى أنواع الخيانات ، لأنها تمهد الطريق إلى الزنا أو الجنون كما قال ابن القيم! فهل تسرك نفسك مجنونة أو زانية؟! وتقول الدكتورة ملكة زرار ، الداعية الإسلامية وأستاذة الشريعة الإسلامية: (الخيانة هي عدم نصح صاحب الأمانة بتضييعها والغدر بصاحبها الذي يعتقد أن من انتمنه سيحفظ أمانته. ففي لسان العرب لابن منظور: الخون أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح ، خانه يخونه خوناً وخيانة وخانة ومخانة. والخيانة: الغدر وإخفاء الشيء ، ومنه: يَعْلَمُ خَائِنَةً الْأَعْيُن. وكان عليه الصلاة والسلام يقول: اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بنس الضجيع ، ومن الخيانة فإنها بنس البطانة. خرَّجه النسائي عن أبي هريرة. وأضافت زرار ، من صدرت منه خيانة ، فالواجب عليه أن يتوب إلى الله توبة صادقة ، ومن صدق توبته رد الحق إلى صاحبه. قال تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ... ونزلت هذه الآية في الخائنين الذين ذكرهم الله في قوله: (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) لما أبى التوبة من أبى منهم ، وهو طعمة بن الأبيرق ، ولحق بالمشركين من عبدة الأوثان بمكة مرتداً ، فالواجب على الزوجين كليهما أن يتقيا الله تعالى وأن يتحفظا مما حرمه الله وأن يستغنيا بالحلال الطيب عن الحرام الخبيث). هـ. لا شيء يصلح به الإنسان في حياته الدنيا إلا الحلال المشروع! ولقد كانت قصيدي هذه ترجمة لقصة حقيقية أعرف أصحابها معرفة وثيقة ، وحاولت الإصلاح نسبياً ، ولكن العشق المحرم من جانب الحرم غير المصون وغير المحترم حالت بيني وبين الإصلاح التام بينها وبين زوجها! وعندما طرقت باب العشيقي الوبش

المرذول وجدته لا يبالي مطلقاً ورحتُ أخوفه بالله تعالى ، ولكن سلطان العشق كان أقوى من وازع الدين! ذلك أن ضعف العقيدة والتوحيد لا يجعل القلب يستقيم على طريق الهداية! فاحترتُ عنم أكتب قصيدي؟ هل أكتب عن العاشق المرذول السفيه الذي تعلق قلبه بامرأة متزوجة وهو يعلم؟ أم أكتب عن الزوج الغافل الذي لم يستطع أن يجعل زوجته عاشقة له وحده؟ أم أكتب عن الساقطة الفاشلة المنحلة المتهتكة التي عشقت على زوجها؟ وأخيراً - وبعد تفكير عميق - استقر الرأي على الكتابة عن هذه الزوجة مُحبباً لها طريق التوبة ومُرغباً في الإنابة وحمل النفس على ترك الخيانة! ومن هذا المنطلق أقول:

ليس شيءٌ مثلُ الوفا للعشيرِ نورُ دربٍ يأتي بكلِّ سرورِ
كيف تَرْضَى قَبْحَ الخيانةِ زوجٍ؟ كيف تحيا في ظلِّ وكرٍ حقيرٍ؟
تعس العشقُ ، كم له من قتيلٍ! وجَوَاهِ يجتاح نورَ الضميرِ
كم على دربِ العشقِ كم من ضحايا! زعموا العشقَ كالفراسِ الوثيرِ
وهو نارٌ تُودي بكلِّ عزيزِ وعذابٌ يُفضي لعيشِ مريـرِ
عشقتُ هذي ، ثم تلك تدنّت ثم أخرى تعرقلتُ في المسيرِ
ولهذي فحيخُ أفعى تَلَوْتُ ولتلك اللهاثِ خلف الزفيرِ
بينة في وحل الرذيلة غاصتُ والضياغِ والضنكِ أشقى مصيرِ
أه من أحوالِ تروخٍ وتغدو وأيامي يُجدنُ فنَّ الفجورِ!
لا تخوني - بالله - زوجاً وبيئاً جنبيناً أوارَ هذا السعيرِ
والعفاف - إليك يسعى - حثيثاً والتسامي بالدين أقوى ظهيرِ
واضحبي رباتِ الهدى والمعالي وعلى أهلِ الفسقِ والدُعرِ ثوري
أنت - بالتقوى - خيرُ زوجٍ وأهلٍ والفؤادِ إذا اتقى في حبورِ
فاهجري العشق ، واندمي ، واستقيمي واخلمي أثوابَ الخنا والسفورِ
صدّقيني ، وجرّبي ، واستفيقي وابتغي مرضاةَ الحليم الغفورِ

صمت القصيد

(طلقها ذلك الزوج المتهور بلا مبرر ، وما اكتفى بذلك الطلاق ، بل راح يطلق لسانه الحقير في عرضها متناسياً أنه ارتضاها يوماً لفراشه زوجة. فصمت الشعر كيف يصور هذه المأساة الفجة؟! والأصل الستر على المؤمنات دائماً! ذلك أن كل زوجة هي أختٌ لزوجها في الله والإسلام ، قبل كونها زوجة! والإمام الشافعي يقول: (إذا أراد أحدكم الكلام ، فعليه أن يفكر في كلامه فإن ظهرت المصلحة تكلم ، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر). وبشر الحافي يقول: (اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك). وعلي بن أبي طالب يقول: (إذا تم العقلُ نقص الكلام). ويقول: (بكثرة الصمت تكون الهيبة). وعمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: (الكلام كالدواء إن أقللت منه نفع ، وإن أكثرت منه قتل). ولقمان الحكيم يقول: (إذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك). والصحابي الجليل أبو الدرداء يقول: (أنصف أذنك ، فقد جعل الله لك أذنين ولساناً واحداً ، وذلك لتسمع أكثر مما تقول). والأمثال العربية تقول: (من كثر كلامه قل احترامه). (إذا كان الكلام من فضة ، فالسكوت من ذهب). وأيضاً (الندم على السكوت خير من الندم على القول). وكذلك (سلامة الإنسان في حفظ اللسان). والأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي يقول: (أول العلم الصمت والثاني حسن الاستماع والثالث حفظه والرابع العمل به والخامس نشره). والمثل الإيرلندي يقول: (الفم المطبق لا يدخله الذباب). والمثل الأسباني يقول: (الصمت زينة للجاهل في جمعية العقلاء). والمثل الإنجليزي يقول: (من الإصغاء تأتي الحكمة ، ومن الكلام تأتي الندامة). ودوميلي يقول: (كثرة الكلام تدل على ضعف العقل). وجورج برنارد شو يقول: (العربة الفارغة أكثر جلبة من الممتلئة). وبنجامين فرانكلين يقول: (تعظنا النملة دون أن تنبس بكلمة). وإنما أردت بإيراد هذه الأمثال أن أبين قيمة الصمت الحق! المهم أن المرأة التي ابتليت بالطلاق (موضوع قصيدتنا) صمتت طويلاً ، ثم وعظت زوجها وعظاً. ولقد كان السبب وراء طلاق زوجها له إعجابه المفرط بعواهر السينما والتلفاز وقبائحهم الفنية الإباحية! فخان أمانة الله تعالى ، وطلق امرأته وترك أولاده الذين هم أمانة عنده! تحت عنوان: (الخلق المفقود : الأمانة) يقول الأستاذ يحيى بن موسى الزهراني ما نصه: (لقد غصت أروقة المحاكم بالمتخاصمين ، والمشتكين ، حتى بلغت القضايا آلافاً مؤلفة في سنة واحدة ، وعمر رضي الله عنه لم تأت قضية واحدة في عام كامل ، فشتان بين الفريقين ، فريق اتبع الهدى ، وفريق عصى وغوى ، فكانت النتيجة ما نراه من قطيعة بين الناس وتدابير وتهاجر ، بل سرى ذلكم الأمر حتى وصل بين أفراد الأسرة الواحدة ، أتدرون لماذا؟ بسبب أوساخ الناس ، ألا وهي الأموال ، كل ما تراه اليوم من مشاكل ومحن ، وقطيعة وفتن ، يصب في الغالب في قالب المال ، الذي من أجله يحب الناس ويبغضون ، ويقربون ويبعدون. أروقة المحاكم تغص بالآلاف القضايا الأخلاقية ، وغير الأخلاقية ، بسبب البعد عن الله عز وجل ، وبسبب خيانة الأمانة. أب يفعل الفاحشة في ابنته ، وأخ يمارس الجنس مع أخته ، وولد يعتصب أمه ، وأعتذر لكم عن هذا النقل ، الذي لا يكاد يصدق العقل ، لكنها تالله وبالله ووالله هي الحقيقة المرة التي يجب أن نصدقها ونعيها. أين الأمانة فيمن ترك الزوجة والأبناء والبنات بين أحضان كفار وفجار ، وفسقة ومردة ، يعيشون في بيته فساداً ، ويتسللون لوذاً ، من خلال مسلسل هابط ، وفلم ساقط ، وأمسية غنائية ، وبرامج تافهة دعائية ، تدعو إلى قتل العفة ، وتثير مكامن الشهوة والرغبة ، وتدعو إلى العلاقات المحرمة بين الجنسين؟ قولوا لي بربكم أهكذا تكون أمانة تربية الناشئة؟ أم أن هذه خيانة للأمانة ، وأيم الله لتسألن يوم القيامة عما تعملون ، ولتسألن عن تربية أبنائكم وزوجاتكم ، ولتسألن عن كل صغيرة وكبيرة ، واسمعوا لقول ربكم تبارك وتعالى

القائل في محكم التنزيل: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ} ، فكل ما تفعله يا عبد الله محصى عليك في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ، فالصغير محصى ، والكبير لا ينسى ، ولك الإمهال إلى أجل مسمى ، قال الله جل وعلا: {وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْنُؤُونَ} ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْنُؤُونَ ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْنُؤُونَ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْنُؤُونَ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْنُؤَلَةٌ ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْنُؤُونَ ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْنُؤُونَ عَنْ رِعِيَّتِهِ". [رواه البخاري]. ولن تشعروا بعظم الأمانة ، وخطورة التفريط فيها إلا إذا وضعتكم في قبوركم ، وبدأ الحساب ، وحق العتاب والعقاب ، هناك تدركون أنكم مخطئون ، وفي جنب الله مفرطون ، وبتفريطكم مؤاخذون ، فاتقوا الله معاشر المسلمين والمسلمات ، وأدوا الأمانة كما طلبها الله منكم ، وبينها رسوله لكم). هـ. والحقيقة أن طلاق المرأة (موضوع قصيدتنا) كان فيه جور كبير عليها وعلى بيتها وأولادها ، الأمر الذي جعلها تبوح بهذه الكلمات لزوجها ، ليراجع حساباته وليعود إلى رشده وليدرك مسؤولياته! وكان عسيراً عليها أن تحكي قصتها الدامية الشجينة كاملة. فآثرت أن تتولى دموعها المهمة فراحت المرأة في شجن تطلق آهاتها نحيباً مرّاً ونشيجاً عتابياً صامتاً ، فتخيلتها ترسل رسالة عتاب موجعة دامية إلى ذلك الزوج القاسي لإنهاء المأساة والمحافظة على بيته وزوجه وولده متنازلاً عن بعض حقه فتقول:

أيهما الظالم أنه المهزلة	وارق بالنفس لأسمى منزلة
قوضت أفاظك الحمقى العرى	فاهجر الطيش ، وكفّ الزعجلة
لم تكن تحبو إلى حيث أنا!	وأنا أسعى إليك الهزولة!
كم نسجت الفرح ثوباً زاهياً!	وبكفي كم زرعت السنبله!
وبذلت العمر كي يرضى الفتى	رغم أنني كنت زوجاً مهملة
وتزينت بأبهى زينة!	في يدٍ عطر ، وأخرى مكحلة
كم تخيرت كلاماً وادعاً	دائماً أبداه بالبسملة!
وإذا بتنا على جمر الجوى	قمت ليلي كي أحل المشكلة
دمعت عيناى كم من ليلة!	ثم أصبحت بهمى منقلة
والفتى يُبحر في أحلامه	هانئ البال كريح مُرسلة
كم تظننت لما يصبو له	ثم غربلت رواه غربلة!
أنا مهدت له عيش الهنا	ولى اليوم أعد المقصلة
أيها الزوج: كفاني ما أرى	من نفوس بالغت في البلبلة
إنني في الأسر ذابت همتي	في يدٍ قيد وأخرى سلسلة
حسبي الله ، ومالي غيره	وله أشكو جحيم المعضلة

القرار الضرير

(ابتلاه الله بالديون ، فعمد إلى الكسب غير المشروع ، فكان قراراً ضريراً أسخط ربه عليه فلم يبارك له. وكانت كارثة بسبب التهور الفظ في اتخاذ القرار! ولقد أعانه على قراره قرناء السوء من أصدقائه! في مقالة له بعنوان: (خطوات لاتخاذ القرار) يقول الأستاذ (مبارك عامر بقتة) ما نصه: (نتخذ القرار لنحقق أمراً نريده في حياتنا ، أو لنخرج من مشكلة تواجهنا. وهذه القرارات التي نتخذ قد تكون قرارات مصيرية تؤثر في حياة الشخص ، كالطلاق فهو قرار صعب ، لأن تأثيره يتعدى على جميع أفراد الأسرة وقد يلحق بهم الضرر ، وكالاتحاق بكلية واختيار التخصص ، فهو قرار صعب لأن تأثيره يستمر معك مدى الحياة. وهناك قرارات لا تؤثر كثيراً كاختيار وجبة الغداء أو الذهاب لبعض الأصدقاء. فالقرارات تتفاوت في درجتها وخطورتها ، ولهذا لا بد أن تكون هناك آلية صحيحة يستخدمها المرء في اتخاذ القرارات ، وخصوصاً القرارات المصيرية التي يترتب عليها تغيير مواقف وبناء حياة. وبقدر ما يكون المرء قادراً على اتخاذ القرار الصائب بقدر ما يكون نجاحه. ونحن نرى كثيراً من الناس دقيقين جداً في تجميع المعلومات ، ووضع الأسئلة ، ودراسة الأحوال والمتغيرات. ولكن عندما تأتي لحظة القرار فإنهم لا يعرفون إلا طريقاً واحداً ، وهو الارتجالية وسرعة البديهة. والقرار البديهي ليس مذموماً مطلقاً بل هناك حالات تتطلب من المرء أن يتخذ فيها قراراً سريعاً ، كالقضايا الطارئة فالدكتور يتخذ قراراً في صرف الدواء للمريض ، ويتطلب أن يكون القرار سريعاً ، لكنه يجب أن يكون مبني على علم مسبق. وعند اتخاذ قرار مبني على البديهة ، فإننا في الغالب لا نلتفت إلى المآلات وما يترتب على ذلك من نتائج ، وإنما نعيش اللحظة الانية ، فننتخذ القرار متأثرين بالعوامل التي تحيط بنا. إن صناعة القرار لا يعتمد فقط على البديهة أو الحدس وإنما تبني كذلك على إجراءات تساعد على اتخاذ القرار الصائب).هـ. وأشكر الدكتور بقتة على هذه الأفكار النيرة في إيضاح كيفية اتخاذ القرار. والحقيقة أن مروءة الإنسان المسلم المؤمن الموحد القانت ، تأبى عليه أن يتهور في قرار! وحتى إن غلبته نفسه في موقف ما ، فسرعان ما يعود إلى رشده ويدرك خطأه ويعالج بالحكمة ما وقع فيه بالتهور! إنها المروءة أكسير الحياة! وتحت عنوان: (المروءة) يقول الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت ما نصه: (إنه لمما يعين على تحقيق المروءة: مجالسة أهل المروءات ، وكما هو معروف: الطبع سراق ، والإنسان يتأثر بما يخالط ويصاحب ، وبالمقابل أن يجانب إخوان السوء ، وقد قيل: مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوي المروءات تدل على كرم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تذكى القلوب ، فالإنسان بحسب من يخالط. ولهذا قال معاوية - رضي الله عنه - : "آفة المروءة إخوان السوء" ، وهذا أمر مشاهد ؛ لأنهم إن رأوا حسنة أخفوها وإن رأوا عيباً أذاعوه ، ثم هو يسمع منهم وهو يقوم ويقعد كل قبيح ، يستقبلونه بالشتائم والسباب ويودعونه بمثلها ، وإذا حضر مجلسهم سمع اللغو والباطل والكلام في الدنيا ، ورأى منهم كل مستهجن ، وإذا أراد أن يخلق وأن يرتفع ليسمو بنفسه عابوه وثبطوه ؛ لأنهم يريدون موافقتهم ، وكما قيل:- المرأة الزانية تحب أن جميع النساء زواني ، من أجل ألا يتميز أحد بالعفاف والشرف. فإخوان السوء لا يحبون أن يتميز هذا بالكمارم فيقعدونه ، ويقولون: أين أنت من هذا؟ وأين أنت من هذا؟ لست لذلك بكفاء ، فيثبطونه عن معالي الأمور فلا خير في مثل هذه الصحبة. والمروءة تكون مع النفس ، وذلك بحملها قسراً على ما يجمل ويزين ، وعلى أن تترك ما يدنس ويشين ؛ ليصير ذلك ملكة لها في السر والعلانية ، فلا يفعل شيئاً في سره مما يشينه عند الناس من الرزايا والآثام والآفات والعيوب التي تستهجن من مثله ، فلا تفعل خالياً

ما تستحيي من فعله في المأ إلا ما لا بد للإنسان منه. وهناك مروعة مع الخلق ، وذلك بأن يعاشروهم بكرم وحياء ، وأخلاق جميلة ، ولا يظهر لهم ما يكره أن يرى منهم ، مما يوجهونه إليه ، عامل الناس بما تحب أن يعاملوك وليتخذ الناس مرآة لنفسه ، فإذا رأى فيهم شيئاً مما يعيبه فإنه يحرص على تجنب هذا الخلق ، ولهذا كان لبعض الأكابر خادم سيء الأخلاق فض المعاملة والطباع ، ف قيل له: كيف تصبر على هذا المملوك والخادم؟ هلا أبعدته؟ فقال: أتعلم عليه مكارم الأخلاق ، أي أدرس عليه مكارم الأخلاق ، ومعنى كلامه واضح فهو يتصبر عليه ، يتعلم الصبر والحلم لما يرى من حماقات هذا الخادم ، وإنما الحلم بالتحلم ، ثم هو لكثرة ما يرى من القبانح في أخلاقه ، ينعكس أثر ذلك في تخلقه هو ، فيتجنب هذه المساوي ؛ لئلا يراها الناس).هـ. ولو كان زوج هذه المرأة يجالس أهل المروءات لما أقبل على التعامل بالربا ، ولا أقدم غيره على طلاق زوجته بدون جريرة ولا فاحشة مبينة على حد تعبير القرآن الكريم! وإنني لأهيب بكل من يعمد التعامل بالربا أو إلى طلاق زوجته أن يتريث ويتريث ويتريث ، ريثما يصل إلى القرار السديد في الموقف السديد! وخير لمن يتعامل بالربا أن يسأل الناس! وأهون بمن يطلق زوجته الصالحة أن يعيش معها حياة مهرجلة! وإلا يكن منه ذلك كذلك ، فإنه سوف يعض أصابع الندم ، ولات ساعة مندم. ويكون السؤال والجواب ، والحيرة والاضطراب. ويكون البحث عن حل هنا وهناك. ويعجز الكل عن إيجاد الحل بعد أن تعقدت الأمور ، واختلط الحابل بالنابل في المشاكل! ومن هنا تعقدت ، فلا توجد الحلول الجذرية!

فاكتسبت الإثم ، لا ذقت الهنا!
 فتردى في متاهات المنى
 تر غير المال في هذي الدنيا
 زاعماً مخق البلايا بالغنى
 ولبست الدرغ فرداً في القنا
 وغدا الغضب لديك الديدنا
 وبلا أدنى شقاء ، أو عنا
 مثل هذا الفعل يرضي مؤمناً؟
 وترهأت بأشقى منحنى؟
 ثم ترجو المدح غصاً والثنا
 واندم الدهر ليرتاح الضنى
 حجة الأفاك ، من يهوى الفنا
 ما جنيت اليوم من أحلى الجنى
 نحن إن تبنا يئن خيراً لنا
 خوف نارٍ ذكرها يزجي السوى

يا سقيم الفهم أعياك الغنى
 واهم أنت ، تغشاه الهوى
 واغتراك الشوق للمال ، فلم
 وثوى قلبك فيما تشتهي
 فحملت السيف كي تحيا به
 وغدا الظلم لديك المرتقى
 والتمست الكسب سهلاً وارفاً
 إنني أسأل والخلق معي
 كيف قررت التجني مسلكاً
 وارتضيت العيش في ذل الشقا؟
 رد حق الناس ، فالعمر مضى
 لا تقل: ديني وأولادي ، فذي
 غمسة في النار تنسى بعدها
 فالتمس يا غر توباً عاجلاً
 فاقبل اللهم توباً زاده

الحذر الحذر من الوجدان العقيم

(خدعت نفسها تلك الزوجة عندما ادعت حب زوجها الذي يحملها على الحق. وضح الإسلام الطريق الأمثل إلى تحقيق نعمة الألفة الزوجية والأخوة بين الزوجين ، ومن ثم إلى تحقيق التكامل والرشد في المحافظة على البيوت والأسر. وبين الإسلام السبل التي تحقق المودة والرحمة والوحدة والتآلف بين كل زوجين مسلمين اتبعوا منهاجه! وذلك كله ثمرة من ثمرات الاعتصام بحبل الله لإقامة المودة والرحمة بكل ما تعني الكلمتان من معنى. قَالَ تَعَالَى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ، وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). وإن كان الخطاب في: (واعتصموا) للمسلمين أجمعين ، وفي: (وإن يريدوا) للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، إلا أن الأزواج المسلمين لهم من هذه الآيات نصيب كبير. ذلك أن المجتمع المسلم هو في حقيقته مجموعة من الأسر المسلمة. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». إِنَّ وَحْدَةَ الزَّوْجَيْنِ وَالْمُودَةَ بَيْنَهُمَا رِبَاطٌ وَثِيقٌ ؛ لَا تَنْفَصِمُ عُرَاهُ وَلَا تَنْفَكُ عُقْدَتُهُ ، قَامَ عَلَى مَبْدَأِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ ، جَعَلَهُ اللَّهُ صِرْحًا شَامِخًا مُتَمَاسِكًا ؛ لَنْ يُوَهِّنَهُ بَرْقُ الْمَعَاوِلِ ، أَوْ يَهْدِدَ أَوْصَالَهُ هُبُوبُ الْأَعَاصِيرِ وَالرِّيَّاحِ. وهذا متأمل في قوله تعالى: (وأخذن منكم ميثاقا غليظا). وَلَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُسْلِمَاتُ فِي الْعُصُورِ الذَّهَبِيَّةِ الْأُولَى إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ ، وَأَوْلِيَاءَ مُجْتَمِعِينَ ، قَبْلَ مَسْأَلَةِ الزَّوْجِيَّةِ ، فَإِذَا بِالزَّوْجِيَّةِ تَزِيدُ الْأَمْرَ قُوَّةً وَاعْتِصَامًا. فَلَا يَنْزِعُ أَحَدُهُمْ يَدَهُ مِنْ يَدِ زَوْجَتِهِ ، أَوْ يُعْرِضُ عَنْهَا ، أَوْ يَنْأَى بِجَانِبِهِ ، لِيَعِيشَ وَحْدَهُ بَعِيدًا عَنِ مَأْوَى الزَّوْجِيَّةِ كَمَا نَلْمَسُ الْيَوْمَ ؛ وَكَذَلِكَ الزَّوْجَةُ لَا تَسْتَنْكِفُ عَنِ طَاعَةِ زَوْجِهَا وَلَا تَغَادِرُ بَيْتَ زَوْجِهَا دُونَ إِذْنِهِ ، وَلَا تَسْتَعِينُ بِأَهْلِهَا عَلَى زَوْجِهَا. وَإِنْ خَالَفَهَا وَعَارَضَهَا فِي رَأْيِ ارْتَاتِهِ ، بَلْ كَانَ كُلٌّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ مِثَالًا فِي الْمُودَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَلَوْ عَلَى حِسَابِ رَاحَتِهِمَا الشَّخْصِيَّةِ ، ذَلِكَ أَنْ كِلَا مِنْهُمَا يَضْحَى وَيَتَنَازَلُ عَنْ جِزءٍ كَبِيرٍ مِنْ حَقِّهِ الشَّخْصِيِّ لِيَتَحَقَّقَ الْحَقُّ الْعَامُ ، مُسْتَجِيبِينَ لِهَدْيِ سَيِّدِ الْخَلْقِ إِذْ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ؛ وَلَمَا كَانَتِ الْأَسْرُ فِي الْمَاضِي هَكَذَا ، لَأَنْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا ، يَجُوبُونَهَا نَشْرًا لِلْخَيْرِ وَالْقُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ. وَإِذَا كَانَ هَذَا وَاقِعَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَرْهَى عُصُورِهِمْ ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْقَابِ الزَّمَنِ وَبِخَاصَّةٍ فِي زَمَانِنَا هَذَا ؛ وَقَدْ تَنَالَتْ عَلَيْهِمُ الْفِتْنُ وَالْمَحَنُ ، هُمْ فِي أَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَى تَشْيِيدِ مُجْتَمَعَاتِهِمْ ، وَبِنَاءِ صِرْحِ حَيَاتِهِمْ ؛ عَلَى الْأُمْتِلَةِ الرَّفِيعَةِ الرَّشِيدَةِ الَّتِي ضَرَبَهَا السَّلْفُ فِي التَّمَاسُكِ وَالتَّضَامَنِ وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَالْخَيْرِ. لَا بُدَّ لِلزَّوْجَيْنِ مِنْ أَنْ يَعْلَمَا أَنَّ رِعَايَةَ شُؤُونِ الْأَبْنَاءِ وَمَصَالِحِهِمْ ، يُفْسِدُهَا التَّنَازُعُ وَالْإِخْتِلَافُ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، تِلْكَ الطَّوَامُ الَّتِي تَضْعِفُ الْأَقْوِيَاءَ ، وَتَهْلِكُ الضَّعْفَةَ وَالْفُقَرَاءَ ، بَيْنَمَا التَّعَاوُنُ وَالْأَلْفَةُ وَالْمُودَةُ وَالرَّحْمَةُ وَإِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ يَصْنَعُ النَّصْرَ وَالْقُوَّةَ وَالتَّمَكِينَ. قَالَ تَعَالَى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالتَّوَقُّفِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ» [رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ - وَالتِّرْمِذِيُّ صَحِيحًا]. وَلَقَدْ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا يَتَدَخَّلُونَ لِلْإِصْلَاحِ بَيْنَ زَوْجَيْنِ ، أَشْرَفًا عَلَى الطَّلَاقِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: الزَّمِ عِبَابَتَهَا ، وَاسْمَعْ كَلَامَهَا مَا دَامَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَنَازَلُ عَنِ الْكَثِيرِ مِنْ حَقِّكَ ، لِحِمَايَةِ الْبَيْتِ وَصِيَانَةِ الْأَبْنَاءِ السَّبْعَةَ خَشِيَةَ أَنْ تَفْشَلَ وَتَنْفَصِمَ عُرَى الزَّوْجِيَّةِ وَتَذْهَبَ الْمُودَةُ وَالرَّحْمَةُ بَيْنَكُمَا أُدْرَاجَ الرِّيَّاحِ! وَيَزِيدُ ذَلِكَ الطَّرْفَ الْأَمْرَ وَضُوحًا فَيَقُولُ مُخَاطَبًا الزَّوْجَ الرَّجُلَ

وهو ابنه: يا بُني ، حياة مهرجلة خير لك ولأبنائك من طلاق وخراب وفشل! على حين يُحرم أحدهم التوفيق والرشد ، وهو صهر الزوج ، فيقول في ذات الموقف: (نحن جاهزون للطلاق ، فهل أنت جاهز؟). إن هذه المواقف تحتاج إلى روية وتوادة وحكمة وبعُد نظر! حتى إن أحد فقهاء العربية من أهل الصعيد هنا في تعليمية رأس الخيمة كان من نصيحته لزوجين أشرفا على الطلاق ، فلما علم بذلك وقرأ علامات الحيرة والاضطراب على وجه الزوج أبي الأبناء السبعة: (يا بُني ، إذا استبعت امرأتك فاستنوق لها! فيرد عليه الزوج الذي أوشك أن يطلق امرأته: أصعيدي تنبض النخوة في عروقه دم أصالة يقول هذا؟ أليس من حل سوى هذا يا أستاذنا؟ فيرد العبقري: لا! فلم يجد الزوج كبير فرق بين ما قال أبوه بالعامية الدارجة ، وما قاله موجه اللغة العربية بالفصحى! فيستكين لصوت الحكمة مؤثراً البيت والزوجة والأبناء! ويتذكر ضرب الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – للحكمين بدرته قائلاً لهما وقد جاء من التحكيم بين زوجين بخفي حنين يقولان: والله يا أمير المؤمنين لم يصطلحا! فقال الفاروق: صدق الله ، وكذبتما ، (إن يريدان إصلاحاً يوفق الله بينهما). ومن هنا علم الزوج ببصيرته الفذة أن الداخلين بين الزوجين يمكن أن يفسدا العلاقة ، فقطع على الكل السبيل ، وأدرك أن أباه ناصح أمين! فأخذ بكلامه ، واعتمد على الله ، سائلاً ربه التوفيق!)

واجهري بالحق لا تعتذري
بادري ، واستبسلي تبتشري
كم أمانٍ حُققْت بالحدْرِ!
مكسبُ المحتال جُربُ الكدرِ
كم بنى المجد رفيعَ الظفرِ!
ربما أزدتُك بعضُ الذُكرِ
وأعيرني الأمر بعض النظرِ
وأشحذني العزمَ لطولِ السَّفرِ
وسوستَ في رأسِك المُنقَعِرِ!
جربيهما فترة تعبيري
وانظري ما قد خلا من نُدرِ
عن لقاءِ المغرِضِ المُندَجِرِ
في أتونِ الشَّكِّ ، لا تنبْهري
فكرتِي طالتُ ، وذا مُختَصِرِي
أخِرُ جهداً لكي تنتصري

اصدُقي الله لكي تنتصري
لا تقولي: إنني عاجزة
حاذري من غقم وجدان ثوى
والفَظي الخُتَل ، كفانا خِدَعَا
كم تحاملتِ على زوجِ سما!
فاذكري النعمة ، لا تستكبري
وامهدي للنفس في نيل العلا
وأعدي الزاد ، قد نشقى معَا
كم أعانتك عُقولُ خربت!
إنما الطاعة نورٌ يزدهي
وخذي النصح بقلبٍ مُخبِت
واحذري من خوفِ نفسٍ جَبَّتْ
واقمعي أوهامَ روحِ سَقَطَتْ
والزَّمي الحقَّ فهذا واجبٌ
إنني بالشعر ناصحتُ ، ولم

سراديب العاشقين

(حصنه الله بالزواج ، وبعد زواجه تطلع إلى الأخريات فأصيب بالعشق ، فكانت سراديب من العشق مريرة داجية. وللأسف لم يستطع بعد أن يخرج منها لشدة عمقها وقلّة بضاعته. واستمر به الحال هكذا حتى أصبحت زوجته بقايا عروس ، وأصبح هو بقايا زوج ، وأصبحت قصة زواجهما خبراً من الأخبار ، وأصبح بيتهما أثراً بعد عين! إذ العشق من الأمراض المتعسرة العلاج! فعلى كل من ابتلي بداء العشق أن يتعهد نفسه ويردعها إن أراد أن يعيش سعيداً هائئ البال مستريح الضمير! إذ ليس للنفس الأمانة بالسوء إلا الردع وكبح الجماح ، ريثما يأتي التثبيت من الله – عز وجل -. وأعجب من رجال قد شرفهم الله بالزواج ويسر لهم مؤنثه وأعباءه وتكاليفه ، ثم هم يجعلون شكر نعمة الله عشق الأخريات على زوجاتهم! فكم من رجال حال بينهم وبين الزواج الفقر المدقع ، أو الاعتقال ظلاماً دون ذنب أو جريرة ، أو طلب العلم وكفى به شرفاً عظيماً وسؤدداً مستقيماً وهدياً قوياً ، أو المرض العضال! وإذن فليحمد الله تعالى كل زوج وزوجة أفعهما الله وأحصنهما ، ومهد لهما سبيل الزواج ، وجمعهما تحت سقف بيت واحد ، وأكرمهما بنعمة الأولاد والذرية الصالحة! بدلاً من أن يسير كل منهما في سراديب العاشقين على مذهب الجاهلية القائمة!)

صَاحِ أَفْصَحَ عَنِ عِشْقِكَ الْفَضَّاحِ
تَعَسَّ الْعِشْقُ! كَمْ أَضَلَّ قَطِيعًا!
مَرَضٌ يُزْرِي بِالْقُلُوبِ ، وَيُخْزِي
لَمْ يَزَلْ بِالْأَقْوَامِ حَتَّى ابْتَلَاهُمْ
وَأَرَاقِ الدِّمَاءِ دُونَ اِكْتِرَاثِ
كَلِمَا مَرَّتْ فِي الدَّرُوبِ الصَّبَايَا
ثُمَّ سَالَ اللَّعَابُ حَبًّا وَعِشْقًا
لَيْسَ يَقْوَى عَلَى اللَّحَاطِ تَحَدُّ
وَالرِّضَابُ يُرْدِي الْمَضَا وَالتَّحْدِي!
وَأَنْتَهَى الْعِشْقُ بِالدَّمَارِ يَقِينًا
لَمْ يَرَأِ رَبًّا ، وَلَمْ يَخْشَ نَارًا
وَجَنَى هَذَا الْإِنْفَالَتِ عَلَيْهِ
كَأْسُ ذَلٍّ تَجْتَا حِكْمَ إِبَاءِ
وَسَرَادِيبَ مَا لَهَا مِنْ قَرَارِ
وَدُرُوبٍ فِيهَا الدِّيَاجِيرُ تَتَرَى

بات جمراً في قلبك المِفْرَاحِ
سَادِرًا فِي غِيٍّ خَلِيعِ إِبَاحِي
مَنْ تَرَدَّى فِي سِحْرِهِ الصَّدَّاحِ
ثُمَّ تَلَّ الْعُشَاقَ مِثْلَ الْأَضَاحِي
مِثْلَ سَاقِي يَلْهُو بِكَأْسِ الرَّاحِ
شَدَّ «قَيْسًا» طَيْفُ الْقَوَامِ الرَّدَّاحِ
ثُمَّ سَارَ الْعَشِيقُ خَلْفَ الْمِلَاحِ
وَسَلَاخِ الْعَيُونِ أُعْتَى سِلَاحِ
ثُمَّ يَفْرِي بِالشُّوقِ كُلِّ كِفَاحِ
مِثْلَ عِشْقِ (الْكَذَابِ) حُسْنِ (سَجَاحِ)
بَلْ سَعَى رَدْحًا فِي الْمُجُونِ الصَّرَاحِ
وَأَنْتَهَى بِالْوَلْهَانِ لِلْأَتْرَاحِ
وَأَنْحَادًا يَهْدِي لِقَعْرِ السَّفَاحِ
قَدْ كَفِينَا سُعَارَهَا بِالْمُبَاحِ
وَالْعَفِيفُ يَاوِي إِلَى الْمِصْبَاحِ

يا صاح انتظر هذه المرة!

(أخذ يلعب بصاحبه حتى أورده موارد الهلكة ، فأنذره الثاني كثيراً ، ولكن لا فائدة ، فناشده أن ينتظر حتى يفهمه. والأصل أن يبذل كل صديق ما يستطيعه للحفاظ على صداقتهما ، وإذا لم يكن ذلك كذلك كانت الصداقة مصدر قلق واضطراب ، أكثر منها مصدر اطمئنان واستقرار. والأصل أنه شعور متبادل بينهما. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "خرج رجل يزور أخاً له في الله في قرية أخرى ، فأرصد الله له ملكاً ، فجلس على طريقه ، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال: هل له عليك من نعمة تربها؟ قال: لا! قال: فلم تأتبه؟ قال: أني أحبته في الله - عز وجل -. قال: فإني رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك ، كما أحبته فيه". وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما أحب عبد الله ، إلا أكرم ربه - عز وجل". وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما تحاب رجلان في الله ، إلا كان أحبهما إلى الله ، أشدهما حباً لصاحبه". وإذن فالمسألة كما أسلفنا ، حب متبادل وبذل متبادل! وليس حب المصلحة ، ولا حب الانتفاع الخسيس ، الذي ينتهي بانتهاء المصلحة ، وبزوال الانتفاع!)

إني بلوتك ، لا تطفئ قناديلي
كم انتظرتك أن تُقيل عثرتنا
وقلت: يندم أن أضاع صحبتنا
أوردتنا مورداً يُزري بخلتنا
كم ادخرتك للمصائب اجتمعت!
كي تنصح الكل ، لا تجترّ خبيتهم
لكي تكون لنا رداءً يُصدّقنا
فكنت حرباً علينا طالما استعرت
ناشدتك الله لا تبّرح مجالسنا
أريك ما كسبت يدك ، يا رجلاً
خدعت فيه ، ولم أبدأ مساءته
وكنت أحسبه في بأسه رجلاً
وخاب ظني إذ ألفتته امرأة
وزادني عجباً أفعال صاحبنا
واليوم يا صاح قد ماتت مؤدنتنا
إني احترقت بنيران الأقاويل
من اللجاج ، ومن قبح الأباطيل!
والغيب يُخفي مغبات التفاصيل
والخذل يُودي بأشراف بهاليل
وقلت: أفضل من عير مهازيل
وتنشر النور في مسالك الجيل
ومُنقداً من جحيم القال والقييل
وبت «أبرهة» قد جاء بالفيل
حتى أبين تشخيصي وتحليلي
يحيا بقلبي عديم الصدق ضليل
كلا ، ولم أصطنع بعض العراquil
وغرني فيه ترجيع التراتيل
تسعى لتطرب من وقع الخلايل
ترجي الميوعة كالغيد العطايل
موتاً يُحيل البرايا كالتماثيل

خطوة في الاتجاه الصحيح

(قرر المظلوم أن يُحايد الأوباش الأراذل الذين اعتدوا عليه. وتجاوزوا في حقه ، ولم يقدره قدره! بل عاملوه كالبقرة الحلوب التي عليها واجبات وليس لها حقوق! واعتبروه حماراً ظهر لهم على دروب الحياة ، فركبوه ليتبلغوا به طريقهم ، فلما وصلوا إلى الغاية التي أرادوا ، طرحوه أرضاً ، وخلوا سبيله! فكانت عملية مفاصلتهم على درب الحق ، خطوة في الاتجاه الصحيح! وإن كانت قد أتت متأخرة جداً جداً! إن منهج المتحابين في الله الذين هم أولياء الله ليخلف اختلافاً كثيراً عن هذا المنهج السقيم! عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: "لما قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً صلواته ، أقبل إلى الناس بوجهه فقال: يا أيها الناس ، اسمعوا واعقلوا ، واعلموا أن الله عبادة ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة على مجالسهم وقربهم من الله ". فقالوا: يا رسول الله ، تخبرنا من هم؟! قال: " هم جماع من نوازع القبائل تصادقوا في الله ، وتحابوا فيه على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها يجتمعون على ذكر الله ، فينتقون أطيب الكلام كما ينتقى أكل التمر أطيبه فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم قرأ هذه الآية: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون}.)

صَاح: مَرَحَى بِالصَّفْوِ وَالتَّبْرِيحِ
خُطوةٌ كم طال ارتقابُ شذآها!
ليس يُجدي مع الجُفأةِ التروي
أهدروا ما لغيرهم من حقوقٍ
وتمادوا في الغي دون اكتراثٍ
كم ظننتُ بالعيرِ خيراً فطاشتُ
فإذا الشعرُ في ابتناسٍ وكربٍ
خبيبةٌ بالشعرِ البهيِّ أَلَمَتْ
هَمُّهُ أَمسى الانتقامِ فذابت
ودموع الأوزان تبكي إباءً
إيه يا شعري لوعتي فيك هامتُ
أنا يا شعر ما ضننتُ بشيءٍ
لكن الأوغادُ الألى خذلوني
فَعصيتُ ، واخترتُ درباً تناءى
لم أسبِّحْ بحمد غير ملكي
خطوةٌ نحو الرشد تُزكي عفاي

طال شوقي للسعدِ والتَّرويحِ
ومسيرٌ في الاتجاهِ الصحيحِ
ومعآذُ التَّأطيفِ والتَّرجيحِ!
ورحى الجورِ تغتدي بالقروحِ
وأثوا - جهراً - كلَّ فعلٍ قبيحِ
حربةُ الظنِّ بالأديبِ الجريحِ!
وإذا النثرُ في السرابِ القريحِ
فأذلتُ آفاقَ شعرٍ فصيحِ
في القوافي الشِّمًا بُذورُ الشَّيحِ
كان يُعطي المظلوم بعضَ الطموحِ
وتغنت رَعَمَ الدُّجُناتِ رُوحِي
وعطائي لَمَّا يَكُنْ بالشَّحِيحِ
أمروني بالسَّيرِ حَسَبَ الرِّيحِ
أتَّقِي أن أسوقَ بعضَ المَدِيحِ
لا يجوزُ لغيره تسبيحي
ليس دَرَبٌ فيه الأذى بالفَسِيحِ

رسالة شعرية إلى «أم يوسف»

كيف تعبرين عن حبك لزوجك؟

(إنني أسطر هذه الرسالة الشعرية للأخت أم يوسف زوجة الداعية الأستاذة عصام العويد ، أعبر في رسالتي الشعرية عن مدى تقديري لرسالتها التي عنونت لها ب: (كيف تعبرين عن حبك لزوجك؟) ، وبالطبع هي وجهت رسالتها للأخوات المؤمنات ، في محاولة من أم يوسف لإصلاح ذات البين! فجزاها الله عن الكتاب والسنة والإسلام والمسلمين والمسلمات خير الجزاء! قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون). لا شك في أن المرأة المسلمة تلتزم بالأحكام الإسلامية حتى في حياتها الاجتماعية ، حتى وإن اضطرتها الظروف إلى مجاراة العادات الاجتماعية الموافقة للشرع والسائدة بين الآخرين ، فإنها لا تتخلى عن موقفها الإسلامي. والإسلام ثروة تأخذها المرأة معها إلى دار الزوجية ، وتشارك مع زوجها المسلم في تكوين أسرة مسلمة. وهناك وسائل تعين المرأة في التعبير عن مشاعر الحب لزوجها وتغفل عنها الكثيرات من الزوجات أيضاً: منها إظهار الحب ، فلا يكفي أن نحب الآخرين فقط ، ولكن لا بد من إظهار الحب لهم. نعم إن الحب محله القلب ولكن الناس تحب أن ترى علاماته على الجوارح الظاهرة ، ومن هذه الوسائل: 1 - استقبال الزوجة لزوجها والزوج لزوجته بابتسامة وكلمة رقيقة عند الدخول إلى المنزل. 2 - أهتم به عند حديثه معي ، وأحترم جداً رأيه إذا خالفني. 3 - أهيب له الجو العاطفي دائماً حتى لا يطير مني ؛ لأنه كالطفل يحتاج إلى الرعاية دائماً. 4 - عدم تدخلتي فيما لا يعني من أموره الخاصة. 5 - كسب محبة والديه وإخوانه فهذا تعبير عن حب الزوجة لزوجها. 6 - عدم خيانة الزوج مهما توفرت لها الفرص ، وأن تكون زوجة صالحة تحفظ زوجها عند حضوره وأثناء غيبته. 7 - أن تهتم بنفسها وجسمها وشؤون الأبناء وتربيتهم. 8 - أن يسمع الزوج من زوجته كلمات الشكر إذا تعب من أجلها ، وخصوصاً بعد الأربعين ؛ فإنه يحتاج منها إلى المدح والتقدير والشكر. 9 - أن تلبس له الثياب الجميلة والتي تبرز مفاتها له ليستمتع بالنظر إليها. 10 - أنجب منه الأطفال فإن هذا دليل حبي له وتعبير عن مشاعري تجاهه. وهذه قصة المرأة التي أخرجت لسانها وفاء لزوجها: قال الأصمعي: «رأيت بالبادية أعرابية لا تتكلم ، فقلت لأهلها: أحرصاء هي؟ فقيل لي: لا ، ولكنها ذات صوتٍ عذبٍ رخيم وكان زوجها معجباً بصوتها ، وكان لا يحب أن يسمع صوتها الجميل أحد ، ثم إنه توفي وفارق الحياة الدنيا فأقسمت بالله أن لا يسمع صوتها بعده أحد ، وألا تكلم بعده أحدًا وفاءً له وحرصاً على ما يحبه! فما أجمل وما أعذب هذا الوفاء للزوجاء حتى في أدق الأشياء!». هـ.

أم يوسف (زوجة الشيخ عصام العويد)

(أقول: لقد عظمت شريعتنا الغراء شأن الزوج وأكبرت حقه عند زوجته. وقليل من النساء في عصرنا الحاضر من يوفقها الله للقيام بحق زوجها كاملاً. إن النبي ﷺ يقول: «لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لِأَمْرَتِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»، ورواية: «لَوْ كَانَ السُّجُودُ لِغَيْرِ اللَّهِ لِأَمْرَتِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»، وَذَلِكَ لِعِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا»، أو كما قال رسول الله ﷺ. وقد أشارت موسوعة الفتاوى المعاصرة لهيئة كبار العلماء بالسعودية لبعض الحقوق التي يتعين على المرأة أن تقوم بها لزوجها، فقالت: «إن للرجل في شريعتنا حقوقاً على زوجته، **فمنها:** 1 - وجوب الطاعة. وذلك بما له من حق القوامة عليها. 2 - تمكين الزوج من الاستمتاع متى كانت صالحة قادرة عليه. 3 - عدم الإذن لمن يكره الزوج دخوله البيت، ولقد ورد في هذا ما رواه البخاري أن النبي ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ». ومن هنا فلا تأذن لأحد يكرهه الزوج بالدخول. 4 - عدم الخروج من البيت إلا بإذن الزوج. وقال الشافعية: «وليس لها الخروج لعيادة أبيها إلا بإذن الزوج، وله منعها من ذلك، لأن طاعة الزوج واجبة، فلا يجوز ترك الواجب بما ليس بواجب». وحدث اليوم ولا حرج عن الخروج من البيوت. 5 - التأديب: أي: للزوج تأديب زوجته عند عصيانها أمره بالمعروف لا بالمعصية؛ لأن الله - عز وجل - أمر بتأديب النساء بالهجر والضرب إذا لم تفلح الموعظة عند عدم طاعتهم. والسادة الأحناف ذكروا أربعة مواضع يجوز فيها لكل زوج مسلم أن يؤدب زوجته بالضرب: **منها:** ترك الزينة إذا أراد الزينة. **ومنها:** ترك الإجابة إذا دعاها إلى الفراش وهي ظاهرة. **ومنها:** الصلاة، **ومنها:** الخروج من البيت بغير إذنه. فما أجمل هذا الشرع الحنيف الوضئ الطاهر. 6 - خدمة الزوجة لزوجها بالمعروف حسب طاقتها ومقدرتها. 7 - تسليم المرأة نفسها له إذا استوفى عقد النكاح شروطه ووقع صحيحاً، لأنه بالعقد يستحق الزوج تسليم العوض وهو الاستمتاع بها كما استحققت هي المهر. 8 - معاشررة الزوجة لزوجها بالخير والمعروف». اهـ. ألا نعمت الوصايا، ونعمت النصائح! إن ديننا لعظيم لو كان له رجال! إنني أردتُ بإيراد هذه المعلومات أن أدعم مقال «أم يوسف» الداعية التي كتبتُ هذه المقالة الجميلة التي صدرنا بها مقدمة قصيدتنا: أم يوسف، زوجة أستاذنا الفاضل الشيخ / عصام العويد - حفظهما الله تعالى - ووجهتُ مقالاتها ونصائحها الغالية للزوجات المؤمنات كما أسلفنا. وكنتُ قد طالعتُ المقال في مجلة «الجانزة»، تلك المجلة الدورية التي تصدر هنا في دار غربتي، وفي أم القيوين تحديداً. وأعجبني - وأنا الرجل - كل ما جاء في المقال من تصريحات وتلميحات، فأعدت قراءته مرة بعد مرة، وتمنيت من الله العلي القدير أن يجعل قلوباً من الأخوات المسلمات الزوجات وغير الزوجات، تأوي إلى تلك النصائح والدرر الغالية والجواهر الثمينة، وأن يرزق الله تعالى هذه القلوب الفهم والتدبر والوعي السليم للذي حواه النص من المعاني الخالدة العظيمة، كما أسأله سبحانه أن يرزقهن العمل والتطبيق في عالم الواقع لتصبح الواحدة منهن قرآناً يمشي على الأرض كما كان نبيها ﷺ، عسى الله أن يتحقق هذا الأمل المنشود. آمين. ومن هنا رحلتُ أحيي هذه الأخت الكريمة صاحبة المقال، وإنني لأحسبها هكذا، ولا أزكي على الله ربي أحداً، والله حسبها ووكيلها. فقمْتُ بكتابة هذه الرسالة الشعرية التي أحيي بها هذه الأخت التي أتمنى من قلبي أن ينفع الله بها وبمثيلاتها من المؤمنات. ذلك أنني أرى أن أم يوسف إنما كتبت من باب النصح، إذ النصيحة شعيرة من شعائر ديننا الحنيف!

وتحت عنوان: (الدين النصيحة) كتب الأستاذ إبراهيم الأسمرى ما نصه بتصريف زهيد: (عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم). رواه مسلم. هذا الحديث من الأحاديث الكلية العظيمة التي اشتملت على الدين كله ، فقد اشتملت على حقوق الله تعالى ، وحقوق رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى حقوق عباده ، فليس ثم لفظ أجمع في بيان تلك الحقوق من لفظ النصيحة. وأصل النصح في لغة العرب فسر بأحد التفسيرين: الأول: أنه بمعنى الخلوص من الشوائب والشركة ، فيقال: غسل ناصح أو نصوح ، إذا لم يشبهه شيء. الثاني: فسرت النصيحة بأنها التنازل شينين بحيث لا يكون ثم تنافر بينهما. والنصيحة عرفت في هذا الحديث بأنها إرادة الخير للمنصوح له ، وهذا يتعلق بنصح أئمة المسلمين وعامتهم ، أما في الثلاثة الأولى فإن النصيحة - كما ذكرنا - تكون الصلة بين الذاتين على التنازل. فقال صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة) ، وجعل الدين كله نصيحة ، لأن النصيحة تجمع الدين كله بواجباته ومستحباته. قال بعض العلماء: (الدين النصيحة): يعني أن معظم الدين وجل الدين النصيحة ، وهذا على أخذ نظائره ، كقوله: (الدعاء هو العبادة). قالوا: (لمن يا رسول الله؟) اللام هنا في (لمن) هي لام الاستحقاق يعني: من يستحقها في الدين؟ فأجابهم رسول الله بقوله: (الله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم). فاشتملت على أمور: الأول: النصيحة لله: وهي كلمة جامعة لأداء حق الله جل جلاله الواجب والمستحب ، فحق الله الواجب هو الإيمان به وبربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، كما جاءت في كتاب الله وفي سنة رسوله ، بدون تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه. فالنصيحة لله واجبة: وهي ما يكون فيما أوجبه الشرع في حق الله من الاعتقاد أن الله جل جلاله له ما أثبت لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وأنه ليس له مثل في أسمائه وصفاته ، وأيضا اتباع أمره واجتناب نهيه وتصديق خبره. ومستحبة: وهي ما كان في حق الله جل جلاله من ازدياء الخلق في جنب الله ، وأن يراقب العبد ربه دائماً في السر والعلن. أما النصيحة المستحبة للقران ، فإن يكثر من تلاوته ، وأن يتداوى به ، وأن يتدارسه العبد. قال: (ولرسوله) كذلك النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم تكون بطاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما نهى وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن يؤمن العبد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين. قال: (ولأئمة المسلمين) ، والنصيحة لأئمة المسلمين (الذين يُقيمون الإسلام في الأرض ، ويحققون العدل بين الناس) أن يُعطوا حقهم الذي أعطاهم الله في كتابه وبيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته ، وذلك بطاعتهم في المعروف وعدم طاعتهم في المعصية ، وأن يجتمع معهم على الحق والهدى ، وأن تؤلف القلوب لهم ، وأن يُجتمع عليهم وأن يُدعى لهم ، وحق ولي أمر المسلم أن يُنصح بمعنى أن يُؤتى إليه ، وأن يُبين له الحق وأن يُبصر به وأن يُوضح له ما أمر الله جل جلاله به ، وما أمر به رسوله صلى الله عليه وسلم. وأما النصيحة لعامة المسلمين ، فهي إرشادهم لما فيه صلاحهم في دنياهم وآخرتهم ، هذه جماع النصيحة للمؤمنين ، بأن يحبوا في الله ، وأن يتعاون معهم على الخير والهدى وأن يبين لهم الحق). هـ. وتحت عنوان: (حسن الخاتمة وسائلها وعلاماتها والتحذير من سوء الخاتمة) يقول الأستاذ الشيخ عبد الله بن محمد المطلق ما نصه: (إن نصيب الإنسان من الدنيا عمره ، فإن أحسن استغلاله فيما ينفعه في دار القرار ربحت تجارته ، وإن أساء استغلاله في المعاصي والسيئات حتى لقي الله على تلك الخاتمة السيئة فهو من الخاسرين ، وكم حسرة تحت التراب والعاقل من حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله ، وخاف من ذنوبه قبل أن تكون سبباً في هلاكه ، قال ابن مسعود: المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه. وكم

شخص أصراً على صغيرة فألفها وهانت عليه ولم يفكر يوماً في عظمة من عصاه ، فكانت سبباً في سوء خاتمته ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الموبقات. وقد نبه الله في كتابه جميع المؤمنين إلى أهمية حسن الخاتمة ، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} ، وقال تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} . فالأمر بالتقوى والعبادة مستمر حتى الموت: لتحصل الخاتمة الحسنة. وقد بين - صلى الله عليه وسلم - أن بعض الناس يجتهد في الطاعات ويبتعد عن المعاصي مدة طويلة من عمره ، ولكن قبيل وفاته يقترب السيئات والمعاصي مما يكون سبباً في أن يختم له بخاتمة السوء ، قال - صلى الله عليه وسلم -: «وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها». وورد في حديث سهل بن سعد الساعدي - صلى الله عليه وسلم - أن رجلاً من المسلمين في إحدى المعارك مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبلى بلاءً شديداً ، فأعجب الصحابة ذلك ، وقالوا: ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أما إنه من أهل النار». فقال بعض الصحابة: أيننا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟ فقال رجلٌ من القوم: أنا صاحبه، سأنظر ماذا يفعل ، فتبعه ، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت ، فوضع سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فرجع الرجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أشهد أنك رسول الله ، قال: وما ذلك؟ قال: الرجل الذي ذكرت أنك من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت: أنا لكم به ، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند ذلك: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار». وفي بعض الروايات زيادة: «وإنما الأعمال بالخواتيم». وقد وصف الله - سبحانه - عباده المؤمنين بأنهم جمعوا بين شدة الخوف من الله مع الإحسان في العمل فقال: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} .هـ. والآن ، أوجه رسالتي بكل فخر واحترام لأم يوسف. راجياً منها قبول هذه الرسالة الشعرية البسيطة المتواضعة! وهذه الهدية سوف تبقى للأبد شاهدة بمدى الإخلاص والود!

يا ربّة القلم النبيل كلامي	يفضي إليك بفرحتي وسلامي
يا أخت قوّك المليك على الهدى	ورزقت يا أختاه حُسن ختام
هذي المقالة ذرّة دعوية	خطت بكلّ محبةٍ ووفام
ليبارك الرحمن ما سطرته	وكذاك ما خطت يمين «عصام»
شرفت بما دونت «جائزة» الهنا	فسلمت للقرآن والإسلام
يا «أم يوسف» قد أضأت ذروبنا	بنصائح محبورة الأنغام
فيها من الأجراس ما يسبي النهى	ويبوء بالتنفيذ والإلزام
وحرارة الإقناع تحشو لفظها	ويفوح منها أعذب الأنسام

وبكلِّ حرفٍ مُخبِتٍ متسامي
والنصْحُ للأخواتِ خيرُ مَرامٍ
فيها لَكم قد زل من أقدام
كم حار في التَرجيحِ مِنْ أفهام!
وأباد بالأهواءِ كلَّ دِعام
ويَلُكُن ما في التيه من آلام
وتقوُدُ أهل الدار نحو السام
وغدت نساءُ الدار كالأنعام
قومٍ جُفَاةٍ سَينين لنام
حتى غدوا عيرًا وشر طغام
وتترسوا بالخمر والأزلام
حتى سرى في الناس شر خصام
والذل يمحَقُ عُصبة الإجمام
وتتكروا للحق والأحكام
من يسجدون الدهر للأصنام
مَن يُذعنون لإمرة الحاخام
وتسلحوا في حربهم بسهام
وكأنهم في السباح كالأغنام
ونصيبُ خير الناس حصْدُ الهامِ
يُزجيه للأبرار شرٌّ فنام
وأصاب منا مَقْتلاً بخسام
من غير ما قهرٍ ولا إرغام
من عشق أخذانٍ وشر هيام
وغدت لمن فسقوا شهي طعام
ولربما سكرت ببعض مُدام
والعطرُ يُشعل نار كلِّ غرام
وتقومُ بالإغراء خير قيام
أو يأخذ الرعاء سهمُ حمام

وأباتِ الدربَ القويم لمن غوت
فصدتُ إلى ساحِ القلوبِ سبيلها
طَرقتُ قضايا أهملتُ وتجوّهلتُ
عمدتُ إلى الأبوابِ تَقَرع فهمها!
في عالم هَجَرَ الشريعة والهدى
ونسأوه في التيه يشربنُ الأسي
ورحى التبرج في الديار تجوبها
أما السفورُ فسيئله بلغ الزبي
رخص الحرامُ وبيعت الأعراض في
لعبوا بدين الله أحقر لعبة
وغشوا معاصي ربهم ، فترهلوا
وتكبوا درب الهداية والتقى
واستهزأوا بالوحي حتى جندلوا
وقد استحل العيرُ كل مُحَرَّم
وكمانرى وألوا زبالات الورى
والوا عصابات الصليب وجندهم
وتتبعوا بالكيده كل موحدٍ
عجبًا لقومٍ يذبون ثقاتهم!
سَلِمَ الكِفَارُ من الأسافل عيرنا
يا «أم يوسف» دارنا تشكو اللظى
حالاً من التدمير قد بلغ الذرى
وبناتنا عاتين كل تهتكٍ
واخترن ما تهدي الرذيلة أهلها
وتبخرت في الناس كل ربيعة
لبست لهم ما تشتهيهِ عيونهم
واستعطرت للمُعجبين تهيجهم
تغوي القطيع بما لديها من هوى
ونهاية التغيرير موت كرامة

يا «أم يوسف» حدّثي زوجاتنا
ببلاغ مؤمنةٍ مبينٍ واضحٍ
إذ حالُ أغلبهن ليس بطيّبٍ
فغدا ضحية ما تؤلب زوجه
فبفضلها حبسنته في رغباتها
وبجهدا اكتسبَ الحرامَ ، وحازهُ
وبسعيها خان الأمانةَ عامداً
وبصُنْعها ضحكتُ عليه عشيقهُ
وبضنك عيشتها غلّت نزواته
فهوى إلى قعر الخنا متولهاً
وبكثرة الجدل انتهى لخدينةٍ
وبكثرة الطلبات زایل بيتها
يا «أم يوسف» نحن أردانا الشقا
إننا تزوجنا على نهجِ التقى
ومُصابنا فاق التصور هوله
نحن الضحايا في لظى نيرانه
من أجل ذلك نكّري من قد غفّت
فلربّ قارئةٍ يتوقُّ فؤادها
ولرب سامعةٍ تُشَنَّفُ سمعها
ولرب كاتبه يُعينك رأيها
وإليك من قلبي الكسير تحية
وإلى «عصام الخير» عذبُ تحيةٍ
وعلى المهيمن لا أزكي خلقه
بوركتما ، ونفعتما ما عشتما

عن شرع قومٍ مؤمنين كرام
مستطردٍ ما فيه من إيهام
فيما يخصّ الزوج من أحكام
من أعنف الأوزار والآثام
حتى استساغ قطيعة الأرحام
هل يُشترى سعدٌ بكسب حرام؟
حتى غدا أضحوكة اللّوام
أسرت مشاعره ببعض رغام
في قلب صبّ بالصباية دام
وعن الذين يُسافحون يُحامي
أسرته دون تحسّب بقوام
كي لا تفاجئه ببعض ملام
ونبيتُ نشكو الحال للعلام
ثم ابتلينا بالمصير الدامي
هو فوق ما قد خُطّ بالمرسام
ولهيبه يُزري بكل كلام
ثم احبسي الأفكار بالأقلام
للحق ثم يجدُ في الإقدام
تُصغي إليك بخاطرٍ مقدام
تأتي إليك بجيد الإلهام
سطرتها بالشعر بعد كلامي
إن «العويّد» سيّد الأعلام
لكنما ظني كذا بـ «عصام»
وتقبلا مني عطير سلامي

حنين القلم ومسئولية الكاتب

(لما قرأت كتاب الرافي - رحمة الله عليه - والذي عنوانه: «من وحي القلم» تعلمت أن الكتابة أمانة. والحال أن الناس يُطالعون ما كتب أي كاتب جيلاً بعد جيل ، والكاتب الأريب الأديب هو من يستحضر سؤال الله عز وجل له يوم القيامة عن كل ما كان قد كتبه في الدنيا ، وماذا كان ينوي به. وصدق من قال:

وما من كاتب إلا سيفنى ويُبلى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيءٍ يسرك في القيامة أن تراه

إن الدنيا لو كانت نهاية المطاف لهان الخطب. وأيضاً لو كان القراء كلهم يتجمعون في جيل واحد لكان الأمر أيسر. ويرحم الله زماناً كان أهله يُدركون جيداً مسئولية الكلمة وأمانة القول مكتوباً أو مقروءاً أو منطوقاً. إن الجيل القرآني الذي يسير على الأرض في ظل الهدى القرآني ، يدرك مسئولية الكلمة ، وأنها قد تكون من رضوان الله ، فيرضى الله عنها وعن صاحبها فيدخله الجنة ويرفع قدره بهذه الكلمة المعبرة. وأيضاً كانوا يدركون أن هذه الكلمة قد تكون من سُخْطِ الله وغضبه ومقته فيمقتها الله ويمقت صاحبها ويدخله النار. وإن ، فكلمةٌ أدخلت الجنة وأخرى أدخلت النار. والله في خلقه شؤون ، وسبحان من يُوفِّقُ قوماً لكلمة الحق من رضوانه ويدخلهم بها الجنة ، ويغضب على آخرين فلا يوفِّقون إلى كلمة الحق ، فيعمدوا إلى الكلام الباطل أو الفاحش الحقير الخايس فيدخلهم جهنم (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) ، (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون). ولقد طالعت مجلات كثيرة مذ يَفْعُثُ وعلمت ما معنى مجلة ، وأدركت الغثَّ منها والثمين والله الحمد. كنتُ أطلع من المجلات والدوريات: «مَنبَرُ الإسلام»، «الأزهر»، «اللواء الإسلامي»، «الشباب»، «لواء الإسلام»، «منار الإسلام»، «الدوحة»، «العربي»، «التصوف الإسلامي»، «المسلم»، «نور الإسلام»، «طبيبك الخاص»، «الكويت»، «عالم الفكر»، «المسرح العالمي»، «الأمة»، «الوعي الإسلامي»، «الفصل»، «المجلة العربية»، «البيان»، «الهلال» وغيرها الكثير مما لا أكاد أذكر. إذ بَعْدَ العهد بقراءة المجلات الآن. ولكنني سَعِدْتُ جَدًّا بمجلة «الأسرة» التي تصدر في السعودية ، والتي وتهتم بشؤون الأسرة من الناحية التربوية. وإنني أكاد أجزم بأن هذه المجلة وأختها «الشقائق» هما المجلتان الهادفتان الوحيدتان حسب علمي وظني واجتهادي ، فأما «الأسرة» فتهتم بالأسرة ، وأما «الشقائق» فتهتم بالمرأة. (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) ، والكلمة المنطوقة والأخرى المكتوبة سواء. ولقد تكون المكتوبة أشد خطراً إذا تناقلتها الأيدي في كل مكان. إنني أكتب هذه الذرة الشعرية بمناسبة اطلاعي على مجموعة من مجلة «الأسرة» التي تصدر في السعودية ، وقد ألفيتها مجلة تربوية عظيمة ، وإنني لأدعو الأسر الحريصة على التربية السليمة ألا يفوتها عدد من هذه المجلة العظيمة الفاضلة ، وخاصة في العصر الذي تضافرت كل جهود أهله على هدم الأسرة وتقويض بنيانها إلا من رحم الله تعالى. إن المجلة الهادفة التي تحتوي على المقالة الهادفة والقصيدة الهادفة والتغطية الهادفة والتذكرة الهادفة أصبحت اليوم مطلباً عزيزاً نادراً. والله المستعان. إذ أغلب المجلات اليوم أصبح أصحابها والقائمون عليها حقاً أصحاب أهواء ، يميلون ، وينشرون ، ويطوعون حسب الأهواء! يقول الأستاذ إبراهيم بن عبد الله الزهراني عن الهوى وأصحابه ما نصه: (قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى - : "والمفترقة من أهل الضلال تجعل لها ديناً وقواعد وأصول دين قد ابتدعوها برأيهم ، ثم يعرضون على ذلك القرآن والحديث! فإن وافقه احتجوا به اعتصاماً لا اعتماداً ، وإن خالفه فتارة يحرفون الكلم عن

مواضعه ويتأولونه على غير تأويله ، وهذا فعل أئمتهم ، وتارة يعرضون عنه ، ويقولون: نفوض معناه إلى الله ، وهذا فعل عامتهم". صاحب الهوى - إذا كان عنده شيء من العلم الشرعي - مفزع كل مفترٍ ومأوى كل مبطلٍ ، ومستشار كل طاغٍ ، وفتنة كل جاهلٍ ، بما يسوغه لهم من الآراء الزائفة الباطلة ، ويسوقه لهم من الأدلة الزائفة الواهية ، ويُلَبِّس عليهم به من الشبه الصارفة. قال الحسن البصري - رحمه الله تعالى -: "شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل ؛ ليعموا بها عباد الله". وإذن فصاحب الهوى تسهل استمالاته من قبل أعداء الأمة ، والمتربصين بها الدوائر ، فسرعان ما يرتد خنجراً في خاصرة الأمة وسوطاً يلهب ظهرها ، وعيناً يكشف سرها ، وييدي سواتها ، ويهتك سترها ، داعيةً لتثبيط العزائم ، إماماً لكل متهتك وخائن). هـ. والجميل الذي أعجبني في مجلة: (الأسرة) هو احترامها للمخالف لها في الرأي! وإذن فأدب الاختلاف مبدأ عظيم يتحلى به كُتّاب المجلة وأسرة تحريرها! وعن أدب الاختلاف في الإسلام يقول الأستاذ الشيخ عبد الله بن بيه ما نصه: (يقول الذهبي في ميزان الاعتدال من ترجمة الحافظ أبي نعيم الأصفهاني: "كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعاب به ، ولا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد لا ينجو منه إلا من عصم الله ، وما علمت أن عصرًا من العصور سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصدّيقين". وهناك مجموعة من الآداب العامة ينبغي للمختلفين أن يراعوها ليعذر بعضهم بعضاً ، منها: يقول ابن تيمية: (وكثير من المؤمنين قد يجهل هذا فلا يكون كافراً) ، وفي حديث ابن ماجة عن حذيفة يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نكح ولا صدقة ، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها. فيقول صلة بن زفر لحذيفة راوي الحديث ما تغني عنهم لا إله إلا الله ، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نكح ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة تنجيهم من النار. ثلاثاً" رواه الحاكم. وقد وقع في الديار الشيعوية وأيام سقوط الأندلس أشياء من هذا القبيل والله المستعان. يقول ابن تيمية: (أعذار الأئمة في الاجتهاد فليس أحد منهم يخالف حديثاً صح عن النبي صلى الله عليه وسلم عمداً فلا بد له من عذر في تركه مضيئاً: وجميع الأعذار ثلاثة أصناف أحدها: عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ، والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك ، والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ). وعذر المقلد من نوع عذر الجاهل يقول ابن عبد البر: ولم يختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها (جامع بيان العلم وفضله). ويقول ابن تيمية: وتقليد العاجز عن الاستدلال للعالم يجوز عند الجمهور ، ويقول ابن القيم: فالعامي لا مذهب له ؛ لأن المذهب إنما يكون لمن له نوع نظر واستدلال. عدم الإنكار في مسائل الاختلاف ومسائل الاجتهاد يقول ابن القيم: إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساع لم تنكر على من عمل فيها مجتهداً أو مقلداً. (إعلام الموقعين 3-365). ويقول العز بن عبد السلام: من أتى شيئاً مختلفاً في تحريمه إن اعتقد تحليله لم يجز الإنكار عليه إلا أن يكون مأخذ المحلل ضعيفاً (قواعد الأحكام 1-109) ، قال إمام الحرمين: ثم ليس للمجتهد أن يعترض بالردع والزجر على مجتهد آخر في موقع الخلاف ؛ إذ كل مجتهد في الفروع مصيب عندنا ومن قال إن المصيب واحد فهو غير متعين عنده فيمتنع زجر أحد المجتهدين الآخر على المذهبين (الإرشاد ص 312). والرفق أصل من أصول الدعوة ومبدأ من مبادئ الشريعة ؛ ففي حديث الرجل الذي بال في المسجد وزجره أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهم عليه الصلاة والسلام قائلاً: لا ترموه - أي لا تقطعوا بوله - وأتبعوه ذنوباً من ماء ، وقال للرجل إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذه القادورات. وحديث خوات بن جبير رضي الله عنه حين رآه مع نسوة فقال ماذا تبغي ها هنا قال ألتمس

بعيرًا لي شاردًا. ثم حسن إسلامه وخلصت توبته فمازحه عليه الصلاة والسلام قائلاً: ماذا فعل بعيرك الشارد؟ قال: قيده الإسلام يا رسول الله. وحديث الأعرابي الذي أعطاه فقال له: أحسنت عليك فقال كلاما غير لائق فهمم به الصحابة ؛ فنهاهم عليه الصلاة والسلام ، وأدخله في البيت فأعطاه ، ثم خرج به ، وقال هل أحسنت؟ فقال أحسنت عليّ وفعلت وفعلت ؛ فضحك عليه الصلاة والسلام وضرب مثلاً بصاحب الراحلة الشاردة). هـ. وأعود فأثني شعراً على الأسرة!)

وغادة حُسْنُهَا - عن السفور - عَمِي
 بالعلم والأدب الرَفِيعِ والشَّيْمِ
 على القراطيس في عزّ وفي شَمَمِ
 يُزِيلُ ما في إِبَاءِ النَّفْسِ من سَامِ
 وخيرُ ما حُطَّ في الديار بالقلمِ
 ودربُ رشِدٍ خلا حقاً من التهمِ
 وحصّنت نفسها بالمنهج اللّقيمِ
 وجاهدتُ ، واحتمتُ بنوره التّمِ
 بالحق والخير ، لا بالوزر والأثمِ
 لأنها أدرعت بالشرع والقِيمِ
 إلا «الشقائق» ذات الوعي والحكمِ
 ودربها - في البرايا - غير مُنبهمِ
 ألا يكون سوى في التيه والعدمِ
 وهل تُخيفُ الهدى صولات مُجترمِ؟
 والأمر أبين من نارِ على علم
 عن التحدي ، إذا جمر الوطيس حَمِي
 ولا تُغلب ما تلقى من الرّمِ
 منك الأسارييرُ مهما كُنْتَ في ألمِ
 بطيّب الحَبْكِ والتنضيد للكلمِ
 وإن تُعر غيرَها من الوري تَلَمِ
 خلت من الدس والتضليل والوعَمِ
 والعيشُ يحلو بحقٍ جدّ معتمِ
 لأن من صاغها للناس ذو فهمِ
 من الكرام ، وليسوا خائني الدّمِ

نورٌ توشّح بالأخلاق والقِيمِ
 بدرٌ تآلّق في الظلماءِ مُلتحفًا
 والشمس من كبدِ الجوزاء قد هبطتُ
 والعطرُ فاح - من الأوراق - رونقه
 فخرُ الصّحافةِ إن عزّ العطاءُ بها
 ونهرُ جودٍ به الخيرات عامرة
 مجلة جمعت من كل بارقة
 حيزَ البيان لها ، فبات طابعها!
 وحازتِ السبق في ريفٍ وحاضرة
 ورَفَرَفَ المجدُ جزلاناً بطلعتها
 ولا أكاد أرى أخرى تنافسها
 «الأسرة» اليوم في أسمى مكانتها
 تُنافح الدهر عن دينٍ يُراد له
 تصدُّ عنه ، ولا تخشى الألى فسقوا
 سجالَ الحرب ، والرشادُ منتصرًا!
 لا تستكين إذا ما جولة عجزتُ
 لأنها تنتقي أحلى بضاعتها
 إذا نظرت إلى المقالة انبسطتُ
 فإن قرأت لمست الطهر مؤتزراً
 وإن شرعت تُهادي لم تلم أبداً
 فيها المقالات تُهدي الناس عفتهم
 تُبين الحق ، لا تخفي معالمه!
 والتغطيات تُسلي من يُطالعها
 فإن «للأسرة» الغراء كوكبة

من الفواحش ، بل حتى من اللّم
تفوق حسناً بريق الدّر في اليتّم
مُوجد الشعر واليراع والنّغم
وليس يُوقد نار الدّعْرِ في الأمم
ويستجيش الهدى في خائري الهمم
عليه أطراً بلا عيّ ولا لسم
ولم يُبالوا به ، كلا ، ولا نديموا
دروب من رقدوا في حالك الظّم
في عالم الظهر لا في عالم الجرم
بكل طهر إلى الأفلاك والنجم
بنى الهدى في الورى والبُد والتّم
وشيدّ البأس بالأطناب والدّعّم
مُربياً فطناً ، وفي النزال كمي
أكرم به من عفيف نابه فقم
وإن أحيط به في كلّ مُصطدم
ولا يضلّ فوادّ عف عن رعم
نور المثوبة أو دياجر الندم
تبارك الله من قاضٍ ومُنقم
ثم ابتدا أمره في رقدة الرجم
من الأباطيل والآفات والوصم
فهل عملنا لخطبٍ فاصلٍ عمم؟
لكي تُزيح الذي فينا من الغمم
كلا ، ولم تجترئ عمداً على الحرم
ولم تجمل فنون الفسق العشم
والسوء إن تلقه بالحزم ينحسم
وإن نُقم عوجاً بالبأس يستقم
تُرجي المصائب في مُحلولك السدم
كأنها قحبة تسعى على قدم

قلوبهم طُهرت مما يُدنسها
أما القصائد ، في أوراقها دُرر
وإن «أسرتنا» تختار شاعرها
يُعرّف القوم بالأشعار ملّتهم
يدعو إلى الله من ضلوا ومن فسقوا
ويأمر الناس بالمعروف ، يأطرحهم
وبعدُ ينهأهم عن منكر فعلوا
ويجعل الشعر قديلاً يُنير به
ويُترغ الكأس بالقريض حالمه
يقول بالشعر ما يسمو بقارئه
والشعر إن برئت بالصدق ساحتها
وإن تُعهد بالأخلاق جمّلتها
كذلك «أسرتنا» تختار كاتبها
هو العزوف عن الدنيا وزخرفها
فلا يخون لدينار أمانته
عفّ الفوادّ لذا عفّت يراعته
أمانة كلّ ما نُخطّ حامله
يبلى الذي صاغ ، والجبار سائله
أملى لمن صاغ ، ثم الموتُ باغته!
أمانة فطرة الجُمهور نحفظها
عنها سيسألنا المليك خالقنا
و«الأسرة» انطلقت تُرجي رسالتها
فلم تصوّر على الغلاف ماجنة
ولم تحسن لأهل الحي مخبئة
ولم تحلّ لأهل سوء منكرهم
وليس سهلاً تحدي الناس في بدع
باقي المجالات للإفساد قد طبعت
فيها الإباحية الدهياء شاخصة

باسم الجمال تذيب السَّم في الدَّسم
وعنه تكتب يا كم من فِرَى جُسم!
وفِسقُ مَنْ كتبوها غيرُ منكمِ
يُقَدِّمَانِ الخنا في المَرْتعِ الوَحْمِ
في كل بيتٍ متاهاتٍ من النِّقَمِ
تُريهمُ للورى كالصِّيدِ والكُرمِ
كأنَّ مَنْ كتبوها عابدو صَنَمِ
ولم يُنذِّدْ بما يراه أي فَمِ
وليس مَنْ يفتري كَلًّا بمُتَّهمِ
وحسبنا الله باري الخلق والنَّسَمِ
وليس يَلْحَقُ خُذْلَانٌ بمُعْتَصِمِ
قرائحُ ما بها شيء من السَّخَمِ
وأصبحوا للعدا من أخلص الخدمِ
نُقِّمِ الناسَ مِنْ غُربٍ ومن عَجَمِ
ومَنْ يَرِ الخيرَ فيما قد عداه عمي
وإنَّ عِزَّتَنَا أقوى من النَّظَمِ
شتان شتان بين الأسد والْعَنَمِ!
لولا خيانة دين الله لم يَقَمِ
والشهمُ لو عاين الأعداء لم يَنَمِ
ولا نُعالجُ جُعرَ الكيدِ بالبِكمِ
نَكِرُ لا ندَّعي شيئاً من الصَّمَمِ
على الخليقة والبلدان والذِّمِ
مهما تظاهر بالضمير والسَّلمِ
وإنَّ نَخْضُ في التحدي أشرسَ القَصَمِ
هي المنارُ لنا في دلجة العَسَمِ
لأنها مِنَّةُ الرحمن ذي الكَرَمِ

فكل شيء بها يدعو لداهيةٍ
فتسستبيحُ الذي الإسلامُ حرَّمه
فيها المقالاتُ للتخريب قد نُقِشتُ
إعلانها وغلافٌ فوقه ثَمَلٌ
والشعرُ فيها قبيحٌ منتنٌ قذرٌ
والتغطياتُ لأهل الفن قد رُصدتُ
تحوي القراطيسُ ما يُخزي ضمائرنا
والناسُ تقرأ ، والأعداءُ قد سعدوا
ومَنْ يُعَرِّضُ بهم في الخلق مُتَّهمِ
والموبقاتُ على القراطيس شاهدةٌ
به اعتصمنا ، ولم نَفْتِنِ خلائقه
وما شَهَدْنَا إِنْ إلا بما علمتُ
نُصُولُ في الله ، لا نخشى الألى انحرفوا
ونُشْهَدُ الله أتنا وفق شرعته
وفي استقامتنا مِنْ دينه قَبَسٌ
ونحن للدين مِنْ أقوى الحُماة له
نحن الأسود إذا نِيَلتُ شريعتنا
نَدُّكَ بالحق هزلاً قائماً أبداً
ولا ننام إذا أعداؤنا نشطوا
ولا نُضَخِّمُ بالتوهين خيبتنا
وإن سمعنا بما أعداؤنا اجترحوا
ونَرَجُمُ الزيفَ لا نرضى تطاوله
ونسقطُ الباطلِ العالی تخرصه
ونلزمُ الباغِي المُحْتَالَ حُجَّتَنَا
فإن نعش كانت التقوى وسيلتنا
وإن نُمِتْ كانت المأوى محلَّتَنَا

فقاقيع بين الغموض والبيان

(حاول ذلك المتشاعر الكاذب أو المستشعر أن يثبت لصاحبنا أنه شاعر بكل سبيل. فطلب منه صاحبنا أن يثبت أنه شاعر ولكن بإنشاد شيء من شعره يُمكن الحكم عليه من خلاله. فأنشد مجموعة من الأبيات المكسورة عروضياً ، والمبعثرة المعاني ، والمتشتتة الأفكار. فلا فكرة هنالك ولا مضمون ، ولا وزن ولا قافية ، وإن كان هنالك شيء من البيان والرمزية الغامضة المُوغلة في حُبّ العبث والعزيف والملا شعر واللا شعور. يُضاف إلى هذا كله الأداء السيئ ، فرحت أنشد من شعري أصف هذه الفقاقيع ، وأتخيل الشعر مخلوقاً ضاق بها! إن السرقات يمكن أن يأتيها أصحابها في المتاع الدنيوي أو البيتي! فكم سمعنا بسرقة بيوت وعقارات وجواهر وحلي وفلوس! لكن سرقة المشاعر والأحاسيس والعواطف والأشعار تعتبر دليلاً قاطعاً على أن أصحابها لا يملكون شيئاً من المشاعر أو الأحاسيس أو العواطف أو الخواطر! والحقيقة أن المفلسين المعاصرين لما عجزوا عن الإتيان بمثل الشعر العربي الأصيل بوزنه وقافيته ووحدته ومضمونه وموضوعه وقالبه ، عمدوا إلى كتابة ما يسمونه بالقصيدة النثرية! ولا يصح في بداهة المنطق أن نطلق عليها اسم قصيدة لأنها ليست بقصيدة ابتداءً! إن هذا الانهزام أمام الحداثة يجعلنا نضع شعر العرب في قفص الاتهام! والأصل أن يوضع من حادوا عنه اليوم وعابوه وانتقصوه وخالفوا عن منهجه في قفص الاتهام! لقد سارت أمة العرب على منوال شعرها العربي الأصيل قرونًا متعاقبة ، من عصر امرئ القيس ، مروراً بصدر الإسلام ، وتبعث ذلك قرون وقرون دون أن تفكر الأمة في تغيير شعرها شكلاً ولا موضوعاً! فلقد كان من ثوابتها التراثية والحضارية! فمن أراد أن يصوغ شعراً فليلتزم وزنه وقافيته وموضوعه ووحدته! وإن فللنثر خصائصه وشروطه وكُتابه ، كما للشعر خصائصه وشروطه وشعراؤه! تحت عنوان: (اكتواء يدي بشعلة قصيدة النثر) تقول الشاعرة والكاتبة السعودية فوزية أبو خالد ما نصه بتصريف: (سؤال الشعر وأحواله ، يستحق التأمل وإعادة التفكير في منتج الإبداع الشعري على مر العصور ، وفي مختلف البيئات الاجتماعية والسياسية والعمرانية ، بما فيها اللحظة التاريخية الراهنة المدججة بالتراجع السياسي والفكري في عموم الوطن العربي. فبقدر ما يعدّ الشعر ثابتاً مطلقاً من ثوابت الحياة الإنسانية ومن عمران الضمير البشري ، بقدر ما تكون أشكاله ومضامينه في حال دائمة من التحولات المستمرة التي ما إن ترسي على حال يثري وجدان البشر إلا وتتحوّل بالتماس مع مشاعر الناس وتفاعلاتها المتقلبة إلى حال جديدة. فعلى سبيل المثال في الحال العربية التي جعلت من الشعر ديوان العرب ظل الشعر في تقدمه على الحقب المتعاقبة من التاريخ الاجتماعي والسياسي العربي قادراً على إعطاء صورة متموجة عن أحوال مختلف المراحل التاريخية. فكما كانت المُعلقات رمزاً لعزة العرب السياسية في تعالقتها مع المقدس الديني ، ومع الجاه التجاري ، ومع العنفوان البدوي والضرارة الصحراوية ، فقد كان الشعر في كل عصور الانكسار إكسيراً للاستنهاض. وكان هذا لا يجري عبر القوالب الشعرية ومحتوياتها السابقة ، بل عبر تجاوزها عروضياً ومعنى. حدث هذا في مراحل مفصلية عدة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية إبان دول الخلافة الأموية والعباسية وعلى إثرهما وسواهما من دول الخلافة ببلاد الشام والعراق ومصر والأندلس وإسطنبول. وقد اجترح الشعر العربي من منتصف القرن العشرين إلى مطلع القرن الحادي والعشرين واحدة من أهم التحولات المفصلية في بنية القصيدة العربية شكلاً ومضموناً ، بالخروج عن المستتب العروضي الفراهيدي والغرضي أو الغائي من الرثاء إلى الغزل وما بينهما من مديح وهجاء. أما من الربع الأخير للقرن الفارط إلى اليوم فقد بلغ الشعر العربي ذروة ذلك التمرد بالانفلات من الوزن

العمودي والتفصيلي معاً على مستوى الشكل ، والانسلاخ عن المضامين الشمولية للشعر العربي على مستوى المحتوى ، بالتحويل إلى قصيدة النثر المتحررة من كل قوالب موسيقى الشعر المتعارف عليها قبلها في الشكل ، وبالانحياز إلى شاعرية اليومي والعادي في المضمون. وبالمجازة بينهما أي (بين التمردين) في قصيدة الومضة الشعرية إن صح التعبير. أما ما ينقض السؤال ويتماس معه في الوقت نفسه بما يشبه تلاقي الأضداد ، فهو أن هذا النوع من الشعر أي شعر قصيدة النثر هو نوع شعري ، رغم منجزه الإبداعي الشاهق لعدد من الأصوات المعتقدة والشابة في الوطن العربي ، لا يزال نوعاً عصياً على أن يصل مرحلة نستطيع أن نقول معها إنه بلغ مرحلة الاستقرار كما يطرح السؤال. ويرجع ذلك في رأبي إلى أن قصيدة النثر هي نوع من الشعر التجريبي بطبيعته بحيث لا يكف عن البحث ولا يتعب لحفر واستكشاف منابع ومصاب جديدة لشكل ومضمون القصيدة وللهشة الشعرية. ولهذه الطبيعة المخالفة التي بقدر ما تنعم فيها قصيدة النثر برعب القلق ونشوة الانقضاض التجريبي على نفسها بقدر ما تعيش لذة وعذابات ذنب عدم التزامها بشيعة الوفاء لما سبقها من منجز شعري لها ولسواها ، يصعب الحديث عن بلوغ هذا النوع من الشعر مرحلة الاستقرار. ومن اكتواء يدي اليومي بشعلة الشعر لقصيدة النثر أزعم أنها قصيدة لا تستطيع أن تعيش خارج ماء اسمه التجريب ، موجة تمحو موجة وتؤلف بحوراً من الأمواج المتجددة. وهذا ما يجعل ، في رأبي الشخصي على الأقل ، قصيدة النثر نبغاً من ينباع الضوء التي على تزوعها الشفيف وسهولة انكسارها لا تتورع عن منازلة الظلام المطبق الذي يكاد يخيم على المنطقة العربية عن بكرة أبيها. هذا ليس تقديساً للقصيدة من عوادم السياسة وعدمية الحروب ، لكنها شعلة الشعر التي ليس لنا أن نكف عن سرقتها ، وليس للأكف أن تكف عن تخاطف قبسها ، ليس لترميم الخراب لكن للخروج عليه ، بما فيه الخروج على غربة الشعر اليوم ، وعلى ذلك النوع من الشعر الرديء الذي هو وجه آخر للخراب الذي لا يمكن مقاومته إلا بإبداع شعري جديد. لا أظن أن الشعر اليوم ، مع هذه الثورة العارمة في أوعية الثقافة ، وأدوات الإنتاج مقابل هذا التداعي السياسي عربياً ودولياً ، إلا تحدُّ لخلق حال جديدة من التحولات الشعرية التي لم تعهدها الحواس من قبل. وأنا لا أحفل كثيراً بموضوع الجوائز في الشعر ولا قليلاً ، لا بمعناها العيني ، ولا الرمزي ؛ لذلك لا أستطيع الإجابة عن السؤال عن أثر غياب الجوائز. أما عزوف النقد عن تناول الإصدارات الشعرية الجديدة ، فهذا حقاً سؤال مقلق ، لكن ليس شعرياً بقدر ما هو مقلق في تعبيره عن تماوت أو موت الحس النقدي. والخطير في مثل هذا الموات أن الحس النقدي هو شرط لازب من شروط الحرية والإبداع والمقاومة. فأى أزمة حقيقية يكشفها هذا العزوف النقدي وإن كان للمسألة أوجه أخرى قد لا تكون بالضرورة تعبيراً عن نوع من حال استسلام عام. ومن ذلك أن النقد الأدبي عندنا ارتبط بالإطار الأكاديمي بما في ذلك الإطار من تضيق على الحريات. كما أن لانحسار المطلات الورقية حيث لعبة الملاحق الأدبية ، وبخاصة في التجربة السعودية ، دوراً في التواصل بين ثلاثي الأديب والناقد والقراء قد يكون من أسباب فراغ هذه الأوعية من ذلك الجدل النقدي الفوار الذي شهدته الساحة المحلية في مراحل تاريخية سابقة. وأيضاً قد يكون لجدة الأوعية الإلكترونية واتساع نطاقاتها دور في تشتت المنافذ النقدية وخلق حال من الارتباك لدى أجسادنا ولدى العقل النقدي المعتاد الذي لم يجرب هذه السقوف العالية من حرية النقد من قبل. ولهذا فما زلت أعتقد ، كما سبق وكتبت في مواقع أخرى ، أن تحدينا اليوم أن المدى المفتوح أمامنا أوسع من مذات الأجنحة في دربتها وخبراتها السابقة ، وعلينا عمل شاق وطويل لاكتساب خبرات ودرية الحرية التي تتيحها ثورة الفضاء والاتصالات. فمن المُخجل أن نبقي في مدى لا حدود له بتلك الأيدي القصيرة والأجنحة القليلة نفسها. ولربما كما أن كثرة الطيران تقوي الأجنحة ، فإتساع فضاء

التعبير يعلمنا الحرية).هـ. ولعل الأستاذة فوزية أبو خالد قد بدأت القول وأعادته بشأن قصيدة النثر المزعومة! وكانت قد خلصت إلى أن الداعي إلى صياغة القصيدة النثرية هو فراغ الأوعية والإفلاس الفكري! وأنا أشاركها الرأي ، وأرى أنه لا ينبغي إفساح المجال لهؤلاء المفاليس الأدعياء أن يستمروا طويلاً في كتابة قصيدة النثر تلك! فإما أن يتعلموا العروض والوزن والقافية ويصوغوا ما يكتبون صياغة شعرية صحيحة ، وإما أن يتركوا ساحة الشعر فلن تخسر كثيراً إذا هم فارقوها! وأذكر أن أحدهم جاءني ذات يوم بأجندات ثلاث ، كان قد ملأها جميعاً بالعبارات النثرية المسجوعة زاعماً أنها شعر كما أوهمه أصحابه الذين قرأ عليهم ما كتب! وجاء الدور عليّ ليسألني: هل هذه قصائد جميلة؟ هل هذا شعر؟ وهل أنا أحسنت الكتابة والتصوير والصياغة وانتقاء الألفاظ والتعبيرات المناسبة؟ وكاد أن يُصعق عندما أجبته بالنفي وقلت له: ليس هذا بالشعر! ويوم أن تزعم لنفسك أن الذي كتبت في أجنداتك الثلاث شعراً فاعلم أن الفرق بين الذي كتبت والشعر يزيد عن الفرق الذي هو بين السماء والأرض! فسألني مقاطعاً: وهل أنت تملك نصوصاً صغتها بيمينك شعراً؟ فقلت: نعم! فقال: أسمعني منها! فلما أسمعته بعض ما أنعم الله عليّ من الشعر وأطلق لساني به من البيان ذهل الرجل وكاد أن يسقط في يده! وأعجب بالأشعار قد التزمت الوزن والقافية وتحدت لها أفكار وموضوعات أريد إيصالها للقراء! فقال: وما الذي ينقص نصوصي لتكون شعراً؟ فقلت له: صُبها في قوالب الشعر تصبح شعراً! فقال أفعّل إن شاء الله تعالى. فقلت له: هل عندك إمام بعلمي العروض والقافية؟ فقال لا. فقلت له: هناك قاعدة فقهية أصيلة تقول: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب! وما دمت لا تعرف العروض والقافية فلتتعلمهما أولاً! فقال لي: أتعلمهما على يديك! قلت: اتفقنا! وواظب الرجل بحرين أو ثلاثة ، ثم تقاعس وانتكس ووقف في أول الطريق وقال: الطريق طويلٌ وشاق ولا سبيل يسير يؤدي إلى البشارة باتمامهما! فاتجه الرجل إلى تحويل ما حوت أجنداته الثلاث شعراً! فكانت والله عملية شاقة أشق من صياغة ما حوتنا شعراً بدون تحويل بل تكون الكتابة للمرة الأولى! وعموماً سارق الأشعار أو منتحلها أو الكاتب المغالط الذي يكتب ما يسمى بالقصيدة النثرية لا يهلكون ولا يخدعون إلا أنفسهم! وهم كلهم راحلون وتبقى أعمالهم المسروقة والمنحولة والمغلوطة للتاريخ وللناس! وعمد الرجل إلى قصيدة النثر أو الشعر الحدائي ليداري عواره وليبرر فشله! وتحت عنوان: (الشاعر والشعور) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (عليّ إذن إن أملتُ بشعر حديث ، بكل ما تعنيه الحداثة من حرية وانفتاح ومشاركة في الشعور ، أن أوضح خصائص هذا الشعر من خلال الشاعر ؛ ولا أكون بذلك ناقداً للشاعر نفسه ، لكنني لا أكون أيضاً قد وقعت في مطبّ فصل الشاعر عن شعره. إن كان عليّ أن أكون صادقاً فيما أشعر به وأعقله من منطلق محبتي للإنسان ، فعليّ إذن إنهاء شعوري ذاك – وبكل الصدق – إلى الآخرين ، فأتّمم بذلك واجبي. لكنني قبل أن أُميّز بعض النقاط الهامة حول الشعر والشاعر ، أريد التأكيد على نقطة أساسية ، ألا وهي أنني لا أضع ميزاناً للشعر ولا أحدّد له سبلاً معيّنة. إن ما يهمني هو الشعر المنطلق من الشاعر ، أي من الإنسان الذي يفصح عن شعوره ؛ وليس لي أن أهتم بغير ذلك من "الشعر". ولهذا أركّز فيما يلي كل اهتمامي على علاقة الشاعر بشعره. إن أهمّ ما يميّز التجربة الشعرية – الشعورية – هو النظرة الشاملة والمتكاملة للواقع من منطلق شخصي ، يحافظ على حرية الفرد وعلى خصوصيته في التجربة والرويا ، لكن ضمن منظور جماعي يحافظ على القدرة على السمو ، بالنفس وبالمجتمع ، فوق سراب التعددية ، لتحقيق المعنى والدور الإنسانيين في الوجود. وإني لأتساءل: ماذا يعني أن "نكتب" الشعر ونحن غافلون عن هذه النقطة؟ أليس أن كلَّ انجراف في تيار ما يُعدُّ تقليصاً للإمكانية التعبيرية الشعرية ، إن لم نقل إشرافاً لحرية التجربة الخاصة وإمعاناً في الاعتماد على

تحليل الظروف الخارجية – عقلياً فقط – دون إفساح المجال لأية مبادرة ذاتية في الانفتاح على الآخرين وبلورة الفعل المتبادل معهم – الفعل الذي وحده، في شموله، يتيح للحرية الداخلية أن تشعر فتبدع! من المؤكد أنني لا أطلب – وذلك ليس من حقي – بعدم اعتناق العقائد والمذاهب والأفكار. إنما أردت التلميح إلى نقطة نغفل عنها غالباً ، ألا وهي أنه لا يجوز ، بأي حال من الأحوال ، الخلط بين الحرية الفكرية – وهي ليست إلا شكلاً بسيطاً للاشتقاق الذاتي الخاص ، أي لإسقاط الطرق التعبيرية الذاتية للمنطق الفردي على بوتقات فكرية مختلفة ، بل متناقضة أحياناً – وبين الحرية التعبيرية للداخل ، وهي حرية فنية إبداعية قبل كل شيء. على ذلك، يمكنني الاستنتاج بأن الشاعر قد يعتنق مبادئ معينة ، لكنه لا يقيد نفسه بها ، لأن عقل الشاعر حرٌّ من دوامة الفكر نفسها ، قبل أن يكون حرّاً من التقيد بمنهج أو من التعصب لعقيدة. إنني لا أدعو بالنتيجة إلى رأي خاص ، ولا أطلب – كما يمكن أن يعتقد بعضهم – بمثالية غريبة ، لكنني أجزم أن الشعر ليس وسيلة للتعبير عن الفكر فحسب – عن الفكر المحدود المقيّد خصوصاً – ولا عن العواطف والانفعالات والنزوات ، ولا حتى عن الآلام المكبوتة أو عن ثورات النفس الجامحة الهانجة التي لا تعرف مطلبها ولا تعي كيف يمكن لها أن تحصل عليه. فالحرية الشعرية حرية شعورية ، أي امتداداً للشاعر في المعنى العميق للفكرة التي يريد طرحها ، واتحاد شعوري داخلي مع الموضوع الذي يتناوله ، أو فلنقل ، يشعر بالحاجة إلى الإفصاح عنه. عندما يكون الشعر إفصاحاً عن الشعور الداخلي المتقد والمتفتح فينا يصبح قادراً على التعبير عن عواطفنا وأفكارنا التي تخلصنا من التشويش والانفعال). هـ. وإن فالشعر في حقيقته شعورٌ منضبط بقواعد وأسس وأخلاقيات وقناعات وثقافات! وما لم يكن كذلك فليس شعراً!

وَجَافَاهُ التَّمسِكُ والنَّهْوُضُ	بكل مرارة ضجّ القريضُ
وعربدَ في مشاعره الغموض	يسائل من تشاعر دون وعي
بما يشدو به الفكرُ المريض	وباشرَ غير صناعته ، فأودى
كأن الغرَّ في الناس (الغريض)!	وزاحم عالم الشعرا يُغني
فهل أمسى الهراءُ هو القريض؟	هراءات لها صفة التدي
فهل شعر وليس به عروض؟	فقايع يسربلها انطماس
تُرى هل يفتشع الظلما وميض؟	دياجير تناولت التخفي
ومركبُه لها الشعرُ البغيض؟	ويحسب أنه بلغ الثريا
فهل يسمو إلى الصقر البعوض؟	ويزعم أنه صقر تسامى
وما تزجيه من شعرٍ مهيب	فأقصر يا دعِي ، وكن لبيبا
له سُننٌ تُدعمها الفروض	وإن الشعر علمٌ وانفعال

المخرج من مستنقع الرماد

(كلما قابلته لا حديث له إلا شكوى الحال. فأخذ في التذكير بالصبر وفضله وإصلاح ذات البين والتقوى والتزام الحق واتباع الشرع. ذلك أن من أراد المخرج فعليه بلزوم المنهج. وبهذا يتطير الرماد الكالح ، وتصفو الحياة التي قد نخر دعائمها سوسُ الجاهلية ، وعلاها صداً شكوى الحال والإقبال على الدنيا والإدبار عن الآخرة. إنه كما قلنا لا يصلح حال آخر هذه الأمة إلا المنهجُ الحق الذي قد أصلح أولها! ويقول الشاعر باسم سليمان الذي أصدر خلال الحرب أكثر من كتاب شعري وروائي كان أهمها: «تماماً قبله»: (الشعر ليس الهدف منه فنياً البتة بل عاطفياً ، فالواقع العربي الذي أراد القطع مع الخطاب الثقافي السائد والمتماهي مع السلطة المثار عليها ، ذهب مغترباً في وصف الجيل الشعري الذي نضج وأثمر خلال سنوات الصراع المستمرة ، فوصفه بأنه جزيرة تنمو في وسط المحيط لها جملها واستعاراتها ومجازاتها الخاصة ، وكأن اللغة ولدت الآن لكن المدقق والمتابع بشكل فني من دون التأثر بتجاذبات الجهويات السياسية المتبناة ؛ يستطيع أن يرى التأثير الواضح للأسماء الكبيرة في الشعر السوري على هذا الجيل واستنساخ تجربته وتطويرها ، وهذا ليس عيباً ، فأمر الشعراء وقف وبكى كما فعل ابن حزام وبالتمعن أكثر ، يكتشف كيف تشتغل الآلة الثقافية المعاصرة في تعويم الأسماء وتوجيه الخطاب الشعري نحو سوق العرض للاستهلاك التطهيري وفق رؤية أرسطو! وهذا يسبب التغير المتعمد للشعر العربي المعاصر! إن الشعر المتأدب بأدب العقيدة والملتزم بالتوحيد يبني ولا يهدم وينفع ولا يضر ويرفع ولا يخفض! والشاعر الذي هذا شعره لا يموت شعره عندما يموت شاعره! أما إذا لم يلتزم الشاعر أدب العقيدة والتوحيد فإن شعره يموت في حياة شاعره! فكيف به إذا مات شاعره؟ فهل أدرك ذلك المستشعرون والمتشاعرون؟)

هَلَمْ إِلَي الرِشَادِ ، وَكُن زَكِيَا	عَلِمْتُكَ فِي التِّزَامِكَ الْمَعِيَا
فَكُن بِالشَّرْعِ مَلْتَزِمًا ، لِتَحِيَا	عَظِيمًا فِي الْخَلَائِقِ عِبْقَرِيَا
وَلَا تَرْكُنْ لِأَفْكَائِكَ أَثِيمًا!	سَفِيهًا مَن يُجَارِي السَّامِرِيَا
وَلَا تَسْلُكْ دُرُوبَ مَن اسْتَكَانُوا	لَمَن ظَلَمُوا ، لَكِي تَحِيَا أُبَيَا
وَلَا تَهْبِطْ إِلَي قَعْرِ الدُّنْيَا	فَإِن الدُّعْرَ يَمْتَهِنُ التَّقِيَا
وَجَابَهُ بِالشَّرِيعَةِ كُلَّ غُر	فَإِن الشَّرْعَ يَمْتَحِنُ الْغُويَا
وَعَشَ مَا اسْتَطَعْتَ فِي عِزِّ وَتَقْوَى	تَكُنْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا وَلِيَا
وَكَنْ بِالزَّهْدِ مُتَّصِفًا ، فَهَذَا	سَيَغْذُو الْقَلْبَ ، يَجْعَلُهُ غَنِيَا
رِمَادًا هَذِهِ الدُّنْيَا وَتِيَّةً	فَدْعَهَا كِي تَعِيشَ بِهَا نَقِيَا
وَهَلْ مَسْتَنْقَعٌ يُزْرَى بِشَهْمِ	إِذَا اتَّبَعَ الشَّرِيعَةَ وَالنَّبِيَا؟
أَبْنَتْ لَكَ السَّبِيلَ إِلَي الْمَعَالِي	لَكِي تَحِيَا بِهَا فِدَاً عَلِيَا
فَلَا تَشْكُ الْمَلِيكَ إِلَي الْبِرَايَا	بِمَا قَسَمَ الْمُهَيْمِنُ كُن رِضِيَا

زفرة يرسمها القريض!

(كلما نظرت إلى جيلي عذرت أبنائي ومُن هم على شاكلتهم. وكلما تدبرت سني وعمري ، أدركت أنني ربما ودعت الحياة قبلهم ، ففرحت لنفسي وأشفت عليهم. فلماذا فرحت؟ فلأني يوم أرحل عن هذا العصر وأهله ، أكون قد ارتحت وقد ارتاح ضميري ، فجوار الرفيق الأعلى لا يقارن ولا يشبّه. وأما لماذا أشفت على أبناء ذلك العصر؟ فلأنه عصرٌ قد هانت فيه أمورٌ يحسبها الناس هينة ، وهي عند الله عظيمة. وكثرت فيه الجرأة على الله وشرعه وقرآنه ونبيه. وغزا العصر هجوم مخز وضار على ثوابت العقيدة والشريعة! ومن هنا كانت هذه الزفرة. وأدرك تمام الإدراك وأعرف تمام المعرفة وأوقن تمام اليقين أن شعري باق! يقول الشاعر باسم سليمان: «إن كان من ثورة نقدية مضادة تعيد الشعر إلى ريادته لا بد لها من أن تعترف بأن الشعاعية المعاصرة ، سواء من ناحية الإيجابيات أو السلبيات - كررت إنتاج ذات المناحي السيئة والترويج لها على أنها الخير الوفير في الشعر الآن ، فالقطيعة التي أمل منها أن تحرر الشعر من تجاذبات الجهويات المعاصرة ؛ كي ينتصر لقيم الحق والجمال والخير ، أكملت بنفس النسق الذي ثارت عليه. ولكن أين الشعر؟ تتساءل الشاعرة السورية سوزان علي مردفة: (إن عناوين كثيرة طُبعت وتطبع منذ بداية المأساة السورية في الداخل والخارج ، ومع إيماني العميق بأن الحرب بفوضاها وموتها تجعلنا لا نرى ، فإن النتاجات الشعرية فاقت أي إنتاج أدبي آخر ، مع كل الغرق ، مع كل الضبابية التي تحيط بالمشهد ، هذا بلا شك ما تدل عليه أغلب النصوص الشعرية التي خلصت إليها السنوات الست الأخيرة في سوريا).هـ. وتضيف سوزان علي: «للحظة تشعر فيها أن الشاعر يرقب ما يجري في الشارع ، ثم يبدأ بتدوين أحداثه داخل ورقة في جيبه. تأخذ رحي الحرب مفردات الشعر وتطحنها ، لتجردها من كل ما ألفناه من الشعر السوري. إن الكارثة حدثت لنا في الموت ، ولم يكن هناك من عمل يوازي هذا القتل - تشرح سوزان علي وتضيف: (لأننا في إثره نمشي ، نحن لم ننشف بعد ، وإن نظرنا خلفنا لن نرى سوى ظلال تتكسر ، وكما نضع كفاً فوق جبهتنا أثناء ظهيرة حادة لنرى بصعوبة ، الشعر اليوم يكاد لا يرى ؛ بالمقابل هناك عناوين تمسك خيط الألم من بدايته قبل حتى أن تفتح الكتاب لتقرأ. كلا إن الشعر لا يلفظ أنفاسه الأخيرة ، إنه يعطي الانطباع بأنه متعب حقاً كما وصف الشاعر المكسيكي (أوكتافيو باث) يوماً حال الشعر ، فالبلاد متعبة أيضاً حيث القبور مفتوحة سلفاً ، والغبار غداً سيكون سميكاً فوق الكتب ، الوقت يترنح في ظلّه ، والشعر ينتظر طارقاً جديداً يقوده إلى العماء الأول ، صافياً عذباً كما كان).هـ. ويرى شوقي بغدادي بأن هناك شعراء يتشابّهون كأنهم يحبون امرأة واحدة! فالشاعر شوقي بغدادي له رأي مختلف في شعراء اليوم ؛ إذ يقول: «الشاعر الحقيقي هو الذي يموت إن لم يكتب ، فالشعر نابع أولاً وأخراً من المعاناة الشخصية للكاتب ، وهذا ما لا أراه عموماً عند شعراء اليوم الذين يتشابّهون في كتاباتهم وكأنهم يحبون امرأة واحدة أو كأنهم يكتبون من دون أن يعيشوا ويعايشوا ما يؤلفونه من قصائد. الشعر العربي قديماً كان له مكان الصدارة لكنه اليوم للأسف يجلس في الصفوف الخلفية من المشهد الثقافي السوري - يضيف بغدادي - فكون الشعر نابغاً من إصغاء الشاعر لصوته الداخلي هذا لا يعني أن تخلص قصيدة اليوم إلى نوع من الهوامات ، بل يجب تكوين المناخ النفسي والعاطفي على أساس الصدق في القول الشعري ، لا من باب التزيين والاحتفاء بالأفكار الكبيرة ؛ بل بالتعويل على أهمية الشكل الفني وضرورته في إبداع النص الشعري المتوازن والمؤسس لإشراقات جديدة في القصيدة العربية المعاصرة». الشعر إذاً هو لغة الروح لا لغة العقل ، فليس مطلوباً من الشاعر أن يكون واعظاً أو داعياً أو خطابياً ، بل المطلوب منه أن يكون صادقاً وجريئاً في طرح

الشكل الفني وترسيخه في نصوصه ، وهذا لا يعني كما يرى بغدادي أن «الشعر الحر هو الصيغة الوحيدة للتعبير؛ إنما هناك الشعر العمودي الذي يعد أيقونة الشعر العربي ، لكن من يستطيع الكتابة اليوم كبديويّ الجبل أو سليمان العيسى ، فهؤلاء قلائل جداً ، ولا يتقنون التعبير بأدوات قصيدة العمود التي لم تندثر لكن شعراءها يعدون على أصابع اليد الواحدة. وعن أسباب انحسار الشعر في مصر يقول الأديب صبحي موسى ما نصه: (حين تدعى إلى أمسية شعرية في القاهرة فإنك تتخيل أن كل الذين يجاهرون بحبهم للشعر سيكونون في انتظارك ، لكنك حين تذهب لا تجد جمهوراً غير المشاركين في الأمسية ، وبعض هؤلاء يفضل أن يدخل سجانره خارج المكان إلى أن يأتي دوره. من ناحية أخرى ، حين تكتمل لديك قصائد ديوان فإنك تبحث عن ناشر يقبل نشره ، وإن قبله فلا بد أن تتحمل كلفة الطباعة ، وحين يطبعه تبدأ مهمتك في الترويج له وتوزيعه على الأصدقاء ، وتصبح حفلات توقيع الشعر إن وجدت نوعاً من تبادل المجاملات. هكذا أصبح واقع الشعر ، فلا جمهور ولا جوائز ولا اهتمام إعلامي ، ولا شيء سوى صراعات الشعراء بعضهم مع بعض على أيهم الأشعر ، أو أي الأنواع الشعرية أكثر حياة من غيرها. فالتقليديون لا يؤمنون بقصيدة النثر ، ويكفرون من يكتبها فنياً ، والنثريون يؤمنون بالشعر العمودي وقصيدة التفعيلة لكنهم يرون أن الريادة الآن للنثر ، ومن يكتب سواه فقد أصابته الردة ، هكذا يتصارع الشعراء في حارة لا يكاد يراها أحد ، والأضواء مسلطة على الرواية والسينما وربما المسرح). هـ. وأسأل الله أن يلفظ بالشعر العربي!

عصرُ يموج بكل أصناف الردى	وأراه يقتحم الخلائقَ والمدى
ويقدم التضليل عذباً سائغاً	ليضيع جهد المصلحين به سدى
يسعى على قدم لكل رذيلة	ويمد للإغواء - مشتهاً - يدا
والغيدُ بيعت للزناة أو انسأ	والخمر طابت للندامى مَوردا
وحلا التهتك والتبذل والخنا	والدعرُ في الأصقاع رنانُ الصدى
وعبادة الأصنام عادت تجتني	أرج العقيدة من فؤاد من اهتدى
وأنا أسائل من سيقف زحفها؟	ومن الذي ينهي حسابات العدا؟
والشعر يزفر في الديار مزجراً	ويقول: إنى للذي يجري الفدا
يا أيها الجيل التقى افطن لِمَا	أولاهه غرب تطاول ، واعتدى
حرب سعار ، لا تكن قربانها	واحمل - إذا اشتد الوطيس - مُهدا
لا تنس قدوتك التي تزهبها	أعني ختام المرسلين (محمد)
واجه حياتك بالعقيدة مُصلحاً	حتى تعيش - بدين ربك - سيدا

تقاسيم على البحر الطويل

(سُررت جداً لما علمتُ بأن الشيخ المجاهد المغوار البطل أحمد يسن قد رزق الشهادة بعد طول عمر وحسن عمل وهو مقعد على كرسيه. تلك الشهادة التي كان يتمناها ، ويسعى إليها هناك في ميدان القتال. فسبحان من له في خلقه شؤونٌ ، ونحسب الشيخ شهيداً عند الله تعالى ، ولا نزكي على الله ربنا أحداً. إن هو إلا ظن المؤمن بأخيه ، بل بأستاذه ومعلمه المؤمن وأدخل الله الشيخ فسيح جناته ، وتجاوز عن سيناتنا وسيناته ، وغفر لنا وله. ومن هنا رحلت وحدي أعزف قصيدتي الحزينة تلك على البحر الطويل. وتعجبت من شعراء عصري الذين يؤبن جُلهم المفسدين في الأرض ، ولا نراهم يؤبنون المجاهدين ولا المصلحين! وتحت عنوان: (الشعر العراقي بين راهنية المشهد وارتهان الحضور) يقول الأستاذ حسن جوان: (لقد شهد العقدان الأخيران تحولات كبيرة في مزاج التلقّي وطبيعة التداول الشعري والثقافي للأجناس الأدبية ، وربما كانت الهزات السياسية والاجتماعية والثورة التكنولوجية التي تهيمن على المشهد العام ، قد أسقطت الحدود الوهمية ما بين هذا الجنس الأدبي والفني أو ذاك ، وأسهمت في تبادل أدوار كثيرة ما بين الأجناس النثرية عمومًا ؛ إذ لم يكن الشعر العربي الذي دخل الألفية الثالثة محملاً بأزمات ومخاضات سابقة ، ببعيد من احتمال نصيبه من هذه التحولات ، والانحسار لصالح أنواع صاعدة أكثر فتوةً وأوسع تمثلاً في بسط مهيمنتها الجمالية والواقعية في مساحة التلقّي).هـ. وأعتقد أن الأستاذ حسن جوان قد أصاب كبد الحقيقة بهذا التشخيص ، وإن عنى به العراق! فالمصيبة واحدة في كل البلاد! فرحم الله الأستاذ أحمد يسن وغفر له ذنوبه وأدخله فسيح جناته! إنه لا شك في إخلاص الشيخ وانتصاره للحق والشرع! وظل طيلة حياته بعزم لا يلين وعزيمة لا تفتقر حتى توفاه الله تعالى. نسأل الله أن يكتب له أجر الشهداء بما ضحى وبذل ، وألا يحرمانا أجره ، وألا يفتننا بعده! إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه!)

هنيئاً لك النصر المبين مغرداً
وهذا الذي قد عشتَ ترجوه عاجلاً
وذا يومٍ عرسٍ ، ليس للحزن موقعٌ
أرى ها هنا أمنيّة قد تحققتُ
ولستُ أعزي فيك داراً وشريعة
ألا إن الاستشهاد أطيّب عيشة
وأنت بما أحكىه أدري ، وظنننا
ونحسب أن الفدّ حاز مكانة
يُبايعُك الأبطال ، والله شاهدٌ
غداً يُشرق الأقصى ، وتشدو طيوفه
ودمُعك غال ، والدماءُ عزيزة
وربى يُعزّ العبد ينصر دينه

لقد عشتَ فينا للمعالي مُجدداً
ألا إن أعداء الهدى اختصروا المدى
تأملْ تعالين للأغاريد كم صدى!
وعاش الذي يرجو إماماً وسيدا
فعيشتك والأقصى أسيّر هو الردى
وخيرٌ مردداً يُستطابُ وسوددا
بأنك شهيمٌ ، والنفوس لك الفدى
وإن كان شيخاً مُنْهك الجسم مُقعدا
على الانتقام المُر ممن قد اعتدى
وسوف نطيع الله كي نصنع الغدا
ولن يذُها - يا صاحبي - هكذا سدى
ويُنصر فوراً مَنْ تقربَ واهتدى

أعاجيب قلب قاس

(لخلافاتٍ قامت بينها وبين جاريتها قاطعتها لسنوات عديدة. وذات يوم تذهب جاريتها إلى المستشفى في حالة طارئة ، لم تكن لتستعد لها أبداً. فتركت ابنها ذا السنوات الثلاث في الشارع مضطرة ، فقد أتاها ما شغلها. فأخذته الجارة القاطعة الهاجرة ، ونظفته وأطعمته وقامت على شأنه. وأدخلت الفرحة على قلبه بإعطائه بعض اللعب من لعب أولادها الصغار الذين هم في مثل سن ذلك الطفل البانس. فعلت ذلك كله ابتغاء وجه الله على حد تعبيرها. فتعجبت من هذا القلب. وقررت أن أصف شعوري شعراً فضلاً عن كتابة رواية عن الموقف! والشاعرة رشا القاسم ترى جملة تشخيصات تعرض لها ببساطة حول رؤيتها لطابع الإشكال الشعري من خلال عوامله الداخلية أو بالمقارنة بالرواية وتسيّد الأخيرة المستمرّ على مساحات كانت تُحتسب للشعر فيما مضى. تصف رشا «ما حدث» بأن أحد أسبابه هو أن لغة المجتمع تغيرت عن لغة الشاعر ، فصار جمهور الشعراء هم الشعراء من ذات جنسه ولونه ، بينما التفت المجتمع إلى أجناس أدبية أخرى ذات لغة وأسلوب سهلين ومفهومين. ما يحدث اليوم هو أن الشاعر الحقيقي يواجه أزمة قرّاء ، والقارئ المثقف يواجه أزمة في الشعر. وتضيف القاسم نعم ، أصبح الشعر أكثر يُتَمّاً ، ليس لأن الرواية تحاكي بشكل أدقّ معاناة الواقع العراقي أو العربي فحسب ، بل إن شروط كتابة الرواية سابقاً اختلفت عن شروط كتابتها اليوم بدءاً من الأسلوب وصولاً إلى عدد الصفحات. كما أنها لا تتداول الرموز التي يتناولها الشعراء في نصوصهم ، وقد يتوافر ذلك في بعض النصوص ، لكن ليس كما هو في الرواية).هـ. واستقر الرأي في النهاية على هذه القصيدة البسيطة القصيرة لوصف الحدث.)

عجبتُ لقلبك كل العجب	ومما فعلت اليراع اضطرب
فكيف يصوّر ما قد رأى؟	وإن الذهول به يلتهب
تباركت ربي خلقت الورى	فهذا عبوس ، وهذا طرب
وتلك تُباهي بجاراتها	فتغفر ما قد ترى من نُوب
وتلك تُعادي بلا غاية	وأَيّ التسامح ليست تُحب؟
وقد تتحول في لحظة	وكان الخيال بأن تنقلب
فتبذلُ خيراً لمحتاجه	بكل الرضا ، وبدون الطلب
وتُصبح أمّاً لطفل غدا	شريداً بنار الأسى يختضب
تجن عليه ، وتُهدي له	شهيّ الطعام وبعض اللّعب
وتحمل عنه عذاب الجوى	وفرط النوى وسعير الوصب
إلى أن تعود له أمه	فتأوي إلى الدار كي تحتجب
وتُخي لهيب الشقاق الذي	تمادى ، وتُهدي لظاه الحطب

أشواق لها إيقاع

(لما كان زوجها بين يديها ، وفي بيتها وبين أولادها كانت تحبه وتحرص على رضاه. وعندما سافر عنها اشتاقت إليه. وكان لأشواقها إيقاع تُستلهم معه الذكريات وتُتذكر المناسبات. فأخذت تستعرض هذا كله. وأنشدت من شعري حكايةً عنها ، متخيلاً إياها تحتفل بالأشواق والآمال والأحلام معاً! إذ الحكمة تقول: (اضحك تضحك الدنيا معك!) وحكمة أخرى تقول: (كن جميلاً تر الوجود جميلاً). وأوصى حكيم عبداً تقياً اعتزله الناس لدينه فقال: (لو شعرت ببعد الناس عنك أو بوحشة أو غربة ، فتذكر قربك من وكل عسير إذا استعنت بالله فهو يسير. وقال بولرمان: (التفاؤل يمنحك هدوء الأعصاب في أخرج الله). (الأوقات). ويقول البير كاميه: (إذا شعرت بالتشاؤم ، تأمل الوردية). ويقول بيرون: (المتشائم أحق يرى الضوء أمام عينيه ، لكنه لا يصدق). والمثل الغربي يقول: (إنما المستقبل لأولئك الذين يؤمنون بالجمال). والمشهد الشعري العربي يشهد شعراء قليلين يعكسون واقعهم في أشعارهم ولا يهربون منه! وتحت عنوان: (الشعر في الأردن: مسارات ورؤى ومشارب) يقول الأستاذ جعفر العقيلي ما نصه: (المتأمل في المشهد الشعري العربي في شكل يجده واحداً في واقعه ، وفي التحديات التي يواجهها ، وفي الأسئلة الأكثر إلحاحاً المطروحة على الشاعر ، وكذلك في المآزق الكبير الذي يعيشه الشعر العربي اليوم. لكن الأمر لا يخلو من فروقات وتباينات في التفصيلات بين بلدٍ وآخر ، تبعاً لطبيعة التجربة في كل بلد ، وامتداداتها التاريخية والمعاصرة ، والسياق العام الذي يتحرك الشعراء – وبقية المبدعين – في إطاره ، وبخاصة في ظل التحولات الكبرى التي شهدتها السنوات الأخيرة ، على الصعد كافة. وفيما يتعلق بخصوصية التجربة الأردنية ، شهد العقد الأول من الألفية الثالثة فورةً شعريةً نوعيةً في الأردن ببروز ثلثة من الشعراء الشباب من الجنسين أكثرهم من طلبة الجامعات ، غير أن تلك الفورة أخذت تخفت بحسب الشاعر والناقد والأكاديمي خالد الجبر ، في ظل التغيرات الهائلة في الحياة الاجتماعية ، وتراجع الاهتمام بقطاع الشباب ، وانحسار الاهتمام المجتمعي بالشعر نتيجةً لتركيز النقاد والمؤسسات الثقافية على الرواية ، وذبول الوجدان الجمعي حيال القضايا الكبرى). هـ. ويقول الأستاذ خالد الجبر: (إنّ عددًا من كتاب الشعر تمكّن من تحقيق منزلةٍ كبيرةٍ واضحةٍ في العالم العربي ؛ ومنهم بحسب الجبر: نبيلة الخطيب ، ومها العتوم ، وراشد عيسى ، وناصر شبانة ، وسعيد يعقوب ، وعماد نصّار ، ومحمد مقداوي. ويرى الجبر أن شعراء القصيدة الكلاسيكية وشعراء التفعيلة تمكّنوا من تجاوز العقبات التي فرضتها مصادرات الوسط الثقافي المنحاز إلى قصيدة النثر منذ أواخر ثمانينيات القرن العشرين ، ممتدّين بالقصيدة تشكيلاً وبنيةً وصورةً ولغةً إلى آفاقٍ بدت ذات حينٍ في العصيّ البعيد. وهو ما يجعله يؤكد أن بإمكاننا النظر اليوم إلى التنوع البادي في الحالة الشعرية في الأردنّ بكثيرٍ من التفاؤل ، مطمئنين إلى استعادة الشعر مكانته اللانقة في الحياة الأدبية على مستوى الأمة). هـ. وأراني بشهادة من نقدوا شعري ، من قبيل الشعراء الذين يعالجون الواقع بالشعر! وعموماً الشعر شعور وإحساس صب في قالب وفق ضوابط وقواعد معينة! وتحت عنوان: (الشاعر والشعور) يقول الأستاذ موسى ديب الخوري ما نصه: (ألا نسمع معاً ذلك الأنين وتلك الشكوى ينبعثان من الشعر الحديث ، وكأني بهما يعبران عن الضياع والتخبط اللذين نعيشهما هذه الأيام؟ ثمّ ألا نلمح سويةً ذلك الهروب أو عدم القدرة على طرح الحلول للمشاكل وللصعوبات التي يعاني منها الشاعر والمجتمع؟ إن واقعنا صعب ، والعالم يمرُّ بفترةٍ من أحلك الفترات التي مرّت على كرتنا الأرضية ؛ وفي حين تتفاقم المشكلات الفردية والجماعية للإنسان ، تتضح حقيقةً ترابطها وتداخلها ، وتنبثق من ذلك الصعوبة

المشتركة التي يعاني منها كلُّ إنسان بطريقة مختلفة عن الآخرين. أمن الممكن أن ما كان ينبغي أن يجعل الشعرَ الصادقَ الحيَّ يتدفَّق من أعماق "الإنسان-الشاعر" لا ينفكُّ يشوِّش عليه ويؤنِّيه ، حتى ينفثه دخاناً تَرَكَ في الداخل ، هناك في الأعماق البعيدة للكائن الإنساني ، سموماً لم نجد ترياقاً لها بعد؟ لا. إن ما يمكن أن يعتمل في قلب الإنسان لهو غير ما يتبطَّن عليه الإنسان في الحقيقة. ويجب علينا إن نحن أردنا أن يتجلَّى الباطنُ فينا ، أن ننقِّي مشاعرنا وأفكارنا وعواطفنا. عندما قلت إننا لا نعرف ما نريد عنيتُ أننا لا نزال نتخبَّط في البحث عن حلول لا تتبع من داخلنا ، فتكون بالتالي غير قادرة على الثبات أمام تقلُّبات الخارج وعواصفه). هـ. حاولتُ جاهداً وصف شعور هذه المرأة التي غاب عنها زوجها فقلت على البسيط:

الشوق يُلهبُ أحلامي ويَزدهرُ
أبيتُ في غربة ، والهَمُّ يقتلني
وذاك بيتي خلا ممَّن يُنوره
وتستجيش أحاسيسي ملابسُه
وبعضُ أشرطةٍ قد كان رتبها
والدارُ فيها له سيارة وجمتُ
والناس حولي وأبنائي وطعمتنا
مضى وخلفني في الكرب شاكية
وكم تذكرتُ ما قارفت من محن!
اليوم تبت عن العصيان ضقتُ به
عساه يرضي وعن عمدٍ يُسامحني
وقد كفاني من الأشواق لوعتها
لولا مكابدةً في الحب لاعجة
وما جرى الدمع مهتاجاً يُعذبني
وما استكانت لفرط الوجد عاطفتي
وما استجابت أساريري لكربتها
وكل شبل من الأشبال يسألني
يرونُ فيك أباً قد كان يُسعدهم
يقول أصغرهم: متى يجي أبي؟
حتى أشيخ بوجهي ، ثم يسألني
يُهَيِّجون أحاسيسي صباحَ مسا
والطيفُ في غرفتي يختال مزدهياً

ويَسرقُ النومَ من عيني ، وينبهرُ
والحزنُ في القلب مثل النار تستعر
ومن هو السمعُ لي والقلبُ والبصر
وبعضُ أقلامه والكُتبُ والصُّور
قبل الرحيل عليها الدمعُ ينهمر
كأنها تسأل الأبناء: ما الخبر؟
لكنُ فراقُ أبيهم ليس ينجبر
إلي المليك عذاباتي ، وأنتظر
يا ليتني لم أكن للذنب أفتكر
وبعدُ إنني إلي زوجي لأعتذر
فالحوبُ عند كرام الناس يُغفِر
خاب الفراقُ ، وخاب البُعدُ والسفر
لما استطلت على أناتي السُّعر
كأنه الشوكُ في الأحداق والإبر
ولم يزرني الجوى - كلا - ولا السهر
حتى غدت من مرار الكرب تنفطر
متى سيطلع في ظلماتنا القمر؟
وكنتُ يوماً أرى غير الذي ذكروا
فيجعل الدمع في عينيَّ ينحدر
فأزجرُ الطفل ، علَّ الطفل ينزجر
والدمعُ يغلبني ، كأنه المطر
يعيد ذكرى لها في خاطري بُّشُر

فَأَسْتَفِيقُ عَلَى طَيْفٍ يُسَامِرُنِي
فَأَجْتَنِي مِنْ زَهْوَرِ الْحُبِّ مَا يَنْعَتُ
فَأَذْكَرُ الْحُبَّ وَالْمَحْبُوبَ فِي فَرْحٍ
وَأَذْكَرُ الْغَيْرَةَ الشَّهْبَاءَ مِنْ رَجُلٍ
وَأَذْكَرُ الْغَضْبَةَ النِّجْلَاءَ يَغْضِبُهَا
وَأَذْكَرُ الْخَيْرَ ، كَانَ الزَّوْجُ يَجْلِبُهُ
وَأَذْكَرُ النَّصِيحَ لَمْ يَبْخُلْ بِهِ أَبَدًا!
وَأَذْكَرُ الْحِكْمَةَ الْعَصْمَاءَ جَادَ بِهَا
وَأَذْكَرُ الْجُودَ بِالْأَمْوَالِ يُهْلِكُهَا
وَأَذْكَرُ الرَّفْضَ لِلتَّفَازِ فِي وَضْحٍ
وَأَذْكَرُ السُّنَّةَ الْمُتَلَى تَقْلُدُهَا
وَأَذْكَرُ الْجَارَةَ الشَّمَاءَ أَكْرَمُهَا
أَمْسَى يَشِيدُ بِأَخْلَاقِ لَهَا عَظُمَتْ
عَظِيمَةُ الطَّرْفِ عَنِ سَوْءٍ وَمَنْقُصَةٌ
وَكَانَ يَذْكَرُ فِي فَجْرِ مَنَاقِبِهَا
وَكَانَ يَفْرَحُ إِنْ زَارَتْ مَضَارِبَنَا
وَلَمْ يُزَكِّ عَلَى الرَّحْمَنِ مِنْ أَحَدٍ
لَكِنَّهُ أَنْزَلَ الْفَضْلَ بِمَنْزِلَةٍ
تَبَارَكَ اللَّهُ يَا أَخْتَا بَغْرِبْتِنَا
وَلَمْ تَفْرُقْ كَأَهْلِ الْحَيِّ قَاطِبَةً
وَ (يُوسُفَ) عِنْدَنَا غَالِ كَ (فَاطِمَةَ)
وَ (رَاشِدَ) سَيْفِهِ فِي بَيْتِنَا أَلْقُ
ذِي جِيرَةٍ طَهَّرَتْ مِمَّا يُدْتَسُّهَا
وَأَذْكَرُ الزَّوْجَ كَمَ كَانَ الْحَيَاةَ لَنَا!
وَالْيَوْمَ يَمْضِي فَلَا سَعْدَ وَلَا فَرْحَ
أَعَادَهُ اللَّهُ نُورًا فِي دِيَاغِرِنَا

كَأَنَّهُ الْعَطْرُ فِي الْأَرْكَانِ يَنْتَشِرُ
أَلْوَانُهُ ، وَزَكَا أَرِيحُهُ الْعَطْرُ
وَأَذْكَرُ الشَّرْعَ ، فِيهِ الْخَيْرُ وَالنَّذْرُ
بِحَبِّهِ بَيْنَ أَهْلِ الْخَيْرِ أَفْتَخِرُ
لِلَّهِ لَيْسَ لَهُ مِنْ بَدَلِهَا وَطَرُ
لَبِيَّتِ اسْرْتَهُ الْجَهَابُذُ الْغَرَرُ
كَانَتْ نَصَانِحَهُ كَأَنَّهَا الدَّرَرُ
إِذْ كَانَ يَعْلَمُ مَا يَأْتِي وَمَا يَذْرُ
يَرْجُو الثَّوَابَ ، وَهَذَا الْأَمْرُ مُشْتَهَرُ
وَإِنْ رَأَى حَلَّهُ فِي دَارِنَا الْبَشْرُ
فِيهَا اسْتَطَاعَ ، ففِيهَا الْعِزُّ وَالظَّفَرُ
فَمَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ فِي الْوِزْنِ وَالْأَخْرُ
جَدًّا ، وَكَانَ لَهَا فِي شَرْعِنَا نَظْرُ
دَوْمًا ، وَتُدْمَعُهَا إِنْ رُدَّتْ سَقْرُ
كَدُوْحَةٍ فِي جَوَاهِرِ الظَّلِّ وَالثَّمْرِ
فَفِي زِيَارَتِهَا الْهِنَاءُ وَالسَّمْرِ
لَأَنَّه لِرِضَاءِ اللَّهِ مُفْتَقِرُ
فَنَعْمَ صَاحِبَةٌ ، وَنِعْمَتِ السَّيْرِ!
حَلَانَا فِي عَطَاهَا الْوَرْدُ وَالصَّدْرُ
فَعِنْدَهَا (مَاجِدٌ) أَوْلَى بِهِ (عَمَرُ)
هُمَا هُمَا الذَّخْرُ إِمَّا هَاجَتِ الْغَيْرُ
وَالسَّهْمُ عِنْدَ (صَلَاحِ الدِّينِ) وَالْوَتْرُ
فَفِي تَأْمُلِهَا الْعِظْمَاتُ وَالْعَبْرُ
بَلِي هُوَ الْخَيْرُ وَالْأَهْلُونَ وَالسَّمْرِ
وَمَا لِمَ صَاحِبِنَا فِي دَارِنَا أَثْرُ
إِنَّ الْمَلِيكَ عَلَى مَا قَلَّتْ مُقْتَدِرُ

من وحي اللغة العربية

(على أنني تخصصتُ في اللغة الإنجليزية ، ولكنني فعلاً ظللتُ على ولائي وحيي للغة العربية لغة القرآن. ولا أكاد أنسي خلافاً قام بين أساتذتي سنة 1981م عندما احترت في اتخاذ القرار بشأن القسم الذي ألتحق به في كلية الآداب. فرشح لي الأستاذ رمضان متولى الدنجاوي (معلم الإنجليزية) القسم الإنجليزي. ورشح لي الأستاذ / إبراهيم خليل (معلم الفرنسية) القسم الفرنسي. واختار لي قسم اللغة العربية الأستاذ عزمي فتحي عُلمي معلم اللغة العربية! وشاء الله لي القسم الإنجليزي. والآن أغنى للعربية. ويكاد يقتلني القهر عندما أجد في بعض الزملاء من معلمي اللغة العربية ضعفاً في أي فرع من فروعها ، الأمر الذي يجعلني أناظرهم دائماً لأقوي من أزرهم وأرفع من شأنهم! ذلك أن الحرب عليهم وعلى لغتهم شعواء ضارية. ومن هنا وجب الإشفاق عليهم! إنه لا خطر أبداً على اللغة الإنجليزية في زماننا ، فهي مدللة منتشرة غازية متفوقة منتصرة! ولأوردن هنا ما يثبت جمال العربية وعمقها وقصب سبقها وعظمتها! ولا ينبئك مثل خبير كالدكتور سليمان فياض الذي جلى لنا العربية بصدق واع! وهذه قطوف من كتاب (استخدامات الحروف العربية) ، للعلامة المحترم سليمان فياض - في اللغة والنحو: (إن اللغة العربية هي إحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم ، يتحدثها أكثر من 1 300 مليون نسمة ، ويتوزع متحدثوها في المنطقة المعروفة باسم العالم العربي ، بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة كإيران وتركيا وتشاد ومالي والسنغال. اللغة العربية هي أكبر فرع من فروع اللغات السامية وتشبه إلى حد كبير ، من ناحية البنية والمفردات وغيرها ، لغات سامية أخرى كالآرامية والعبرية والأمهرية. للغة العربية أهمية قصوى لدى أتباع الديانة الإسلامية ، فهي لغة مصدري التشريع الأساسيين في الإسلام: القرآن ، والأحاديث النبوية المروية عن الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تتم الصلاة في الإسلام (وعبادات أخرى) إلا بإتقان بعض من كلمات هذه اللغة. وإثر انتشار الإسلام ، وتأسيسه دولاً ، ارتفعت مكانة اللغة العربية ، إذ أصبحت لغة السياسة والعلم والأدب ، وأثرت العربية ، تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على كثير من اللغات الأخرى في العالم الإسلامي ، كالتركية والفارسية والأردية مثلاً. والعربية لغة رسمية في كل دول العالم العربي إضافة إلى: السنغال ومالي ، وتشاد ، وأريتيريا. وقد اعتمدت العربية كإحدى لغات منظمة الأمم المتحدة الرسمية الست. تحتوي العربية على 28 حرفاً مكتوباً وتكتب من اليمين إلى اليسار - بعكس الكثير من لغات العالم - ومن أعلى الصفحة إلى أسفلها. والعربية اسم مشتق من الإعراب عن الشيء (وربما العكس) ، أي الإفصاح عنه! وهكذا فالعربية تعني من حيث الاشتقاق لغة الفصاحة. تسمى العربية بلغة الضاد لأنه يعتقد أنها اللغة الوحيدة في لغات العالم التي تحتوي على حرف الضاد. والعربية إحدى اللغات السامية ، وهي أحدثها نشأة وتاريخاً ، لكن يعتقد البعض أنها الأقرب إلى المصدر وذلك لاحتباس العرب في جزيرة العرب ، فلم تتعرض لما تعرضت باقي اللغات السامية من اختلاط. ولكن هذا الرأي ضعيف من وجهة نظر علم اللسانيات ، حيث إن تغير اللغة هو عملية مستمرة عبر الزمن والانعزال الجغرافي ، يزيد من حدة هذا التغير حيث يبدأ نشوء أي لغة جديدة بنشوء لهجة جديدة في منطقة منعزلة جغرافياً. إن بداية اللغة العربية لا زالت مجهولة وذلك لجهلنا معالم تاريخ العرب القدامى وأقدم نقوشهم الموجودة (على قنيتها) يرقى إلى القرن التاسع أو العاشر الميلادي. هنالك العديد من الآراء والروايات حول أصل العربية لدى قدامى اللغويين العرب ، فيذهب البعض إلى أن يعرب كان أول من أعرب في لسانه ، وتكلم بهذا اللسان العربي فسميت اللغة باسمه ، أما البعض الآخر

فيقول بأن تاريخها بدأ على يد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام. إذ إنه أول من فُتق لسانه بالعربية المبيّنة ، وهو ابن أربع عشرة سنة ونَسِي لسان أبيه ، أما البعض الآخر فيذهب إلى القول بأن العربية كانت لغة أهل الجنة ، إلا أنه لا وجود لبراهين علمية ترجح أيا من تلك الادعاءات. لو اعتمدنا المنهج العلمي وعلى ما توصلت إليه علوم اللسانيات والآثار والتاريخ ، فإن جُل ما نعرفه أن هناك لغتين تفرّعت عنهم سائر اللهجات العربية ، هما لغة الجنوب ولغة الشمال. ولقد كانت لغة الجنوب تختلف عن لغة الشمال حتى قال أبو عمرو بن العلاء (770م) : "ما لسان حمير بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا!" فلغة الجنوب أكثر اتصالاً باللغة الحبشية والأكادية ، بينما لغة الشمال أكثر اتصالاً باللغة العبرية والنبطية. ويعتقد بعض العلماء أن لغة الجنوب إحدى أصول لغة الشمال ، معتمدين على النقوش المكتشفة في اليمن إذ تتطابق فيها بعض العبارات لفظاً وتركيباً. وترجع أقدم النقوش العربية الجنوبية إلى الحميرية والمَعينية والسبئية والقبتانية القديمة. أما العربية الشمالية فهي الأقرب للآرامية. واللغة العربية أول لغة في العالم تستخدم حرف الضاد ، وحتى اللغة الألبانية تستخدم في لغتها حرف الضاد ولكن ذلك بعد وصول الإسلام (واللغة العربية) إليها على يد العثمانيين. الضاد: خامس عشر حروف الهجاء حسب ترتيبها الشائع ، والعاشر حسب ترتيب الخليل بن أحمد في كتابه "العين" ، أول معاجم اللغة العربية ، والتاسع حسب ترتيب "سيبويه" والسادس والعشرون في ترتيب "أبجد هوز" وقيمتها في حساب الجمل (800) ثمانمائة. والنحو العربي هو علم يبحث في أصول تكوين الجملة وقواعد الإعراب. فغاية علم النحو أن يحدد أساليب تكوين الجمل ومواضع الكلمات ووظيفتها فيها كما يحدد الخصائص التي تكتسبها الكلمة من ذلك الموضع ، سواءً أكانت خصائص نحوية كالابتداء والفاعلية والمفعولية أو أحكاماً نحوية كالتقديم والتأخير والإعراب والبناء. والشعر العربي والنثر الذي يضم السجع والطباق والجناس والمقابلة والتشبيه. والعربية لها كثير من اللهجات المختلفة ويمكن تقسيمها إلى: - اللهجة المصرية. - اللهجات البدوية (النجدية) - اللهجة - اللهجة النجدية - اللهجة القصيمية - اللهجة الحجازية(السعودية وتضم: اللهجات السورية واللبنانية والأردنية والفلسطينية) - اللهجة اليمنية و(تجمع (الشامية ومن ضمنها: اليمن والأجزاء الجنوبية من السعودية والغربية من عمان). - اللهجة البلوشية العربية. - اللهجة الخليجية وتجمع أجزاء من شرق المملكة العربية السعودية والكويت ، والإمارات والبحرين وقطر. - اللهجة العمانية - اللهجة الشحية - لهجة ورش - لهجة حفص - اللهجة الجزائرية - اللهجة المغربية - اللهجة - اللهجة البغدادية - اللهجة المصلاوية -اللهجة التونسية - اللهجة الليبية - اللهجة العراقية البصراوية - اللهجة السودانية - اللهجة الموريتانية - اللهجة الحسانية المستعملة في الصحراء الغربية ومعظم موريتانيا وهي خليط من العربية واللهجات الصنهاجية (الأمازيغية القديمة). - اللهجة البحرانية - اللهجة الكويتية. ولقد امتد تأثير العربية (كمفردات وبُنَى لغوية) في الكثير من اللغات الأخرى بسبب الإسلام والجوار الجغرافي والتجارة (فيما مضى). هذا التأثير مشابه لتأثير اللاتينية في بقية اللغات الأوروبية. وهو ملاحظ بشكل واضح في اللغة الفارسية حيث المفردات العلمية معظمها عربية بالإضافة للعديد من المفردات المحكية يوميا. واللغات التي للعربية فيها تأثير كبير (أكثر من 30% من المفردات) كثيرة ، ومنها: الأردو والفارسية والكشميرية والبشتونية والطاجيكية وكافة اللغات التركية والكردية والعبرية والإسبانية والصومالية والسواحيلية والتجريدية والأورومية والفولانية والهاوسا والمالطية والباهاسا (مالايو) وديفيهي (المالديف) وغيرها. بعض هذه اللغات مازالت تستعمل الأبجدية العربية للكتابة ومنها:

الأردو والفارسية والكشميرية والبشتونية والطاجيكية والتركستانية الشرقية والكردية والبهاसा (بروناي وآتشه وجاوة). دخلت بعض الكلمات العربية في لغات أوربية مثل الإنجليزية والإسبانية. والحقيقة أن اللغة العربية لم تتأثر باللغات المجاورة كثيراً رغم الاختلاط بين العرب والشعوب الأخرى ، حيث بقيت قواعد اللغة العربية وبنيتها كما هي ، لكن حدثت حركة استعارة من اللغات الأخرى لبعض المفردات التي لم يعرفها العرب (مثل البطاطا والطماطم). وهناك العديد من الاستعارات الحديثة ، سواء المكتوبة أم المحكية ، من اللغات الأوربية ، تعبّر عن المفاهيم التي لم تكن موجودة في اللغة سابقاً ، مثل المصطلحات السياسية (الإمبريالية ، الإيديولوجيا ، إلخ.) ، أو في مجال العلوم والفنون (رومانسية ، فلسفة ، إلخ.) أو التقنيات (باص ، راديو ، تلفون ، كمبيوتر ، إلخ.). إلا أن ظاهرة الاستعارة هذه ليست حديثة العهد ، حيث قامت اللغة العربية باستعارة بعض المفردات من اللغات المجاورة منذ القديم ، افتقاراً للمعنى (أي تعبيراً عن مفردات لم تكن موجودة في لغة العرب) (بوظة - ياقوت - نرجس - زئبق - آجر - ورق - بستان - جوهر (مجوهرات) - طربوش - مهرجان - باذنجان - توت - طازج - قناة - فيروز من الفارسية البهلوية مثلاً). وبشكل عام فإن تأثير الفارسية أكثر من لغات أخرى كالسريانية واليونانية والقبطية والأمهرية. ودخل في لهجات المغرب العربي بعض الكلمات الأمازيغية ، مثل فكرون = سلحفاة. هذا وتوجد نزعة إلى ترجمة أو تعريب كافة الكلمات الدخيلة ؛ إلا أنها لا تنجح في كل الأحيان ، فاللغة الحية تنقي ما يناسبها من كلمات. فمثلاً ، لا يُستعمل المقابل المعرب للراديو (مذياع) عملياً ، بينما حازت كلمة "إذاعة" على قبول شعبي واسع. كل لغة تشتمل على مجموعة بعينها من الأصوات. فالعربية مثلاً تشتمل على أصوات (حروف) التي لا تتواجد باللغة الإنجليزية أو الأوردية. لذا فيستعمل ناطقو كل لغة أبجدية تتيح لهم تدوين الأصوات التي تهتمهم سواء من لغتهم أو من اللغات الأخرى (كلغة القرآن الكريم). هذا ويستخدم مصطلح التعريب في الثقافة العربية المعاصرة في أربع معانٍ مختلفة ، وتسبب أحياناً إلى الخلط: - قد يقصد بالتعريب إعادة صياغة الأعمال والنصوص الأجنبية إلى شيء من التصرف في معناها ومبناها بحيث تتوافق مع الثقافة العربية وتصبح نوعاً ما عربية السمة. - وقد يقصد به أحياناً الترجمة ، وهذا قريب الصلة بالمعنى السابق. لكن يرى اللغويين أن هذا خطأ وتنقصه الدقة ؛ فالترجمة ليست تعريباً حيث إنها لا تتعدى نقل النصوص من لغة والتعبير عنها بلغة أخرى. - المعنى الثالث وهو الأشهر في الاستعمال ، ويقصد به نقل اللفظة الأجنبية كما هي مع شيء من التعديل في صورتها بحيث تتماشى مع البناء العام والقواعد الصوتية والصرفية للغة العربية. مثل لفظة إبريق ، وتلفاز وغيرها من الألفاظ غير عربية الأصل. - المعنى الرابع وهو ما يشيع بين الدارسين والمهتمين باللغة العربية ، ويقصد به تحويل الدراسة في الكليات والمعاهد والمدارس إلى اللغة العربية بحيث تصبح لغة التأليف والتدريس مثلها مثل أي لغة في العالم. ويتماشى مع هذا المعنى تعريب الحاسوب وما يتعلّق به من برمجيات بحيث تصبح لغة التعامل معه هي العربية. والتعريب هو ابتداع كلمات عربية لتعبر عن مصطلحات موجودة بلغات أخرى وليس لها تسمية عربية ، ويتم التعريب إما بالشكل العشوائي الذي يؤدي إلى ابتداع المجتمع أو نحته لمصطلح جديد: ككلمة التلفزيون مثلاً ، أو يتم بطريقة ممنهجة (وليس بالضرورة علمية أو صحيحة) عن طريق مجامع اللغة العربية مثلاً ، ويوجد في الوطن العربي عدة مجامع للغة العربية تختلف في تعريبها للمصطلحات مما يخلق بلبلة كبيرة في أوساط المستخدمين لهذه المصطلحات. فهي قد تكون معربة بشكل حرفي لدرجة أنها تفقد معناها التقني أو قد تكون مبنية على فهم خاطيء للمصطلح الأجنبي ، كما قد تحاول إلباس كلمة عربية قديمة لباساً جديداً بصيغة غريبة لجذر ذو معنى ذا علاقة. ولعل أصل هذا

الاعتقاد هو حديث أغلب الظن أنه حديث باطل ، قد يصنفه آخرون بأنه ضعيف وهو كما يلي "أحبوا العرب لثلاث ، لأني عربي ، ولأن القرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي" ، وقد صنّفه الألباني بأنه حديث موضوع).هـ. ولي الفخر أن دافعت عن العربية لسان الضاد في غير ما قصيدة وفي غير ما مشهد! وأفحمتُ خصوصاً كثيرين كانوا قد انهزموا أمام التيار الحداثي المشوّوم وأمام الهجمة التغريبية الملعونّة! وحاولتُ جاهداً أن أتميز في شعري موضوعاً ومادة وعاطفة ونصاً وقلباً وقلباً! تقول الشاعرة الشابة رنا أبو خالد: إن الأردن خرج جيلاً من الشعراء المميزين ، ما زلنا نذكرهم حتى يومنا هذا ، وترينا على قصائدهم ودرسناها في المناهج ؛ أمثال الشاعر مصطفى وهبي التل (عرار). أما الآن ، فيعيش الشعر واقعاً مريراً وتحديات صعبة ، فعلى الرغم من بروز كثير من الشعراء الشباب الذين يمتازون بروحهم الثقافية العالية ، وسلاسة اللغة وجمالية المعنى ، فإن هناك كثيراً من التحديات التي تقف عائقاً في طريقهم ، وأهمها غياب الفعاليات الثقافية ، وعدم تشجيعهم أو الاهتمام بهم ؛ بسبب قلة الموارد المالية المخصصة لدعم الساحة الثقافية. وتلخص أبو خالد الأسئلة التي تواجه الشاعر الأردني بقولها: إنها تنبع من منطلقات قصائده ، وأهم المحاور التي تتحدث عنها ، وطبيعة ونوعية الكتب التي يفضلها ، والشعراء الذين يتأثر بهم. وتقرّر أن غياب الاهتمام قاد بعض الشعراء إلى اتباع طرق تحقق لهم انتشاراً أوسع وتمكّنهم من إيصال كتاباتهم بطرق حديثة ؛ إذ أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي ملاذاً لهم ، لتفويض أرقامهم بمواهب مدفونة نتعرف عليها من خلال شاشة صغيرة).هـ. واليوم ونحن نحاول جاهدين أن نحمل الناس على التحدث باللغة العربية ، فإذا بهم يعتذرون متعللين باستحالة حدوث ذلك! ويتبجح بعضهم فيقولون: العرف والعادة والتقليد يحولون دون تحدثنا بلغة الضاد! فهل أصبح العرف وثناً يعبد من دون الله؟ كيف طغى وثن العرف على اللغة العربية إلى هذا الحد؟! وتحت عنوان: (طاغوت العرف) يقول الأستاذ الشيخ عبد الرحيم الطحان ما نصه: (العرف والعادة سبب إعراض المشركين مثل قوله تعالى: (أَلْفِينَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) ، أي: ما وجدنا عليه آبائنا ، قال تعالى: (أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ، أي: يسلكون هذا المسلك ، ويقلدون الآباء ، ويسيروا على الأعراف والتقاليد ، ولو كان ذلك سيجرهم إلى عذاب السعير ؛ بسبب وسوسة الشيطان الحقيير: (أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ) ، إذ: هذه أفة شنيعة ضل بها كثير من الضالين في العصور المتقدمة ، ويقرر الله هذا المعنى في سورة الزخرف فيقول جل وعلا: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاتًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ * وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أُولُو جُنُودٍ بَاهُدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ). (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاتًا) ، (عباد) جمع عبد ، وكل من في السماوات والأرض عبد للرب جل وعلا ، وقرأ المدنيان: نافع وأبو جعفر ، والمكي ابن كثير ، والشامي عبد الله بن عامر ، وأحد البصريين يعقوب قرأوا جميعاً: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَاتًا) ، كما قال جل وعلا: (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ) ، فالقراءتان هما: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاتًا) ، وقوله: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ إِنَاتًا) فهم في المأ الأعلى بحضرة الرب جل وعلا ، جعلوهم إناتاً: حكموا بأن فيهم صفة الأنوثة ، والملائكة لا يتصفون بذكورة ولا بأنوثة ، ثم بعد ذلك ازدادوا شططاً: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاتًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ) ، قالوا: هؤلاء الملائكة هم بنات الله ، فنسبوا لله ولداً ، ثم

ازدادوا في الشطط فجعلوا له أنزل الولدين ، وأنقص الولدين منزلة عندما قالوا: له خصوص الإناث دون الذكور ، إذاً: جعلوا الملائكة إناثاً والله ولدأ ، وله خصوص الإناث من الأولاد: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) ، وإذن فلا ينبغي أن يكون العرف صارفاً عن اتباع الحق).هـ. برك الله في شيخنا الطحان على هذا التحليل الرائع الذي أثبت من خلاله أن المسلمين يجب أن يكفروا بطاغوت العرف! ينبغي على شعراء العربية الجادين الغيورين أن ينتصروا للعربية لغة وشعرا ونثراً! ولنن كان ذلك عسيراً عليه فأجرهم مضاعف عند الله! عموماً المجال مفتوح ، أمام الشعراء الجادين النحارير!

والبدرُ دون الضاد في الإبراق	الشمسُ دون الضاد في الإشراق
نورٌ يُضئ دياجرَ الأفاق	هي نورُ هذا الكون ليس كمثلها
فغمرتها بترنمي الدفاق	أحببتها منذ كنت طفلاً يافعاً
ربي ، فكل الشكر للرزاق	وسبرت من أغوارها ما شاءه
فصبيهم في الناس كالعملاق	لغة أعزَّ الله شأن رعاتها
وطلاوة في أسطر الأوراق	نغمٌ إذا كانت كلاماً في الهوا
والفضلُ فضل الواحد الخلاق	لغة الكتاب ، وأي فضل بعد ذا؟
ونخصها بالحب والأشواق	فخراً نتيه بها ، ونكرم شأنها
والكل فوق الروس والأعناق	ونجلُّ كل تراثها وحُماتها
هي في القلوب ، وبعد في الأحداق	ونعزُّ ألفاظ الحبيبة ضادنا
فمسيرُ أهل الكيد للإخفاق	يا ضاد مهما نيل منك ، فأبشري
فهل الدجى يطغى على الإشراق؟	وأراك شمساً في الديار وهم دجى

أريج الشعر

(فرق كبير بين الشاعر الصادق ، الذي لشعره أريج عذب ، وبين المتشاعر المرتزق الوضيع ، الذي شعره تطويغ وارتزاق ، ملئ كله برائحة النفاق والتكسب الرخيص المقيت. والشعر الصادق اليوم أصبح من الندرة بمكان. أو هو كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود. إذ سمت الغالب على الشعر اليوم هو التكسب الفج ، حيث أصبح الشعر من الهوايات التي يتكسب بها اليوم علي حساب القيم والعقيدة. إن الشاعر المرتزق يشبه النائحة المستأجرة. وشعره يشبه إلي حد بعيد الورود الصناعية فلها شكل الورود. والشاعر الصادق يؤثر الآخرة! عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - : "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ - جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: "إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَأَخْتَارَ مَا عِنْدَهُ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فِدْيَانِكَ يَا بَانِنَا وَأُمَّهَاتِنَا! فَعَجِبْنَا لَهُ وَقَالَ النَّاسُ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ! يُخَيِّرُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ -، عَنْ عَبْدِ خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فِدْيَانِكَ يَا بَانِنَا وَأُمَّهَاتِنَا فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ - هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمْنَا بِهِ". البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي - صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم - وأصحابه إلى المدينة. ورواه مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر. إن الفرق كبير جداً بين الشعر الصادق والشعر الكاذب! وكل قصيدة صادقة صدق شاعرها في صياغتها وله من ورائها رسالة يريد إيصالها للقراء فإن الله يوفقه للخير وينشر شعره في العالمين! وكم طالعنا من قصائد عظيمة صح لفظها وعروضها ورسالتها وكنا فخورين بها وبشاعرها! بل وندعو للشاعر حياً وميتاً! وكم من قصائد إذا طالعناها لعناها ، ولعنا شاعرها ، لما تحمل من ضلال وكفر وخروج فج على الشرع!)

يا مَعِيناً يَبِيعُ الشَّدَوَ الرَّطِيبَ	يا أريج الشعر ، يا صفو القلوب
يا أماناً من لظى الفسق الرهيب	يا سراجاً في الدياجي مُشرقاً
من ضلال الغرب ما يُشقي الأديب	يا ظهوراً من نوايا أشربت
ماله من محنة السواى نصيب	صادق الشعر عفيف دائماً
يبيعث النشوة في قلب الحبيب	ليس يُغويه قوام مائس
سهمه في عالم الذكرى مُصيب	ليس يُغريه ابتسام حالم
صاغها الدعر إذا طف اللهب	لم تدنسه بقايا شهوة
في زمان شعره باغ عطيب	يا أريج الشعر ، يا لحناً شداً
مؤمن بالله مولانا الرقيب	متعة الشعر شعور مسلم
ويذرّ النصح باللفظ النجيب	يحمل النفس على طاعته
يصف الأدوية للمرضى الطيب	ويقود القلب للتقوى كما
ولله كل فؤاد يستجيب	وله في كل روح رغبة

اعترافات العذراء

(كانت تكيد لصويحاتها في الخفاء ، فتفرق بين زوجة وزوجها ، وتخرّب بيتا كان عامرا بأهله ، وتفسد ذات البين ، وتغتاب وتنم ، وتتقول وتتخرص بالباطل ، وتشهد الزور ، وتحيك الإفك والزيف ، وتكذب وتغش. وأحيانا يكون عدم الزواج لفتاة هذا شأنها فتنة. فلما ابتلاها الله بعقاب من عنده ، اعترفت وندمت بعد أن بان لها الحقيقة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. واستغفرت ربها وأنابت إليه ، وعلى الله القبول. غير أنني كنت قد انفعلت بمواقفها ، ورحت أحكى عنها شعراً وهي تصف حالها بعد التوبة والندم! لقد سنت سنة سيئة وهي إفساد ذات البين بدلاً من أن تسعى لإصلاحها! ويذكرنا هذا بالرجل الذي تصدق فتبعه الناس على صدقته! فكان هذا منه أفضل بكثير ممن سن سنة البخل والشح! ففي صحيح مسلم، عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ ، قَالَ : فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ ، عُرَاةٌ ، مُجْتَابِي النَّمَارِ ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ، عَامَتُهُمْ مِنْ مُضَرَ ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ . فَتَمَعَّرَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِإِلَاقَةِ الْفَأْدَنْ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } ، وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ : { اتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ } ، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ ، مِنْ دِرْهَمِهِ ، مِنْ تُوْبِهِ ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ . قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَصْرَةَ كَادَتْ كَفَّهُ تَعْجُرُ عَنْهَا ، بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمِينَ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ.»).

إني انقهرت من الفعال الجافي	والقلب عانى من لظى الإجحاف
أفسدت ذات البين دون جريرة	ومضيت أقطع تارة ، وأجافي
فرقت بين حليمة وحليها	وحملت عباهما على الأكتاف
واغتبت هذي ، ثم هذي عبتها	ونفيت عن هاتيك كل عفاف
وطعنت هذي في خميلة طهرها	ووصفت ذي بردائل الأوصاف
وخصت جاراتي بأقبح سيرة	وقطعت عفتن بالأسياف
وهتكت أعراضاً بدون مبرر	وغرست كيدي في سنا الأشراف
هذي اعترافاتي ، وهذي فتنتي	ومصائبي في الناس بالآلاف
خالفت دين الله ، تلك بليتي	وخرقت سمّت العقل والأعراف
حتى قلاني الكل ، صرت كليلة	وانفض عني طيب الأضياف
في حالة هم أنصفوا إذ قاطعوا	مثلي ، وكنت قليلة الإنصاف
رباه ثبت ، وقد علمت خطيئتي	فاغفر ، ورد لي الإخاء الصافي

يا ابن آدم: كف عن الحرص

(يكاد يقتله الحرص على جمع المال. فرحت أقرعه بشيء من النصائح الجارحة ولكن دون فائدة. وكان من جملة كلامي: ستموت ، وسيقسّم مالك ، وستتزوج زوجك ، وسيكون أولادك خدماً لزوج أمهم. فكف عن الحرص. ومن الأشياء التي توقفت عندها كثيراً ، أنني وجدت أغلب الناس تحب الكريم ، ولو لم تصب من ماله أو من خيره شيئاً. بينما يمقت الناس البخيل الممسك ، ولو أصابوا من ماله ومن خيره الشيء الكثير في موقف معين. عموماً الكريم الجواد يظل في القمة كما يقولون! والبخيل يسكن في الرمة. ويكفي البخيل الحريص الشحيح أن يحرم أن يكون في ظل رب العالمين يوم القيامة! عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال: إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه!) يكفي المتصدق الكريم فخراً أن يكون في ظل الرحمن يوم تدنو الشمس من الخلائق ويلجمهم العرق إجماعاً! لذلك أوصي كل مؤمن مسلم موحد بالجود والكرم ، وأحذره من التقتير والإمساك والبخل والشح! أيها المؤمن إنك راحلٌ يوماً عن هذه الحياة ، فاترك أثراً طيباً وذكرى حلوة يذكرك الناس بها! واحذر أن تترك ما يسوؤك! ذلك أن قوماً رحلوا عنا فإذا ذكرناهم قلنا: الله يرحمهم! وهناك فريق آخر على النقيض من ذلك إذا ذكرناهم قلنا: الله يلعنهم! فكن من الفريق الأول المحسن ، وإياك أن تكون من الفريق الثاني!)

أوصيك بالبذل ، لا أوصيك بالطمع
كبا بك الحرص ، تهوي في دياجره
والجود أفضل ما عاينت من صفة
والناس أحباب من يجود محتسباً
والبخل يُزري بغطريف يلوذ به
يختال في عزة العطاء مرتقباً
والجود ليس قرين الفقر ، فاسم به
كم من حريص ثوى في الحرص منتحراً
وعارض الشرع محتالاً بخيئته
تراه في حمأة التقصير مُنجدلاً
فكف عن حرصك المذموم يا رجلاً
نصحت ، والأجر عند الله مدخر

فابذل ، وأحسن تعش عفاً وتنتفع
والمرء شقوته في الحرص والجشع
وليس بالشح لي شيء من الولع
وليس حبل أسخا يوماً بمنقطع
كالهز ، أما الجواد - الدهر كالسبع
جود المليك ، فلا يأوي إلى الطمع
ودعك من ربة الإمساك والجزع
لأنه احتياط لأيام بالخدع!
وأعجز الناس من يأوي إلى البدع
فخاب من ممسك بالحرص مدّرع!
أكرم بعبد ببذل الخير مُشترع!
من يتبع ما أقول - الآن - يرتدع

اتركوني مع القوافي

(اعتاد سُفهاء القوم أن يُعايروه لأنه شاعر. فوجد في نفسه ، وتذكر كيف كان أهل الجاهلية يصنعون ، عندما يولد فيهم شاعر. إذ كانوا ينحرون الجُر ، ويؤلمون الولائم ، ويشربون الخمر ، وتعزف لهم القينات حتى الصباح ، فرحة واحتراماً لهذا الشاعر الجديد الوليد. وقارنتُ هذا بحال أهل الجاهلية الحاضرة من الإهانات والاحتقار للشاعر. فأنشدت أحكي على لسان هذا الشاعر هذه القصيدة إذ أثر أن يظل مع قصانده وقوافي شعره ، حتى يأنس بها ويجد العزاء والسلوان الذي افتقده في بني آدم. وعن تحريم تحقير المسلمين قال تاج الدين السُّبكي: (كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت أخساً كلب بن كلب فزجرني الوالد من داخل البيت فقلت أليس هو كلب بن كلب قال: شرط الجواز عدم قصد التحقير فقلت هذه فائدة). عن عبد الله بن الزبير مع معاوية بن أبي سفيان في اللحم وحسن العشرة وطيب الأخوة. إنه كان لعبد الله بن الزبير مزرعة بمكة بجوار مزرعة معاوية وكان عمال معاوية يدخلونها فكتب ابن الزبير لمعاوية خطاباً كتب فيه (من عبد الله بن الزبير ابن ذات النطاقين وابن حواري الرسول صلى الله عليه وسلم إلى معاوية بن هند بنت أكلت الأكباد أن عمالك يدخلون مزرعتي فإن لم تنتهم ليكون بيني وبينك شأن والسلام). فلما وصل الخطاب لمعاوية كتب له خطاباً ذكر فيه: (من معاوية بن هند بنت أكلت الأكباد إلى ابن الزبير ابن ذات النطاقين وابن حواري الرسول صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا لي فسألتها لأعطيتموها ولكن إذا وصلك خطابي هذا فضم مزرعتي إلى مزرعتك وعمالي إلى عمالك فهي لك والسلام)! فلما قرأها بلها بالدموع وركب من مكة إلى معاوية في الشام وقبل رأسه وقال له لا أعدمك الله عقلاً أنزلك هذه المنزلة. عموماً الشاعر الحق الذي يجند شعره في الدفاع عن الإسلام لا يهمله النيل منه!)

أرى كبح النبوغ من الضلال	وكيف يلوم من حرم المعالي؟
وإن الجهل يفضي للتدنى	ويُردي النور في المهج الغوالي
إذا لم ترفعوا بالشعر رأساً	فكفوا عن أباطيل الجدل
فما استويا: بليغ صاغ شعراً	ومجهالاً يُدير رحي الخبال
تركت لكم محبة ما يدسى	وبعد لفظت سُوآى الابتذال
وعشت بمنهج الإسلام عبداً	يُعظم ما يعظم ذو الجلال
أدود عن الحنيفة دون خوف	وقول الحق من شيم الرجال
حسامي الشعر في الهيجا وسلمي	وما غزلت ربات الحجال
وأدعو الناس للتقوى بعلم	وفي التوبيخ - كلا - لا أعالي
ولا أقفو الذي قد غاب عني	ولكني أقيم ما بدا لي
وأصحابي القصائد أصطفيها	وأجعلها بدوراً في الليالي
فخلوني وشعري كل حين	فهجري الشعر من أقصى المُحال

تذكروا الإحسان

(كلما أحسن إلى هؤلاء الأراذل دفع الثمن خذلتاً وشقاء ، وكان جزاء الإحسان اليوم عندهم أمسى العقاب الشديد عليه لا المكافأة. فنظر ذلك المحسن الكريم من حوله ، فعلم أن أغلب الناس من حوله قد أصبحوا هكذا. واستنتج ولأول مرة أن المحسنين من أمثاله ، يعضون أصابع الندم على جزاء هذا الإحسان الذي ضاع عند الناس. والحقيقة أن المعروف والجميل والإحسان من أفضل الأعمال التي إن ضاع أجرها عند الناس ، فليس يتصور أن يضيع عند الله. وذلك لعموم قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً) ، وقوله: (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه). وقول الشاعر الحطينة في ذلك: (ومن يفعل الخير لا يعدم جوازيه*** لا يذهب العرف بين الله والناس). وقول آخر: (ازرع جميلاً ولو في غير موضعه * فلن يضيع جميل أينما زرعا). وهذا رسول البشرية ، وهادي الإنسانية محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ فمن ذلك حفظه ورعايته لمعروف نسانه ، فقد حفظ لهن المعروف بعد وفاتهن ؛ فمن ذلك حفظه - صلى الله عليه وسلم - لمعروف زوجته الأولى خديجة بعد وفاتها ؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "ما غرت على أحد من نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - ما غرت على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ، ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة! فيقول: (إنها كانت وكانت.. ، وكان لي منها ولد). ومن ذلك حفظه المعروف لأصحابه الكرام ، ومجازاتهم على ما بذلوه في نصرته الإسلام ، والدفاع عن نبيه ؛ فمن ذلك مجازاته لربيعة بن كعب ؛ فعن ربيعة بن كعب - رضي الله عنه - قال: كنت أخدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع ، حتى يصلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العشاء الآخرة ، فأجلس ببابه إذا دخل بيته ، أقول: لعلها أن تحدث لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حاجة ، فما أزال أسمعها يقول: سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله وبحمده! حتى أمل ، فأرجع أو تغلبنى عيني فأرقد ، قال: فقال لي يوماً لما يرى من خفتي له وخدمتي إياه: (سلني يا ربيعة أعطك) ، قال فقلت: أنظر في أمري يا رسول الله ، ثم أعلمك ذلك؟ قال: ففكرت في نفسي فعرفت أن الدنيا منقطعة زائلة ، وأن لي فيها رزقاً سيكفيني ويأتيني ، قال فقلت: اسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لآخرتي ، فإنه من الله - عز وجل - بالمنزل الذي هو به. قال: فجئت فقال: (ما فعلت يا ربيعة؟) ، قال: فقلت: نعم يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار ، قال فقال: (من أمرك بهذا يا ربيعة؟) ، قال: فقلت: لا والله الذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ولكنك لما قلت: سلني أعطك ، وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به ، نظرت في أمري ، وعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة ، وأن لي فيها رزقاً سيأتيني ، فقلت: أسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لآخرتي ، قال: فصمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طويلاً ، ثم قال لي: (إني فاعل ، فأعني على نفسك بكثرة السجود). وإن أردتُ بإيراد بعض هذه المواقف عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا أن تكون على سبيل المثال ، وإلا فإن مناقبه - في رد الجميل والثناء على أهله وعدم إنكار فضلهم - لا تحصى. فليراجع غير ذلك مما سطرته في كتب الحديث ، في باب حفظه - صلى الله عليه وسلم - للمعروف والجميل. وعن نكران الجميل قال سعيد بن جبیر رحمه الله تعالى - عند تفسير قوله تعالى (إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة): كان أصحابها من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء ، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة ، وكانوا من أهل الكتاب ، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة

حسنة ، فكان ما يستغل منها يُرد فيها ما تحتاج إليه ، ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل. فلما مات وورثه بنوه ، قالوا: لقد كان أبونا أحق إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا ، فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية ، رأس المال ، والربح ، والصدقة ، فلم يبق لهم شيء. قال ابن المبارك ذلك التابعي الثقة - رحمه الله رحمة واسعة -: (يد المعروف غم حيث كانت *** تحملها شكورٌ ، أو كفورٌ) (ففي شكر الشكور لها جزاءً *** وعند الله ما كفر الكفور)

قال كعب الأحبار رحمه الله تعالى: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة. وما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا ، فلم يشكرها لله ، ولم يتواضع بها إلا منعه الله نفعها في الدنيا ، وفتح له طبقات من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه. قال ابن الأثير في النهاية: من كان عادته وطبعه كفران نعمة الناس وترك شكره لهم ، كان من عادته كفر نعمة الله - عز وجل - وترك الشكر له. قال المتنبي: (إذا أنت أكرمت الكريم ملكته *** وإن أنت أكرمت اللئيم تمرداً) قال الأصمعي رحمه الله تعالى: سمعت أعرابياً يقول أسرع الذنوب عقوبة كفر المعروف. قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفوفاً وأحلوا قومهم دار البوار: (إن الله تعالى بعث محمداً - صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين ونعمة للناس أجمعين ، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنة ، ومن ردها وكفرها دخل النار. قال علي رضي الله عنه كن من خمسة على حذر: من لئيم إذا أكرمته ، وكريم إذا أهنته ، وعاقل إذا أخرجته ، وأحمق إذا مازجته ، وفاجر إذا مازحته. قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى: ترك المكافأة من التطفيف. كتب ابن السماك إلى محمد بن الحسن رحمهما الله تعالى حين ولي القضاء بالرقية: أما بعد ، فلتكن التقوى من بالك على كل حال ، وخف الله من كل نعمة أنعم بها عليك ، من قلة الشكر عليها مع المعصية بها ، وأما التبعة فيها فقلة الشكر عليها ، فعفا الله عنك كلما ضيعت من شكر ، أو ركبت من ذنب أو قصرت من حق. هـ. قال بعض الحكماء: لا يزهديك في المعروف كفر من كفره ، فإنه يشكره عليه من لا تصنعه إليه. ويقال أيضاً: إعطاء الفاجر يقويه على فجوره ، ومسألة اللئيم إهانة للعرض ، وتعليم الجاهل زيادة في الجهل ، والصنيعة عند الكفور إضاعة للنعمة ، فإذا هممت بشيء فارتد الموضع قبل الإقدام عليه أو على الترك. والعامية تقول عن بيت الإنسان المحسن: (بيت المحسن عمار). ومن الأمثال السائرة قولهم: تاج المروعة التواضع. وترك الذنب أيسر من الاعتذار. وخير الناس للناس خيرهم لنفسه. ومن حسن خُلُقُه استراح وأراح. ومن حسن خُلُقُه وجب حَقُّه. وخير الناس من فرح للناس بالخير. وخير صلوات الكريم أَعْوَدُها. خيركم خيركم لأهله (حديث). وذكر الفتى عمره الثاني. وساقى القوم آخرهم شراباً. وسر النجاح على الدوام هو أن تسيير إلى الأمام. وسيد القوم خادمهم. وعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به. وعصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة. وعندما تكون في روما تصرف كما يتصرف الرومان. فرط الأُنس مكسبة لقرناء السوء. وفلان دُرَّةُ التاج وواسطة العقد. وصدق الله: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره). وفي سعة الأخلاق كنوز الأرزاق. وصدق الله: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ). وقلب المؤمن دليله. والشريف إذا تَقَوَّى تواضع والوضيع إذا تَقَوَّى تكبر. الصدق دليل التقوى. تمام الصدق الإخبار بما تحمله العقول. تناس مساوي الأحاب يد لك وُدُّهم. حُسْنُ الخلق خير قرين. وحُسْنُ الخلق يذيب الخطايا ، كما تذيب الشمس الجليد. وحُسْنُ الخلق يوجب المودة. وحق من كتب بمسك أن يختم بعنبر. وصدق الله: (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى). وكل امرئ بما يحسنه. وكما أن السؤال يُدُلُّ قوماً كذاك يُعز قوم

بالعطاء. لا تشن وجه العفو بالتأنيب. لا تكن حلواً فتؤكل ولا مرأاً فترمي. لا تمازح الشريف فيحنق عليك ولا الدنيا فيتجرأ عليك. لا تنه عن خلق وتأتي مثله. لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف. لكل مقام مقال ولكل زمان رجال. وللشدايد تدخر الرجال. لو كان الكذب ينجي فالصدق أنجي. ما كل من قال قولاً وفي. وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه). معاتبة الأحابيب خير من فقدهم. ومن تواضع لله رفعه. وأي الناس ليس به عيوب. وصدق الله: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ). وعموماً إن نكران الجميل سبب العقوبة وزوال النعم. قال الأصمعي رحمه الله: سمعت أعرابياً يقول: "أسرع الذنوب عقوبة كفر المعروف"، وقد جاءت السنة بالدلالة على ذلك، فقد جاء في الحديث عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم. فبعث إليهم ملكاً. فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عني الذي قد قدرني الناس. قال: فمسحه، فذهب عنه قدره، وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً. قال: فأبي المال أحب إليك؟ قال: الإبل. قال: فأعطى ناقه غشراء، فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعرٌ حسنٌ، ويذهب عني هذا الذي قد قدرني الناس. قال: فمسحه، فذهب عنه، وأعطى شعراً حسناً. قال: فأبي المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطى بقرة حاملاً. فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليّ بصري، فأبصر به الناس. قال: فمسحه، فرد الله إليه بصره. قال: فأبي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطى شاةً والداً، فانتج هذان، وولد هذا. قال: فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بغيراً أتبلغ عليه في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأي أعرفك! ألم تكن أبرص يقذرک الناس؟! فقيراً فأعطاك الله مالاً؟! فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرک؛ شاةً أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فردَّ الله إليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فو الله لا أجهدك اليوم شيئاً أخذته الله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتكم، فقد رضي عنك وسخط على صاحبك). ففي هذا الحديث أنكر كل من الأبرص والأقرع نعمة الله تعالى، وجدوا إحسانه عليهم، وزعموا أنه من كدهم وكد آبائهم، وهذا من أقبح ما يكون عليه الإنسان كما قال عن قارون: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) فعاقبه الله تعالى عقوبة كبيرة، حيث خسف به وبادره الأرض. والبشر دال على الكرم. والتكبر على المتكبر تواضع. والتواضع من مصادق الشرف. والحر تكفيه الإشارة. والحلم سيد الأخلاق. والدال على الخير كفاعله. وإذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع. وإذا حضر الماء بطل التيمم. وإذا لم تستحي فافعل ما تشاء. وأظهر الناس أعرافاً أحسنهم أخلاقاً. وأعرف الناس بالله أرضاهم بما قسم الله له. والأخلاق أولاً ثم العلم والكفاءة هذا هو مفتاح السعادة للأفراد والحكومات والجماهير. يعنى العقل بالحقيقة، وتهتم الأخلاق بالواجب، أما الذوق فإنه يوصلنا إلى الفن والجمال. ومن أخلاق الجاهل الإجابة قبل أن يسمع، والمعارضة قبل أن يفهم والحكم بما لا يعلم. إن الأخلاق النفعية ليست أخلاقاً حقيقية وأنها تنتمي إلى الدناوة أكثر من انتمائها لعلم الأخلاق. وإن في العزلة راحة من أخلاط السوء. والأخلاق هي الحساسية المرضية للمنحط مع النية

الخفية في الانتقام من الحياة. والحرية هي روح الموقف الأخلاقي ، وبدون الحرية لا أخلاق ولا إتقان ولا إبداع ولا واجب. والأخلاق ليست فقط نظاماً للتعامل بين الناس ، ولكنها هي التي تنظم المجتمع وتحميه من الفوضى. إنها قسمة عادلة ، فالثراء للأقوياء والأخلاق للضعفاء. إذا أردت أن تعرف أخلاق رجل فضع السلطة في يده ثم انظر كيف يتصرف. والحضارة ليست أدوات نستعملها ونستهلكها ، وإنما هي أخلاق سامية نوظفها. ونحن لسنا محتاجين إلى كثير من العلم ، ولكننا محتاجون إلى كثير من الأخلاق الفاضلة. ومن هنا ندرك أن من مساوئ الخلال ، وذميم الخصال التي حذرنا منها الإسلام "نكران الجميل". ونكران الجميل يتنافى مع طبائع النفوس السوية ، التي طُبعت على حب مَنْ أحسن إليها ، والتوقف إزاء مَنْ أساء إليها ؛ ولذلك فإنه من الصعوبة بمكان أن يكون ناكر الجميل سويًا في نفسه أو مستقيمًا في سلوكه وطبائعه ؛ ما ينعكس بالدرجة الأولى على ذاته وشخصيته وعلاقته مع غيره ، فينفضُ الناس من خدمته بعد أن يكتشفوا حقيقة مرضه الدفين في نفسه. وقد حثنا ديننا الحنيف على شكر مَنْ يقدم لنا معروفًا حتى تسود العلاقات الطيبة في المجتمع ، فأكد الإسلام بر الوالدين ، وشكرهما جزاء ما قدما لنا ، كما وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته إلى الإقرار بالجميل وتوجيه الشكر لمن أسداه إلينا ، بل الدعاء له حتى يعلم أنه قد كافأه ؛ فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (... ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوا به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه). وقد وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضاً أمته إلى الاعتراف بالجميل وعدم نكرانه ؛ فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (من أُعطيَ عطاءً فوجد فليجز به ، ومن لم يجد فليثن ، فإن من أتى فقد شكر ، ومن كتم فقد كفر ، ومن تحلى بما لم يُعطه كان كلابس ثوبَي زور). أما أن يحسن الآخرون إلى أحدنا فلا يجدون إلا نكراناً ، فهذا دليل على خسة النفس وحقارتها ؛ إذ النفوس الكريمة لا تعرف الجحود ولا النكران ، بل إنها على الدوام وفية معترفة لذوي الفضل بالفضل. فحين لا يقر الإنسان بلسانه بما يقر به قلبه من المعروف والصنائع الجميلة التي أسديت إليه سواء من الله أو من المخلوقين فهو منكر للجميل جاحد للنعمة. إن نكران الجميل ، وجدد نعمة الآخرين سبباً من أسباب دخول النار - والعياذ بالله - ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أرئت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء ، يكفرن). قيل: أيكفرن بالله؟ قال: (يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط). ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ؛ فقد جاء في الحديث: عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر: (من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب). وهكذا يُوجه النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته إلى الإقرار بالجميل ، وشكر من أسداه ، بل والدعاء له حتى يعلم أنه قد كافأه ؛ فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من استعاذ بالله فأعيزوه ، ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن أتى عليكم معروفًا فكافئوه ؛ فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه). أما أن يتنكر الناس للمحسن فيعاقبوه على جميله وإحسانه ومعروفه فهذا أمر مستهجن! وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صنع إليهم معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء). (الترمذي). وقال المكي بن إبراهيم كنا عند ابن جريج المكي ، فجاء سائل فسأله فقال ابن جريج لخازنه: أعطه ديناراً فقال: ما عندي إلا دينار ، إن أعطيته جُعت وعيالك ، قال: فغضب وقال: أعطه. قال

المكي: فنحن عند ابن جريج إذ جاءه رجل بكتاب وصرة ، وقد بعث إليه بعض إخوانه ، وفي الكتاب إنني قد بعثت خمسين ديناراً قال: فحلّ ابن جريج الصرة فعدّها ، فإذا هي أحد وخمسون ديناراً ، قال: فقال ابن جريج لخازنه: قد أعطيت واحداً فردّه الله عليك وزادك خمسين ديناراً [الترمذي]. وعن خالد بن عدي الجهني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من بلغه معروف عن أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده ، فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه.) [أحمد]. وقال تعالى: {إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً}. وهذا عدي بن حاتم لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المعروف والخير الذي كان يصنعه أبوه في الجاهلية ابتغاء المدح والذكر الحسن فقال صلى الله عليه وسلم (إن أباك أراد شيئاً فأدركه). [أحمد] أي الأجر من الناس بالثناء. وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من شفع لأخيه بشفاعته فأهدى له هدية عليها فقبلها ، فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا). [أبو داود]. قال تعالى: {إن تبدوا الصدقات فنعما هي ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم}. قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء). [الحاكم]. وقال في حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه). [البخاري ، مسلم]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال رجل لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته ، فوضعها في يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق ، فقال: اللهم لك الحمد ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يدي زانية ، فأصبحوا يتحدثون: تصدق الليلة على زانية ، فقال: اللهم لك الحمد ، على زانية! لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غني فأصبحوا يتحدثون: تصدق على غني ، فقال: اللهم لك الحمد ، على سارق وعلى زانية وعلى غني! فأتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقة وأما الزانية فلعله أن تستعف عن زناها وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله). (الشيخان). وأنا أعتقد أن هذه الممارسات ما سادت اليوم بين الناس إلا بسبب خلل العقيدة والتوحيد من جهة! ومن جهة أخرى الجهل المطبق بحقوق الأخوة التي أوجبها الله ورسوله! تحت عنوان: (الأخوة في الله) يقول الشيخ فريد الأنصاري رحمه الله ما نصه: (حقوق الأخوة العامة ، إذ الحقوق على قسمين: حقوق عامة ، وحقوق خاصة ، فالحقوق العامة هي التي يشترك فيها كل الناس ، أذكرها الآن على سبيل الإيجاز، ثم على سبيل التفصيل ، وهي: إفشاء السلام ، رد السلام ، عيادة المريض ، اتباع الجنائز ، إجابة الدعوة ، تشميت العاطس ، إبرار المقسم ، نصره المظلوم ، النصيحة ، التنفيس على المكروب ، التيسير على المعسر ، الإغضاء عن العيوب ، الابتعاد عن الأذى كالحسد والتباغض والظلم والتحقير. لقد وضع ديننا الحنيف نظاماً لتعامل أبناء الإسلام فيما بينهم ، بحيث يثمر مزيداً من الترابط والتآلف ، ويجعل أهل الإسلام نسيجاً واحداً ، ونحن نفتقد في هذه الأيام التطبيق العلمي لهذه الآداب ، الأمر الذي أدى بدوره إلى اضطراب كثير من الأمور في أذهان بعض الناس تجاه بعض القضايا العلمية ، مثل إلقاء السلام على جميع الناس ، ونحن هنا نريد أن نعيد طرح هذه الواجبات والحقوق ، لعنا نداوي من خلالها ما صار بين المسلمين من شتات وفرقة ، فلربما استعصت علينا الأمور ، والدواء أيسر مما نتصور ، وعلى كل حال يبقى السؤال موجهاً لكل واحد منا ، ألا وهو: أين نحن من تطبيق هذه الحقوق والآداب؟ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام ، وتشميت العاطس ، وإجابة الدعوة ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز) ، وفي رواية: (حق المسلم على المسلم ست ، قيل ما هي يا رسول الله؟ قال إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فاتصحنك له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه. والآن إليكم التفصيل: أولاً: إفشاء السلام وردّه ، قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم ،

متفق عليه ، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم من حديث أبي هريرة: (حق المسلم على أخيه المسلم ست ، إلى أن قال: وإذا لقيته فسلم عليه ، وقال تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ، ثانياً: عيادة المريض ، قال صلى الله عليه وسلم في معرض بيان حق المسلم على أخيه: (وإذا مرض فعده ، وقال صلى الله عليه وسلم: من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك ، وتبوات من الجنة منزلاً ، رواه الترمذي ، وقال صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: (وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتزاورين فيّ) ، رواه مالك في الموطأ ، ثالثاً: اتباع الجنائز ، قال صلى الله عليه وسلم في حديث حقوق المسلم على أخيه: (وإذا مات فاتبعه) ، رواه مسلم ، فمن حق المسلم على أخيه: أن يشيعه إلى مثواه إذا مات ، فإن أواصر الأخوة الإسلامية تبقى حتى ولو بعد موت أحدهما أو كليهما ، فتبقى ملزمة للأبناء والأقرباء ، فعليهم أن يكونوا أوفياء لأصدقاء من مات من الأقارب ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي يكرم أصدقاء خديجة بعد وفاتها ، بل هذه الأخوة تبقى حتى في يوم القيامة ويوم الحساب ، قال تعالى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) ، رابعاً: إجابة الدعوة ، والمقصود بذلك أنه إذا دعاك أخوك المسلم إلى مناسبة فرح كولية عرس أو نجاح أو عقيقة أو ما شابه ذلك ، فيجب عليك أن تجيبه لقوله صلى الله عليه وسلم: (وإذا دعاك فأجبه) ، رواه مسلم ، لأن إجابة الدعوة تدل على احترام الأخ لأخيه ومشاركته له في سرانه ومشاعره وأفراحه وأتراحه ، خامساً: نصر المظلوم ، لقوله صلى الله عليه وسلم: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً! قيل: أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ فقال صلى الله عليه وسلم: تحجزه - أي تمنعه - عن ظلمه ، رواه البخاري ، سادساً: النصيحة ، إذا رأى المسلم في أخيه عيباً أو نقصاً ، فلا يفضحه أمام الناس ، بل ينصحه على انفراد ، لأن النصيحة الخالصة والحاصلة في السر تكون الاستجابة من قبل المنصوح له متحققة ، وفي الملا وبين الناس تعتبر توبيخاً وفضيحة ، وقال صلى الله عليه وسلم: (وإذا استنصحتك فانصح له) ، رواه مسلم ، وبالمقابل فإن على المنصوح أن لا يضيق بالنصيحة ، فقد كان الفاروق عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي ، سابعاً: التنفيس عن الكروب ، والتفريج عن المهموم ، والمشاركة في محنته ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) ، رواه مسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ، رواه مسلم ، وهكذا فإن الأخوة في الله تضحية وتفانٍ وتعاونٍ ومحبة ومشاركة ، في السراء والضراء ، والأفراح والأفراح. وأما الحق الثامن من حقوق المسلم على أخيه العامة: غض الطرف ، والمقصود بهذا أن تغض طرفك عما تجد في أخيك من عيوب إذا كان الفضل أعظم ؛ لأنه ما من إنسان إلا وفيه عيب ، والمعصوم هو النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء ، أما بقية البشر فليسوا بمعصومين ، بل لا بد لهم من خطأ وزلل ، قال الله تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل ابن آدم خطاء ..) ، ويقول سعيد بن المسيب: (ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب) ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ، فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله ، وهذه من القواعد المهمة التي ينبغي أن نلتزمها ويتربى عليها الأجيال ، فعلى المسلم أن يحفظ أخاه ويستتره إذا وجد فيه عيباً ، لقوله صلى الله عليه وسلم: (ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، وعليه أن ينصحه ويرشده إلى عيبه دون أن يفضحه بإشهاره ، وإذا تأملنا هذا الكلام وقارناه بواقعنا وجدنا أن هذا الكلام في واد ونحن في واد آخر ، فمن الناس من إذا وجد في أخيه عيباً نشره في كل مكان ، وقد نهينا عن هذا ، وإليك قصة حضرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بطلها خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه فكان أبو بكر جالساً وأخذ رجل يسبه ويشتمه وهو يسمع ، وما يزيده جهل هذا الرجل إلا حِلماً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، فلما

زاد الرجل في جهله أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يرد على الرجل ، فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ثم أخبره بعد ذلك أن الله بعث ملكاً كلما كان الرجل يسب أبا بكر رضي الله عنه كان يقول الملك: بل أنت ، وكان أبو بكر كلما سبه الرجل يقول له: يغفر الله لك ، فكان الملك يقول لأبي بكر بل أنت وأنت أحق به ، فلما همَّ أبو بكر بالرجل انصرف الملك وحل محله الشيطان) ، عباد الله ، غض الطرف عنه لا يعني عدم نصحه ، لأنه لا خير في أخوة لا نصح فيها ، تأسعاً: تشميت العاطس لقوله صلى الله عليه وسلم: (وإذا عطس فحمد الله فشمته). رواه مسلم ، عاشراً: إبرار المقسم ، لقول البراء بن عازب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة المريض ، واتباع الجنائز ، وشميت العاطس ، وإبرار المقسم. متفق عليه ، بمعنى أن المسلم إذا حلف لك على شيء فعليك أن تصدقه ، وهذا هو إبراره ، وهو من حقه عليك). هـ. وطبعاً مسألة التنكر للجميل تدل حقاً على الدناوة والخسة! ومن هنا رحلت أناشد المنكرين للجميل بأن يتذكروا الإحسان! وذلك بعدما هالني ما حدث لذلك المحسن الذي غمطه الناس حقه ، فأثدت على لسانه:

هلا أسفت لمحسن مظلوم؟	كم ذا يعاني من أسى وكُوم!
أسدى الجميل لمن يجزعه اللظى	حتى غدا كالمُخبط المهموم
أتراه لم يبصر بأوباش الورى؟	فجزوه بالإحسان بحر هموم
لم ياغتاة تصرمت أخلاقكم؟	والخير هل يرجى بأي صريم؟
هل أصبح المعروف عيباً يُزدرى؟	أيعامل المعطاء مثل خصوم؟
ومقدّم الإحسان يلقى رده	خذلاً أتى من سينات فهوم
لم تغفلون عن الشهادة شيدت	مجداً؟ أليس الأمر بالمعلوم؟
لم يُهدر الإحسان جهراً بينكم	ويبوء بالخذلان كل كريم؟
لم تهجر القيم الأصيلة في الورى	حتى لتذروها الصبا كهشيم؟
أخلصت صحبتكم ، فعاتبني الوفا	وشكا إليّ بغضبة المكظوم
فعلمت أني في وفائي مخطئ	وعقاب ما أسديت بعض غموم
يا ليت شعري ، كيف ينتحر الوفا	ويضيع بين تخرص وزعموم؟
وتُصب للإخلاص كأس معة	ليموت مغتالاً ببعض سموم؟
ويجامل الخوان دون تحفظ	ويخص بالتكريم كل لنيم؟
ويمجد الغدار تمجيد الذي	قد صب فوق الخلق كل نعيم؟
ويصدق الكذاب تصديق الذي	لما يكن في قوله بذميم؟
والناس تآمن الخؤون صراحة!	ليس الذي هم قدروا بسليم
تصديق أهل السوء أصبح ديدناً	أيصدق الأبرار كل رجيم؟
يا قوم ما هذي شريعة ربنا	ليس الذي يُزجي الأذى بقويم
يا قوم ما هذي التقاليد التي	جئتم بها من ساقط وزنيم

هجمتُ على الأصقاع تفجع أهلها
وقطيغنا لحقيرها مستسلم
وقد انطلت حيلُ السفية على الورى
حتى رأينا في المدائن فتنة
واستهجن المعروف كل مضلل
والنذل أضحى في الأنام مقدرأ
تعساً لمعيار يُدني من علا!
وقد استوى عبدٌ يومئذ جنة
سحقاً لميزان قضى قسطأسه!
لعبتُ بأقدار الورى أهواؤه
وقد استوي شهمُ لديه ومقرفأ!
إني لأعجب من مقاييس انزوت
لما تجذ فرقاً يميّز من علا
وسواه ينفخ في البرايا سُمّه
يا قوم هيا أدركوا أخلاقكم
لما يكن هذا الترهلُ سمتكم
هذا بما كسبتُ أيادي من طغوا
فلتحذروا من بأس شر مُحذق
إني أناصح ، والهداية مقصدي
لم تسقطون حقوقه في خسة؟
ويعيش يبكي ، والدموع لها أسى
لم تحكمون على النوايا؟ حسبكم!
إن كان هضمُ الحق ديدنَ جمعكم
ساظلُ أذكر للأنام عواركم
كم ذا نصحت لجمعكم وزجرته!
لكن ، وأنى للسفيه تذكر؟

أقبخ بأعرافٍ وشر هجوم!
تعساً لمرتكس النهى مهزوم!
وسرتُ بليل في الحياة بهيم
كم حيرتُ في الدار كل حليم!
واستنكر الإحسان كل غشيم
وله - لدى الأقوام - خيرُ قدوم
وغدا الرجال به كمثل حريم
ومضلاً يهوى دخول جحيم
حتى كأن التبر مثل أديم
فتراه أردى قدر كل عظيم
حتى تساوى وزنُ أي حجوم!
وغدت كإطلال قضتُ ورُسوم
فاتى بخير في الديار عميم
شتان بين مُشوّهٍ ووسيم!
كي تضمّنوا فوزاً بكل نعيم
وكذاك ليس بطابع مقسوم
وتمسكوا بالمنطق المحسوم
ولتشفقوا من أخذه المحتوم
فلترفقوا يا ناس بالمظلوم
وأراه ليس بما أتى بمليم
ويبيت مُلتاعاً ككل كلّيم
أو ليس ربي بالورى بعليم؟
فأننا لكم والله شرُّ خصيم
ليس الذى يعظ الورى بسقيم
إذ إن ذا من سُنّة المعصوم
شتان بين مُعقلٍ وحكيم!

إن قلبي لا يفيق

(كثيراً ما نصحتها وبين لها الحق وقارن معها بين ما كان في الجاهلية الأولى وما هو اليوم في الجاهلية المعاصرة. ووضع أصابعها على مكامن الخطر ومرادات الأعداء. وقد أهداها كتاباً عظيماً هو (تحفة العروس) لوجه الله وابتغاء مرضاته. فكان جوابها (إن قلبي لا يفيق). فجعلت جوابها عنواناً لهذه القصيدة العتابية التي الهدف منها اللوم والتوبيخ والإعذار إلى الله تعالى. إن هذا الجواب ليدل دلالة على أن كل قلب انطلت عليه حيل الجاهلية ورضع لبناتها على خطر. وتصعب عليه العودة إلى حظيرة الطاعة! والتوحيد ، هو أعظم أسباب الهداية ، ولذا لما ذكرَ الله الشرك قال: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا). فالموحِّد على خير ، وهو إلى الخير أقرب. وقال على لسان خليله إبراهيم: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ). فهذا وعدٌ بالهداية لأهل التوحيد. وإذا كانت الذنوب سبباً لسوء الخاتمة ، وللطبع على القلب ، كان تركها سبباً للهداية ، وأشد في الثبات على دين الله! ومن هنا كان للطاعات النصيب الأكبر في تثبيت قلوب العباد على الحق والدين ، لأنها سبب رئيس لرضا الله - تعالى -. نعم ، إن الجاهلية إذا تمكنت من قلب عبد ما لا تبقي مجالاً للعودة إلا عند الذين رحمهم الله فأنقذهم من براثن الضلال والجهل المطبق! وواجبنا النصح ، ونكل الأمر لله تعالى فإنه سبحانه الأعم بشؤون عباده! ونسأل الله تعالى أن يقينا شر الجاهلية وأهلها وأن يعصمنا من الضلال وأهله هو ولي ذلك والقادر عليه!)

حياتك بالهدى والشرع أحلى	وعيشك في ظلال الحق أولى
ألا كل الخطوب عليك تترى	وأضحى الدين للأزمات حلا
ألسنت ترين آثار المنايا	فجيل ضاع ، ثم أخوه ضلا؟
ألا تتساءلين: لم الترددي؟	وظني الحق أن لديك عقلا!
عهدتك تبصرين بما اعترانا	لماذا تدعين اليوم جهلا؟
لماذا القلب في الأهواء جا؟	لماذا أصبح التبرير سهلا؟
لماذا لا يفيق القلب؟ قولي	لماذا للضلال يميل ميلا؟
أما شبعت من النزوات نفس	كفاك هوى وسفسطة وهزلا!
إلام السير في لجج الدنيا	ونصف العمر في الزلات ولي؟
متى ألقاك بعد التوب أختاً	ترى الطاعات قولاً ثم فعلا؟
نصحتك ، والنصيحة لا تبارى	وكلت الوعظ في الأشعار فضلا
ورب الناس أسأل أن تكوني	بما جاهرت في الأبيات فضلى

الأمل يرتصد التصابي

(كانت طموحاته أكبر من إمكانياته. وعاش على الأمل العذب. وفي كل لحظة يحدوه أمل جديد وليد. ومن كثرة توارد الآمال عليه ، وهو لا يحقق عشر معشارها ، إذا به يُحس في لحظة بأن الأمل يرتصد التصابي ويجتني ثمرات الصبا ونضرة الشباب الغض. فقاوم هذا الشعور ، فعجز في أول المقاومة لأن المشيب قد حل به ، وأخذ يطبع بصماته هو الآخر. فعاش بين أمل يداعبه ومشيب يكبح جماحه ويتوعده. ومن هنا رحت أصف شعوره بين الصبا والمشيب وأبين لمن الغلبة في النهاية! وكانت قصيدتي هذي ترجمة لذلك. لقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم : (اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين). رواه أحمد والنسائي. وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: (رب أعني ولا تُعن علي ، وانصرني ولا تنصر علي ، وامكر لي ولا تمكر علي ، واهدني ويسر الهدى لي ، وانصرني على من بغى علي رب اجعلني لك شكاراً ، لك ذكراً ، لك رهاباً ، لك مطوعاً ، لك محبباً ، إليك أواهاً منيباً ، رب تقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي ، وثبت حجتي وسدد لساني ، واهد قلبي ، واسئل سخيمة صدري). رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. ولما سُئلت عائشة - رضي الله عنها - بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم. رواه مسلم. فدل ذلك على اجتهاده صلى الله عليه وسلم في الدعاء ، وإرشاده إليه ، وتعليمه لأصحابه وأحفاده. وفيما يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي كلّم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم). رواه مسلم . فاسأل ربك الهداية ، فقد قال خليل الله إبراهيم: (لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ). ومن دعاء المؤمنين: (رَبَّنَا لَا تَزُغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ). قال تبارك وتعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ). وكثرة ذكر الله تبارك وتعالى تعين على الثبات على الحق المبين ، فإن الإعراض عن ذكر الله سبب في الضلال ، كما في قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ). وهذه الهداية لا تكون مهياًة في كل وقت للعبد المسلم ، فإن الحق سبحانه وتعالى قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ). وفي هذا حث على المبادرة بالاستجابة لله ولرسوله ، قبل أن يأتي يوم يَبْحَثُ فيه المسلم عن قلبه فلا يجده ، أي أنه يُحال بينه وبين قلبه. وهذا الأمر يجب على المؤمنين أن يحذروه!)

الأمنيات لها معنى ومضمون	وفي التصابي تناجيك البراهين
أراك بالأمل المعسول منبهراً	وقد يكون مع الآمال تمكين
هذي الطموحات من يُعين صاحبها	بعد المليك؟ وعون الصبح مظنون
والشيب داهم فذاً كله أمل	والحال تحكيه للناس الدواوين
مضى الشباب بخير العمر مرتحلاً	كما يشقّ غباب الأبحر النون
والذكريات - على الشراع - باكية	أما التصابي فبالأحزان مرهون

وبالرجاء يزول الهم والهون
لو كان لي من أسى بلواه تحسين!
حتى يكون له في الخير تظمين
ودربُه للذي يسعى له الدين
وشاهدي الناس ، والأشعارُ تضمين
إن الحياة لشعر المرء تدوين
من الغوالي لكي يعلوه تحسين
لكي يُغرد فوق الشعر تلحين
وبعد ذلك أوتته الدواوين
كلا ، وما طاب لي مدحٌ وتدشين
شعرُ المُجامل تهريجٌ وتوهين
والصدقُ في الشعر إيضاحٌ وتبيين
لا يستوي البدرُ وضاءٌ وغرجون
إن الدنانير للأشعار عُربون
وفي القراطيس تعروه الأطنانين
والشيبُ حلٌّ ، وللشباب تأبين
وفي الفؤاد أراجيفٌ وتخمين
وفي الضمير من البلوى أفانين
وللطموح أغاريذٌ وتزيين
وأخر همُّه الدينارُ والطين!
إن القريض تُناغيه المضامين
والشعرُ فيه سرابُ الإفك مكنون!
أو استوى الشيخ - في المذاق - والتين!

والعيش بالأمل السعيد مبتشرٌ
والخوفُ سيفٌ على الإحساس سُلَّ ضحى
والحب يُهدي الطموح العذب أمنية
يا ناس قلبي بما أرجوه محتفلٌ
لم آلُ جهداً ، ولم أركنُ لمعذرةٍ
أوليتُ شعري اهتماماً لا نظير له
ولم أضنَّ على شعري بغاليةٍ
أفريتُ عقدين من عمري أهدبُه
وكنتُ أعطيته لمن يُقيمه
ولم أغازل - معاذ الله - غانية
ولم أجاملُ بهذا الشعر من أحدٍ
سجّلتُ مُعتقدي فيما صدحتُ به
ولم أضلُّ لكَ أنال مرتبة
وكنتُ ضحيّةً بالأموال طائفة
عمري يمرُّ ، وشعري في القيود جثا
راح الصبا ، ومضتُ فحوى شبيبته
إني أسائل: هل نجم القريض خبا؟
ماذا يُخبئ آتِ الدهر من أمل؟
والأمنيات لها صدئٌ يُداعبني
شتان بين فتىً يحيى لمكرمةٍ
ولست أعمد للألغاز مُبهمّة
لا يستوي الشعرُ تُهدي الصدق لفظته
إلا إذا استويا عَزَّ ومتربّة

المخرج من خرائب الجاهلية

(كلما زار هؤلاء القوم رثى لحالهم مع الإعلام المدمر واللغو والبعد عن طهر الشريعة وجمال العقيدة الحقة. وآثر أن يعظهم ويبين لهم المخرج من هذا التيه والركام الذي هم فيه والذي يمثل في مجموعة (خرائب الجاهلية). والقوم في غيهم سادرون. ولكن الله ذو فضل على العالمين. فلنبين لهم وكفى ، والله سبحانه يتولى هدايتهم وتوفيقهم. (إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء). والله الأمر كله! قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (بادرُوا بالأعمالِ فتنًا كقطع الليل المظلم). صحيح مسلم. فلا نجاة من هذه الفتن الحالكة إلا بالعمل الصالح. وفي صحيح مسلم قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضاً. وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. ثم تنكشف. وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه. فمن أحب أن يرحل عن النار ويدخل الجنة ، فلتأته مَنِيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر. وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه). بين النبي صلى الله عليه وسلم الواجب في هذه الفتن وهو تحقيق الإيمان ، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وبذلك لن يؤدي أحد ، فهناك حق لله الخالق ، وحق للبشر المخلوقين. وفي صحيح البخاري من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (... قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم ، دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها). قلت: يا رسول الله صفهم لنا ، قال: (هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا). قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم). قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك). قال تعالى: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ} وفي زمن الفتن بين النبي صلى الله عليه وسلم طريق النجاة بأن نلتزم جماعة المسلمين لقوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم) ، فلا حزبية ولا عصبية. ثم قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك). وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عُوداً عُوداً. فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء. وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء. حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا. فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض. والآخر أسود مربرداً ، كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً. إلا ما أشرب من هواه). فأى قلب تشرب الفتنة ، فإنها تترك في القلب أثراً أسود ، (وأى قلب أنكرها) لأنه مليء بالخير فلا تجد الفتنة مكاناً لها بهذا القلب فتخرج. فالفتن هنا تنقسم إلى: 1- فتن الشهوات. 2- فتن الشبهات. فأما فتن الشهوات: فهي كثيرة منها قوله تعالى: (زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ). قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا ، كما بسطت على من كان من قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم). صحيح البخاري. وأما فتن الشبهات: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة ، وسبعون في النار ، وافتترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، فأحدى وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة! والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة ، وثلثان وسبعون في النار! قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة). صحيح ابن ماجه. قال ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح: (وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر طوائف أهل البدع إلا سوء الفهم عن الله ورسوله). وإذن فالنجاة في اتباع منهج الله سبحانه وتعالى! ومن هذا المنطلق وانظر - رعاك الله - بعين بصيرتك إلى حال أكثر الناس ، الذين ربما بلغوا شأنًا عظيمًا في أمور الدنيا ، وهم يُقيمون على الشرك

والضلالة ، ويصدق فيهم قول الحق تبارك وتعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ). فإذا كان القلب قاسياً حجرياً لا يقبل تزكية ولا تؤثر فيه النصائح لم ينتفع بكل علم يعلمه كما لا تثبت الأرض الصلبة ولو أصابها كل مطر وبُذِرَ فيها كل بذر ، فإذا كان القلب قاسياً غليظاً جافياً لا يعمل فيه العلم شيئاً وكذلك إذا كان مريضاً مهيناً مائياً لا صلابة فيه ولا قوة ولا عزيمة لم يؤثر فيه العلم. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقيةً قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفةً أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به). كما في الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه. وقيام مانع وهو إما حسد أو كبر ، وذلك مانع إبليس من الانقياد للأمر ، وهو داء الأولين والآخرين إلا من عصم الله ، وبه تخلف الإيمان عن اليهود الذين شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا صحة نبوته ومن جرى مجراهم. ومن ذلك ما ذكره الله عن المشركين: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا). فكان الجواب: (قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمُشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا). وحقيقة المسألة تعنت واستكبار ، وإلا لو جاءهم ملك لقالوا: هذا تختلف طبيعته عن طبيعتنا ، فهو من عالم آخر ، ويُطبق ما لا يُطبق! وقد قال الله تبارك وتعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ). فسيقولون حينها هذا ليس بملك! رحت أنصح لهؤلاء الغافلين وأبين لهم السبيل لعلهم ينصتون وتخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق! ويعجبني في بعض الأحايين البحر المنسرح. ومن هنا كانت قصيدي هذي ترجمة لهذا الموقف أناشد القوم بالإحسان والتوحيد! فأثرت هذه المرة أن أكتب عليه. والعادة أنني قليلاً ما أكتب على البحر المنسرح!

يا قومنا أحسنوا ، ولا تهنوا	خابت فهوّم يقودها الوهن
ليس التردّي مقامكم أبداً	إن الهوى بالجحيم مقترن
هيا اخرجوا من لظى يحرقكم	خاب السراب المدّس العفن
حتى متى في الفجور أغلبكم؟	ضل الألى للعدا هنا ركنوا
لا ، يفيد في الجدل من شرفوا	بالحق ، إنني بنصره قمن
ليس اتباع الهدى بنافلة!	ذا واجب ، والتقي مؤتمن
والله أملى لمن طغوا وبغوا	ثم استبدوا ، وفي الهدى طعنوا
يا قومنا صدقوني ، واعتبروا	فاز الألى في الرشاد ما وهنوا
جنات ربي لها المهور غلت	إن التقى للعرائس الثمن
والمخرج اليوم طاعة بذلت	لله ، فيها الصلاح يكتمن
أسلافنا بالكتاب قد صلحوا	والخير تزجيه للورى السنن
أما الضلال الذي يسربلكم	فالداء فيه البلاء والفتن

حوار مع أعرابية

(كانت تطمح إلى أن تعلم أطفالها اللغة الإنجليزية. فذلت على معلم. وإذا بها تُملي شروطها التي يُفهم منها بكل بديهة محو الهوية الإسلامية والعربية تماماً من أذهان الأطفال ، وإحلال الإنجليزية لغة وتقاليد وأعرافاً وأذواقاً وحياة. الأمر الذي من أجله دارت رحى الجدل والحوار ، وكسبت هذه الأعرابية الحوار بجهلها وصلفها. وخسره المعلم رغم علمه وغيرته. فراح يلومها ويوبخها ، علها تستفيق من هذه السكرة ، وترجع إلى رشدها وصوابها. وتفرق بين تعليم الإنجليزية وهذا المسخ. ودار بيني وبينها جدالاً عقيماً! أدركتُ من خلاله أن المعايير قد اضطربت وأن الموازين اختلت! وحاولتُ جاهداً التعديل فعجزتُ! يصف الأستاذ علي مصطفى الدنف اختلال الموازين في مقال يحمل ذات العنوان ما نصه: (عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: {مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي: ما رأيك في هذا؟ - فقال الرجل: رجل من أشرف الناس ، هذا والله حريّ إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع وإن قال يقبل كلامه ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم. ثم مر رجل آخر فقال له الرسول: وما رأيك بهذا؟ قال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا حريّ إن خطب ألا ينكح ، وإن شفع ألا يشفع ، وإن قال ألا يسمع لقوله! فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: هذا (الرجل الفقير) خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا}. كثيرٌ منا من يزن ويقيم وينظر إلى الناس من مناظير دنيوية ، هذا رجل صاحب منصب. غني. قوي. جميل الخلقة. وهو عند الله قد يكون أحقر الناس ، وإذا ما نظرنا إلى شخص بسيط الحال فقير المال ضعيف لا مكانة ولا وظيفة محترمة كما يقولون لا وجه ولا جاه ماذا نعتقد فيه؟ كيف نعامله؟ لأن نظرنا دنيوية. روى الإمام البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: {سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أيُّ الناس أكرم؟ كانت قضية القبليّة والنعرات والتفاخر بالأنساب مسألة لها ثقل كبير ووزن عظيم عند العرب - قال: أكرمهم عند الله أتقاهم؟ - أجابهم بميزان الشرع - قالوا: ليس عن هذا نسألك قال الرسول: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله ، قالوا: ليس عن هذا نسألك ، قال فعن معادن العرب تسألونني؟ قالوا: نعم ، قال: فخيركم في الجاهلية خيركم في الإسلام إذا فقهاؤهم). هـ. وظال الجدل مع المرأة للحد الذي أزعجني خاصة مع امرأة لا تعرف أدب الجدل! وتحت عنوان: (الجدل) قال الشيخ حمود التويجري ما نصه: (لقد وجدنا الصحابة يقبلون ما حكم به الرسول عليه الصلاة والسلام أو ما أخبر به دون أن يوردوا عليه الاعتراضات. فالحاصل أن المجادلة إذا كان المقصود بها إثبات الحق وإبطال الباطل فهي خير ، وتعودها وتعلمها خير لا سيما في وقتنا هذا ، فإنه كثُرَ فيه الجدل والمرء ، حتى أن الشيء يكون ثابتاً وظاهراً في القرآن والسنة يم يورد عليه أشكالات. وهنا مسألة: وهي أن بعض الناس يتحرج من المجادلة حتى وإن كانت حقاً استدلالاً بحديث: "وأنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً" ، فيترك هذا الفعل. فالجواب: من ترك المراء في دين الله فليس بمحق إطلاقاً ؛ لأن هذا هزيمة للحق ، لكن قد يكون محقاً إذا كان تخاصمه هو وصاحبه في شيء ليس له علاقة بالدين أصلاً ، قال: رأيت فلاناً في السوق ، ويقول الآخر: بل رأيت في المسجد ، ويحصل بينهما جدال وخصام فهذه هي المجادلة المذكورة في الحديث ، أما من ترك المجادلة في نصرة الحق فليس بمحق إطلاقاً فلا يدخل في الحديث. كتاب العلم. وقد نهى السلف قديماً وحديثاً عن مناظرة المبتدعة ومجالستهم إلا لمن كان قويا في العلم ، وعنده القدرة على المناظرة ودحض الشبهة وهذه بعض الأقوال على ذمهم للمناظرة. قال الحافظ أبو القاسم هبة الله (اللالكائي): فما جني على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة ولم

يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمدأ ودرداً ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً ، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقاً ، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلاً حتى كثرت بينهم المشاجرة وظهرت دعوتهم بالمناظرة ، وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة ، حتى تقابلت الشبه في الحجج ، وبلغوا من التدقيق في اللجج فصاروا أقراناً وأخذاناً وعلى المداهنة خلاناً وإخواناً بعد أن كانوا في الله أعداءً وأضداداً وفي الهجرة في الله أعواناً يكفرونهم في وجوههم عياناً ويلعنونهم جهاراً ، وشتان ما بين المنزلتين وهيئات ما بين المقامين. نسأل الله أن يحفظنا من الفتنة في أدياننا وأن يمسكنا بالإسلام والسنة ويعصمنا بهما بفضلته ورحمته. اهـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (2/1).هـ. وإذن فالمعايير عندما تنضبط بالشرع الرباني كتاباً وسنة لا تكون هناك مشكلة! إنما تكون البلايا باتباع الأهواء وتغليب الشهوات! ولا يأتي ذلك الانحراف العفن بخير أبداً!

يَمِينُ اللَّهِ قَدْ فَهَتَ حَوَارِي	لَأَنِّي فِي الْحَقَائِقِ لَا أَمَارِي
تُرِيدُ هَوِيَّةً ضَلَّتْ وَخَابَتْ	تَقُودُ إِلَى التَّحَلُّلِ وَالذَّمَارِ
وَلَوْ أَصْحَابَهَا نَفَعَتْ لِسَادَتِ	وَلَكِنْ صَافَدْتَهُمْ بِالْبَوَارِ
وَلَسْتُ أَعِيبُ لَفْظاً أَوْ لِسَاناً	وَلَكِنِّي أَعِيبُ عَلَى الصَّغَارِ
وَهَلْ لِلضَّادِ فِي الدُّنْيَا مِثْلٌ؟	أَجِيبْنِي ، وَلَا تَخْشَى قَرَارِي
تُرْبِينِ الصِّغَارِ عَلَى التَّرْدِي	كَمَا حَاقَ التَّرْدِي بِالْكَبَارِ
نَعَمْ أَتَعْلَمُ اللُّغَةَ احْتِسَاباً	وَيَبْقَى الدِّينَ نَخِيراً لِلدِّيَارِ
وَيَبْقَى الدِّينَ دَرَباً لِلْمَعَالِي	وَدِرْعاً لِلرُّورِيِّ مِنَ الْإِنْحَادِ
وَيَبْقَى الدِّينَ لِلْمَوْتَى حَيَاةً	وَمِنْهَا جَاءَ يَقُودُ لِلزُّدْهَارِ
وَيَبْقَى الدِّينَ لِلْأَطْفَالِ حِصْناً	يَقِيهِمْ مِنْ ذُرَائِعِ الْإِنْتِحَارِ
صَغَارِكِ كَالْبِرَاعِ ، فَاحْفَظِيهِمْ	وَدَعِكِ مِنَ السَّقُوطِ وَالْإِنْكَسَارِ
أَقُولُ: أَمَانَةٌ ، وَالْكَوْلُ رَاعٍ	وَيَوْمَ تُسْأَلِينَ عَنِ الصَّغَارِ
لِمَ التَّقْلِيدُ لِلْقَوْمِ الْخَزَائِيَا؟	وَهَلْ فَضْلِي تَسِيرِ كَمَا الْجَوَارِي؟
عَلِمْتُكَ فِي الْحَقِيقَةِ بِنْتِ عَزِّ	شَمَخْتِ كَمَا كُرِّمَاتِ النَّجَارِ
عَوَارٍ كُلِّ أَمْوَالٍ وَجَاهِ	وَسَوْفَ تُرَدُّ هَاتِيكَ الْعَوَارِي
وَهَلْ خَفِيَتْ أَسَالِيبُ النَّصَارِي	عَلَيْكَ فَبُوتَ مِنْهُمْ بَاغْتِرَارِ؟
أَكَلْتِ طَعَامَهُمْ ، فَاتَسَقَّتِ طَوْعاً	وَبئْسَ السَّيْرِ فِي أَخْزَى مَسَارِ!
مَعَاوِلَ هَدْمِهِمْ هَدَّتْ قَوَانِي	وَكَمْ أَهْدَوْا لَنَا أَشْقَى الثَّمَارِ
لِذَا ضَاعَتْ هَوِيَّتِنَا ، وَضَعْنَا	وَأَصْبَحْنَا طَعَاماً لِلضَّوَارِي
كَأَنَّا لَمْ نَذُقْهُمْ أَيُّ بَأْسِ	فَمَا حَطِينُ؟ مَا ذَاتِ الصَّوَارِي؟

سأليه لتشرى كأس اعتبار
ذرى الأمجاد فى أسمى شعار
ولكن جرعوه لظى المَرار
ولو سَلَّ العدا سيفَ الحصار
ونرضخُ للتفاوض والحوار؟
يُداول تحت مطرقة السُّعار؟
لها بوقٌ يُضخم فى الأوار؟
فإن الحال يؤذُنُ بانفجار
وأخشى أن يضيق بيَ انتظاري
ألا فلتحسبى أمضى قرار
أوضَّحها كما شمس النهار
فإني للهدى دوماً حواري
وما لي فى الصراحة من خيار
لنزع السَّتر من بعد الخمار
بقول فى التودد مستعار
ومثلك ينبغى أن لا تجاري
فلإسلام قد كان انتصاري
بدمع قد تضمخ بالجوار
بأنى ينبغى أن لا أوارى
لیمحق من ينافق ، أو يمارى
وأغراك التحفظ فى اصطبارى
وليس بمثله أى افتخار
ومن هذا الذى يُزري حذاري
بهذا الدين عن كل انحدار
وبين يديك أسديت اعتذاري

هو التاريخ يذكر لا يُحابي
همُ الأعرابُ بالإسلام حازوا
ولم يستسلموا يوماً لغازٍ
ولم يتقبلوا دنس المخازي
لماذا اليوم طالتنا الأعادي
لماذا عيشنا أمس شقاءً!
وكيف يطيب عيش فى حروب
وعظمتك يا أخية ، فاستجيبى
ترين قد انتظرتُ ردود سُولي
فيا من فى دجى التغريب غاصت
ولا تستثقلي منى الوصايا
حريصٌ أن أبلغ هدى ربي
وأنت اليوم للأعداء صيدٌ
عليك ذئابهم تعوي طويلاً
بحيلة مشفق يحنو عليك!
بربك أخلصي ، وثقي بقولي
وعند الله أجري واحتسابي
إليه جأرت أدعو مستغيثاً
أريد الخير للدنيا ، وظني
أحب الحق يعلو فى البرايا
ألا فلتعقلي ما خضت فيه
فما قد قلتِ شىءَ خطيرٌ
وتوبي قبل أن يغشاك موتٌ
وأنت اليوم مسلمة تسامت
نصحتُ وأنت أركي من أناجي

أعرابية في عصر الجاهلية المعاصرة

(كانت في الماضي تصلي خمستها ، وتصوم شهرها ، وتطيع زوجها ، وتلزم دارها. واليوم ما زالت بها الجاهلية ، حتى تركت الصلاة ، وعصت الزوج وهجرت بيتها ، وترسخ في ذهنها أن الإسلام انتهت رعوته التي تناسب الماضي. ورد في الموسوعة الإسلامية المعاصرة ، في باب شبهات في الفكر الإسلامي ما نصه: (التحدي القائل أن الإسلام أصبح شيئاً من الماضي ، ولا يصلح للزمن الحاضر. وأنه سبب تخلف المسلمين وانحطاطهم. لهذا صدرت كتابات إسلامية كثيرة ترد على هذه المقولة ، مؤكدة الشعار الذي شدد عليه عبد العزيز جاويش كما ينقل عنه الدكتور أحمد صدقي الدجاني وهو: (أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان). ومن ثم فهو صالح لهذا العصر الذي هو أشد ما يكون حاجة إلى الإسلام. وفي الواقع لا يمكن أن تطلق صفة مفكر إسلامي على من يقول بصلاحيّة الإسلام لكل زمان ومكان. ولهذا نرى المفكر الغربي فوربير تابيرو ومن سار على نهجه يعجب من المصلحين الإسلاميين حين لا ينسبون التخلف إلى الإسلام. وقد أخذ عليهم أيضاً اندفاعهم في الدفاع عن الإسلام وتفوقه وحث حتى الغربيين على اعتناقه ، ويسمى هذا الموقف "مركب نقص". وكان سلامة موسى قد قال ضمن هذا المنطق: (لا أستطيع تصور نهضة لأمة شرقية ما لم تقم على المبادئ الغربية). بينما شدد الفكر الإسلامي على مقولة جمال الدين الأفغاني: (لا نهضة بغير ديننا). وراح علال الفاسي يؤكد أن من غير الممكن مواجهة الأخطار ، وحماية أنفسنا ، وأراضينا ، إلا بالعودة إلى الإيمان واتباع الجهاد الإسلامي. ويُطالب الدكتور مصطفى حلمي بالتفريق بين قديم أوروبا وقديم المسلمين. فقديم أوروبا يُطلق على عصور التخلف أو العصور المظلمة. وأما قديم المسلمين فيُطلق على تقدمهم الحضاري في كافة المجالات. لذلك حين تريد أوروبا أن تتقدم ترفض تاريخها القديم. وأما نحن فالعكس. ثم يستطرد قائلاً: ولكن لا يخطر لنا على بال ، أن نضع الأمة الإسلامية في متحف التاريخ ، بمعنى أن نطالبها بارجاعها للأخذ بوسائل العصور السابقة في الحياة العمرانية بأساليبها في الإنتاج والنقل والتعليم ، والتطبيب وتشبيد المدن وتجهيز الجيوش والجند ، وبناء المدارس والجامعات والمستشفيات. ويؤكد أن أصحاب المنهج السلفي لا يمنعون فتح النواذف على العلوم التجريبية والاكتشافات. فالتقدم المادي المائل أمامنا ما هو إلا جزء من التصور الحضاري الإسلامي. ولكن الأمر الذي يجب التوقف عنده ودراسته هو إعادة النظر ، وفحص الإنتاج الثقافي في العلوم الإنسانية. لأنه يرتبط بتطورات للحياة تختلف عن تصوراتنا).هـ. وإنني إذ أورد هذا النص من الموسوعة الإسلامية ، فإنني أورده من باب رد الشبهة الملعونة التي تذهب إلى أن الإسلام لا يواكب العصر ، ولا يتناسب مع الحضارة المعاصرة. وقد ورد في الحديث الذي رواه الإمام أحمد من قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال له: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك ، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول ، فعصاه فهاجر قال: ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له: هو جهاد النفس والمال ، فتقاتل فتقتل فتنتكح المرأة ويقسم المال ، فعصاه فجاهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة). وبعض الناس يستهجن أن يسلم الله رب العالمين في زمان الجاهلية المعاصرة الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره! وزاد حبات الطين بلة ، فرأى في التدين بالإسلام تخلفاً ورجعية وعودة إلى عصور الظلام! ومن تخيل أن في الإسلام ومتابعة الرسول إزاءً وطعناً منه على آبائه وأجداده وذمماً لهم ، فأراه لم يفهم الإسلام ولم يع رسالته السامية ، وهذا هو الذي منع أبا طالب وأمثلة عن الإسلام استعظموا آباءهم

وأجدادهم أن يشهدوا عليهم بالكفر والضلال. ولذا لما حضرت أبا طالب الوفاة وجاءه أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقالا له: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب - آخر ما كلمهم -: هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. كما في الصحيحين. فهذا مانعٌ من موانع الهداية ، بالإضافة إلى ضحبة السوء ، فإنها تمنع من الهداية والاستقامة والالتزام والتمسك بشرع الله. فيسمعون صاحبهم الذي ربما أراد الاستقامة على دين الله عبارات النبز والاستهزاء والسخرية حرصاً منهم على بقاءه ضالاً كحالهم. ومن هنا رحت أشفق على أعرابية قصيدتنا ، مطالباً إياها أن ترجع إلى صوابها وتدرك أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ولكل عصر ومصر. فبدلاً من أن تحث الناس على العودة إلى ما إن تمسكوا به لن يضلوا أبداً: كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، راحت تحث الناس على البراءة من القرآن والسنة!

ضحكتُ عليكِ الجاهلية ، فاعقلي	فلقد أصببتُ من الهوى في مقتل
أغراكِ إعلامٌ يُعربدُ ماجناً	في ليل أمتنا البهيم الأليل
وينالُ من قيم تسامى عزها	فهوى بقومٍ للحضيض الأسفل
وأباد أخلاقاً ترفع مجدها	ورمى المبادئ بالحسام المقصل
حتى رأيتُك للفساد ضحية	من بعد إيمانٍ رطيب المنهل
وهنتُ عزيمةك التي لمّا تهن	لولا الركونُ إلى القطيع المبطّل
ومضى قيامُ الليل ، والخمسُ أنتهت	ومضى التبعلُ في سراب ترهّل
والمكثُ في البيت انتهت أزمانه	وحلا الخروجُ من البيوت لعطبل
لتكون في الأسواق طعمة أعين	لم تعبد الرحمن مولانا العلي
وعلى الحليل رفعتِ كفّاً شقية	وطغى لسائك بالكلام الأردل
ورأيتِ في التضليل أصدق منهج	فإذا التبرجُ أسرَّ قلبَ الولي
يا شقوةَ الأمة التي لم تمتثل	أمرَ المليك بطاعةٍ وتبثّل
أقول أعرابية لعبتُ بها	في غفلةٍ منها عقولُ العذّل؟
غُودي إلى الإسلام حتى تسلمي!	لكِ قد دعوتُ بكل دمعٍ مُرسَل!

وجود يحترق (هموم كبيرة)

(دعيت هنا في دار غربتي إلى أمسية شعرية مرة مستمتعاً لغيري من الشعراء والأدباء ومرة شاعراً يستمتع إليه الآخرون. ولكن في هذه الأمسية حدث العجب العجاب! عندما بلغت الوقاحة بأحدهم مبلغاً يعجز اليراع عن تصويره ولا توجد في ظني كلمات يمكن أن تصورها. لقد احتوت هراءات هذا المستشعر القدر على تناول على الله عظيم. وإذا به في الصدارة. فأخذت ألوم نفسي: لماذا أتيت وشاركت وكان بوسعي أن لا أحمل نفسي من البلاء ما لا تطيق؟ وحاولت الخروج تحت أي ادعاء أو عذر ولكني لم أستطع. فمكثت أستظهر ما وعيت من القرآن في خاطري ببني وبين نفسي حتى النهاية. وترددت كثيراً في عنوان هذه القصيدة ، ورأيت بعد جهد عميق وتفكير طويل أن أسميها بالاسمين الذين ارتايتها معاً لها وهما: وجود يحترق ، هموم كبيرة. والوجود هذا الذي أعنيه هو وجود شاعر موحد ما في بيئة غير بيئته وفي قوم ليسوا قومه ، والهموم الكبيرة التي تلوح لي كل حين بل وتجثم في قلبي المسكين الضعيف هي هموم القيم والفضائل عندما تصبح غريبة غربة العقيدة التي تنبثق منها ابتداء وانتهاء. والمناسبة أنني دعيت لحضور أمسية شعرية حدثية علمانية هائلة. القيم والفضائل منها بريئة الذنب من دم يوسف بن يعقوب عليه وعلى أبيه وعلى نبينا محمد صلوات الله وتسليماته ، بل وحتى الشعر منها بريء ذات البراءة التي أشرنا وألمحنا إليها. ومنذ أن دخلت باب القاعة المعدة للأمسية المزعومة وجدت كل ساقطة تسابق في اصطيد فريستها من اللاعقين الهازلين ولا أريد تلوين اليراع بوصف ما كان عليه الأقسام رجالاً ونساءً من التهتك والانحلال ، وإنما من العبارة الخاطفة يلمح كل ذي لب عبقرى ذكي. كما أنه لا طاقة لليراع بأن يصور هذا الإنحطاط ، وأرى أيضاً أن القرطاس لا يطيق أن يحتوي بين ثناياه هذا التردى. وأما عن شاعر الأمسية: فحدثت ولا حرج من النظر من عل كأنه المتنبى أو عنتره أو الأعشى أو زهير أو البحتري أو عبد الرحمن العشماوي أو عدنان النحوي من الذين ينبض شعرهم بالعطاء الزاخر وكذلك بالحوية الغضة الطرية. لا ، والله ، بل شاعرهم أدنى من هذا بكثير. بل أطل علينا بجبين مقطب كبيراً وخيلاء ويحمل هموم الخرافة والحدثاء معاً ، وله حاجبان قد تلظما بطراً وزهواً وله وجنتان حليقتان قد لمعتا للحضور لمعان عروس ترينت في يوم عرس لزوجها ، وأخذ يضم شفثيه رياء وكأنه سقط على هذا الجمهور البناس من المريخ أو من المشتري ، وحدث ولا حرج عن هراءاته التي يزعم لها أنها شعر وقصائد ، والتي هي أقرب إلى عريف الجن ولهاث السكارى منها إلى الشعر ، وحدث ولا حرج عن الأخطاء اللغوية والألحان التي فاقت الوصف ولو أن أحد الأشبال في الثالث الابتدائي يقرأ هذه الهراءات لقرأها فعلاً أفضل بكثير من صاحبها. وزد على ذلك أنه ليس هناك غاية ولا وحدة موضوعية ولا حتى في الشطرة الواحدة فضلاً عن البيت من أبيات ما يسميه قصيدة ، وإنما هو خبط عشواء وضرب من الخبل ولون من التخيل بالكلمة ليس إلا ، وكأنما تعمد هذا الناثر إن صح اللفظ في حقه وما هو بالصحيح لأن النثر له أصوله وله قواعده وضوابطه ومعاييره التي قد تفوق الشعر من حيث العدد ، كأنما أرد هذا المستشعر أن يعمد إلى أسلوبية لا يفهمه معها أحد ، وربما هو ذاته لا يفهم ماذا كتب وماذا يريد من وراء الذي كتب. وادعى لنفسه مبرراً سخيفاً هو ما يسمه بالمذهب السرياني أو الرمزي. وعموماً لبت أن المسألة وقفت عند هذا الحد من المتاهة ، بل راح الجمهور يلهب منه الأيدي تصفيقاً ، واحترقت منه العيون متابعة لحركات المستشعر المفتعلة المصطنعة ، ناهيك عن باطات الإعجاب التي انهالت هي الأخرى عليه من كل صوب وحذب وكأنه شاعر بحق ، وكأن جمهور الحضور ممن يفقهون الشعر والشعراء بحق ، والله أعلم أهمل يصدقون أنفسهم أنهم في أمسية شعرية وأمام شاعر يجيد الشعر وله فيه باع أم لا؟ المهم أنهم استغرقوا كل ألوان الإعجاب له. وأخذ مقدم الأمسية

ما يقارب الخمسة عشر دقيقة يقف الفارس الهمام والشاعر الضرغام ، ولم يكن من ذرة حياء وهو يحكي للحضور عن أمجاد وغراميات الفارس في باريس وكذا في لندن. وكانت أعذر القائمين على الأمسيات بأنه لم يذهب إليهم من الشعراء الجادين ما يشغرون به الساحة أمام الجمهور حتى تبين لي بما لا يدع أدنى مجال لأي شك أنه قد أتيح لهم ، ولكنه مخطط لهدم العربية شعراً ونثراً ليس سوى ، وأن الحدائين الجاهليين من الذين لا خلاق ولا شعر ولا تذوق ولا عقيدة عندهم سعدوا خشبة مسارح الأمسيات ومهد لهم ذلك الأمر تمهيداً ، وكانت أتخيل أنني سوف أستمع إلى شعر ربما لا عقيدة فيه ويبقى له من الشعر كونه شعراً ، ولكن وللأسف الشديد ، ولم يكن ثمة شعر ربما ولا عقيدة ولا خلق ، وإنما هو ادعاء بالقول أجوف لا يزيد ، ولما استهل المستشعر أمسيته خطرت لي مقالة أبي حنيفة عليه رحمه الله: أن لأبي حنيفة أن يمد رجليه ، واسترخت وأخذت أستذكر ما أستظهر من وحي السماء الذكر الحكيم منصرفاً بذلك قلباً وقالبا عن الأمسية ومن فيها ، وتولد في ذهني وعلى الفور مطلع: وجود يحترق أو: هموم كبيرة ، معبراً فيها عن هذه الأمسية. فإن صاحب الأمسية وفارسها لم يسلم من لسانه الشعر ولا حتى الشعراء ، فكيف له اليوم أن يسلم من الشعر والشعراء؟ إنه الحق لا بد أن يوضع في نصابه ، وإنها القوس لا بد أن ترد إلى باريها ، وإنه الخبز لا بد وأن يعطى لمن يخبزونه. وأخذت أعبر عن شعوري ورحت أنصت إلى آهاته في أناة حتى أخذت أنفعل مرات ومرات للذي علمت. ولقد كتبت منذ سنوات قصيدتين تحملان ذات العبء ونفس الموضوع ، ونشرتهما في جريدة الوحدة العربية: الأولى هي قصيدة في رثاء الشعر ، وصدرت في عدد جريدة الوحدة العربية رقم 6957 والصادر يوم 8 / 1 / 1995م! وأما الثانية فعنوانها: جنازة الشعر ، وصدرت في عدد الوحدة العربية رقم 696. والصادر يوم 11 / 1 / 1995م ، شيعت فيها الشعر ذلك المجنون المسكين الضعيف البائس الذي جنى عليه الحدائين المفاليس ، وتأتي قصيدة: وجود يحترق أو هموم كبيرة ترجمة لما في القلب من هموم. والأصل أن يدعى إلى الأمسيات الشعرية الشعراء النحارير المؤمنون الغيورون على الإسلام وأهله! وليس يدعى المفاليس العلمانيون المنفلتون من الدين والعقيدة والعروبة (واللغة!)

الشعرُ يبرأ ممّا قلت والأدبُ	ومن سماعك قد أودت بنا الكُربُ
فلسيت تشعر قط ، أو تحسُّ بنا	وسواة اللحن - في شديك - تلتهب
تمرغ الشعرُ في الأوحال يا لكع!	وتمزجُ السم ، والأقوامُ كم شربوا!
وتجرحُ الحس والإحساس ، تقتلنا	وتخرب النثر بالأخطاء تضطرب
وتحبس اللفظ في أعفان حجرة	فيها تقرحت الأرجاسُ والريب
وأنت وحدك مزهوّ بخبيتها	فرخٌ يُزخرف عظماتٍ به الزغب
طاووسٌ هزل يفوقُ الزهو منزلة	تهوى السراب ، ويُردّي زيفك الكذب

صَفَعِ اللّئيمِ الَّذِي أودتْ بِهِ النّوب
ويُنقذُ الشّعْرَ ، إن الشّعْرَ يُغتصب؟
ويُرجعُ الحقّ ، إن الحقّ ينتهب؟
وإنه باللسانِ الفارسِ الضرب؟
وشعره اليومَ بين الناسِ ينتحب
وشعره زانه التوحيدُ والطرب؟
تعطر القلبَ مما غنت العرب؟
يُرَجِّعُ الشّعْرَ فواحاً له رغب؟
حتى غشاها الغشا ومن له ذنب؟
أين التهاجي الذي يحبوا له الأدب؟
و(الأصمعيّ)؟ وأين النقد والكتب؟
بالأمس كم سطعت ، كأنها الذهب!
من كان في ساحة التنظير يحتسب
فاضت طلاوته ، كأنه الرطب
تظلمها الشرعة العصماء والنسب؟
هو الحياة لهم ، وشعرهم عصب
يُزَكِّي النفوسَ له فوق العدا لهب
أنت المعيب ، وهم بين الورى شهب
تقول: شعرٌ قديمٌ ليس يُطلب
ولا حياة له ، أودتْ به الحقب

وتصفعُ الشّعْرَ في أقذارِ أمسيةٍ
أين (السموأل) يمحوا ما افتريت هنا!
أين (الخطيئة) كي يجتث باطلكم
وأين (حسان) بالأشعار مُدْرَعاً
(حسان) غاب ومن بثوبه التحفوا
وأين (كعب) له بالشعر ملحمة؟
وأين (خنساون) بالشعر صادحة
وأين في الساحة الصماء (عنترة)؟
وأين غاب (جريّر) عن محافلكم
أين (الفرزدق) في آفاق صولته؟
وأين منكم (زهير)؟ أين حكمته؟
ودوحة الشعر في أسواقها طعنت
و(ابن الرواح) أين الآن همته؟
و(الشنفرى) أين شعرٌ منه مؤتلق؟
أين الأعراب والأشعار تسبقهم
ديوانهم شعرهم ، والهدي باركهم
في كل شأن لهم شعرٌ وأغنية
حتى أتيت أيار غديد تنقذهم
تقول عن شعرهم ما لا يليق به
تقول: قد أسننت فحوى معالمه

هو الرتيبُ ، مضى بعصره العطب
ولا يزال أراه اليوم يغترب
لكنما بيراغ الفذ ينكتب
أنتقد الشعرَ يا من قلبه خرب؟
كأنك الفارسُ المستنصرُ الضرب!
أنت الحضيضُ ، ومأوى شعرنا السخب
وما كتبْتُ وغيري مثله العنب
كذا العقيدة ، والحسنى لنا سبب
وإن (حسان) في دنيا القريض أب
فالحق نحن ، وأنت الزور واللعب
فإنما الشعرُ والتقوى لنا لقب
فهم جرادٌ على الأقدار ينقلب
صنع القريض ومن في فلكه ركبوا
فكيف يؤخذ من أمثالهم أدب؟
وما عليك هنا في زعمهم عتب
وكل من كفروا فهم لها حطب
فما طربنا ، وأردى شوقنا النصب
أنت الحداثة والتضليل والشغب
وناصرُ الحق مكتوبٌ له الغلب
ولن يُخيب عند الله محتسب

ولا يخاطب عصرراً فيه طائفة
هو الغريبُ ، فلا الأصقاع تعرفه
وليس يكتب شعر الغرب مهترئ
ماذا تقول أيا مستشعراً سَمجاً؟
وتدعي أن ما ألفتَه دُررُ
الشعرُ شعرٌ ، وإن أعلاك من سفلوا
وما ادعيت فهذا حُصرمٌ عفون
نحن الرشادُ ، وشعرُ الغرب رائدنا
(خنساوناً) أمننا ، والصحبُ قدوتنا
مهما افتريت ، وصغت الزيف تصدية
مهما أخذت من الألقاب قد سُبكت
وإن رآك على خير من انحرفوا
فإنما يعرفُ التقيمَ من خذقوا
أما الذين إذا قلت اقروا عثروا
أراك تعبت في التوحيد في عمه
من الجحيم سخرت اليوم مجترناً
أجارنا الله مما قلت تطربنا
وقاتل الله جمهوراً يشجعكم
مازلت أفضحُ بهتاناً يُزخر فكم
أقرنُ الزيف في الأصفاد محتسباً

يتابع الهزل في تشجيعه صخب
ويعجب الآن من ألفاظه العجب
مشاقة زأها الآهات والشبب
وطعمة الجسم شاي بعضه الخلب
والعين سهم ، لها في عشقه طلب
يحيا وحيداً ، فهذا المفتري عذب!
فهذه من زها العشرين تقترب
وشصها مالها والعز والحسب
جاءت إليّ مجيئاً صوته لجب
فقلت: لا ، وطغى في خاطري الغضب
ففارقت حلق الغادات تكتب
بأنني مرعب ، في بسمتي رهب
أو أنه لهدى الإسلام ينتسب
كأنما بيننا وبينه الخُجب
إني البصير ، وكم قد كان لي لعب!
وكم قرأت له ، وكان لي خطب!
فليس لي عندهم زلفى ولا قرب
وعيشهم بئد ، يودي به الرتب
—يران منزلهم ، وهم لها الحصب
وفي المايك ورببي كان ذا الهرب

وأفضح اليوم جمه وراً يُبارككم
قد أغرق السباح تهريجاً وتصدية
من كل ساقطة زانت ذوائبها
وطعمة الروح ألفاظ منمقة
تلاحق الشاعر المزعوم في شبق
في الأربعين يعيش العام شاعرها
تجب فيه ابتساماً قد أعد لها
هي التي تنشد العشاق تجذبهم
عار عليها الحيا ، والفسق ديدنها
قالت: أريد حديثاً شائناً عبثاً
زدت: كيف كلام منك أقبلاه؟
وقد رمتني بين الناس ساقطة
قالت: قديم إن تفكيره حجر
فلن ننال من المعتوه بغيتها
حصرت ثوبي ، وقد كشفت لعبتهم
حتى هديت إلى الإسلام خير هدى
وقد برئت من الضلال قاطبة
حياتهم مُرة ، والهزل رائد هم
وإن يموتوا على ما هم عليه ففي النـ
وقد فررت من الفساق أجمعهم

وقطعت بيننا فحوى صداقتنا
لكنما قد دعاني اليوم مُرتزق
وقد تبين ما في القاع من أكم
ملاء القلوب هواءً لا حياة به
شтан بين شعور صاغه ألم
هذي البضاعة تغري من طغى وبغى
هم أذهبوا ريحنا في كل أمسية
وكم على دمعنا الهتان قد هزلوا!
هم الكرام إذا حلوا على بلد
ويشربون على الآلام خميرتهم
في جو هذه السما والبحر قد حملوا
هذي الحادثة في مستنقع نبتت
كم قلدوا في سراب التيه أوسمة!
ساقوا الديار إلى درك الشقاء ، لهم
نشأ تفرخ في أحضان علمنة
لاقت رواجاً بدور الغرب أجمعهم
حتى استقر لهم في الأرض ما نشدوا
ما إن تلوح لهم في الدار بارقة
ويظهرون لكل الخلق باطلهم
بضاعة الحق عند الناس كاسدة

ولم يعد بيننا ود ولا نسب
للأمسيات وهزل لفظه خشب
نعائم يشكي أثقالها الكنب
وليس ماءً إن تحويه ذي القرب
وبين هزل! لقد طاشت هنا النسب!
ومن تغوص به في غيبه الركب
وغيرنا جد ، والأندال كم لعبوا!
وكم على دمننا المسفوك قد طربوا!
وصاحب العلم يقلو علمه الدب
وقد حوتها لهم في دارنا الغلب
والمخلصون على أكبادهم ضربوا
وصار منالها أهلٌ ومنسرب
وفي الكريهة أهوها هم العُكب
في كل وإد أساطين ومغترب
ثم استقر لها في دارنا شعب
والمجرمون على أوتارها ضربوا
وحققوا بيننا - بالرغم - ما رغبوا
إلا وهم لروى الأنظار قد جذبوا
وليس ما حصروا في الظل يُحتجب
وحامل النور عند الصدد يُجتنب

فِيم التـوجّس ، إن الزيف مُنتحـر
يا حامل النور للضلال ، يا بطلاً
لا تخش ثورتهم ، لأنهم عـجـر
وإن تظـاهر بالأخلاق مُفلسـهم
هو الرقيعُ فلا دين ، ولا خلق
وكيف يكتبُ شعر العـرب مُرتكس
وهل يُحس بما في العـرب مِن ألم
والعـرب في لغتي مِن أخلصوا حنفياً
عـربٌ بوحي إله الكون ملتحـد
والسـلم شـرعتهم ، والصحبُ أسـوتهم
القـانمون بأمر الله إن ملكـوا
والتائبون على أوزارهم دمـعـوا
والناصرحون لمن غابوا ومن شهدوا
والمخلصون لرب الناس قد علموا
والمحسنون إذا قالوا ، وإن فعلوا
وشعرهم مِن سنا التوحيد مُنبثق
ولستُ أعني هنا مسخاً أتية به
كم ذا تغنيتُ بالأشعار صادحة
وأخرسُ البُله والدهماء مِن سفلوا
وأظهرُ الحق - بين الناس - مُعتبراً

والله ما حق ما شادوا وما كتبوا؟
زورُ الحداثة عند الحق ينكسب
كحاطب الليل ، في البيداء يحتطب
وإن تراه بماء الطهر يختضب
ولا احتـرام ، ولا شـعر ولا أدب
في حماة التيه والكفران مُغـرب؟
من همه في الورى دنيا ومُنقلب؟!
ومن بأرض المليك الكمل النجب
همُ الهُداة ، على توحيدِه رُقب
والشـعرُ نـاقتهم إن خانـت الرُكب
والصـابرون إذا أضـناهم الـودب
والحامـدون إذا أرداهمُ السـغب
والشـاكرون إذا زلـوا ، وإن غلبوا
ويشهد الصدق جيراناً لهم جُنـب
والطيبـون فلا سُـواى ولا جـلب
العـودُ هم ، وسواهم في الورى الشذب
وليس في لكتني عجب ولا صخب
أرجع الشوق ، والأنغام لي كُتب
ومن لشعر الهدى على الهوى صُلبوا
وعبرتي في الأنعام المرأة السُلب

ما عاقتني هلج ، كلا ، ولا وجل
ما عاقتني الوزن أو تنقيح قافية
وخطبُ الشعر فليبدل مؤونته
أما التشددُ بالألفِ خالية
وليس شعراً تخاريفاً مقطوعة
برامج في دجى الأصنام معلنة
أصحابها خبثوا في الناس ، وانحدروا
وقد أعدت لهم في التيه مزبلة
صرخ يشيد للتغير ليس سوى
لا تفرحوا يا هواة الدعر ، إن لكم
إن الحداثة مهمة راج باطلها
دمارها في سلا الأحشاء منغرس
كذلك أربابها في مهدهم وئدوا
يوماً يعوذ لجو الشعر طائره
وتوآدون ، ولا جرم ولا دية
فكم أساتم! وكم شدتم هزائمنا!
أملككم الله ، قد نلتتم ما أربكم

وليس في لهجتي لحن ولا عُكَب
إن القريض لمن يهواه مُصطحب
من الصداق ، وما أسداه يُحتسب
من العروض فلا شعر ولا خطب
فيها عذيف الجوى والزيغ والكذب
قوامها هازل ، وما بها أرب
ولا اعتبار بهم ، فما بهم لبب
سُرادق عارب ، من فوقه طناب
وسوف تشهد يوماً دكها القباب
يوماً ، وبيئكم الأسياف تنتصب
يوماً يدهم أدها إفلاسها الجذب
وسوف يأكلها - بين الورى - الجرب
وعندما أخلّي الميدان قد وثبوا
وتذبحون أيا ضلال يا غرب
ولن يكون لكم في داركم سلب
ومن ورائكم الأعداء كم كسبوا!
يا رب أرجع لنا الحق الذي سلبوا

رويدك قلمي

(إن الظلم عاقبته عند الله وخيمة. وإن لكل ظالم ولا شك نهاية سوداء مظلمة قاتمة إن لم يتدارك نفسه وينقذها من ظلم العباد. وإنني ظلمتُ في حياتي كثيراً ، والله بيني وبين من ظلمني. وكم نددتُ بالظلم والطغيان. ويوماً رحمتُ أخفف من ثورة قلمي ، عندما ثار وانفعل لما نالني من الأذى ، حيث كنتُ أعمل في معقل علم أربي فيه وأعلم ، وأقصاني عنوة عن مكاني من سيحكم الله بيننا يوم القيامة بعدله ، وأشمتُ في المرتزقة المنتفعين أتباع كل ناعق ، من حارقي البخور وقارعي الطبول وناقخي المزامير بين أيدي الطواغيت. ورب ضارة نافعة. والله لا يحب الظالمين. رحمتُ أقول ، رويدك قلمي ، فإن النصر مع الصبر ، وأن تكون مظلوماً أفضل من أن تكون لأحد من خلق الله عز وجل ظالماً. وذات يوم مررتُ بمعقل العلم وتذكرت رطيب الذكريات ونكات طلاب العلم وأسئلتهم وتعليقاتهم ، فكانت هذه القصيدة انعكاساً لما كان من مرور شريط الذكريات هذا!)

سُقيا لعهدك ، مات الفضلُ والورعُ
كم ذكرياتٍ لنا في وجهك ارتسمتُ!
والنور فوق جبين النشأ مُبتشرٌ
فلا يخاف هنا في الله لانمة
والكل يبذل خير العلم محتسباً
يعلم الطفل ما حاطت قريحته
جمع له الهدي منهاج يسيره
كان التناصح سمت الكل دون هوى
فلا مكان لشر في مجالسهم
تراهم في مقام الحق في جلدٍ
قلوبهم بمعين الوحي قد مُننت
كانوا على عصابة الغالين سيف هدى
(أبو حذيفة) في إقباله ألقُ
وهذه زمرة الغازين تجتمعُ
وقلبك الغض لأحباب يتسع
ومن جوانحه البركانُ يندلع
وليس بالزمرة البهائم يندع
هو الأمين ، ورب الناس مُطلع
من العلوم ، له في بذله ورع
وليس الغاية الدنيا ولا الطمع
فبالتناصح قلب المرء ينتفع
وليس من بينهم صل ولا ضبع
كل على ما ادعاه المفتري سبُع
فليس يغلبها بالسيف مُبتدع
دوماً يثور ، وتدرى بأسه البدع
وإن يُجادل فلا زيف ولا خدع

لكنما حُجِّجَ بالحقِّ قد مُزجتُ
أزادنا الله مما أنت قائله
لقد تبدل هذا الحال بعدكم
قومٌ على ألم التوحيد قد ضحكوا
في كل شأن لهم قولٌ ومعتقدٌ
أمسى التوسلُ بالآيات مذهبهم
والارتزاقُ بـوحي الله طابِعُهم
لهم بأي الهُدَى ذلٌ وبكهنه
لهم دموع على الدينار كم ذرفتُ!
وإن نصحت لهم هاجوا وما هدأوا
عارٌ عليهم كتابٌ أو محاضرة
فـيم القـراءة؟ إن الدار آمنة
للعلم جوقته من يسهرون له
ونحن في المولد الفينان سهرتنا
ولا علينا إذ ضل الأنام بنا
يا ذا اليراع كفى ، هيجت عاطفتي
حقاً رويدك ، دعهم في ضلالتهم
يوماً يعود إلى الميدان فارسه
وناصرُ الهدي رب الناس ناصره

بها الخصيمُ بلا أهواءٍ يفتنع
من الحقيقة ، يا نبراسُ يا ورع
حتى ابتلينا بمن بالجهل يذرع
برغم كان لهم في دارنا البيع
والفلسُ شرعتهم ، والقبلة المتع
دكوا المحاريب ، ثم اغتيلت الجمع
وفي القلوب بريقُ الطين والجشع
ولم يزرُ دُورهم حمداً ولا شبع
ويشتكون ، وهم في العز قد رتعوا
وشردوك ، وما بنصحك ارتدعوا
فالطين منتظرٌ والسوقُ والسلع
وإن سئلنا ، فما نحن الذين وعوا
ويذلون ، وبالأسفار قد قنعوا
نجمع المال ، نحن الأهل والتبع
فـيم التخوف والتخذيـل والـفـزع؟
ألا رويدك ، فاض الحزن والوجع
فـيم البكاء على الأطلال يا دمع؟
أرادت العيرُ ، أم عنت له الشيع
فـيم التـوجسُ والإيـلامُ والجـزع؟

لا شيء يدوم إلى الأبد

(في يوم 25 / 11 / 1994م كان الحادث الذي كتبت فيه ديواني: (عزيز النفس) وبسببه أهدى القصائد لعيني! واليوم 25 / 11 / 1997م ، أعزّي مقلتي التي لا ترى شيئاً إلا القرآن فقط فأكتب هذه الخاطرة! وكنت احتسبت عيني عند الله تعالى ، وودعت ليالي الحزن والنحيب! ولكنه شريط الذكريات والسهر والأشعار القديمة التي ما زلت أذكر ظروف تأليفها وكتابتها بكل أسى وجوي! وإن كنت أنوي أن أعيد النظر في قصائد (عزيز النفس) ، وأضيف إليها ما يجعلها أفضل وأحلى!)

لا شيء يدوم إلى الأبد
زفراء الحزن لها ألم
ومرار الأسف له غصص
والمقلّة حقاً قد رحلت
ولهنا نسمات حالمّة
يا ليل الحزن كفى سهراً
وأراني عوّضني ربي
بالذكر العين مرّحبة
فاقت في المحنة ذروتها
وكان الجرح يُسامرها
وجمت للسيف فغازلها
وعلتها الخمرة مشرقة
لا شيء يدوم ، فلا تهني
ذكراك اليوم تجلنا
من بين دواوين الصرعي

فلماذا التوق إلى الكمد؟
وعذاب يحرق في الكبد
وسعير ينهش في العضد
وصداها في الوجه الغرد
عظمت في العدة والعدد
ففوادي يرفل في المدد
لا أرجو وشيئاً من أحد
وسواه تراه كالزبد
وتناعت في جوف الأمد
وتعد الصدمة كالرمد
فاقت في الدل هوى الخرد
شجت بالسيف المحتفد
ودعي السواي ، لا تنتقدي
و(عزيز النفس) كما الأسد
رأس في الشعر كما (أحد)!

لن أنتظر هذه المرة

(الإعجابُ بالغناء الجاهلي يتم إذا فسد القلب ، ولكن عندما ينقى من أدران الجاهلية فإنه سرعان ما يستهجن ذلك الغناء بأصوات أهله العفنة وموسيقاه الحقيرة الوضيعة. ولقد كانت لي مع غناء الجاهلية جولة ثم نجاني الله منها قبيل السنة الثانية من الجامعة في عام 1983م! والله الحمد والفضل والمنة وكرهته وأهله. وكنت قد ترددت كثيراً قبل أن أكتب هذه القصيدة ، ومنذ ما يقارب السنوات العشر وأنا أحاول أن أرد جميل أحد المطربين علي وقد شغفتُ به سنين من عمري: أستغفر الله منها ومن الذي أهداني أغانيه ، واليوم ومن باب إذا علمت سينة فاعمل بجنبها حسنة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية ، ها أنذا لا أنتظر هذه المرة. بل أرسل له عبر ديواني بهذه القصيدة معلناً براءتي منه ومن أمثاله وأشباهه إلى غير رجعة! يقول الأستاذ بدر المحمود في كتابه: (الغناء مفسده وأدلة تحريمه) ما نصه: (أتى الشرع الحكيم بتحريم الغناء ، لما له من أثر في صدود القلب وضلاله وضياعه ، ولما له من أثر قوة الانقياد لدعوات الشيطان وضلالاته ، قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ أَلِيمٍ) وهو الحديث: قال فيه ابن مسعود رضي الله عنه: (الغناء والله الذي لا إله إلا هو). وقال فيه ابن عباس رضي الله عنهما: هو الغناء وأشباهه ، وقد روي تفسيره بالغناء عن جابر رضي الله عنه ، وهو قول جمهور المفسرين ، ومن المعلوم أن تفسير الصحابي حجة فكيف وهو يحلف عليه؟ ، وقد قال سبحانه: (وَاسْتَفْزِرْزِرْ مِن سِنِّكَ مَنْ اسْتَنْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ) الآية. قال مجاهد رحمه الله: أي باللغو والغناء ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ومن المعلوم أن كلام الرحمن ورقية الشيطان في قلب عبد لا يجتمعان ، فكيف يجتمع اللغو ، والعشق ، والرذيلة بالطاعة ، والتعفف والفضيلة! لذا ترى عاشق الغناء يكره كثرة سماع كلام الله تعالى ، فتجد الغناء متحصل في جميع أوقاته. والقرآن كائن سماعه في صلته لأنهما لا يجتمعان ، وهذا البعض وهم من سيطر الشيطان على قلوبهم ، أما الغالب فيسمعون القرآن ، ولكن قليل من كثير ، وهو سماع بدون تلذذ ولا خوف ، أو محبة وشوق ، بخلاف كلام الشيطان ومزماره فتجده عند سماع القرآن نائماً ، وعند سماع الغناء إما ساكناً وإما راقصاً على حسب ما تدعو له الأغنية ، ومن المعلوم أن الغناء مدعاة الزنا والفواحش لذا سماه بعض السلف بهذا ، ومنهم الفضيل بن عياض رحمه الله ، فأين للمرء معرفة العشق والهوى ومعاكسة النساء إلا بالغناء؟ عياداً بالله ، لذا جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (الغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء الزرع) ، وقد صدق رضي الله عنه فإن من علامات النفاق ، قلة الذكر والكسل عند القيام للصلاة ، وقل أن تجد مفتوناً بالغناء إلا وهذا وصفه مع كثرة كذبه ومعاصيه إلى آخر ذلك. وقد جاء أن استحلاله علامة من علامات الساعة ، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحرّ والحريم والخمر والمعازف» ، وقال: «يكون في أمتي خسف ، وقذف ، ومسح ، قيل متى يا رسول الله؟ قال: إذا ظهرت المعازف والقينات» ، وقد روي في بعض الآثار أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه آلة غناء. وجاء في الحديث «إن الله تبارك وتعالى حرم عليكم الخمر والميسر ، والكوبة» ، وقد فسرت الكوبة في بعض الروايات بالطبل ، وقد نقل ابن الصلاح الإجماع على تحريمه إذا صحبتته آلة طرب ومعزف ، وقد شدد الأئمة الأربعة في السماع من الأمرد والمرأة ، وعدوا من سمعها فاسقاً لا تقبل شهادته كأبي حنيفة والشافعي ، والله المستعان.) هـ. ويقول أبو فيصل البدراني في كتابه (تحريم الغناء) ما نصه: (المعازف وآلات الموسيقى محرمة وقد حكى الإجماع على تحريم استماع آلات العزف - سوى الدف - جماعة من العلماء ، منهم الإمام القرطبي، وأبو الطيب الطبري، وابن

الصلاح وابن رجب الحنبلي ، وابن القيم ، وابن حجر الهيتمي. قال الإمام القرطبي: "أما المزامير والأوتار والكوبة (الطبل) فلا يختلف في تحريم استماعها ، ولم أسمع عن أحد ممن يعتبر قوله من السلف وأئمة الخلف من يبيح ذلك. وكيف لا يحرم! وهو شعار أهل الخمر والفسق ومهيج الشهوات والفساد والمجون ، وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ، ولا تفسيق فاعله وتأثيره". انتهى. نقله ابن حجر الهيتمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر (الكبيرة السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والأربعون ، والخمسون والحادية والخمسون بعد الأربعمئة: ضرب وتر واستماعه ، وزمر بمزمار واستماعه وضرب بكوبة واستماعه). وقد دل على ذلك الكتاب والسنة ، فمن ذلك حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الخمر ، والحر ، والحريز ، والمعازف" أخرجه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم ، فهو صحيح. ولفظ (المعازف) عام يشمل جميع آلات اللهو ، فتحرم إلا ما ورد الدليل باستثنائه كالدف فهو مباح. وقوله صلى الله عليه وسلم (يستحلون) من أقوى الأدلة على تحريم المعازف إذ لو كانت المعازف حلالاً فكيف يستحلونها! وأيضا: دلالة الاقتران في الحديث تفيد التحريم حيث قرن المعازف مع الخمر والحريز والحر: (الزنا) وهي محررات قطعاً بالنص والإجماع. ومن الأدلة على تحريم الغناء قوله تعالى: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين) ، قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية ، (قال ابن مسعود في قوله تعالى: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) قال: هو والله الغناء). وقال مجاهد: في تفسير قوله تعالى: (وَاسْتَفْزِرُ مِنْ اسْتَطْعَتٍ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْتِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً) ، قال: باللهو والغناء). وأيضا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (صوتان ملعونان: صوت مزمار عند نعمة ، وصوت ويل عند مصيبة). صححه الألباني وقال: وفي الحديث تحريم آلات الطرب. وفي رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة ، ورنة عند مصيبة). صحيح الترغيب والترهيب. وعن الحسن قال: صوتان فاجران فاحشان قال: حسبته قال ملعونان: صوت عند نعمة ، وصوت عند مصيبة. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه. وفي كتاب إغاثة اللفهان ، لابن القيم المزيد ، والله أعلم). هـ.

ومُبِيدَ الرفق في القلب الرحيم

صوتك المـوود أرداء الوجوم

وهو جلابُ الخطايا والهموم

ينشد اللذة في الصوت الذميمة!

فحباه في البرايا اسم النجوم

ثم في أهات ما يشدو يهيم

ثم في الدهماء بددت النسيم

حاطم الأخلاق يا هذا الذميمة

يارقيع الصوت ، يازير النساء

كم لهذا الصوت سالت أدمع!

ولهذا الوهم كم رهط سعى

ويعدُ التيس هذا في الذرى

ويراه في دياجيه سنا

أيها الجمهورُ مزقت الهوى

هذه الأيدي سرابٌ سعيها
وسوادُ القوم في البأوى جثا
إن تلا القرآن تال صفقوا
وإذا غنى ذبابٌ أنشودوا
شجعوا الهزل ، وشادوا شأنه
نارهم في كل وادٍ أضرمت
ليت شعري كنت يوماً مثاهم
أهجر الدار إلى حيث الغنا
وكنائي بالأغاني مولعٌ
قد تركت الوحي خلفي عامداً
كم رميت النور ، لم أعبأ به!
كان غيري في الذرى ، لكنني
أيها الأسمرُ كم غيبتني
وعلى درب الخنا شجعتني
وجعلت الروح مأوى هزلكم
وغدا قلبي أسيراً للهوى
أغنيات القوم في صدري سمت
كنت في الوهم أسلي صاحبي
كان كل البيت عبداً عنده
يشرب السعد ، ولي سوط الشقا

وكذا الأفواة مسعاها عقيم
وإذا الشيطان لكل مسيم
وعلت أصواتهم مثل الهزيم
من رقيع القول بالصوت الرخيم
ومريد الهزل معتوّة أثيم
وإذا هم لم يتوبوا فالجحيم
أشربُ الزيف ، وأجتزّ السموم
وأصيح السمع للغر الزنيم
وكنائي لخطايي اللزيم
وصراط الله ربي المستقيم
ذاك أن القلب في السواى مُقيم
في حضيض التيه قد كنت المأموم
عن معين الوحي والذكر الحكيم!
فصرفت النفس عن هدي الكريم
وهاد الغهر والغدر اللنيم
فإذا بي في متاهات الغموم
وكتابُ الله في صدري كظيم
وكلنا حول مثواهُ يحوم
وأنا حقي بلا ذنب هضم
وله الخير ، ولي الشر الوخيم

ثم شاء الله تركي للهوى
يعبد الله ، ولا يخشى السورى
راسخ التقوى ، قوي عزمه
ثابت الدين حليم مشفق
فوعظت الغر ، هذا واجبي
ونصحت لم أكن مستأثراً
وأد الذكري ، وأدمى صرختي
أشمت الأعداء حتى شبعوا
بيد أني كنت وحدي أكتوي
عندليب البين فاطرح ما ترى
مثلما أشجيتني فيما مضى
فأنا اليوم أحيي مثلها
تب إلى الله ، وأحسن إنها
فتبراً من أغانيك التي
ثم حاذر من أمانيك التي
عقدك الرابع وافى وانقضى

وسعيد القلب من ذا يستقيم
وهو بين الناس عفاً ووسيم
ولله قلب من الشرك سليم
ورقيق القلب كالأم الرووم
وبذلت النور للجافي الغشوم
فرماني بصفات الكلوم
وأشاح الوجوه بالوجه الدميم
وسُعار الخذل في النفس أليم
بويل اللوم في هذي الغيوم
من غناء ، أنت بالبلوى عليم
من سني العمر بالصوت السقيم
أوبأحلى ، إنه القول الرزيم
موتة والحشر واليوم العظيم
كم أضلت من عشيق وغريم!
تجتيها ، فالأماني لا تدموم
وطغى الشيب ، فقل لي: من تلوم؟

بوح المشاعر

(إن المشاعر الجريحة المطعونة تبوح بالذي فيها من كثرة ما تعاني. وأتعب من رجل يدعى الإسلام لم يكن قد فتن بالفن وأهله في جاهليته ، فإذا به يفتن بأعمال الذين تابوا منها وأنابوا إلى ربهم. وأعجب من آخر يسأل: (ما حكم من اغتصبها صليبي من المسلمات؟ هل يجوز أن تقتل نفسها خشية العار؟ إنه بدلاً من سؤاله أن يقول: ما السبيل إلى استنقاذ أخواتنا في الدين والعقيدة من أيدي الكفار النصارى أو اليهود أو الصرب أو الهندوس؟ وأعجب من المتمسلمين الذين يقيمون مناسك التعبد متمثلة في الأركان الخمسة ويزرون باقي أوامر الله تعالى. وأتعب من المتمسلمين الذين ديار إخوانهم تستباح وأموال إخوانهم تهدر وبيوتهم تهدم وزروعهم تحرق ولا يحركون ساكناً اللهم إلا تحريك الأفواه بالتمتمة وهز الأكتاف. ولسان حالهم أن هذه النار مادامت بعيدة عنا وعن بيوتنا وأهلينا فنحن ومن بعدنا الطوفان. وإن ما يحدث في زمننا للإسلام والمسلمين لم يشهد التاريخ مثله ولا حتى في عهد فرعون وهامان وقارون. إن الذي نزل بالإسلام والمسلمين لأمر عظيم عات تكاد السماوات يتفطرن منه وتخر الجبال هدا ، وإنه ليرج الموحد رجاً ويعصف بقلبه عصفاً ويفري كبده فرياً. إنها فتنة تحرق الأخضر واليابس تدمر كل شئ. إنها هجمة شرسة ضارية لا يعلم إلا الله مداها. لا يكاد يسلم من هولها طفل ولا شيخ ولا فتاة ولا كهل ولا عجوز. إنه مَحَق مبير للإسلام وأهله. وإنها والله مرحلة ليس إلا من مراحل الإسلام والمسلمين في الأرض. ولها ثمرات صرح بأطبيها الدكتور / علي عزت بيجوفيتش عندما سمي الهجوم الصربي بالغيث الصربي لأنه أيقظ الهمم وجعل الكثيرين يعودون إلى الله ويعرفون عدوهم. إن قصيدة بوح المشاعر لها في نفسي مكانها الذي تترعرع فيه وتغرد للأمل الكبير في الله أن تنقشع سُحب الكيد والظلم وتزول الغمة الجاثمة على أهل الحنيفة السمحة ، وتبدأ قصة هذه العقيدة عندما تحدث من أتق بقوله وتقوم به عندي الحجة وهو إن شاء ربي من الصادقين ، قال: ذهب أحد أبناء يعرب يبحث في أوروبا عن اللذة والمتعة الحرام بالنساء ، وأراد هذه المرة أخذ الحيلة من طاعون الإيدز وسرطان الهيريز ، فدلّه أحد رفقائه على معسكر الأسيرات البوسنيات وأخبره بأنه لا طريق للإيدز هنا حيث أن هؤلاء عفيفات محصنات مقصورات على أزواجهن فهن الطاهرات. وذهب إلى هناك وهاله ما وقف عليه من حقائق وأرقام ، فتذكر فجأة أن له ديناً اسمه الإسلام فندم على الذي كان وتاب وأناب ، وأسأل الله لي وله الهداية والعافية ، وأسأل الله للصرب وللنصارى وكذا لليهود وللمنافقين من أبناء جلدتنا ومن يتكلمون بألسنتنا ولكل من يتعرض لموحد أو لموحدة بآيذاء في أي مكان في الأرض اليوم وغداً أسأل الله لهؤلاء ولمن ساعدهم وآزرهم وناصرهم وأقرهم ، أن يرينا فيهم يوماً أسود كيوم قارون وفرعون وهامان وما ذلك على الله المنتقم الجبار القهار بعزير. اللهم أحصهم عدداً ومزقهم بديداً ولا تغادر منهم أحداً ، جمّد الدماء في عروقهم ، وأنزل بأطرافهم وأمخاهم الشلل العاجل الذي لا علاج له. اجعلهم عاجلاً وبيوتهم وزراريهم وأموالهم غنيمة باردة سهلة لأهل التوحيد. لا يقدر على ذلك اليوم إلا أنت ، رحمتك أوسع من ذنوبنا إن حجت عنا النصر لمعاصينا ولأن جُلنا لا يستحقونه فنقول: يا رب إن رحمتك أوسع من ذنوبنا ، إليك ربنا المشتكى خذنا القاصي والداني ونافقنا الشقيق والصديق وعدمنا في هذه الدنيا النصير فانصرنا اللهم على القوم الكافرين. وقبل أن أحكى قصة أحد أبناء يعرب بالشعر في قصيدة بوح المشاعر ، أحب أن أبين لكل قارئ أن مأساة المسلمين في البلقان مأساة إبادة وتطهير عرقي وسحق للموحدين ، وأحيل إلى كتاب اسمه: هموم إسلامية ، كتبه أستاذنا الدكتور / محمد عبد القادر أحمد – عضو هيئة التدريس بكلية التربية جامعة البحرين ، ص 27 : ص 266 من الكتاب والذي ألتقط منه بعض السطور لأدلل على الذي ذهب إليه أنها حقا إبادة ساحقة

لِشئ اسمه التوحيد بين هؤلاء المشركين النصارى ، يقول المؤلف وهو يملأ القارئ حزناً وشجناً ودموعاً ، وربنا المستعان: * لا يكتفي الصرب باغتصاب المسلمات ، وإنما يزرعون أجنة الكلاب في أرحامهن. وإنه حتى يوليو1993م قتل الصرب نصف مليون مسلم وشردوا حوالى 2 مليون مسلم. وانتهكت حقوق الإنسان حيث إنهم اغتصبوا خمسين ألف امرأة مسلمة. وهذا كله يحدث على مرأى ومسمع. * تروي الديلي تلي جراف وغيرها استخدام القوات الصربية هناك أسلحة الدمار الشامل والأسلحة الكيماوية المحرمة دولياً ضد أهل الإسلام ، ويستعينون في حربهم بخبراء ومرتزة أجانب ، وكم سقط من مآذن ودُكت مساجد وكم داست الدبابات على جثث المسلمين وكم اتخذ الصربيون من رؤوس المسلمين بعد قطعها كرة يلعبون بها ، ويروي المراسلون الأجانب أن المقاتلين الصرب يقطعون أجساد المسلمين بالسكاكين على شكل صليب ، قبحهم الله تعالى. * يتم اغتصاب النساء والبنات والأطفال أمام الأزواج والآباء وكذلك الأمهات في المنازل أو في المعسكرات الخاصة بالاغتصاب يحدث ذلك لجزء من مخطط إستراتيجى وضعته القيادة الصربية وهذا بهدف إذلال الرجال والنساء المسلمين ورفع روح الصرب المعنوية ضد المسلمين وإرهاب السكان لدفعهم إلى أن ينزحوا ويرحلوا ، وذلك لإظهار رقة الصرب الميدانية. * ونشرت التايمز في عددها الصادر بتاريخ 1993/12/23م وتحت عنوان معسكرات صربية نازية لاغتصاب المسلمات ، وهو مقال مرعب رهيب ، وكذلك صحيفة ليبرائسون الصادرة في 1 / 2 / 1993م وتحت عنوان: الصرب يمارسون أبشع أنواع الحروب ضد المسلمين جاء فيه: إن الصرب يمارسون اغتصاب أولاد المسلمين على نطاق واسع ، ومن بينهم أطفال بين السادسة والسابعة . * وفي عدد النيوزويك 1993/1/1م! وتحت عنوان: جرائم الحرب النازية في البوسنة والهرسك فيه مقابلات مع بعض الفتيات من أعمار متفاوتة ، وفيه أن بعض القوات الصربية تقوم بحجز النساء المغتصابات الحوامل في معسكرات خاصة لمنعهن من الإجهاض. * إن هذا يحدث والعالم كله يسمع ويرى ولا يحرك ساكناً ، ويراه الله المنتقم الجبار القهار وهو سبحانه ينتصر لأوليائه المظلومين ويستجيب من دعاه ولو بعد حين ، وإنما يغيب النصر ويتأخر لحكمة يعلمها الله وما علينا إلا الدعاء ، فاللهم نصراً كنصر يوم بدر يعز فيه أولياؤك ويجندل فيه أعداؤك وما ذلك عليك بعزيز: اللهم إن الصرب والكروات واليهود والنصارى والمنافقين قد غرهم حلمك عليهم ، فأرهم اللهم بأسك وانتقامك وقهرك وجباريتك يا رب العالمين ، اللهم إن كان من قدرك أن ينزل بنا مثل الذي نزل بأهل البوسنة والهرسك فاللهم أمتنا ولا نرى هذا البلاء المريع الذي لا تطيقه الجبال الرواسي! وإن ينزل بأهلنا مثل الذي نزل بأهل البوسنة والهرسك ونحن موتى تحت أطباق الثرى فاللهم قيض لأهل الحق ساعتها من جند الإيمان من يخرب بيوت الكفار والمشركين وتمكنه منهم فينتصر لأهل الإيمان من أهل الكفر يا رب العالمين. اللهم ومن آذى المسلمين فنسألك أن يطلب الموت من شدة عذابه فلا يجد الموت حتى يفعل به مثل الذي فعل بأهل الإسلام ، ولا يموت إلا بالميتة التي أمات بها المسلمين يا جبار يا قهار يا منتقم يارب يا من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء ويريد! يا من لا يهزم جنده ، عجزنا وعجزت جنودنا وغلبنا فانتصر لنا ممن غلبونا وظلمونا وقهرونا! أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير! والآن إلى القصيدة :

بوح المشاعر ، وأعتذر عن هذه المقدمة طويلاً وألفاظاً وأخباراً! فوالله إن هذا خارج عن إرادتي.)

هَاجَ السُّعَارُ بِهِ ، فَقَادَهُ الأَمَلُ وَرَدَّهُ خَاطِرٌ فِي القَلْبِ يَعْتَمَلُ
طَالَتْ بِهِ شَقْوَةٌ أودَتْ بعزمتِهِ وَهَاجَرَ الوُحَى بَيْنَ النَّاسِ مُخْتَبَلُ

وعابُدُ الهزل لا تزهو به المثل
ومَن يَزَلْ لَقَدْ يُودِي به الزل
وأغلبُ الخلق في قعر الهوى نزلوا
بِئْسَ الرقيق فعَمَّ الدعرُ والسفل
وشبَّتِ النار يُزكي وهجها الهمل
وإنما جوقلة للددعرتبتهل
وكل غايتهم بين الورى هُبل
ويحزنون إذا الأسـتارُ تنسـدل
يُصـفقون ، وفي تصـفيقهم زجل
بالموبقات ، وإن النار تشـتعل
وكل وغد ببعض الدعر منشغل
وصاحبُ العلم مكبوتٌ ومعتقل
بشـومه ضاعتِ الأخلاق والمثل
رموزه فوقنا كأنها ظلل
وللمكائد في أرحابنا وسئل
والسعد والحب والتيسير والرفل
وخيبة زأدها الإفلاسُ والفشل
تزامنتْ بعده الأوجاع والعـل
وصاحبُ الحق أدمى قلبه الوجـل
حيث الفجورُ ، ومَن يهواه فالبطـل

وتاركُ الشرع مقتولٌ بحسـرته
وشهوة الفرج أعيثُ من يطاوعها
تيسرَ الفسقُ بين الناس فاتحدروا
بيـعَ النساءُ فكانت فتنة عظمتْ
وعتتِ الأرض فوضى لا نظير لها
وأصبح القوم لا أخلاق تحكـمهم
وأسلموا لبريق المال عزتهم
يُصـفقون إذ ناحت مُغنية
وإن تلاقرائُ القرآن سُورته
ضاع الشـبابُ لأن الشـيبُ ضـيعه
وعربدَ الدعرُ في الأمصار منتشياً
والعلم فوق رفوف المكتبات غفا
والفن أفسد دنيا الخلق قاطبة
في دارنا كل ألوان الخنا برجث
ومَن يُعارضُ فقعر الجب موعده
ومَن يوافق فإن الخير مورده
تناقضَ ماله في الأرض من شبه
هذا الفصامُ ، وأقوامي ضـحيتـه
وغاصبُ الحق تحميه بطانته
وأصبح الغربُ للأقوام قبلتهم

بيع النخاسة ، والإنسان يُبتذل
وهم عدو لما جاءت به الرسل
وزائرُ الغي في اللذات مُجذل
كل اللذائذ ، ما أعيتهم الحيل
شعبٌ بكل صنوف الهزل يحتفل
يغشى الحرام ، وفي أهوائه رجل
ومسحة الخير قد أودى بها الفشل
بنسَ الدنانير في إنفاقها الخلل!
فما لها قيمة في العقل أو ثقل
وللحرام عدو الدين يرتحل
وجرحُ أهل المخازي ليس يندمل
والقلبُ غصت به في المحنة النحل
بين العواهر مجنوز له شغل
وخطبُ خيبته - بين الورى - جَل
وقوت أم الفتى - في بيتها - الدقل
والشبيبُ مزقه والحالُ والعِلل
ورجها العز والتلفاز والغزل
وحاربثَ من لأمر الله يمثّل
ومن إذا جاءت الأعداء يعتزل
في كل حانوتِ خمرة دائماً ثمل

وحيث قومٌ يُباع العِرضُ بينهم
همُ السباع إذا مُست مبادئهم
وضيفهم في مهاوي الدعر مُنحدرٌ
قومٌ أعدوا لمن يغشى ديارهم
خمرٌ وغهرٌ وتضليلٌ لمن وفدوا
وابنُ اليعارب في أصقاعهم شيقٌ
شدّ الرحال إلى أفعانهم غرداً
واستصحب المال في إشباع رغبته
من الحرام أتت ، وفي الحرام مضت
هانثٌ عليه لأن الحيل مُفتقدٌ
بضاعة بين أهل الفسق قد رجحت
في رحلة سفلت ، والغهر ديدنها
أمسى يقضي على الأرجاس سهرته
وفي النوادي على الأنغام سامره
وزاده المال - بين القوم - منزلة
أما أبوه ففي أمراضه وجَل
وأخته في حياض الجهل قد رتعت
في بيئةٍ لفظت شرع الهدى أبداً
وكرمات كل خوان ومترزق
وابن اليعارب عند الغرب دُميتهم

وفي النوادي حلت للمُعدي النقل
ولهجة ترتدى حيناً وتفتعل
ولبسة الغرب حلت دونها الخلل
وإنما الدهرُ يا أعرابنا دُول
وسو حُكم بفنون العُهر تشـتغل؟
ليست (مؤيدزة) ، وما لها سُبُل
شريفة سَمتها الإحصانُ والنَبَل
شقراء تسرقها من ثوبها المُقل
وفي المُقابل دينارٌ له نفل
إذ فوق ديناره العِرفان والقَبَل
على مُعسكر غاداتٍ فينـذهل
هن الطهارة والمرجان والأمل
وإن رآها (زهيرٌ) سوف يرتجل
منهن عِرضاً وكم نالوا! وكم قتلوا!
(كرواتيها) ثم في (أوتياها) نزلوا
وسائل الصرب والكروات كم سحلوا؟
وكيف توتى عجزٌ عودها ظلل؟
حتى يُفارقها في مهدها الأجل؟
أمام عيني أب ، والدمع ينهطل؟
كأنها كرة ، و(الماتش) مُكتمل

وفي الفنادق كم للصرق ملحمة!
في كل دار له لـونٌ وتجربة
ومنطقٌ في خِداد العِيد مُصطنع
طريقة منطقُ التاريخ فاضحها
أنقصدون ربوع الدعر دون حيا؟
ويسأل الغر عن أنثى يلوذ بها
لم تتخذ عاشقاً فحلاً (يهريزها)
وغادة حُسنها غرضٌ وموتلقٌ
تزجي الجمال لمن يبغيه مُغتبطاً
فابنُ اليعارب لم يبخل بنخوته
فدله صاحبٌ يبغى سلامته
لا يعرف الإيدز ، لا ، منهن واحدة
حورٌ بلغن من الإحصان ذروته
لا تخش إيدزاً ، فجنذُ الصرب ما هتكوا
فهؤلاء لأهل الضاد من وفدوا
وسائل السبخ والهندوس كم سفكوا؟
كيف اغتصابُ رضيع عمره سنة؟
وكيف توتى فتاة في رضاعتها
وكيف يُحرقُ طفل في لفافته؟
وكيف يلعب بالرأس الشريف ضحى؟

ماء الكلاب وماء الهر ، يا جَعَل؟
في صد هجمتهم ، ما رَدَّهم كل؟
وإنما عفة ما شابها دغل
عن كل دنيا الوباء اليوم مُفصل
منكم أتوا ، وبهذا العرض قد قبلوا
حتى بكى ، وأنين العين مُكتحل
وقد تكالبت الذوبان والمِلل
إني - على ربي الغفار - أتكمل
واليوم فارقني الإفلاس والخبل
فيم التحلل والكفران والخطل؟
والظلم مذهبكم ، والكيد ، والغيل
في القلب منكم لظى كأنه جبل
يا صرب يا أيها الأوغاد ، يا سفل
وليس يفعل له كلب ولا جمل
أنت القدير ، ونحن الخلق نبتهل
إن الأماجد بالأرواح ما بخلوا
عليك بالصرب والكروات من سفلوا
أنت العليم بما في أهلنا فعلوا
ومن دم الملة العصماء كم نهالوا!
ومن برب الورى في الناس قد عدلوا

وكيف يوضع في الأرحام ما اقترحوا
وكيف يُحقن بالميكروب من وقفوا
أما المعسكر ما فيه ملوثة
فاعمد إليه ، وصدق ذلك منتج
ولا عليك فآلاف مؤلفة
فجرحت لكمة الإغراء نزوته
فقال: أختي ، وإنني اليوم مُنقذها
واليوم تبث ، فلا عود لمعصية
ردوا عليّ دنانيري وأمتعتي
إني إلى شريعة التوحيد مُنتسب
عرفتكم ، يا وحوش العصر يا همجاً
لا ، لن يدوم لكم ما تفعلون بنا
وسوف أفضحكم ما قد حييت هنا
لا يفعل الذنب ما أجنأكم فعلوا
للهم عجل بيوم فيه نقتهم
أرسل جنودك للكفار تحصدُهم
لكنهم غزل ، والكفر مُحتشد
هم قد عصوك ، فدمر بأس دولتهم
عليك بالسيخ والهندوس من كفروا
ثم اليهود ، ومن أمسى يُهاودهم

وَمَنْ لَأَلَامَهُمْ بِكَأَوْهٍ هَطَّل
وَأَمْرُ رَبِّكَ لَا يَسْعَى لَه الْعَجَل
فَعَرَهُمْ - وَيَحْتَمُّ - بَيْنَ الْوَرَى الْمَهْل
وَاللَّهُ مَا أَحَقَّهُمْ جَزَاءً مَا فَعَلُوا
هُوَ الْمَلَاذُ ، إِذَا ضَلَّتْ بِنَا السَّبِيل
وَزَادَ مَنْ سَوَوْنَا جِيلَ الْهَوَى الدَّحَل
وَعَايَةَ الْعَيْشِ فِي تَفْكِيرِهِ الْحَيْل
فَضَلَّ عَنْ هَدْيِهِ ، لَمْ يَدْرَ مَا الْخَلَل
وَأَمْتَعَ النَّفْسَ مِمَّا أَلْقَتِ الدُّوَل
فِي غِيهَا خَالَفَتْ مَا قَالَتْ الرِّسَل
تَنَاوَى الْفَسَقَ لَمْ يَلْعَبْ بِهَا الْخَبَل
طَلِيعَةَ بَيْنِ أَهْلِ الْعُهِرِ تَعْتَدَل
فِيهَا رَشَادٌ ، وَفِي أَشْبَالِهَا نَبَل
بَيْنَ الطَّوَائِفِ لَمْ يُفْنِ الْعُرَى الْجَدَل
وَوَحَّدَ الصَّفَّ ، كَمْ أَوْدَى بِنَا الزَّلَل!

ثم النصارى ومن أضحى يناصرهم
الأمرُ أمرُك ، فانصرز مرة ظلمت!
قد أمهل الكفر والكفار خالقتنا
وسوف لن يفلتوا من أخذه أبداً
إننا زللنا ، ورب الناس مُنقذنا
ونحن يارب أخطأنا مقاصدنا
ففي حضيض الخنا غارت عزائمها
فأشبع البطن من جل ومن حرم
وأشبع الفرج مما طال مشتهياً
ضحية فوق هذي الدار غارقة
وشببت اليوم فوق الأرض شرذمة
وتقمع الدعر لا ترضى بفاعله
تشبع بين الورى هدياً وتضحية
رغم الخلاف الذي صهيون يقذفه
يارب فاجمع على التوحيد عزمتهم

عربدوا ما شئتم

(إن أهل العريضة والمجون والخلاعة مهما باطلهم وعهرهم وسموه بغير اسمه الحقيقي فإن الفتنة به أصبحت اليوم مكشوفة وواضحة للعيان ، وما من أحد سار في ركبهم إلا وهو يعلم في قرارة نفسه أن ما يدعون من المجون لا يمكن أن تكون له ثمرة إلا الضياع وفساد القلب والضمير ، وبنس الثمرة هذه! فأقول: عربدوا ما شئتم ، فإن الحق منتصر في النهاية لا محالة ، وإن كرام الناس يحترقونكم ويدعون عليكم في كل مكان وزمان. وهذا سائق سيارة عمومية فيه رجولة حوار واحترام للحنيفية السمحة وتحفظ في الحديث عن التوحيد ، وما أقل هذا الصنف من الناس اليوم ، كنت قد ركبت سيارته ، وأدار مسجلها على الأغاني فقلت: هلا أمتعتنا بالقرآن؟ فقال: وهل هذه الأغاني حرام؟ سل في هذا أهل العلم فستأ واحدًا منهم! وسألته: وهل تذكرك الأغاني بالله - تعالى - وبنبيه - صلى الله عليه وسلم -؟ (وقد علمت أنه يدين بالإسلام على قوله هو)؟ فقال : لا ، أبداً والله ، وأردف قائلاً ، بل تذكر بالشیطان! فظننته يجاريني في حديثي ، لكنه - والله أعلم - كان صادقاً إذ إنه كان قد رمى بالشريط من فوره خارج السيارة ودعا على أهل المغنى وأخذ يعدد لي ما ارتكبه في الناس من صد عن سبيل الله وشرعه! وهنا أخذتني قشعريرة الشعر للموقف: وكانت قصيدة: (عربدوا ما شئتم) ترجمة صادقة ورد فعل صريح لكلامه وفعلته. ويحسن بنا في هذا المقام أن ننقل عن العلماء الأجلاء - لا العلماء العملاء المرتزقة - شيئاً عن موقف الإسلام كتاباً وسنة من الغناء والمغنين! يقول الشيخ عبد العزيز الطريفي في كتابه: (الغناء) ما نصه بتصريف زهيد: (يقول الله: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ). من نظر إلى تأويل السلف من الصحابة وغيرهم ؛ وجد أن ثمة اتفاقاً على أن الغناء داخل في جملة المعاني التي تأتي على هذا الآية ، ولقد اتفقت تفاسير الصحابة على هذا. يقول الحاكم في "مستدرکه": في أوائل كتابه التفسير: (وتفسير الصحابي الذي شهد الوحي هو عند الشيخين - يعني البخاري ومسلم - كالحديث المسند). وقال في موضع آخر: (إنه في حكم المرفوع). وقد روى ابن جرير الطبري والبيهقي في "سننه" وغيرهم من حديث سعيد بن جبیر عن أبي الصهباء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في تأويل هذه الآية: (والله الذي لا إله إلا هو إن لهو الحديث لهو الغناء) ثم ذكرها ثلاثاً. وابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - هو من أعلم الصحابة بالتفسير ، إن لم يكن أعلمهم جميعاً على الإطلاق. وروى البخاري ومسلم من حديث الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال: (والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا وأنا أعلم حيث نزلت ، وما من آية إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه). بل قال مجاهد بن جبر ، إمام المفسرين من التابعين ، ومن قد عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، كما روى الترمذي بسند صحيح عن سفيان بن عيينة عن الأعمش قال: قال مجاهد: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج إلى أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت. كيف وقد أقسم - مع ذلك - ابن مسعود على هذا التفسير ، وهو يتلو: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوهُ عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ). وجاء ذلك عن عبد الله بن عباس ، كما رواه البخاري في "الأدب المفرد" وابن جرير الطبري ، وكذلك ابن أبي شيبه وغيرهم ، من حديث عطاء عن سعيد بن جبیر عن عبد الله بن عباس قال: (نزلت في الغناء وأشباهه). وروي تأويل ذلك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه حيث رواه ابن جرير الطبري من حديث قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن جابر بن عبد الله أنه قال: (هو الغناء). وكذلك رواه ابن جرير الطبري من حديث ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أنه قال: (هو الغناء). وروي تفسير ذلك بـ (أنه الغناء) عن جماعة من السلف من المفسرين وغيرهم. فقد روي تفسير ذلك عن مكحول وعكرمة

وعطاء الخراساني وقتادة وسعيد بن جبير وميمون بن مهران وعمر بن شعيب وعلي بن بذيمة وغيرهم ، كلهم قالوا (أنه الغناء). وقال الله سبحانه وتعالى في سورة النجم: (أَقْمِنْ هَذَا الْحَدِيثَ تَعَجُّبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ). السمود هو: اللهو بالغناء ، كما جاء تفسيره عن عبد الله بن عباس كما رواه ابن جرير الطبري من حديث عكرمة عن عبد الله بن عباس قال: (السمود هو الغناء). وجاء تفسيره أيضاً عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس كما رواه ابن جرير الطبري من حديث سفيان بن عيينة عن بن أبي نجيح عن عكرمة أنه قال: (السمود هو: الغناء في لغة حمير) أي: لغة أهل اليمن. قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم مخاطباً إبليس اللعين: (وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتَعْطَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ). قد جاء عن غير واحد من المفسرين من السلف أن المراد بصوت إبليس هو الغناء. فقد روى ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم وابن المنذر كلهم في "التفسير" من حديث ليث بن أبي سليم عن مجاهد بن جبر أنه قال: إن صوت إبليس (هو الغناء). وقال الله سبحانه وتعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا). قال بعض المفسرين أن المراد بالزور هنا: هو الغناء. فقد روي ذلك عن مجاهد بن جبر - إمام أهل التفسير من التابعين - كما رواه ابن جرير الطبري من حديث محمد بن مروان عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد بن جبر أنه قال: الزور هو الغناء. ومن نظر إلى توافق المفسرين من الصحابة والتابعين على ذم الغناء الفاحش واللغو ؛ وجد أن ذلك من صرائح السنة وظواهر الأدلة. ومن نظر إلى بعض المحرمات التي قد أطبق العلماء على تحريمها ، ووجد قلة في النصوص الواردة في السنة وجد أن قلة النصوص إنما كانت لأجل أن ذلك كان من المسلمات. وقد جاء في النهي عن الغناء والمعازف أحاديث كثيرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، منها ما رواه الإمام البخاري في "الصحيح" فقال: قال هشام بن عمار: حدثنا صدقة بن خالد ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال: حدثنا عطية بن قيس ، عن عبد الرحمن بن عَظْمٍ ، قال: حدثني أبو مالك أو أبو عامر ، والله ما كذبتني أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ). والمراد بالمعارف: آلات اللهو والطرب. يقول ابن قدامة وغيره: آلة اللهو كالطنبور والمزمار والشبابة آلة للمعصية بالإجماع. وقول ابن القيم هذا ظاهر جلي لكل منصف ، عرف كتب ابن حزم ، وما أعل به ابن حزم الأندلسي هذا الحديث فإنه ليس بمعتبر مطلقاً ، مع ظهور الأدلة ، ووضوح الإسناد ، ونقاوته ، فهو كالشمس صراحة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. قوله - صلى الله عليه وسلم -: (يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ). قوله: (يَسْتَحِلُّونَ): قد حمل الاستحلال بعض العلماء على معانٍ عدّة: * منهم من حمله على إباحة المحرم صراحةً أي أنه يكابر في ذلك ويعلم أنه محرم ، وينص على أنه حلال مكابرة للنص. ومن أحل المعازف والغناء المحرم فقد نص بعض الأئمة على تكفيره. نص بعض أصحاب أبي حنيفة على تكفيره فقالوا: إن سماع الغناء فسوق ، والتلذذ به كفر. وكذلك القاضي عياض ، وكذلك إمام الحنابلة ابن قدامة حكاه عنه ابن الحنبلي ، حكم بكفر من أباح الغناء! ومن حكم بكفر مستحل الغناء كذلك البزازي وزين الدين الكرمانلي من الحنفية. * وحمل بعضهم الاستحلال في حديث أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - على المبالغة فيه بالسماع حتى يُظن أنه ممن يرى إباحتها. * وحمله بعضهم - وممن نص على هذا شيخ الإسلام ابن تيمية - على أن المراد بالاستحلال: الأخذ بالتأويل وبالشبهات لإباحة الغناء ، كمن يقول إن الغناء إنما هو أصوات وألحان ، كأصوات الطير وأصوات الريح وأصوات الإنسان ، حينما يمشي في الأرض ، وكطرق الأبواب والضرب على الحديد ، فإنما هي تجمع ويؤلف بينها لا غير ، فهي أصوات من الطبيعة. ثم إن قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (يَأْتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِفَ). من علامات نبوته - صلى

الله عليه وسلم - ، وليس بجديد وكل ما حدث فهو من علامات نبوته - صلى الله عليه وسلم - كالذين صنّفوا في إباحة المعازف وغيرها من المحرمات. وينبغي للإنسان أن يستبشر بهذا القول من جهة ، أعني استحلال المعازف وغيرها ؛ لأنه تصديق لخبر أخبر به النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولذلك فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - حينما قال لعمّار: (تقتلك الفئة الباغية). فرح من فرح من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا لذات القتل ؛ لأن قتله جريمة ، ولكن لصدق إخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وبيان الحق وظهوره ، وهذا من دلائل صدقه وعلامات نبوته - عليه الصلاة والسلام - . ومما جاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من النص على تحريم الغناء: ما رواه الإمام أحمد في "مسنده" وأبو داود في "سننه" من حديث عبد الكريم الجزري ، عن قيس بن حبتر عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْخُمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالْكُوبَةَ). والكوبية: قيل: هي الطبل ، وقيل: نوع من أنواع المعازف ، وقيل: إنها اسم يطلق على سائر أنواع المعازف. وإسناده صحيح. وروى أبو عبيد القاسم بن سلام والبيهقي أيضاً من حديث حبيب بن الشهيد وهشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة: (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن كسب الزمارة). وإسناده صحيح. وجاء عن عائشة - رضي الله عنها - ما رواه البيهقي في "سننه" من حديث بكير بن الأشج عن أم علقمة مولاة عائشة أنها قالت: (إن بنات أخي عائشة خُفِضْنَ فَتَأْمَنْنَ ، فقيل لعائشة: لو جننا بأحدٍ يُلْهِيهِنَّ ، فقالت: لا بأس ، انتوا بالمغني فلان ، فجيء به. قالت: فأخذ يتغنى ، فدخلت عليه عائشة وهو يتغنى ، ويحرك رأسه ، وله شعرٌ طويل. فقالت عائشة عليها رضوان الله تعالى: أف! شيطان! أخرجوه أخرجوه). وعائشة عليها رضوان الله هي التي دخل عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما في الصحيح ، عندها جاريتان تغنيان بغناء بُعَاثَ. هنا قالت: (شيطان) ، وهنا (عندها جاريتان تغنيان بغناء بعث)؟ فذلك غِنَاءٌ وهذا غِنَاءٌ آخر ، فذاك شيءٌ وذاك شيءٌ آخر ، ولا علاقة بآلات اللهو والطرب فيه مطلقاً. وقد جاء عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - كما رواه أبو داود في "سننه" من حديث نافع ، عن عبد الله بن عمر: (أنه سمع زمماراً فوضع أصبعيه في أذنيه ، فقال لابنه نافع: أسمع صوتاً؟ فقال: لا ، فقال: إني كنت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ففعل ما فعلت). ولا يزال العلماء على مرّ العصور ينقلون إجماع السلف والخلف على تحريم الغناء وآلات اللهو والطرب ، فمن نظر إلى العلماء في كل قرن وجد أنهم يتتابعون على نقل الإجماع مقرين له. ولا أعلم قرناً من القرون خلا من عالم ينقل إجماع العلماء على تحريم الغناء والمعازف. ولذلك قد نقله زكريا بن يحيى الساجي في كتابه "اختلاف العلماء" في القرن الثالث إذ جل حياته فيه. ونقله الأجري رحمه الله في القرن الرابع. ونقله أبو الطيب الطبري وابن عبد البر في القرن الخامس. ونقله ابن قدامة وأبو القاسم الدولعي الشامي الشافعي في القرن السادس. ونقله ابن الصلاح والقرطبي والعز بن عبد السلام في القرن السابع. ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية والسبكي وابن رجب وابن القيم وابن مفلح وغيرهم في القرن الثامن. ونقله العراقي والبيضاوي الحنفي في القرن التاسع. ونقله ابن حجر الهيتمي في القرن العاشر. ونقله الألويسي وأحمد الطحطاوي في القرن الثالث عشر. ونقله الغماري في القرن الرابع عشر. ولا يزال العلماء على شتى مذاهبهم ؛ من المالكية والحنفية والشافعية والحنابلة مطبقين على تحريم الغناء والمعازف. ولذلك فمن نظر إلى من حكى الإجماع وجد اختلاف بلدانهم ، وتباين مذاهبهم. فمن المالكية: ابن عبد البر في "التمهيد" ، والقرطبي في "تفسيره" ، وابن القطان الفاسي في كتابه "الإقناع في مسائل الإجماع". ومن الشافعية: جماعة وخلق كثير كابن الصلاح ، والعز بن عبد السلام ، وابن حجر الهيتمي ، والعراقي ، والطرطوسي وغيرهم. ومن الحنابلة: "ابن قدامة ، وابن رجب ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن مفلح ،

وغيرهم". ومن الحنفية: "الفقيه الحنفي محمد البزازي في "المناقب" ، وزين الدين الكرمانى ، وشيخ الحنفية أحمد الطحطاوي في مصر في "حاشيته على مراقي الفلاح". وكذلك أئمة المذاهب بأنفسهم: قد نصوا على التحريم ، وحكى الإجماع من أهل المذاهب على اختلاف بلدانهم. * فابن عبد البر والقرطبي في الأندلس. * وابن القطان الفاسي والغماري في المغرب. * وابن قدامة وابن الحنبلي وابن تيمية والعز بن عبد السلام وابن رجب وابن القيم في الشام. * وابن حجر الهيتمي والطحطاوي الحنفي في مصر. * والعراقي والألوسي في العراق. * وفي بلاد الترك والبلغار: الفقيه الحنفي محمد البزازي الكردي ، في "الفتاوى البزازية". وغيرهم خلق كثير على اختلاف بلدانهم. ومن حكى خلافاً في هذه المسألة فقد غلب عليه هواه. يقول ابن حجر الهيتمي: في كتابه "كف الرعاع": (ومن حكى خلافاً في الغناء فإنه قد وهم وغلط ، وغلب عليه هواه حتى أصمّه وأعماه). ومن نظر إلى الأئمة الأربعة وجد نصوصهم متضافرة على تحريم الغناء بالنص. فالإمام مالك: قد روى الإمام أحمد في كتاب "العلل" والخلال في "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" من حديث إسحاق بن عيسى الطباع ، قال: (سألت مالكا عن سماع الغناء؟ فقال: إنما يفعل ذلك عندنا الفساق). وأما الإمام أحمد: فقد نقل عنه ابنه عبد الله في كتابه "المسائل" قال: (سألت أبي عن الغناء؟ فقال: ينبت النفاق في القلب ، لا يعجبني) ، ثم نقل قول الإمام مالك رحمه الله: (إنما يفعل ذلك عندنا الفساق). قال أبو حنيفة رحمه الله: (وأما الغناء فهو محرّم عند سائر الأديان). ورد شهادة المغني الأئمة من أتباع مذهبه. وأما الإمام الشافعي - رحمه الله - فقال: الغناء لهوٌ مكروه ، ويشبهه الباطل والمحال ، وقد نص في كتابه "أدب القضاء" وكذلك في كتابه "الأم" على أن المغني ترد شهادته. وإن كنا نعلم بل نتيقن أن أقوال الأئمة من الأئمة الأربعة وغيرهم ليست نصوصاً من الوحي ، وأن كلامهم ليس بحجة ، وأنه بحاجة إلى أن يحتج له لا أن يحتج به ، ولكن تساق أقوال الأئمة - رحمهم الله - ليُعلم الإجماع والإطباق ، فإن الإجماع معتبر ، ولا يكون إلا على نص. ونقل تكفير من أباح الغناء عن أئمة من ثلاثة مذاهب متبوعة. قال بعض أصحاب أبي حنيفة: (سماع الغناء فسق ، والتلذذ به كفر) ، والتصريح بكفر مستحل الغناء قال به من الحنفية: حافظ الدين الفقيه محمد البزازي في "الفتاوى البزازية" ، وزين الدين الكرمانى. قال البزازي في "فتاويه": ولما عَلِمَ أَنَّ حَرَمَتَهُ بِالْإِجْمَاعِ لَزِمَ أَنْ يَكْفُرَ مُسْتَحِلَّهُ. وقال به القاضي عياض المالكي ، بل حكى الإجماع على كفر مستحله. وحكاه ابن الحنبلي ، كما نقله ابن رجب - رحمه الله - في كتابه "ذيل طبقات الحنابلة" عن ابن قدامة. وإن كان هذا القول ليس على الصواب ، بل أن فيه تشدداً ، وذلك أن الكفر بعيد ، وإنما هو هوى وجرم وذنب ، وقد عدّه غير واحد من الأئمة من كبائر الذنوب كابن النحاس في كتابه "تنبيه الغافلين" ، وابن حجر الهيتمي في كتابه "الزواجر" عدّوا سماع الغناء من الكبائر. ولا أعلم مسألة عدّها العلماء من الكبائر ، وتقلّ الإجماع فيها ، فتكون مباحة على قول معتبر. ومن نظر إلى كلام بعض المتأخرين ممن يتكلم عن مسائل الغناء ، وكذلك المعازف من الموسيقى وغيرها ، ويستدل على إباحتها بما جاء عن بعض الأئمة من السلف أنهم كانوا يستمعون للغناء ونحو ذلك مما ورد عن أهل المدينة ، فإنه قد اشتهر عنهم السماع ، فالمراد بالسماع هو: الحداء والألحان والأنشيد والشعر ، وليس المراد بذلك المعازف إطلاقاً. ويستدلون ببعض الأحاديث التي جاءت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فمنها ما جاء في الصحيح من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: دخل عليّ النبي - صلى الله عليه وسلم - وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث ، فدخل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فقال: أمزمار الشيطان عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (دعهما). مغنيتان تغنيان: المراد بالغناء هو الحداء ، وهذا معلوم ولا ريب فيه ، ولم يخالف في ذلك أحد من أهل

اللغة ، وإنما خالف فيه من جهل الاصطلاح ممن تأخر. فيقال: إن ذلك ليس فيه دليل ، فليس ثمة آله لهو ؛ لا مزمار ولا طبل ولا غيرها. وبعضهم يستدل - أيضاً - بما جاء في الصحيح من حديث عائشة أنها قالت: (إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليسترني وأنا أنظر إلى زفن الحبشة في المسجد). فيقال: أن الزفن هو الوثب بالسلاح. والحبشة ماذا كانوا يقولون؟ قد روى الإمام أحمد في "المسند" "والسراج في "مسنده" من حديث أنس بن مالك أنهم كانوا يقولون:(محمدٌ عبدٌ صالح! محمدٌ عبدٌ صالح!). فهذا ما كان يزفن به الحبشة في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، إضافة إلى أن الزفن هنا المراد به الوثب بالسلاح والرمح ، وهذا جائز لشحن الهمم لجهاد ومكارم الأخلاق ، وغير ذلك، في الأعياد ونحوها ، إذا خلا من المعازف وآلات اللهو ، وكان بالمعاني الحميدة ، ثبوت ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تقريراً).هـ. جرى الله خيراً شيخنا وأستاذنا عبد العزيز الطريفي ، وأجزل الله له العطاء ، وتقبل منه هذا البحث المستفيض في بيان حكم الإسلام في الغناء ورد شبهات المبيحين المجيزين ، وجعله في ميزان حسناته! وقد أرشد الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - إلى أن يصبر نفسه مع هؤلاء المؤمنين البسطاء الموحدين فقال له: «وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا». وقيل للحسن: يا أبا سعيد ، كيف نضع؟ أنجالس أقواماً يُخَوِّفُونَا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال: والله إنك إن تخالط أقواماً يُخَوِّفُونَا حتى يدركك أمنٌ خيرٌ لك من أن تصحب أقواماً يُؤْمِنُونَكَ حتى يدركك خوف. فإذا أَلَفَ الإنسان معصيةً من المعاصي ولم يتب منها فإن الشيطان يستولي بها على تفكيره حتى في اللحظات الأخيرة من حياته ، فإذا أراد أقرباؤه أن يُلَقِّنُوهُ الشهادة ليكون آخر كلامه لا إله إلا الله، طغت هذه المعصية على تفكيره فتكلم بما يفيد انشغاله بها. وهذا معناه أن المولعين بالأغاني يمكن أن يُصرفوا عن لا إله إلا الله عند موتهم! والعياذ بالله تعالى من سوء الخاتمة هذا!

يا عبيدَ الفن يكفي ما جرى	إن شؤم الدعر في الناس سرى
بدد الفن حيااة ورؤى	وأباد النور ، واجتث العرى
وأحال العيش هزلأ ودجى	وسعى بالقوم طرراً للورا
وأذاق الخلق أصناف البلا	ورمى بالعهر أساد الشرى
بات جمل الناس كالأسرى له!	وليه فيهم أفاعيل ترى
أخرج المرأة من حضن الهدى	وأذاع الدعر في شتى القرى
كل دار بالأغاني أترعت	والمزامير تنأغي المزهرا
وكذا الأعواد في القوم شدت	وطبول الفسق تزجي المنكرا
وعلى الأفلام قضاوا عمرهم	وإذا بالفن قدد أردى الورى

تقرع الطبل ، وتزكي المجررا
وتعبي في صداها الميسرا
ثم تستعدي الغشا والعسكرا
تشرب الهزل ، وتقتات الثرى
وتحابي أنسها والبيدرا
وغدا الطين لديها جوهررا
واستابحت في الدير المسكرا
فإذا بالجرح شج الأبهررا
وأذاقته المصير الأغبررا
بين كل الناس يمشي قيصررا
وريبب العلم يمشي القهقرى
تخرقوا الأرض ، وإنافى الذرى
قد خبثتم جوهرأ والمظهررا
ليسيل الدمع منكم أبخررا
إنكم لمتا تخافوا منذرا
كل عاتٍ سوف يمسي أبترا

وإذا في كل صقع جوقرة
تنشر الفحشاء فيمن آمنوا
تسرق الأخلاق من أصحابها
وعبيد الفسق تسعى خلفها
وتحيي كل فن ساقط
يا شعوباً في هواها أسرت
قدم العهر فقالت: مرحباً
شجعت في كل فن أهله
وإذا داع دعاهم أزيددت
وإذا الفن أن فيها سبيد
في ديار القوم يسعى قدماً
عربدوا في الأرض ما شنتم ، فلن
في حضيض الأرض أنتم ، صدقوا
سنة المولى سيأتي حينها
عربدوا ، والحق ماح هزلكم
نحن يا صرعى فضحنا عاركم

الخاتمة

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه. الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وما كان معه من إله ، الذي لا إله إلا هو ولا خالق غيره ولا رب سواه ، هو المستحق لجميع أنواع العبادة ولذا قضى ألا نعبد إلا إياه: (ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل ، وأن الله هو العلي الكبير). (ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شئ قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور). عالم الغيب والشهادة: الذي استوى في علمه ما أسرَّ العبد وما أظهر! الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون: (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين). فالله سبحانه له العلم المطلق: (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها). (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟). (الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى). (ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى). (الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديراً). كيف لا وهو الذي خلق وقدر وهدى. رَحْمَنُ الدنْيا والآخرة ورحيمها: الذي كتب على نفسه الرحمة ، وهو أرحم الراحمين ، الذي غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنده على عرشه في الكتاب المبين ، الذي وسعت رحمته كل شئ وبها يتراحم الخلائق بينهم ، كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين: (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ، إن ذلك لمحيي الموتى ، وهو على كل شئ قدير). الملك: الحق الذي بيده ملكوت كل شئ ، ولا شريك له في ملكه ولا معين. المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزاز والإذلال والإحياء وكذلك الإمامة والهداية وكذلك الضلال (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين). لا راداً لقسائه ولا مضاداً لأمره ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب. (ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين). له ملك السماوات والأرض وما بينهما ، وإليه المصير. القدوس السلام ، الذي اتصف بصفات الكمال والجلال والجمال ، وهو سبحانه تقدس عن كل نقص ومحال ، وتعالى عن الأشباه والأمثال ، حرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير). المؤمن: الذي آمن أوليائه من خزي الدنيا ، ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية ، وآتاهم في هذه الدنيا حسنة وسيحلهم دار المقامة في جنة عالية. المهيمن: الذي شهد على الخلق بأعمالهم ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافية ، (إنه كان بعباده خبيراً بصيراً). العزيز: الذي لا غالب له ولا مرام لجنابه ، الجبار الذي له مطلق الجبروت والعظمة. وهو الذي يجبر كل كسير مما به ، المتكبر: الذي ليس ينبغي للكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه ، العظمة إزاره والكبرياء رداؤه ، فمن نازعه صفة منها أحلَّ به غضبه ومقته وتدميره: (وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم). الخالق البارئ المصور: لما شاء إذا شاء في أي صورة شاء من أنواع التصوير: (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير ، خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم ، وإليه المصير). (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، إن الله سميع بصير). الغفار: الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئاً لأتاه بقرابها مغفر. القهار: الذي قصم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره. الوهاب: الذي كل موهوب وصل إلى خلقه ، فمن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه ، الرازق: الذي لا تنفد خزائنه ولم يفيض ما في يمينه ، أرايتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ما أنقص من فضله العزيز ، يرزق كل ذي قوت قوته ، ثم يدبر ذلك القوت في الأعضاء بحكمته تدبيراً متقناً محكماً ، يرزق من هذه الدنيا من يشاء من كافر

ومسلم ، أموالاً وأولاداً وأهلاً وخدمًا ، ولا يرزق الآخرة إلا أهل توحيده وطاعته. قضى ذلك قضاءً حتمًا مبرمًا ، وأشرف على الأرزاق في هذه الدار ما رزقه عبده على أيدي رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم الحق والعمل الصدق والحكمة وتبيين الهدى المستنير. الفتح: الذي يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم يفتح على هذا مالا وعلى هذا ملكا وعلى هذا علما وحكمة: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم). (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم). (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم). العليم: الذي أحاط علمه بجميع المعلومات من ماضٍ وآتٍ وظاهرٍ وكامنٍ ومتحركٍ وساكنٍ وجليلٍ وحقيقٍ ، علم بسابق علمه عدد أنفاس خلقه وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وكذا أرزاقهم وآجالهم ، ومن هو من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار في العذاب المهين: (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) ، وما من جبل إلا ويعلم ما في وعده ، ولا بحر إلا ويدري ما في قعره (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) ، (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير) ، (ولله غيب السماوات والأرض ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، إن الله على كل شيء قدير). القابض الباسط: فيقبض عن يشاء رزقه فيقدره عليه ويبسطه على من يشاء فيوسع عليه وكذا له القبض والبسط في أعمال عباده وقلوبهم ، كل ذلك إليه ، إذ هو المتفرد وحده بالإحياء والإماتة والهداية والإضلال والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير. الخافض الرافع الضار النافع المانع المعطي: فلا رافع لمن خفض ، ولا خافض لمن رفعه ، ولا نافع لمن ضر ، ولا ضار لمن نفعه ، ولا مانع لما أعطى ، ولا معطي لمن هو له مانع ، فلو اجتمع أهل السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه أو ضر من هو نافعه أو إعطاء من هو مانعه لم يك ذلك في استطاعتهم بواقع المعز المذل: الذي أعز أوليائه المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وأيدهم بنصره المبين ببراهينه القوية المتظاهرة ، وأذل أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذلة والصغار ، وجعل عليهم الدائرة ، فما لمن والاه وأعزه من مذل ، وما لمن عاداه وأذله من ولي ولا نصير. السميع البصير: لا كسمع أحد من الورى ، فنحن البشر نسمع بألة وهي الأذن ولو أصابها عطب ما سمعنا ، ولا كبصر أحد منهم ، فنحن نبصر ونرى بألة وهي العين ولو أصابها داء ما أبصرنا ، لكن ربنا تبارك وتعالى سميع بصير: يسمع لا كسمعنا ، ويبصر لا كبصرنا! سبحانه القائل لموسى وهارون (إنني معكما أسمع وأرى) ، فمن نفى عن الله ما وصف به نفسه عزَّ وجلَّ أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد افترى على الله كذبًا ، وقد خاب من افترى ، (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير). الحكم العدل: في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولاً وفعلاً: (إن ربي على صراط مستقيم). فلا يحيف في حكمه عزَّ وجلَّ ولا يجور: (وما ربك بظلام للعبيد). (إن الله لا يظلم الناس شيئاً). (وما ظلمهم الله). الحكم العدل الذي حرّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً ، ووعد الظالمين الوعيد الأكيد وفي الحديث: «إنَّ الله لِيُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ، وكذلك في الآية: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذهم شديد). وهو عزَّ وجلَّ الذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، بل يخصي عليهم حتى الخردلة والذرة والفتيل والقطير والنقير. اللطيف: بعباده معافاة لهم وإعانة ، وعفواً ورحمة ، وفضلاً وإحساناً ، ومن معاني لطفه عزَّ وجلَّ إدراك أسرار الأمور حيث أحاط بها خبرة وتفصيلاً وإجمالاً ، وسراً وإعلاناً ، الخبير بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وأفعالهم ماذا عملوا؟ وكيف عملوا؟ وأين عملوا؟ ومتى عملوا؟ حقيقة وكيفية

ومكاناً وزماناً: (إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير). الحليم: فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب ، بل يعافيهم ويمهلهم ليتوبوا ، فيتوب عليهم إنه هو الثواب الرحيم العظيم ، الذي يتصف بكل معنى يوجب التعظيم ، وهل تنبغي العظمة إلا لرب الأرباب ، خضع لعظمته وجبروته جميع العظماء ، وذل لعزته وكبريائه كل كبير. الغفور الشكور: الذي يغفر الكثير من الزلل ، ويقبل اليسير من صالح العمل ، فيضاعفه أضعافاً كثيرة ، ويثيب عليه الثواب الجلل ، وكل هذا لأهل التوحيد ، أما الشرك فإنه لا يغفره ولا يقبل معه من العمل لا القليل منه ولا الكثير. العلي: الذي ثبت له كل معاني العلو ، علو الشأن ، علو القهر ، وعلو الذات ، الذي استوى على عرشه ، وعلو على خلقه بانئاً من جميع المخلوقات ، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه ، وأخبر عنه رسوله الكريم في أصح الروايات ، وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد وأهل العلم والبصيرة بلا نزاع بينهم ولانكير. الكبير: الذي كل شيء دونه (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه). كما أخبر بذلك عن نفسه نصاً بيناً محكماً. الحفيظ: على كل شيء فلا يعزب عنه عزٌّ وجلٌّ شيء من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، الذي وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما ، حفظ أوليائه في الدنيا وفي الآخرة ونجاهم من كل أمر خطير. المغيث: لجميع مخلوقاته فما استغاثه ملهوف إلا نجاه ، الحسيب الوكيل الذي ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه ، ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، فنعم المولى ونعم النصير. الجليل: الذي جلَّ عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال وجمال ، الجميل الذي له مطلق الجمال في الذات والصفات والأسماء والأفعال. الكريم: الذي لو أن أول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، كما روى عنه نبيه ، ومن كرمه أن يقابل الإساءة بالإحسان والذنب بالغفران ، ويقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات والتقصير. الرقيب: على عباده بأعمالهم ، العليم بأقوالهم وأفعالهم. الكفيل: بأرزاقهم وأجالهم وإنسانهم ومآلهم ، المجيب: لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير. الواسع: الذي وسع كل شيء علماً ، ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرمًا وحلمًا ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون به علماً. الحكيم: في خلقه وتدبيره ، إحكامًا وإتقانًا ، والحكيم في شرعه وقدره عدلاً وإحسانًا ، وله - عزٌّ وجلٌّ - الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، ومن أكبر من الله شهادة وأوضح دليلاً وأقوم برهاناً. فهو العدل: وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عدل ، فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. الودود: الذي يحب أوليائه ويحبونه ، كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات ، المجيب الدعوات: يجيب دعوة الداعي إذا دعاه في أي مكان كان ، وفي أي وقت من الأوقات كان ، فلا يشغله سمع عن سمع ، ولا تختلف عليه المطالب ، ولا تشتبه عليه اللغات ، وكذا لا تشتبه عليه الأصوات ، فيكشف الغم ويذهب الهم ويفرج الكرب ويستتر العيب وهو السّتير. المجيد: الذي هو أهل الثناء كما مجد نفسه ، وهو الممجد على اختلاف الألسن وتباين اللغات ، بأنواع التمجيد. الباعث: الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، إنه هو الفعال لما يريد. الشهيد: الذي هو أكبر كل شيء شهادة وكفى بالله شهيداً: (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)؟ هو الحق: وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير. القوي: المتين الذي لم يقم لقوته شيء ، وهو الشديد المحال. الولي: للمؤمنين فلا غالب لمن تولاها ، وإذا أراد بقوم سوءاً فلا مردَّ له وما لهم من دونه من والٍ. الحميد: الذي ثبت له جميع أنواع المحامد ، وهل يثبُت الحمد إلا لذي العزة والجلال ، فله الحمد كما يقول وخيراً مما نقول ، لا نحصي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه ، وكيف يحصي العبدُ الضعيفُ ثناءً على العلي الكبير المتعال العظيم. المُحصي: الذي

أحصى كل شيء عددًا ، وهو القائل: (كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا ، إنا كنا فاعلين). ، (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين). المبدئ المعيد: الذي قال وهو أصدق القائلين: (وهو الذي يبدئ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه). وأتى يعجزه إعادته وقد خلقه من قبل ولم يك شيئًا ، كل يعلم ذلك ويقر به بلا نكير. المحيي المميت: الذي انفرد بالإحياء والإماتة. فلو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محيياها ، أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكنًا أبدًا ، وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة الخالق العلام الحي الدائم الباقي الذي لا يموت ، وكل ما سواه زائل كما قال تعالى: (كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام). القيوم: الذي قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به ، (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) ، فلا يحتاج إلى شيء ، وكل شيء إليه فقير. الواحد الأحد: الذي لا شريك له في ألوهيته ، ولا شريك له في ربوبيته ، ولا شريك له في أسمانه وصفاته وملكوته وجبروته وعظمته وكبريائه وجلاله ، لا ضد له ولا نظير ولا ند ولا شبيه ولا كفؤ ولا مثل ولا عديل. الصمد: الذي يصمد إليه جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم. فهو المقصود إليه في كل الرغائب والمستغاث به عند المصائب ، فإليه منتهى الطلبات ومنه يسأل قضاء الحاجات ، وهو الذي لا تعتريه الآفات ، وهو عز وجل حسبنا ونعم الوكيل ، فهو السيد الذي قد كمل في سؤده. وهو العظيم: الذي كمل في عظمته ، والحليم: الذي قد كمل في حلمه ، والعليم: الذي كمل في علمه ، والحكيم: الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل في صفات الكمال ، ولا تنبغي هاتيك الصفات لغير الملك الجليل تبارك وتعالى. القادر المقتدر: الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ، وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه على كل شيء قدير. المقدم المؤخر: بقدرته الشاملة ، ومشيئته النافذة على وفق ما قدره ، وسبق به علمه ، وتمت به كلمته بلا تبديل ولا تغيير. الأول: فليس قبله شيء ، والآخر: فليس بعده شيء ، والظاهر: فليس دونه شيء ، هكذا أخبر عنه البشير النذير. الولي: فلا منازع له ولا مضاد ، المتعالي عن الشركاء والوزراء وغير ذلك من النظراء والأنداد. البر: وصفًا وفعلاً وقولًا ، ومن بره المنّ على أوليائه بانجانهم من عذابه ، كما وعدهم على السنة رسله أنه لا يخلف الميعاد ، التواب : الذي يرزق من يشاء بغير حساب ، وهو سبحانه وتعالى يرزق من يشاء التوبة فيتوب عليه وينجيهِ من عذاب السعير. المنتقم: الذي لم يقم لغضبه شيء ، وهو الشديد العقاب والبطش والانتقام (إن بطش ربك لشديد ، إنه هو يبدئ ويعيد). (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام). العفو: بمنه وكرمه عن الذنوب والخطايا والآثام. وهو الرءوف بالمؤمنين. ومن رآفته بهم أن نزل على عبده آيات مبينة ؛ ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الجاهلية إلى قسط الإسلام ، ومن درك الأصنام والأوثان إلى ضياء التوحيد وإشراقات العقيدة في الله عز وجل ، ومن رآفته على عباده أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه ولم ينزع عنهم التوبة قبل الحمام ، فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير). مالك الملك يوتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويذل من يشاء ، ويعز من يشاء ، وربنا يعز لحكمة ويذل لحكمة لا يسأل عما يفعل ، بل يفعل ما يشاء ذو الجلال والإكرام والعزة والبقاء والملوكوت والجبروت والعظمة وله الكبرياء. المقسط: الذي أرسل رسله بالبينات ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وما للظالمين من نصير. الجامع: لشتات الأمور ، وهو جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد. الغني المغني: فلا يحتاج إلى شيء ، ولا تزيد في ملكه طاعة الطائعين ولا

تنقصه مَعْصِيَةُ العاصين من العباد ، وكل خلقه مفتقرون إليه لا غنى لهم عنه وعن بابهِ طرفة عين أو أقل من ذلك. وهو الكفيل: بهم رعاية وكفاية ، وهو الكريم الجواد ، وبجوده عمّ جميع الأنام من طائع وعاصٍ وقوي وضعيف وشكور وكفور ومأمور وأمير. نور السماوات والأرض ومن فيهن ، كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه به عبده ورسوله محمد ﷺ مستعيذاً به: «أعوذُ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحلَّ بي غضبك أو أن ينزل بي سخطك لك العُتْبَى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله». فبصفات ربنا تعالى نُؤمن وبكتابه وسنة نبيه ﷺ نحكم وبحكمها نرضى ونسلم ، وإن أبى المُلحد إلا جحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه: (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ، أفمن يلقى في النار خيرا أمن يأتي أمنا يوم القيامة ، اعملوا ما شئتم ، إنه بما تعملون بصير). الهادي: الذي بيده الهداية والإضلال ، فلا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى: (من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا). (من يشأ الله يضلله ، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيماً). (قل إن هدى الله هو الهدى). (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير). (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير). البديع: الذي أبداع السماوات والأرض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع حكمته بلا معين ولا مثال، الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه فلا ابتداء لأوليته ولا لآخريته زوال. الوارث: الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وإليه عزٌّ وجلٌّ المرجعُ والمآل ، فبإيجاده كل موجود وجد ، وإليه كل الأمور تصير. الرشيد: في كل أقواله وأفعاله ، فبالرشاد يأمر عباده وإليه يهديهم. الصبور: الذي لا أحد أصبر منه على أذى سمعه أو علمه أو رآه ، ينسبون إليه الولد ويجحدون أن يعيدهم بعد الموت ويخيبهم ، وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه لا يخفى عليه منهم شيء ، ثم هو يرزقهم ويعافهم ، ذلك بأنهم لم يبلغوا نفعه فينفعوه ، وهم كذلك لم يبلغوا ضره فيضره ، وإنما يعود نفع طاعتهم إليهم ، ووبال عصيانهم عليهم ، واستغنى الله ، والله غني حميد: (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم ، وذلك على الله يسير). لقد خطب قس بن ساعدة الإيادي- وكان على ملة إبراهيم عليه السلام - فقال: «أيها الناس اجتمعوا فاسمعوا ، وإذا سمعتم فقولوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، وأحياء وأموات ، ليل داج وسماء ذات أبراج ونجوم تزهو وبحار تزخر وضوء وظلام وليل وأيام وبر وآثام ، إن في السماء خبيرا وإن في الأرض عبرا ، يحار فيهن البصر ، مهاد موضوع ، وسقف مرفوع ، ونجوم تغور وبحار لا تغور ، ومنايا دوان ، ودهر خوان ، كحد النطاس ووزن القسطاس ، أقسم قس قسما ، لا كاذبا فيه ولا آثما: لئن كان في هذا الأمر رضى ليكونن سخط! ثم قال: أيها الناس ، إن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه ، وهذا زمانه وأوانه». ثم قال: «ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون! أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا. وفي بعض ألفاظها قال: شرق وغرب ويتم وحزب وسلم وحرب ، ويابس ورطب ، وأجاج وعذب ، وشموس وأقمار ، ورياح وأمطار ، وليل ونهار ، وإناث وذكور ، وبراري وبحور ، وحب ونبات ، وآباء وأمهات ، وجمع وأشتات ، وآيات في إثرها آيات ، ونور وظلام ، ويسر وإعدام ، ورب وأصنام ، لقد ضلَّ الأنام ، نشؤ مولود ، ووأد مفقود ، وتربية محصود ، وفقير وغني ، ومحسن ومسيء ، تبا لأرباب الغفلة ، ليصلحن العامل من عمله ، وليفقدن الأمل أمه ، كلا بل هو إله واحد ليس بمولود ولا والد ، أعاد وأبدى ، وأمات وأحيا ، وخلق الذكر والأنثى ، رب الآخرة والأولى. أما بعد ، فيا معشر إياد ، أين ثمود وعادا؟ وأين الآباء والأجداد؟ وأين العليل والعواد؟ كل

لَهُ مَعَاد. يقسم قس برب العباد وساطح المهاد ، لتحشرن على الانفراد ، في يوم التناد ، وإذا نفخ في الصور، ونقر في الناقور، ووعظ الواعظ فانتبذ القائط وأبصر اللاخط. فويل لمن صدف عن الحق الأشهر والنور الأزهر والعرض الأكبر ، في يوم الفصل وميزان العدل ، إذا حكم القدير وشهد النذير وبعد النصير وظهر التقصير ، فريق في الجنة وفريق في السعير». ورحم الله قس بن ساعدة الإيادي ورضي عنه وغفر له. ونحمد الله القدير على جزيل إنعامه ، ووافر أفضاله ، نشكره على جليل إحسانه ونواله ، وله الحمد على أسمائه الحسنی وصفات كماله ونعوت جلاله ، وله الحمد على عدله قدرًا وشرعًا ، وله الحمد في الأولى والآخرة. وهو الحكيم في كل ما قال وأمر ونهى وشرع ، والخبير بعباده وبما يصلحهم في أمر دينهم وديارهم وآخرتهم. ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق العلي الكبير ، تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته عن الشريك والوزير ، وتقدس في أحديته وصمديته عن الصحابة ، وعن الولد والوالد ، وعن الولي والنصير والمعين ، وتنزه تبارك وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن الكفو والنظير ، وعز في سلطان قهره وكمال قدرته عن المنازع والمغالb والمعين ، والمشير والظهير ، وجل في بقائه وديمومته وقيوميته عن المُطعم والمجير. ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله البشير النذير ، المرسل إلى الناس كافة بالملة الحنيفية والهدى المنير. بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين عربهم وعجمهم ، وأنزل عليه كتابه المهيم والنور المبين والهدى المستبين ، والمنهج المستنير. والشرك مضطربة ناره ، طائر شراره ، مرتفع غباره ، لا مغير له ولا نكير ، فقام بالرسالة فبلغها خير تبليغ ، وجاهد في الحق حق جهاده إعلاءً لكلمة الله الملك العلام ، حتى جاء الحق وزهق الباطل ، وحتى أدبر ليل الكفر والضلالة ، وانفجر فجر الإيمان والإسلام الحق ونشرت أعلام التوحيد وعلا بنيانه وأشرقت أنواره ، ونكست راية الشرك وانكسرت شوكته وخمدت ناره ورمي بناؤه بالدمدمة والكسر والتحطيم والتدمير. صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه شמוש الهداية وأوعية العلم وأنصار الدين القويم ، وتابعيهم الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الله: (والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم). وعلى كل من اقتفى أثرهم واتبع سيرهم وسلك صراطهم المستقيم ، وجعلنا الله من المقتهدين بهم والمهتهدين بهديهم والمتمسكين بالكتاب والسنة نقف معهما وبسيرهم نسير. وأشهد ألا إله إلا الله عليها أحيا وعليها أموت وفي سبيلها أعمل ، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه خير نبي أرسله ، وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد. فإن ديوان: (منار الخير) هو بعض عمري أضعه بين أيدي القراء الأحبة والقارئات الحبيبات من أهل التوحيد والإيمان ، والحقيقة أن هذه القصيدة خلاصة تجربة حقيقية عشتها. عشتها ألمًا وأملًا ، فرحًا وترحًا ، نفحات ولفحات ، محنًا ومنحًا. عشت في كل حرف من حروفها أنشد الخير وأندد بالشر ، أبتسم للقيم وأناغيها ، وأتجهم للردائل في عالمنا وأعاديها ، أشرح وجهة نظري بكل صدق فني شعري أدبي وبكل عاطفة صادقة متألقة وبكل إحساس منفعل بنفحات الحقيقة الدافئة وبكل شعور دفعني إلى صياغته بكاء قلبي على ما آلت إليه أحوالنا وأحوال أمتنا في هذا الوقت المعاش على هامش الحياة ، لقد عشت بداية طريق الشعر ، وأدركت أنه شعور وإحساس وتجربة ، هذا الشعور وتلك التجربة توظفان في سبيل الدفاع عن العقيدة والتوحيد ، في مواجهة الجاهلية الضاربة الأطناب في الأرض اليوم! وكنت أحسب ذلك الطريق الشعري - بهذه الأسلوبية وتلك الوظيفة وهاتيك المهمة - كما يحسبه كثيرون غيري مليئًا بالورود والرياحين ، بل كان الطريق مفروشًا بالدماء المرة والأشلاء الدامية ، فضلًا عن الأشواك والعقابين والعراقيل! فأدركت أن سلعة الله غالية بصورة لا

توصف قط. وأدركتُ أنّ أمانة عندما عُرضت على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، أدركتُ أن أمانة هذا شأنها لا بد وأن تكون عظيمة عظيمة غير متناهية ، وإنما حملها الإنسان لظلمه وجهله (وحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً). وكانت بداية طريقي بصحبة أهل ملتي ومن يتكلمون بلغتي وبكلماتي. ففتحت لهم قلبي وأطلعتهم على الذي كتمته عن غيرهم ، وكانت المفاجأة الكبرى لي عندما تحول هؤلاء وما كنت أظن بهم سوى الخير إلي ذناب وضوار وعقارب وحيات في جُثمان الإنس ، ليس سوى. وما صدقتُ فيهم الوشاة ، والله عزّوجلّ ، يعلم. جمعني بهم اللقاء وتثبتُ من الوشاية ومما يقال ، وذلك علي ألسنتهم هم فراجعتهم ، فلم ينكروا ، فصبرتُ وحلمتُ وفوضتُ أمري إلى الله ، واسترجعت وقلت جاهراً شادياً: حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا زلت أرددها إلى لحظتنا تلك ، وسوف أحيا أرددها إن شاء الله حتى ألقى الله ما دام في فمي لسان. من أجل هذه الاعتبارات وغيرها الكثير كان ديوان: (منار الخير) والله الأمر من قبل ومن بعد ويفعل ربي ما يشاء ، ولا يسأل ربنا عما يفعل وهم يسألون. وربّي سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة! نعم ما كان لبشر ممن خلق الخيرة. كان ديوان: (منار الخير) إشارات على الطريق ولافتات عليه لمن سلكه من بعدي ولمن سوف يسلكه إلى يوم القيامة: أكتشف عبرها النفاق عن النفاق وأهله ، وأكتشف الرياء والسُّمعة والمفاخرة ، وأبين للقوم حقيقة ما هم عليه ، وحقيقة ما كان ينبغي أن يكونوا عليه ، ولا أخاف في شيء من ذلك إلا الله ربي ورب السماوات والأرض رب العالمين ، ولا أبتغي من وراء ذلك إلا رضاه والجنة ، فلا أرح أحداً ولا أذكر اسماً ولا أنال من أحد. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وإن أريد إلا بيان الحق قدر الذي أستطيعه فقط ، وإن أريد إلا إظهار حقائق أمور قد يُخفى معظم أحجامها على كثير من العامة والدهماء وسواد الناس الأعظم. من أجل ذلك آثرتُ أن تكون أبيات القصيدة كلها لُحمة واحدة ونسيجاً موحداً ، لتخدم في أول المطاف وفي نهايته أمراً واحداً ألا وهو طريق الدعوة وسبيل المؤمنين ، فلم أَعن بهذا العنوان أبداً الوقوف به عند التجربة الذاتية الخاصة ، بل الخروج من التجربة الذاتية للحديث عن الأمة بأسرها! وليس كما قد يفهم البعض من عنوان القصيدة ، ولكن لتكون التجربة عامة ، ولأصل ما قاله الشعراء بالأمس بما ينبغي لهم أن يقولوه اليوم! وما كتبته وكتبه كذلك غيري من شعراء العقيدة ليس يعادلُ عشر معشار ما ينبغي أن يكتب فيه وفي أهله وفي أعدائه طبعاً هذا المقياس إذا وضعنا في الحسبان أنّ شعراء الجاهلية المعاصرة لا يكفون أبداً عن الإفصاح عن هويتهم وكتابة الشعر القبيل الحقيق الذي يندى لقراءته الجبين من كلام العشق المُسِفِّ والدُعر الساقط الرديء الخبيث ، وكذلك شعراء المِلل والنحل من هنا وهناك من أصحاب العقائد المنحرفة عن سواء السبيل. وإنني بادئ ذي بدء أعتذر عن نزعة الحزن التي تغشى أبيات هذه القصيدة ، وربما كانت هذه النزعة قاسماً مشتركاً في جُل ما كتبت من الشعر. والدكتور أحمد السعدي ينظر نظرتنا للحزن في مقال له يقول: (يتفق علماء الأصول على أنّ شرعنا لم يقع به تكليف بما لا يُطاق ، فما لا قِبَل للمسلم بفعله لا يكون مأموراً به من الشارع. وبناء على هذه القاعدة المتفق عليها نستطيع وبسهولة أن نقول: كل ما يقال عن عشق ممنوع وفرح مكروه وحزن واجب ونحو ذلك من أحكام تكليفية على العواطف البشرية أمر لا يصح في شرعة الله سبحانه. ذلك أنّ الشعورَ انفعال لا قِبَل للمرء بدفعه ، فكما أنّ الإسلام لا ينهى عن الألم ولا يأمر باللذة لذاتهما ، كذلك لا ينهى عن الحزن ولا يأمر بالحبّ لذاتهما. وكلُّ ما صورته أمرٌ بالعواطف والمشاعر فإنما المقصود منه المسببات أو المقدمات ونحو ذلك . فالأمر بحبّ رسول الله صلى الله عليه و سلم - مثلاً - أمرٌ بما يوصل إليه ، وذلك مفهومٌ بالبداهة ؛ لأنّ الحبّ ليس شيئاً يُفَعَّلُ بمقدور الإنسان وإرادته المجردة. وفي البخاري عن عبد الله بن عمر قال: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ شَكْوَى لَهُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَّةٍ فَقَالَ: أَقْدَ قَضَى؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَوْا ؛ فَقَالَ: أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ بِرَحْمٍ. إِنْ فَالْإِسْلَامَ لَا يَقُولُ: لَا تَتَأَلَّمْ أَوْ لَا تُحِبَّ أَوْ لَا تَحْزَنْ ، أَعْنِي عَلَى أَنَّ ذَلِكَ حَكْمٌ تَشْرِيْعِيٌّ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ ثَوَابٌ أَوْ عِقَابٌ لِدَاتِهِ ، لَكِنَّهُ يَقُولُ: إِذَا تَأَلَّمْتَ فَلَا تَتَكَلَّمْ بِمَا يَسْخَطُ اللَّهَ ، وَ إِذَا أَحْبَبْتَ فَلَا تَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ ، وَ إِذَا حَزَنْتَ فَلَا تَشَقَّ الْجَيْبَ وَلَا تَلْطَمَ الْخَدَّ وَلَا تَدْعُ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ. يَذْكَرُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ الْحَزْنَ لَمْ يَأْتِ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا مَنْهِيًّا عَنْهُ أَوْ مَنْهِيًّا فَالْمَنْهِي عَنْهُ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا} وَقَوْلِهِ: {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، وَقَوْلِهِ: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} وَالْمَنْهِي كَقَوْلِهِ: {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}. ثُمَّ يَعْطِلُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (وَسَرَّ ذَلِكَ: أَنَّ الْحَزْنَ مَوْقِفٌ غَيْرُ مَسِيرٍ ، وَلَا مَصْلِحَةٌ فِيهِ لِلْقَلْبِ ، وَأَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الشَّيْطَانِ: أَنْ يَحْزَنَ الْعَبْدَ لِيَقْطَعَهُ عَنْ سِيرِهِ وَيُوقِفَهُ عَنْ سُلُوكِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا} وَنَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّلَاثَةَ "أَنْ يَتَنَاجَى اثْنَانِ مِنْهُمْ دُونَ الثَّلَاثِ لِأَنَّ ذَلِكَ يَحْزَنُهُ". فَالْحَزْنَ لَيْسَ بِمَطْلُوبٍ وَلَا مَقْصُودٍ وَلَا فِيهِ فَائِدَةٌ. (مَدَارِجُ السَّالِكِينَ لِابْنِ الْقَيْمِ). وَ قَدْ تَابَعَ فِي ذَلِكَ شَيْخَهُ ابْنَ تَيْمِيَّةَ الَّذِي يُؤَكِّدُ أَنَّ الْحَزْنَ لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ بِهِ (بَلْ قَدْ نَهَى عَنْهُ فِي مَوَاضِعٍ وَإِنْ تَعَلَّقَ أَمْرُ الدِّينِ بِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" ، وَقَوْلِهِ: "وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ" وَقَوْلِهِ: "إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" وَقَوْلِهِ: "وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ" ، وَقَوْلِهِ: "لِكَيْلَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ" ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَجْلِبُ مَنْفَعَةً ، وَلَا يَدْفَعُ مَضْرَّةً ، وَلَا فَائِدَةَ فِيهِ. وَمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ لَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِهِ. (التَّحْفَةُ الْعِرَاقِيَّةُ). هـ. وَأَعْتَدْتُ مَرَّةً أُخِيرَةً عَنِ الْإِطَالَةِ غَيْرِ الْمَتَعَمِّدَةِ! وَإِنْ فَمَنْ رَحِمَ الْأَلَمَ تَوْلَدُ التَّجْرِبَةُ الْحَيَّةَ وَالْأَشْعَارَ الْجَيِّدَةَ! وَلَمْ أَكُنْ لِأَتَمَادِي فِي الشَّجُونِ وَلَكِنَّهَا فَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَى دِيَوَانِي!

فهرس المحتويات – ديوان: (منار الخير)

الصفحة	البحر	القافية	عدد أبيات	اسم القصيدة	مسلسل
7	داء				الإهـ
9	ة		دم	ة	الم
11	ة	ي	ح	ت ت ا	الأفـ
13	لاف			ورة الغـ	صـ
15	وان			ذا الدير	هـ
17	البسيط	عائبها	15	مرارة الحقد	1
18	الكامل	اليدا	14	المات والعزى	2
20	البسيط	وفي سفلي	13	ليالي العاشقين	3
22	مجزوء الكامل	الحرّج	22	حلاوة الصبر	4
25	التهزج	لا النصف	30	الجفاف	5
29	الكامل	نزية	25	الشمس والظل والدموع	6
31	المتقارب	منهلي	42	رسالة إلى ولدي	7
36	الوافر	الصدود	22	الجنور	8
39	الطويل	غياهي	18	حيرة وغيره	9
41	الكامل	اللحون	32	ترنيمة الليل	10
45	الوافر	الجريحا	22	الحمل الذبيح	11
47	الطويل	مداويا	16	سراذيب القرار	12
49	الكامل	علمك	22	الوجدان العقيم	13
51	الكامل	أربابها	23	جنازة الشعر	14
55	الطويل	مفعما	20	فسجّرتة في التنور	15
57	المتقارب	الخطن	31	مسيلمة الكذاب	16
60	الكامل	الشيأة	18	رطوبة الحياة	17
61	الرمل	كهفا	22	القمر الذابل	18

64	الرمل	المنهزما	31	الوصية الخالدة	19
66	الكامل	مشاعري	11	جمال الطفولة	20
67	التهزج	الزهد	28	أريج الذكريات	21
70	الوافر	يطوئ	32	اليراع الذبيح بين الظل والحرور	22
72	الكامل	المعضلة	16	أمسك عليك زوجك	23
74	الرمل	موجعا	20	لا أعرف يا بني	24
77	الرمل	العجاف	33	عفاف في هجير الانكسار	25
81	الكامل	الأسحار	27	الإعصار	26
84	الوافر	السجايا	28	نسيم الشوق	27
87	الكامل	يتذوق	18	مناجاة	28
89	الوافر	يندبني	19	ترانيم الأطلال	29
92	الوافر	هزار	23	تغريدة البحر	30
96	الرمل	القيامة	11	صمت الثبات	31
99	الكامل	التلبيسا	24	المجد مرتعنا	32
100	البسيط	وفي كرب	20	في رثاء المعلم	33
102	المتدارك	النكبة	19	وفوق كل ذي علم عليم	34
104	البسيط	منتشر	16	يا غادتي أنت الفنى	35
106	الخفيف	الأهوال	18	لتبيننه للناس	36
107	الكامل	كلامي	155	منار الخير	37
122	البسيط	الحمد	200	رسالة من صلاح الدين – رحمه الله –	38
138	الكامل	ويولد	31	إلى أمة الإسلام	39
152	المديد	العتابا	15	ماذا وراء الدموع؟	40
153	الخفيف	باحترامي	14	عالم يُفقق أمة	41
154	الخفيف	بالإيلام	13	همسة في أذن متشاعر	42
155	السريع	العمل	16	قد خلئت من قبلكم سنن	43
156	المنسرح	الناس	15	سلم اليراع ومن كتب!	44

157	المديد	والفهوم	18	أحسنتِ صنعا يا أخية!	45
161	الخفيف	وأغنى	33	رويدك يا فتاة الإسلام!	46
163	المتقارب	العولمة	15	طاحونة الماضي	47
164	البسيط	فيضطرّم	68	اليتيم والوجه الآخر	48
169	المتقارب	الجفا	14	ثباتا أيها الثائر!	49
170	الخفيف	فيضا	22	دموع القلب	50
179	البسيط	قوافي متنوعة	24	سُداسيات شعرية	51
181	البسيط	والخدرُ	42	شموخ أمام بريق المال	52
183	الخفيف	الصعابِ	44	أيتام على موائد اللنام	53
187	البسيط	تختنقُ	55	من إفرازات الاحتضار	54
192	الطويل	مكرّم	82	دعنا نضعك في الصورة (معارضة)	55
198	الخفيف	سرورِ	15	إشارات غالية الثمن	56
200	الرمل	منزلة	16	صمت القصيد	57
202	الرمل	الهنا	17	القرار الضرير	58
204	الرمل	لا تعتذري	27	الحذر الحذر من الوجدان العقيم	59
206	الخفيف	المفراح	18	سراديب العاشقين	60
207	البسيط	الأقاويلِ	20	يا صاح انتظر هذه المرة!	61
208	الخفيف	والترويح	19	خطوة في الاتجاه الصحيح	62
209	الكامل	وسلامي	73	رسالة شعرية إلى «أم يوسف»	62
215	البسيط	عمي	66	حنين القلم ومسئولية الكاتب	64
220	الوافر	والنهوضُ	15	فقاقيعُ بين الغموض والبيان	65
224	الوافر	ألمعيا	18	المخرج من مستنقع الرماد	66
225	الكامل	والمدى	22	زفرة يرسمها القريض!	67
227	الطويل	مجددا	17	تقاسيم على البحر الطويل	68
228	المتقارب	اضطربُ	18	أعاجيب قلب قاس	69
229	البسيط	وينبهرُ	36	أشواق لها إيقاع	70

232	الكامل	في الإبراق	19	من وحي اللغة العربية	71
237	الرمل	الرطيب	18	أريج الشعر	72
238	الكامل	الإجفاف	17	اعترافات العذراء	73
239	البسيط	وتنتفع	15	يا ابن آدم: كُف عن الحرص	74
240	الوافر	المعالي	16	اتركوني مع القوافي	75
241	الكامل	وكلوم	38	تذكروا الإحسان	76
249	الوافر	أولى	18	إن قلبي لا يفيق	77
250	البسيط	البراهين	36	الأمل يرتصد التصابي	78
252	المنسرح	الوهن	18	المخرج من خراب الجاهلية	79
254	الوافر	لا أماري	20	حوار مع أعرابية	80
257	الكامل	في مقتل	15	أعرابية في عصر الجاهلية المعاصرة	81
259	البسيط	الكرب	142	وجود يحترق (هموم كبيرة)	82
267	البسيط	تجتمع	41	رويدك قلبي	83
269	المتدارك	إلى الكمد	17	لا شيء يدوم إلى الأبد	84
270	الرمل	الرحيم	28	لن أنتظر هذه المرة	85
274	البسيط	يعتمل	82	بوح المشاعر	86
281	الرمل	سرى	35	عربدوا ما شنتم	87
287	ة			م	ال
295	ات	وي		رست المحنة	فـه

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه ، والله الحمد والفضل والشكر والمنة والتناء الجميل الحسن!

تنوية هام

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر

باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية

(إدارة الإيداع القانوني)

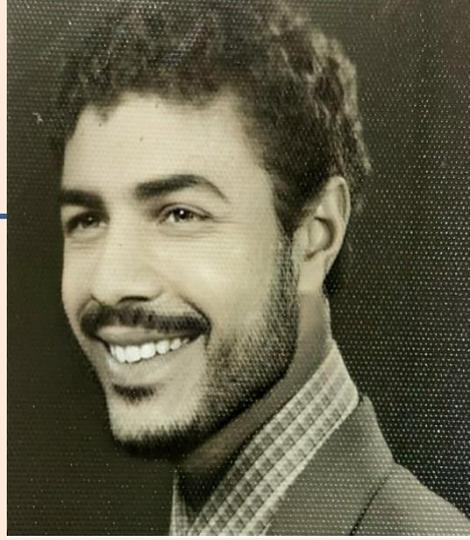
16004 / 2006 في يوم 6 - 8 - 2006م

بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

800 ، 811

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارع روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصاعدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصير: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعْضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - غادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبْتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالعقابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خالك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 – القاتل البطيء (التدخين)
- 3 – بين شوقي وحافظ!
- 4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 – عمير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
- 6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 – من أجل زوجي!
- 8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 – فرانك كاريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 – يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 – رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 – ابتسم! (معارضة لإلياء أبو ماضي)
- 14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
- 16 – أتيناكم! أتيناكم!
- 17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويأ وناقداً
- 18 – أستاذي قال لي! (عريف الكتاب – رحمه الله -)
- 19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 – أسماء الله الحسنى
- 21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 – موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 – أبجديات شعرية
- 26 – الشعر رحم بين أهله
- 27 – الله يرحم مزنه
- 28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 – امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 – تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 – برّدة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
- 33 – برّدة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
- 34 – برّدة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
- 35 – برّدة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
- 36 – برّدة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
- 37 – برّدة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
- 38 – بكائية إسماعيل علي سليم (فقيه التربية والتعليم)
- 39 – نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيه الأزهر الشريف)

- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغير الحال أم الخال!؟
- 43 – تلميذي البار شكراً!
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقبلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 – خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 – رسالة إلى دانة!
- 56 – رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 – رفقاً بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – رفيده بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
- 59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
- 61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل
- 70 – عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 – لصوص القريض
- 75 – لقاؤنا في المحكمة
- 76 – لوعة الرحيل
- 77 – مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
 85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!
 3 – آمال وأحوال
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
 7 – تحية شعرية والرد عليها
 8 – رمضان شهر الخير والبركة
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
 11 – بيني وبينك!
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
 13 – دموع الرثاء وبيكاء الحُداء (1 & 2)
 14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
 15 – رسائل سليمانية شعرية
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
 17 – شرخ في جدار الحضارة
 18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)
 20 – عندما يُثمر العتاب
 21 – فمثله كمثل الكلب!
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
 23 – كل شعر صديق شاعره
 24 – مساجلات سليمانية عشمأوية
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
 28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد
 31 – الضاد بين عدو وصديق
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
 33 – الغربية ذربة على الطريق

- 34 - الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 - اللغة العربية وصراع اللغات
37 - اللقيط برئ لا ذنب له!
38 - المال والجمال والمآل
39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 - المعلم صانع الأجيال
41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 - اليثم غنم لا غرم
43 - أمومة وأمومة
44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 - بين الفتنة والفتنة!
48 - بين هندٍ وزيد!
49 - جيران وجيران!
50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 - عزة الخير (أم عبد الله)
52 - فذاك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 - مدائح إلهية شعرية
55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 - البُردات الشعرية السليمانية
57 - عيون الدواوين السليمانية
58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 - من أزاهير الكتب
62 - من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 - من أناشيد الأفراح
64 - نحويات شعرية
65 - نساء صقلتهن العقيدة
66 - نساء لعب بهن الشيطان
67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أحبته؟
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 - نصيب طلابي من شعري
87 - حضارة البطنة لا الفطنة
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 - لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 - وترجون من الله ما لا يرجون
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 - لماذا؟
101 - (لا) كلمة لها وقتها!
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أحرث عمّن هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 - أين؟!
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 - أيومة إلى الأبد!
112 - شتان بين البر والعقوق
113 - الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!

119 – عندما!

120 - تحايا شعريية سليمانية (3&2&1)

121 – القصيدة الزينية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond's Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!